

حركة الشعر في قبيلة قيس في العصر الأموي
(٤٠ هـ - ١٣٢ هـ)

الطالب : خليل صالح سليم أبو رحمه

إشراف : الدكتور هاشم ياغي و الدكتور عبد الرحمن ياغي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في الأدب العربي بكلية الآداب في الجامعة الأردنية

١٩٧٥ - ١٩٧٦

حركة الشعر في قبيلة قيس في العصر الأموي
(٤٠ هـ - ١٣٢ هـ)

الطالب : خليل صالح سليم أبو رحمه

إشراف : الدكتور هاشم ياغي و الدكتور عبد الرحمن ياغي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في الأدب العربي بكلية الآداب في الجامعة الأردنية .

١٩٧٥ - ١٩٧٦

قبل حوالي سنتين كلفنا أستاذنا الدكتور هاشم ياغي أن نرقب
مركبة القبائل وفعاليتها ابتداءً بأولى سنوات الهجرة وانتهاءً بآخر
خلافة بني أمية . وكان القسم الأكبر من نصيبي متعلقاً بخلافة عثمان ،
رضي الله عنه ، وما تلا مقتله من صراع حتى تستلم الأمويون الحكم .
لكنني لم أتح عند حدود ما رسم لي ، بل مضيت أقرأ في تاريخ صدر
الاسلام وخلافة بني أمية حتى استشرفت العصر العباسي . وكنت
- خلال ذلك - أناقش أستاذي في كثير من المسائل المتعلقة بالمجتمع
الاسلامي في الأمصار الجديدة التي نعمت بالفتح . وقد بان لي أن
فترة صدر الاسلام كانت مرحلة اعداد وصهر للقبائل العربية في مجتمع
واحد ، يلفه دثار اسلامي يلغي القبلية ، لتحل محلها أخوة العقيدة
السامية ، كما ظهر أن أهل كل مصر كانوا متمسكين به ، حريصين
عليه ، متحدين فيه ،

ثم كانت خلافة معاوية بداية للخلافة الأموية ، فأخذت أحس
أن القبلية عادت - لأسباب مختلفة - جذعة ، وأن الناس في مصر
الواحد كانوا ينقسمون على أنفسهم فهذا مضرى وذاك يمني ، وهذا
قيسي وذاك أزدي ، ، ، ، وبرزت القيسية بشكل واضح في جل أحداث
المصر الأموية ، بل إنها تجاوزت حدودها لتستغرق المشرقية فسي
بعض الأحيان ، ولتقف في مقابل اليمن عامة . ولم يشأ أستاذي أن
يفجأني بما كان يعرفه ، بل تركني حتى اقتنعت ، وعندئذ عرض
علي أن أدرس شعر قيس السياسي والقبلي في مصر الأموية . وكان
لابد من فترة أبحث فيها عن شعر قيس حتى أشجنب الوقوف على أرض
قد تكون رخوة رغم أن التاريخ يشد أزرها ،
تركزت كتب التاريخ بعد أن شمرت بها إلى فهرسها من المصادر والمراجع
وهي كثيرة ، ولكن يمكن تصنيفها في أقسام : أولها الكتب التي تعنى
بالأنساب ، مثل الانباه على قبائل الرواة ، ونسب عدنان وقحطان ،
وجمهرة الأنساب ، والأنساب . وثانيها المجاميع الشعرية ، مثل ديوان
القحيف ، وديوان ليلي الأخيلية ، وشعر الراعي النميري ، وشعر
ابن ميادة . وثالثها الكتب التي تعنى بالتراجم ، مثل الشعر والشعراء
والمؤتلف والمختلف ، ومعجم الشعراء ، والأغاني . ورابعها الكتب
الجغرافية ، مثل معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان ، والمسالك
والممالك ، وصفة جزيرة العرب . وخامسها الكتب الأدبية والنقدية

والبلاغة واللغوية ، مثل الحيوان والبيان والتبيين ، والكامل للمبرد ،
 وأساس البلاغة ، وسادسها بعض مؤلفات المحدثين وبعض رسائلهم الجامعية .
 وبذلك جمعت فيضا من شعر شعراء قيس ، فعزل علي جهدي ورأيت أن
 يعنى البحث بشعر قيس لا أن يقتصر على جانب منه ، وظاهرني فني
 هذا الاختيار أنه يفسح المجال واسعا لدراسة شعر شعراء لم يوفهم
 الباحثون المحدثون حقهم ، ومنهم من لم يعرضوا له . وعرضت الأمر على
 أستاذي فوافق بعد أن حذر وأشفق ، فهو يعلم أنني ما زلت طفلا فني
 هذا البحث ، كما يعلم أن دهشة الطفل من أصول تفكيره .
 وقد كان تحذير أستاذي دافعا جعلني أغد السير في تربة الموضوع ،
 حتى إذا ظننت أن أبيه قد لان جلست وإياه غير مرة ، حتى استقامت
 خطة البحث ، فكان الفصل الأول لتناول الأنساب عامة ، ثم لقبيلة قيس
 من حيث نسبها وتحركها ودورها في أحداث العصر الأموي . وكان الفصل
 الثاني لموضوعات شعر القيسيين في العصر المذكور . وكان الفصل الثالث
 حديثا مفصلا عن خصلة من شعراء قيس .

وما كدت أقطع شوطا في الكتابة حتى سافر أستاذي فبقيت على اتصال
 به ، ثم رحلت إليه وقرأت عليه ما كتبت ، وحرصت أن أنتفع بآثاره
 ودفعاته التي يزودها من يستقي منه .

ولما كان نظام الجامعة الأردنية لا يسمح للطلاب إلا أن يشرف
 عليه مباشرة وعن قرب ، فقد كلف أستاذي الدكتور عبد الرحمن ياغي
 بأن يشرف على هذا البحث ، وقد وجدت فيه ما وجدت في الأول :
 استجابة لكل نامة ، وسعة صدر لمناقشة كل شبهة . وكنت سعيدا
 لهذا الإشراف المريح حيث أفدت من كلا المنهجين ، وكنت مستطيما
 بهما ، غير قادر على النهوض بعبء هذا البحث لولا معاونته أستاذي ،
 فلهما خالص شكرى وتقديرى . كما أحس الحاجة شديدة أن أشكر
 أستاذي الدكتور عبد العزيز الدوري الذي انتفعت بعلمه في مناقشة
 بعض القضايا التاريخية .

خليل صالح أبو حمسة

كلمة في الأنساب عامة

معروف أن العرب عنوا بأنسابهم عناية كبيرة ، وهي مسألة اقتضتها ظروفهم البيئية والاجتماعية ، إذ يمسر على الفرد الواحد أن يعيش مستقلاً لنفسه ونفسه في مثل بيئتهم الاجتماعية ، ولذا كان لابد من التمثل المصنوع على أسس مختلفة كالجوار أو التحالف أو الاعتقاد بالاشتراك في الأصل الواحد والأب المشترك ، ، ، فلما ما يسمى بـ " القبيلة " وهي قومية الأعراي ، ومجتمعات منوطاً بحياتها . وقد تباين الجوار والعتناء العرب بأنسابهم إلى اعتنائهم بأنساب حيواناتهم فكتب ابن الكلبي " أنساب الخيل " وكتب أبو عبيدة " كتاب الخيل " ، على أن هذا الاهتمام الكبير بالأنساب لا يبرئهم من الخلط والوضع والتلفيق ، آية ذلك أن الباحث في الأنساب - من خلال كتب الأنساب المعروفة - يصطدم باختلافات وتناقضات كثيرة تهم بعض الأصول ، وتشكك في بعض الفروع ، منها ما يتعلق بالأسماء ، ومنها ما يتعلق بالآباء ، منها ما يثبت ، ومنها ما ينفي ، ومنها ما يتأرجح بين النفي والاثبات . ويدولي أن السبب في ذلك هيو أن تدوين الأنساب بدأ متأخراً بالقياس إلى روايتها ، كما أن جداول الأنساب التي أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوضعها حين وضع ديوان العطاء لم تصلنا . وقد كان أمر عمر ، رضي الله عنه ، تنبها إلى ضرورة الاعتناء بالأنساب وتصنيفها وتدوينها ، ثم كانت الخطوة الثانية وهي وضع جداول الأنساب في صورتها النهائية ، وهي مسألة لم تتم قبل العصر الأموي ، وقد لعبت الاعتبارات السياسية والقبلية والدينية دورها في ذلك ، فزاد الخلط وكثر التخييل .

والى جانب الاختلاف الكثير في كتب الأنساب ، نجد اتفاقاً يمكن أن نعتمد عليه في النظار إلى نظرية الأنساب العربية . فقد اتفقوا على أن العرب ثلاثة أقسام : عاربة ، ومعتربة ، ومستعربة^٢ . واتفقوا على أنهم جميعاً ينحدرون من ولد سام بن نوح^٣ . وأطلقوا على العرب العاربة اسم " العرب البائدة " للدلالة على انقراضها وفنائها ومنها قباثل عاد وثمود وطسم

١- أنظر المفصل في تاريخ العرب ١ / ٤٦٦

٢- نهاية الأرب ٢ / ٢٩٢

٣- السيرة النبوية ١ / ٧

٤- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٢٨٠

وجد يس / ، وأما العرب المتربة فهم بنو اسماعيل بن إبراهيم وقد تحدر عدنان عن أد ولده . وهكذا قسموا العرب الباقية قسمين كبيرين : قسم عدنان وهم عرب الشمال المتحدرون من عدنان ونزار ومضر ، وقسم قحطان ينحدر من قحطان ، وهم عرب الجنوب . وأما آباء عدنان وقحطان فهم موضع خلاف من حيث الأسماء ومن حيث الترتيب . وأما فروع عدنان وقحطان ففي بعضها خلاف كثير .

ونلاحظ أن جداول الأنساب التي وضعها النسابون العرب مستوفاة لانقص فيها ، كما نلاحظ أن الفالية العظمى من أسماء القبائل العربية هي أسماء الآباء ، أي أنها أسماء مذكرة . وعليه فإن الأنساب العربية - كما وصلتنا - تقوم على رابطة الأبوة ، وقليل ما نجد قبائل سميت بأسماء أمهاتها أو حاضناتها ومن ذلك خندف ، وهاجله بوسلول . . . ونجد أن أسماء بعض القبائل هي أسماء حيوانات مثل : أسد ، كلب ، كلاب . . . ولم يغفل العرب البحث في هذه الظاهرة ومحاولة تحليلها كما فعل ابن دريد في كتابه الاشتقاق .

ونلاحظ أنهم نسبوا على بعض الأسماء التي تتصل بالأنساب ومنها قضية الهجرة فقلبت ذكروا أن قبيلة الأزد هاجرت من اليمن إلى شرقي بلاد العرب وشمالها . ومن ذلك هجرة أباد من تهامة إلى العراق واليمن بسبب تظاير اخوتها عليها بتهامة وما والاها على حد رأي تعبير البكري .

ونسابو العرب يحدوثنا عن ظاهرة لم تكن نادرة الحدوث في حياة قبائل العرب ، تلك هي ظاهرة التحاق قبيلة بأخرى واندماجها بها لأسباب ودواع شتى : ومن الأمثلة على هذه الظاهرة ما حصل لقبيلة بجيلة وتفرق بطونهم في القبائل ، حتى جمعهم عرب بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وأخرجهم من تلك القبائل . وروى أن عوف بن لوئى بن غالب الحق نسب بقطفان ، والتحق بنسب بيته (بني مرة) بقطفان ، حتى قال عرب بن الخطاب رضي الله عنه . . .

١- نهاية العرب ٢ / ٢١٢

٢- أنظر الأنباء على قبائل الرواة / ٤٦ ، ٥٥

٣- السيرة النبوية ١ / ١٣

٤- معجم ما استعجم ١ / ٦٩ ، أنساب الأشراف ١ / ٢٥

٥- أنظر العصبية القبلية / ١٦

٦- معجم ما استعجم ١ / ٥٢ - ٦٣ .

- ٦ -

"لو كنت مدعيًا من العرب ، أو ملحقهم بنا لا دعيت بني مرة بن عوف ، أنا لنصرف فيهم الا شباه مع ما نصرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع" يعني عوف بن لؤي . ثم قال لبعض رجالهم : "ان شئتم ان ترجعوا الى نسبكم فأرجعوا اليه" ولكن القوم كرهوا أن يرجعوا الى نسبهم حيث كانوا أشرفا في غطفان ، ويهدو أن بعض رجالهم كرهوا نسبهم الجديد في غطفان ، وقد عبر أحد شعرائهم وهو الحارث بن ظالم عن ذلك ، حيث قال :

فما قومي بثعلبية بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي ، ان سألت ، بنو لؤي بمكة علموا مضر الضرابا
سفهننا باتباع بني بغيض وترك الأقربين لنا انتسابا^٣
ويبدو أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قد تنبه الى هذه القضية حين أمر بتسجيل الأنساب وتبويبها في ديوان ، حيث قال :

"أيما حي من العرب كانوا في حي من العرب أسلموا فهم معهم الا أن يعترضوا فعليهم البيئة" . ولعل في قوله هذا ما يدل على شيوع هذه الظاهرة .

ولم يفتب عن بال النسابين تدخل المصيبة القبلية والسياسة في الانساب ، يقول الشرقي بن القطامي : "لم تنزل قضاة على نسبها في معد في الجاهلية وأول الاسلام الى أن أحدثت حلفا بينه وبين أهل اليمن أيام ابن الزبير وبني مروان ، وذلك في غارات عمير بن الحباب على كلب وغارات حميد على فزارة ، فلم تنزل كلب واليمن يشدون ذلك الحلف ويحتجون بحديث عمرو بن مرة الجهمي ، وكانت له صحة وسابقة في الاسلام وطاعة في قومه فمالوا الى قوله الذي ادعى فيه أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، نسب قضاة الى حمير ، وما لأهم على ذلك خالد بن يزيد بن معاوية خلافا على بني مروان ، ثم استحكم ذلك ، فلم تنزل قضاة في اليمن الى اليوم مختلفين في أنسابهم" . وشبهه بهذا القول قول لمحمد بن حبيب^٥ .

١- السيرة النبوية ١ / ٢٨ - ٢٩ ، شرح المفضليات / ١٠١

٢- السيرة النبوية ١ / ١٠٠ - ١٠١

٣- السيرة النبوية ١ / ٢٦ ، وانظر عن ١٠٠ موقف الحصين بن

الحمام المري

٤- انظر المفضل في تاريخ العرب ١ / ٤٧٠

٥- الانباء على قبائل الرواة / ٦٠ - ٦١ .

ولا يخفى ما للسياسة والتبليغ من أثر في التلاعب بالأسباب في
 العمير الاموي ، فقد تعرض نسب قبيلة ثقيف الى كثير من التشكيك
 والهجوم من الرواة والشعراء ورجال السياسة ، مما أدى الى اختلاق
 كثير من الروايات التي تربط نسب ثقيف بأسماء يكرهها العرب والمسلمون
 مثل أبي رغال ، وشمود^١ ، بل ان منهم من تجاوز العد فنفي ثقيفا
 عن العرب جميعا ، وبلغ الأمر بهؤلاء أن نسبوا الى الرسول
 صلى الله عليه وسلم ، أحاديث ليؤكدوا بها ما ذهبوا اليه^٢ ، ومن
 ذلك ، "قبائل تنتمي الى العرب وليسوا من العرب ؛ حمير من تبع
 وجرهم عاد ، وثقف من ثمود" . وقد استفحل خصوم الحجاج
 السياسيون هذه المسألة ، فكان ابن الزبير يتهم ثقيفة بأنها من
 بني ثمود^٣ . وقال شبيب الخارجي في الحجاج :
 عبد دعي من ثمود أصله لا بل يقال أبوه أبيهم يقدم^٤
 وقال أحمر بن سالم المري في رجاء الحجاج :
 ثقيف بقاء من ثمود وفالهم أب ما جد من قيس عيلان ينسب^٥
 ويبدو أن سياسة الحجاج ، وما عرف عنه من بطش وقتل كان السبب
 في ذلك ، وقد تنبه الطبري الى هذه القضية فقال : "ثقف من
 ثمود في رأي بعض مضر من تكلم في الحجاج^٦ . ومعلق صاحب
 كتاب "الانباء" على هذه القضية بقوله : "وهي آثار كلها ضميعة
 الاسانيد ، لا يقوم بشيء منها حجة والله أعلم بصحة ذلك ،
 والتدنى عليه أهل العلم بالنسب أن ثقيفا في قيس ، ومنهم من
 ينسبهم في اياد^٧ . ويبدو أن الحجاج نفسه حاول استغلال
 هذه المسألة ليزيد الناس خوفا منه ، ان أنه في دفاعه عن هذا
 التزيف سمح للرواة أن ينقلوا الرواية بصورة توهم أنها صحيحة ،
 فقد خطب بالكوفة فقال : "بلغني أنكم تقولون ان ثقيفا من ثمود
 ويلكم وهل نجا من ثمود الا خيارهم ومن آمن بمالك فبقي معه عليه
 السلام ، ثم قال : قال الله تعالى "وثنود فما أبقي^٨ .

- ١- أنساب الأشراف / ١ / ٢٥ ، ٢٦٠ ، السيرة النبوية / ١ / ٩٨ - ٩٩
 الانباء على قبائل الرواة / ٩٠ - ٩١ ، الأغاني / ٤ / ٣٠٢ وما بعدها ،
 تاريخ ابن خلدون / ٢ / ٦٤١ ، صبح الأعشى / ١ / ٣٤٣ .
- ٢- أنساب الأشراف / ١ / ٤ ، الانباء / ٩٠ ، الأغاني / ٤ / ٣٠٢ .
- ٣- أنساب الأشراف / ٥ / ١٩٧ - ٤ - تاريخ ابن عساكر / ١ / ٢٣٢
- ٥- تاريخ ابن عساكر / ١ / ٢٣٢ - ٦ - تاريخ الطبري / ٦ / ٢٠٨
- ٧- الانباء على قبائل الرواة / ٩٢
- ٨- أنساب الأشراف / ١ / ٢٥ ، الأغاني / ٤ / ٣٠٢ ، تاريخ ابن عساكر / ٤ / ٧١ .

وحين كانت الواقعة بين الضرية من جهة واليمانية من جهة أخرى بالهروقان ، من أرغى يلخ ، بسبب تمرد عمرو بن مسلم الباهلي ، أرسلت قبيلة تغلب الى عمرو تدعي أن باهلة من تغلب وأنشدوه شعرا قاله رجل عزا باهلة الى تغلب ، ولكن بكر كرهت أن تكون باهلة في تغلب فتكثر ، وقال رجل منهم :

زعت قتيبة أنها من وائل
نسب بعيد يا قتيبة فاصدي (١)

ومن النسابين من كان يلجأ الى التوفيق بين الروايات المختلفة ، ويبدو أن "الأم" كانت تسعف في ذلك ، إذ أن قبيلة ثقيف يتنازعها اياد وهوازن ، والارجح أنها من هوازن^٢. ولكن بعضهم حاول التوفيق بين الروايتين فربط ثقيفا بكليهما وقال : ان امه كانت متزوجة من منبه بن النبيت بن اياد ، فولدت قسيا ، وجاءت الى قومها وهناك تزوجت منبه بن بكر بن هوازن ، فحضر منبه بن بكر قسيا ورياء ، فانتسب اليه^٣. ولا يخفى ما في هذه الرواية من تلفيق سببه محاولة التوفيق بين الروايتين ، والصنعة بادية فيها في اتفاق اسم الرجلين اللذين تزوجا اميمة بنت سعد بن هذيل أم ثقيف .

هذه ملاحظات ابدتها على مسألة الانساب عند العرب ، وهي ملاحظات مستقراة من جداول الانساب التي وعلمتنا . كما أن منها ما كان من الدعائم التي قامت عليها نظرية الانساب العربية . الا أن للقدماء - نسابين ومؤرخين - آراء ومواقف من نظرية الانساب ومن الجداول ، وللمحدثين دراسات منها ما يمس الانساب العربية من بعيد ، وبعضها اتخذ الانساب العربية هدفا لدراسته . وسأتحدث عن ملاحظات القدماء وعن دراسات بعض المحدثين .

نظرية الانساب بين القدماء والمحدثين :

لم يسلم الباحثون القدماء بكل ما رواه رجال الانساب ، وكيف يفعلون ذلك ، وقد رأوا أن منهم من يروي نسب القبيلة حتى آدم عليه السلام^٤ . وقد رأينا اختلاف النسابين فيما جاوز عدنان وقحطان . وما يلاحظ أن نقد القدماء لنظرية الانساب منصب على ما جاوز عدنان وقحطان ، ولذا فهو لا يقوغل البناء ، كما أن الاختلاف حول بعض الفروع لا يقوغل النظرية لانه اختلاف ضمن أطوار عام متفق عليه . وقد استند القدماء في شكهم الى أحاديث تروى عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وإلى اقوال طائفة من أئمة المسلمين ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، تكذيب للنسابين ودفع لهم^٥ ، ومن ذلك أنه كان يقول اذا انتهى في النسب الى معد بن عدنان : " من هاهنا كذب النسابون^٦ " . ورووا أن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت :

- ١- تاريخ الطبري ٣٠/٢ ، تاريخ ابن الأثير ١٢٨/٥
- ٢- الانباه ٩٢ / ٢٩
- ٣- وقفيات الاعيان ٢٩/٢
- ٤- تاريخ الطبري ١٦٥/١ وما بعدها ، نهاية الأرب ٢٨٦/٢
- ٥- الأغاني ١٤/١ - ٦- أنساب الاشراف ١٢/١ .

- ٩ -

" ما وجدنا احدا يعرف ما وراء معد بن عدنان ولا وراء قحطان الا تخرصنا " ونقلوا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه و قوله : " انما ننسب الى عدنان وما وراء ذلك لا أدري ما هو " وعن أبي بكر بن سليمان قال : " ما وجدنا في علم عالم ولا شاعر من وراء عدنان بثبتا " وكان الشعبي يقول : " انما حفظت العرب من أنسابها الى اذني " . وابن سلام يدور حول هذا المحور في شكه ان يقول : " لم يجاوز ابننا نزار في أنسابهم وأشعارهم عدنان ، اقتصروا على معد ، ولم يذكر عدنان جاهلي قط غير لبيد ابن أبي ربيعة الكلبي في بيت واحد قاله ، قال :^٥ فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك المواذل ثم يقول ابن سلام : " فما فوق عدنان اسماء لم تؤخذ الا عن الكتب والله أعلم بها ، لم يذكرها عربي قط . . . فنحن لا نفهم في النسب ما فوق عدنان " . وابن حزم ، ألف في الأنساب وحاول ان يضيف على العلم بالأنساب شيئا من القدسية فساق أحاديث نبوية ، وأقوالا للمصحابة تحضر على تعلم الأنساب ، ورغم ذلك فهو يشك ، وشكه يدور في الفلك نفسه ، يقول : " فعدنان من ولد اسماعيل بلا شك ، في ذلك ، الا أن تسمية الآباء بينه وبين اسماعيل قد جهلت جملة ، وتكلم في ذلك قوم بما لا يصح ، فلم نتعرض لذكر ما لا يقين فيه ، وأما كل من تناسل من ولد اسماعيل - عليه السلام - فقد غبروا ودثروا ، ولا يعرف أحد منهم على أديم الأرض أصلا ، حاشيا ما ذكرنا من أن بني عدنان من ولده فقط " . ويرى ابن دريد أن ما بعد عدنان أسماء سريانة ، ويشير الى أنهم اختلفوا فيها^٨ .
أما النسابون ، فقد جرح كثير منهم وطعن في روايته ، فابن اسحاق مطمئن عليه غير مرضي الطريقة . . . وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه^٩ . ومجالد بن سميد كان ضعيفا عند المحدثين^{١٠} ، وابن

-
- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ١ . الانباه / ٤٨ | ٢ . الانباه / ٤٨ |
| ٣ . انساب الأشراف / ١٢ | ٤ . أنساب الأشراف / ١٢ |
| ٥ . طبقات فحول الشعراء / ١٠ | ٦ . طبقات فحول الشعراء / ١١ |
| ٧ . جمهرة أنساب العرب / ٧ | ٨ . الاشتقاق / ٤٣ |
| ٩ . الفهرست / ١٠٥ | |
| ١٠ . الفهرست / ١٠٣ | |

الكلي متهم بالكذب ، والشرقي بن القطامي كان أحد النسابين
الرواة للأخبار والأنساب وألد وأمين ، وكان كذاباً ، ووفاء بن
الأشعر كان ناسباً وأشد الناس تبهياً وكبراً ٣

أما الباحثون المحدثون ، فللفرنسيين الفضل في إثارة مسألة
الأنساب وحشها . وهم فريقان : فريق دارت بحوثه في الأنساب
عامة ، وفريق خصص بحوثه في الأنساب العربية ، ونلاحظ أن
الفريق الثاني يعتمد على الفريق الأول كما أن الفريق الأول سابق
زمنياً للفريق الثاني .

ومن الفريق الأول العالم الجرمانى " باخوفسن " (Bachofen)
وهو أول من نادى بالأئمة في كتاب نشره سنة ١٨٦١ . ويرى
باخوفسن أن الأئمة سابقة في تاريخ العائلة للأئمة ، وأن الزواج عشتد
الأقدمين كافي فوضوياً بلا شرط ، وهو زواج المشاركة ، والولد ينتسب
إلى أمه فيصير الانتساب إلى الأمهات قاعدة عامة ، ولذا كانت المرأة
رفيعة المقام ما أدى إلى ترؤسها في الهيئة الاجتماعية ، وهي صاحبة
النفوذ كما هو حال الرجل اليوم ٦ .

وفي سنة ١٨٦٥ نشر الباحث الانجليزي مكليمان (Mac Lennan)
كتابه " الزواج عند القدماء " (Primitive Marriage) حيث
ورأى أن الزواج الخارجي كان سبباً في الأئمة ، إذ لاحظ أن القدماء
كانوا يعمدون إلى خطف زوجاتهم لقلعة النساء بسبب الوأد ، فالمرأة كانت
معرضة لغير زوج ، واستنتج أن جميع القبائل التي عرفت الزواج الخارجي
شاع فيها تعدد الأزواج والأئمة ، وشي لا تقرا إلا بالقراءة من طريق الأئمة .
كما أن مكليمان هو أول من قال بالطوطمية في كتابه السابق الذكر .

- ١ . الأغاني ١٠ / ٤٠
- ٢ . الفهرست ١٠٢ / .
- ٣ . الفهرست ١٠١ / .
- ٤ . باخوفسن ، ومكليمان .
- ٥ . اسميث ، وولشكن .
- ٦ . الأئمة عند العرب ، مقدمة المترجم II / ، وانظر مجلة الهلال ،
عدد ٨ من السنة ١٤ .
- ٧ . الأئمة عند العرب ، مقدمة المترجم V /
- ٨ . الطوطم : كائنات تحترمها بمصر القبائل المتوحشة ، ويعتقد كل فرد
من أفراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوطمه ،
وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً أو غير ذلك .

ومن الفريق الثاني المستشرق الألماني " نولدكه " الذي رأى أن الأنساب العربية لا أساس لها من الصحة ، وأنها من وضع ابن الكلبي وغيره بعد الإسلام ، وشوهرى أن لا أحد من الشعوب والقبائل العظيمة يعرف حقيقة الشخص الذي ينسب إليها . ثم كتب " سميث " كتابه " الأنساب والزواج عند العرب القدماء " (*Kinship and Marriage in Early Arabia*) وفيه ينقش مباحث العرب في الأنساب معتمداً على الأمومة والطوطمية أي أنه متأثراً بخوفن ومكليينيان . وقد وجد سميث في أسماء بعض القبائل التي تحمل أسماء بعض الحيوانات ، وفي تسمية بعض القبائل بأسماء مؤنثة ما يدعم به رأيه ، إذ رأى أن العرب القدماء كانوا ينتسبون إلى آباء من الحيوانات أو النباتات التي كانوا يقدسونها ويتسمون بأسمائها ، وهم لا يختلفون عن غيرهم من القبائل المتوحشة في استراليا وأفريقيا وأمريكا من حيث الزواج والأمومة وغيرها . أما انتسابهم إلى اسماعيل وقحطان ثم تسلسل القبائل ، كما هو معروف ، فعنالة مستحدثة وضعت في زمن لا يتجاوز القرن الأول للهجرة بسبب وضع عمر بن الخطاب ديوان العطاء الذي رتب فيه حقوق المسلمين في العطاء بالنظر إلى القبائل وأنسابها .

أما " ولكن " فقد اعتمد في كتابه " الأمومة عند العرب " على من تقدمه مثل باخوفن ومكليينيان وسميث ، كما اهتدى ببعض نولدكه . أما " مرجليوث " فهو مقتنع برأى سميث متأثر به ، ولذا فقد حمل على الأنساب العربية في مقدمة كتابه " محمد وظهور الإسلام " (*Mohammad and the Rise of Islam*) ويرى جولدزيهير أنه لفهم الأنساب عند العرب لا بد من معرفة الأحلاف والتحالف فانها أساس تكوين أنساب القبائل ، ويرى أن الدوافع التي تكون هذه الأحلاف لم تكن ناشئة عن حس داخلي بوجود قرابة وصلة رحم بين التحالفين ، وشعور قومي ، بل كانت ناشئة عن مصالح الخلاعة التي تهتم العشيرة بالحماية والأخذ بالتأمر وتأمين المعيشة . ورغم أن بلاشير يرى أن العربي حريص على الأنساب ، ويرى أن هجرة قبائل عربية من الجنوب إلى الشمال - وهي الهجرة التي انكرها هالي في - حقيقة لا مجال للشك فيها ، إلا أنه يشك في الأنساب العربية ويخلو في

- ١ . الأمومة عند العرب / ٥ ، مجلة الهلال عدد ٨ سنة ١٤٠٠ .
- ٢ . Smith . p. 6
- ٣ . أنظر الأمومة عند العرب / ٦٠٣ - ٩ ، ٢٧ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٧ .
- ٤ . الأمومة عند العرب / ٤ - ٥ .
- ٥ . نقلا عن كتاب الفصل في تاريخ العرب ١ / ٥١٥ .
- ٦ . تاريخ الأدب العربي ١ / ٢١٠ - ٢٧٠ تاريخ الأدب العربي ١ / ٢٩٠ .

شكه حيث يقول : " ولما اقتضت الضرورات الادارية ، والجوابث السياسية وحشية السلطان منذ ولاية عمر بن الخطاب وزمن المؤمنين تنظيم العلاقات بين القبائل العربية وجذت مهارة النسابين وعقولهم المنظمة مجالا واسما للابتكار ، فاستطاعوا أن يصلوا بواسطة (٢) الجدود بين قبائل ليس لها من روابط سوى المجاورة كسليم وذبيان أو روابط المنازعات الداخلية كعبس وذبيان^١ "

ومن الباحثين العرب المحدثين الذين عرضوا للأنسب العربية جورجى زيدان^٢ ، وقد رد على أصحاب مذاهب الطوطمية والأئمة فسي الأنسب والأنسب العربية بمد أن غرض الأئمة وللأسس التي قام عليها مذاهبهم ، ودافع عن الأنسب العربية دفاعا لا يخلو من نزق عاطفي ، كما توصل الى احكام لا تخلو من التسرع في اطلاقها ، ^٣ انتهى الى القول : " والنسب العربي ثابت بثبوت أنساب العشوراة ، . . . ولا يصح قياس العرب بأصحاب الطوطم من الأمم المشو حشة ، لان العرب من أرقى الأمم عقلا ونفسا وهم أصحاب تمدن قديم مثل أرقى الشعوب القديمة ، وان ارتقاء لغتهم في تركيبها وألفاظها يشهد بارتقاء عقول أصحابها من أقدم أزمنة التاريخ وقبله فهل يعقل أن يتخذوا آباء من النبات أو الحيوان كما يفعل أعرق الأمم وحشية اليوم^٤ ؟ "

أما عبد الوهاب حمودة فكتب مقالا بعنوان " نظرية الأنسب في الميزان^٥ " وفيه يعرض للأسس التي قامت عليها نظرية الأئمة والطوطمية وينقدها ، وهو متأثر بجورجى زيدان ، ولكنه لا يتطرق تطرف زيدان ، بل يتخذ موقفا معتدلا ، إذ يرى ان العرب مروا بهذا الطور الاجتماعي - طور الأئمة - ولكن ذلك كان في المصور الأولى قبل أن ينهضوا للمقاومة على أنسابهم ، وقيل أن تكون الأبوة هي صاحبة السلطان في العائلة . كما يرى في اختلاف النسابين حول بعض القبائل كخزاعة وثقيف وهوازن بدعاة للشك ويرد هذا الاختلاف الى الطريقة التي وصلتنا بها الأنسب ، أعني طريقة الرواية ، ولأن الأنسب خضعت لمؤثرات سياسة ودينية واجتماعية .

وينتهي الى القول : " على الرغم من أن الأنسب في العصر الاسلامي كانت أكثر دقة ، وأحكم وصفا ، فأنها لم تنج من الوضع ، ولم تصف من الخلط ، ولذا

- ١ . تاريخ الأئمة العربي ١ / ٢٢٠ .
- ٢ . مجلة الهلال الأعداد : ٧ ، ٨ ، ٩ من السنة الرابعة عشرة ١٩٠٦ .
- ٣ . أنظر مجلة الهلال عدد ٨ من السنة ١٤ .
- ٤ . مجلة كلية الآداب عدد ١٤ مايو ١٩٥٢ .
- ٥ . مجلة كلية الآداب عدد ١٤ مايو ١٩٥٢ / ١٤٠ .
- ٦ . نفسه / ١٤٤ .

ولذا رأينا أن المحققين قالوا بالاكثفاء في الأنساب بالأنساب القريبة،
وطرح ما بعد وأغرق في القدم " أي أن حمودة يسائر نظرية العرب القدماء .
أما جواد علي فهو متأثر في رأيه في الأنساب بالاستشرقين إذ نراه يجاري
جولد زيهر ، وبلاشير ، وسميث وولكن ، ودويوذا في بحوث هؤلاء وغيرهم
ليصل إلى رأي ارتضاه وسبقه إليه جولد زيهر ، يقول جواد علي : " وأقرب
تفسير إلى أنساب العرب ، في نظري " هو أن النسب ، ليس بالشكل المفهوم
المعروف من الكلمة ، وإنما هو كناية عن حلف يجمع قبائل توحدت مصالحها ،
واشتركت منافعها ، فاتفقت على عقد حلف فيما بينها ، فانضم بعضها
إلى بعض ، واحتسب الضميف منها بالقوى ، وتولدت من المجموع قوة واحدة
وبذلك حافظت تلك القبائل المتحالفة على مصالحها وحقوقها . . . وإذا
دام الحلف أمدا ، وصقت هذه الرابطة التي جمعت شمل تلك القبائل متينة ،
فإن هذه الرابطة تنتهي إلى نسب " .

هذا عرض يلخص آراء الباحثين المحدثين - من غربيين وعرب -
في الأنساب ، ونلاحظ أن الغربيين يثقفون في أحكامهم ~~بمقتضى~~ فيقوضون
الأسس التي قامت عليها نظرية الأنساب عند العرب . أما العرب فمنهم من
تطرف في الأشات (جورجي زيدان) ومنهم من اعتدل (عبد الوهاب
حمودة) ومنهم من تطرف تطرف الغربيين (جواد علي) .
ورغم أن البحوث الغربية قد اصطنعت المنهج العلمي إلا أننا لا نستطيع
التسليم بكل ما وصلت إليه من نتائج ، فمن ينكر الهجرة اليمنية إنما ينكر
أما غير قابل للانكار ، إذ من الثابت أن القحطانيين هاجروا بتأثير ظروف
اقتصادية وسياسية إلى الشمال ، وهي هجرات بدأت في وقت
مبكر ، والدليل على ذلك وجود فروع مختلفة للقبيلة الواحدة في مختلف
أنحاء الجزيرة ، فقبيلة الأزدي في المدينة وفي بلاد الشام وفي عمان
وفي الحيرة ، وكذلك كندة التي تجدد قسما منها في نجد وآخر في حضرموت
ومن المستشرقين من لم ينكر الهجرة ببلاشير يرى أن هذه الهجرة الناجمة
عن جفاف الجوفين : اليمني والحضرمي هي حقيقة لا مجال للشك فيها .

- ١ . أنظر مجلة كلية الآداب ، عدد ١٤ مايو ١٩٥٢ .
- ٢ . الفصل في تاريخ العرب ١/٥١٤ - ٥١٥ .
- ٣ . الفصل في تاريخ العرب ١/٤٧٤ .
- ٤ . الفصل في تاريخ العرب ١/٥٢٠ وما بعدها .
- ٥ . الفصل في تاريخ العرب ١/٥١٤ - ٥١٥ .
- ٦ . أنظر الشمر وأيام العرب في العصر الجاهلي ٩ .
- ٧ . تاريخ الأدب العربي ١/٢٩ ، وأنظر رأي كاتاني في الفصل
في تراث تاريخ العرب ١/٢٤٣ .

أما مسألة التحالف التي فسرها جولد زيهر ولاشير الأنساب ،
وتبهمهم في ذلك جواد علي فقد نص القداماء عليها كما مر بنا ، ولكنهم
لم يتطرقوا فعل أولئك ، ولم يعمموا الجزء على الكل ، والتحالف ضرورة
قبلية واقتصادية اقتضتها ظروف البيئة وما يتعلق بها ، ونحن رأينا أن
المتحالفين لم ينسوا أصولهم .

أما نتائج الأمومة والطوطمية فأمر لا يستطيع أحد دفعه ، كما لا يستطيع
التسليم المطلق بصحته . وهم قد استندوا فيهما على ما لاحظوه من
تسمية بعض القبائل بأسماء مؤنثة أو بأسماء حيوانات أو نباتات . وقد
ألف ابن دريد كتاب " الاشتقاق " وفيه بين مذاهب العرب في تسمية
أبنائها ردا على من استهجن بعض الأسماء ككلب وكلاب ويقتي
تفسير ابن دريد لأسباب ذلك تفسيرا لوضع قائم في ضوء اعتقاده بوجود
مذاهب للعرب في تسمية أبنائها ، ولكن لابد من مرور فترة زمنية حتى
يتكون المذهب أو العادة . وصحما يكن ، فابن دريد لم يتجاوز في تفسيره
عدنان وقحطان . وما نعلمه من عمر التاريخ قليل إذا ما قيس به كله . .
والأمة العربية ليست بدعا من البدع ، ومن المحتمل أن تكون قد مرت بـ
الأمومة أو طوطمية أو بكليهما . ولكن ما وصلنا يؤكد نظام
الابوة وهو نظام متأخر في نظر الباحثين .

ومن السذاجة الاطمئنان المطلق إلى جداول الأنساب العربية كما وصلتنا ،
وكيف نفعل ذلك ، وقد رأينا القداماء أنفسهم يشكون فيها جاوز عدنان وقحطان ،
كما رأينا أثر السياسة والقبلية في الاختلاف في هذه الجداول ، كما أن من
السذاجة الاطمئنان المطلق إلى أحكام الغربيين ودراساتهم ومن تبهمهم ،
وقد رأينا ما فيها من ثغرات ، وإذا كنا نشك في بعض النسابين فهو شك
لا ينسحب عليهم جميعا . وإذا كان العرب قد عنوا بأنسابهم فلا بد أن يكون
لكل قبيلة نسابون يحفظون أنسابها وتاريخها وعلاقتها بغيرها ومن
هو لا أخذ الذين صنّفوا في الأنساب كابن الكلبي ، وابن اسحاق ، وابن
حبيب وغيرهم ، يقول ابن عبد البر : " وأما أنساب العرب فإن أهل العلم
بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأسماء قبائلها واختلفوا في
بعض الفروع " . ونحن نعلم أن كثيرا من الشعر العربي في العصر
الجاهلي وفي صدر الاسلام والدولة الأموية ، قد قام على الفخر بالأنساب
— وهو فخر لا يتجاوز عدنان وقحطان — فكيف سكنت الشعوبية عن هذه

١ . الاشتقاق / ٣ .

٢ . الفهرست / ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٣ .

٣ . الأنباء على قبائل الرواة / ٤٩ .

المسألة وهي تبحث عن سلاح تشهره في وجه العرب ؟ .
ومهما يكن ، فقد أطل العصر الأموي وجداول الأنساب
تكد تكون كاملة متسلسلة من جذمين كبيرين هما : عدنان وقحطان .
وقد نظر العرب اليها على أنها حقيقة أو هكذا توعموا . وموقفهم
هذا هو الذي حدد فعاليتهم السياسية والقبلية ، ونظم علاقة
القبائل ببعضها ، وجعل شمرا القبيلة يفخرون بتاريخ قبيلتهم وأيامها
الجاهلية . فللسياسة أن تشكك في نسب ثقيف ، ولثقيف أن تدعي
أنها " أوسط قيس " وأن تتصرف في ضوء ذلك . وللقبلية أن تشكك
في نسب باهلة ، ولباهلة أن تقبل الانسلاخ عن قيس عيلان ٢ .

ومن يقرأ تاريخ باهلة في العصر الأموي فكأنما يقرأ جزءاً من تاريخ قيس
عيلان . وللقدماء أن يقولوا أن مرة بن عوف من قريش التحق بقطيفان ،
وأن يستدلوا على ذلك بقول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولكن
مرة في العصر الأموي قيسية الهوى ، أن افتخرت فبقيس عيلان ، ألم
يقول شاعرها ابن ميادة :

ولو أن قيساً قيس عيلان أقسمت على الشمس لم يطلع عليكم حجابها
لنا الطنك إلا أن شيئاً تمدد قريش ولو شئنا لذرناهم
وان غضبت من ذا قريش فقل لها معاذ الله أن أكون أهابها

وللقدماء أن يختلفوا في اسم " قيس عيلان " ولكن لا أحد منهم ينفي
وجوده ، وهم متفقون على جل ما تفرع منه من قبائل وطلون ، وهو اتفاق
حدد دور المشاعر القيسية في أحداث العصر الأموي - كما
سأبين - ونحن إذ نتحدث عن قبيلة قيس : تاريخنا وشمرا فاننا
نتحدث ضمن هذا الإطار المتفق عليه ، وهي من أمهات القبائل على

١ . نقاش جرير والرزق / ٧١٧ ، الأغاني ١١/٥

٢ . تاريخ ابن الأثير ١٢٧/٥ - ١٢٨ .

٣ . الأغاني ٣٣٣/٢ ، والأبيات في شمرا ابن ميادة / ٢٠ .

سبب قبيلتين =====

يلتفت هذا الفصل الى تحديد أماكن القبائل القيسية في العصر الجاهلي . ومعروف أن القبائل العربية لم تكن تضرب في الجزيرة العربية ضرباً عشوائياً ، بل كان لكل قبيلة مجالها الخاص . وكان هذا المجال اطاراً عاماً لتحركها المكاني عبر السنة . وإذا أردت استقصاء تاريخ قبيلة ما فأنت مضطر الى البحث عن أيامها ، وهنا ستجد جاراتها يلعبن دوراً مهماً في تشكيل هذا التاريخ . خذ - مثلاً - قبيلة ثقيف وعدوان وعامر ، فستجد صراعاً سببه الأول التجاور المكاني ، حيث القوى يطمع بالضعيف ، فقد استطاع الثقيفون بعد أن ربلوا - على حد تعبير البكري - أن يخرجوا العامريين من الطائف ، وكان العامريون قد أخرجوا عدوان منها بعد أن مزقتها الحروب بين بطونها^١ .

وإذا كان الجوار سبباً في الحروب ، فإنه قد يكون سبباً في تكوين الأتحاف القبلية ، فقد تحتمى قبيلة ضعيفة بأخرى قوية كما كان شأن هوازن مع غطفان^٢ . وقد تتحالف قبيلة مع أخرى دون أن يكون بينهما اشتراك في النسب ، ولكنهما متجاورتان وحدث بينهما ضرورات حيوية ومصالح مشتركة ، لذا لا نعجب إذا رأينا قبيلة غطفان تحالف قبيلة أسد ولا تقبل أن تحالف قبيلة عامر مع أن عامراً وغطفان من قيس عيلان . وكانوا يحافظون على حرمة هذه الأتحاف حتى كان من أسباب ردة غطفان واتباعها طليحة الأسدي ما كان بين أسد وغطفان من تحالف في الجاهلية^٣ .

وإذا كان الجغرافيون العرب يسمفوننا في تحديد بعض الأماكن ،

١- مهجم ما استمعج ١ / ٦٥ ، ٧٧

٢- الأغاني ١١ / ٨٢

٣- تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٧ .

فإنهم كثيراً ما يخمينون ظننا في تحديد أماكن أخرى ، وقد يكون لاعتماد بعضهم على السماع دون المشاهدة علاقة بذلك ، فموطن قبيلة عيس — مثلاً — يحدده البكري فيقول " وكانت منازل بني عيس فيما بين أبا نين والنقرة ، وماوان والريذة ، هذه منازلهم " وعند ما يريد الباحث ان يحدد مواقع هذه الأماكن التي ذكرها البكري فإنه يصطدم بالاختلاف بين البكري وياقوت في ذلك . كما أن تجاور بعض القبائل والبطون ، وتداخل مراتبهم وأموالهم يجعل من الصعب إعطاء صورة دقيقة لمكان كل قبيلة أو بطن على انفراد . ففي " حصى ضرية " كانت تبجوس عدة قبائل منها : عيس ، وأسد ، وفزارة ، وكلاب . . . ولكل منها أمواه فيه ، وحين نقرأ وصف البكري للحصى^٣ لا نخرج بصورة تحدد حصّة كل قبيلة منه . ولكننا نستفيد في تفسير بعض الأحداث المترتبة عن التجاور في المكان .

ولا شك أن الشمر قد يسعفنا في التحديد أو في بيان أماكن بعض القبائل^٤ ، ولكن لا يجوز التعميم ، فالشاعر قد يذكر أمكنة لا علاقة لقبيلته بها . وقد نجد شعراً فيه وصف لمكان ما ، ولكنه وصف يخالف ما استقر في أذهان الجغرافيين ، " فالأخشبان " اسم جبلين يرد في شمر مزاحم العقيلي^٥ ، ويعلق ياقوت على ذلك بقوله : " الأخشبان جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى . ولكن هذا الشعر يثبت غير ذلك ، أنه يدل على أنهما من منازل العرب التي يحلون بها أهلهم^٦ .

ويزداد الأمر تعقيداً حين تبحث عن مكان ما فلا تخرج بطائل ، وعندئذ تضطر إلى إهماله مجاراةً للقدماء الذين تهربوا من تحديده . يقول البكري عن " الأدهم " : " إكام سود بنجد أو مايلية " وهذا قول لا يحدد المكان . ويقول ياقوت عن " حمير " : " جبل في بلاد غطفان^٧ .

-
- ١- معجم ما استمعجم ٤ / ١١٧٨
 - ٢- أنظر مادة : أبا نين ، النقرة ، ماوان ، الريذة في المعجمين .
 - ٣- أنظر مادة " حصى ضرية " في معجم ما استمعجم ٣ / ٨٥٩ وما بعدها .
 - ٤- أنظر أبيات النابغة الجعدي في معجم ما استمعجم ٤ / ١١٤٠
 - ٥- معجم البلدان ١ / ١٩٣
 - ٦- معجم البلدان ١ / ١٩٣
 - ٧- معجم ما استمعجم ١ / ١٢٦
 - ٨- معجم البلدان ٢ / ٢٨٠ .

ومصروف أن عشائر كثيرة وكبيرة تفرعت من غطفان .
اذن ، سيكون تحديد بعض الأمكنة تقريبا . فإذا عرفنا المكان عرفنا
جزءا من تاريخ القبيلة . وليس المقصد استقصاء كل دقيقة من هذا التاريخ ،
فذلك أمر لا يحتمله البحث ، ولكونني سأختار — من خلال عرضي لنسب قيس —
من الأحداث ومن الأسماء والأوصاف ما يفوض الطريق وينيرها .^١

رأينا اتفاق النسابين القدماء في أن العرب ينحدرون من جذمين
كبيرين هما : عدنان وقحطان . وهم يتفقون في أن عدنان من ولد اسماعيل
وان كانوا يختلفون في عدد الآباء بينه وبين اسماعيل . وجمهور النسابين
على أن لعدنان ولدين هما : معد والحارث وهو عك^٢ . وأنجب معد عدة أبناء
منهم نزار ، واليه تنتمي معظم القبائل العدنانية . وقد ورد اسم نزار في
نقش " النمارة " الذي يرجع تاريخه الى ثمانية وعشرين وثلاثمائة بعد الميلاد^٣ .
كما ورد في الشعر الجاهلي في قول بشر بن أبي خازم :
مضى سلافنا حتى نزلنا
بأرض قد تحامتها نزار
وولد لنزار : مضر ، وأباد ، وربيعة ، وأنمار . وقد وقع الخلاف بين
النسابين في نسب أنمار . فمنهم من قال : " درج ولم يعقب " . وقال
آخرون انه غاضب اخوته ، فأثى اليمن وانتسب الى أراش بن عمرو^٤ . وابن
عزم لا يهزم في المسألة ، بل يقول : " وقيل أنمار " . أما أبو عبد الله
المصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري ، فأثبت نسب أنمار في نزار^٥ .
وذكر أن من أنمار " بجيلة " انتسبوا الى اليمن الا من كان منهم بالشام
والمغرب فانهم على نسبهم الى أنمار بن نزار^٦ والذي يبدو أن العصبية

- ١- على أنك لا تعدم وجود التناقض في بعض أحداث هذا التاريخ في
الكتاب الواحد ، فالبكري يذكر أن ثقيفة أخرجت عدوان من الطوائف ، ثم
يذكر — في موضع آخر — أن العامريين أخرجوا عدوان من الطوائف (معجم
ما استعجم ١ / ٦٥ ، ٧٧) .
- ٢- في " عك " خلاف يبدو أن العصبية كانت سببا فيه . أنظر السيرة النبوية
١ / ٨ ، تاج المروس ، معجم ما استعجم ١ / ٥٤ .
- ٣- تاريخ اللغات السامية ، لولفنسون / ١٩٠ .
- ٤- أنساب الأشراف ١ / ٢٣ .
- ٥- شرح الفضليات / ١٣ .
- ٦- جمهرة أنساب العرب / ٩ .
- ٧- نسب قريش / ٧ .

القبلية لعبت دورها في هذا الخلاف^١.

ومضر شعب في نظر أهل الأنساب ، وهو من أعظم شعوب
عدنان . وقد أجمعوا أن مضر بن نزار أنجب ولدَيْن ، الأول الياس
ولا نجد خلافاً في اسمه ، ولا في أنه ولد مضر لصلبه^٢ . وتزوج
ليلى بنت حلوان القضاعية وهي خندف ، ومنها كان أولاده الثلاثة :
طابخة ، ومدركة ، وقصة^٣ . وقد أصبح اسم خندف - فيما بعد -
علما يطلق على القبائل المتفرعة من الياس ، وفي مقابل " قيس عيلان "
يقول الشاعر :

أنا ابن خندف تنميني قبائلها في النابات وعمي قيس عيلان^٤
والثاني قيس عيلان بن مضر ، وفي اسمه ، بشقيه ، خلاف كبير بين
النسابين^٥ . فمنهم من يرى أن اسمه الحقيقي هو " الناس " وأن " عيلان "
والداه . ولذا يقال قيس بن عيلان بن مضر . ومنهم من يرى أن اسمه
" الناس " وأن قيسا لقبه^٦ . ومنهم من يرى أنه قيس وأن عيلان لقبه^٧ .
ولذا يقولون قيس عيلان . ويميز عن اسمه بصيغ ثلاث فيقال قيس بن عيلان ،
وقيس عيلان ، وقيس . ويورد الصيغ الثلاث في الشعر ، يقول زهير :
إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسبق
ولعباس بن مرداس السلمي :
فان يك في سعد المشيرة يلتقي الى الفر من قيس بن عيلان مولدى^٨
ولطرفة بن العبد :
ولكن دعا من قيس عيلان عصبة يسوقون في أرغر الحجاز البرابرا^٩

١- وقد فسر جواد علي ذلك تفسيراً ينسجم ونظريته الى تفسير الأنساب ،
ان رأى أن النسب كناية عن حلف ، فأشار حالفت قبائل عدنانية ، ثم
حالفت أخرى يمنية فاختلف النسابون فيها (الفصل في تاريخ العرب ٤ / ٥١٦)

٢- الأنباء على قبائل الرواة / ٨١

٣- جمهرة أنساب العرب / ٩ ، أنساب الأشراف / ٣١

٤- تاريخ الطبري ٥١٨ / ٦

٥- الاشتقاق / ٢٦٥ ، الأنباء على قبائل الرواة / ٨١-٨٢ ، جمهرة

أنساب العرب / ١٠ ، ٢٤٣ ، نهاية الأرب ٢ / ٢٧٩ ، صبح الأعشى ١ / ٣٣٩

٦- الاشتقاق / ٢٦٥ ، المقد الفريد ٣ / ٣٣٧

٧- وفيات الأعيان ٥ / ٢١٢ ، لسان العرب ٦ / ١٨٨

٨- جمهرة أنساب العرب / ٢٤٣ ، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٠

٩- الأنباء على قبائل الرواة / ٨٢ ،

١٠- صفة جزيرة العرب / ٥٥ .

وقال سوار بن حيان المنقري :
 يطعمهم بحر تميم اذ ذر زخير
 وقال جرير :
 تحضون قيسا ولا تصبرون
 وقال عمرو بن أحمز الباهلي :
 لقد ظمنت قيس فألقت بيوتها
 بسنجار فالأجزاء أجزاء وسرا ٣
 أما الشق الثاني " عيلان " فالخلاف فيه أكثر ، فمن قائل انه اسم فرس
 لقيس ، وآخر يقول انه غلام له ، وثالث يرى أنه كلبه . وقيل : اسم رجل
 حضنه صغيرا ، وقيل بل صفة أطلقها الياس على أخيه الناس حين رآه
 فقيرا ، لأنه كان متلافا ٤ . . . وقد عرض " فيشر " ٥ للروايات المختلفة ،
 ورجح صيغة " قيس عيلان " متبعا بذلك ابن خلدون والبغدادي ، وما
 جاء في لسان العرب من أن " عيلان " هو الذكر من الضبع وليس في العرب
 هذا الاسم ٦ .

وقيس عيلان قبيلة كبرى ، وهي عند النسابين أكبر من تميم ومن
 بكر أبي مر بن أد بن طابخة ٧ . وقد ضرب المثل بقوتها فقيل :
 " الق بقيس " ٨ كما قيل " لم تسد الثغور بمثل قيس " ٩ . ولكثرة بطونها
 وقوتها غلب اسمها على سائر المدائن حتى جعل في المثل في مقابل عرب
 اليمن قاطبة ، فيقال : قيس ويمن ١٠ .

ونحن لا نعرف من تاريخها قبل القرن السادس للميلاد شيئا يذكر ،
 ولم يرف اسمها في كتب الكلاسيكيين ١١ . وقد خضعت قيس - شأنها شأن

١- نقاش جرير والفرزدق / ١١٧ وانظر ص ٣٦٢

٢- نقاش جرير والفرزدق / ١٠٤١

٣- شعر عمرو بن أحمز / ٨٢

٤- الاشتقاق / ٢٦٥ ، الانباه / ٨١-٨٢ " ،

٥- Ency, I : 653

٦- وفي لسان العرب أن عيلان هو لقب مضر .

٧- نهاية العرب / ٢ / ٢٨١

٨- عيون الأخبار / ٢ / ٢٩٣ ، وانظر زهر الآداب / ٢ / ٩٥٩

٩- وفيات الأعيان / ٧ / ١٠٨

١٠- صبح الأعشى / ١ / ٣٣٩

١١- الفصل في تاريخ العرب / ٤ / ٥٠٦ .

القبائل المدنانية الأخرى — لحكم مملكة كندة الذي لم يدم طويلاً^١،
وقد رت القبائل العربية في الجاهلية مكانة قيس ما جعل بعضها ينضوي
تحت لواء بعض القبائل القيسية^٢. كما نازعت بعض قبائل قيس قریشا
سيادة العرب ، فكانت حروب أشهرها " الفجار " التي كانت تمبيراً
عن التناقض بين الطائف ومكة على زعامة لتجارة العربية ، والتي انتهت
بهزيمة هوازن وثقيف ، وشأت مركز مكة في زعامة مدن الحجاز^٣ . ويذكر ابن
سلام أن الشعر في الجاهلية تحول إلى قيس فحملت لواءه^٤ ، بعد ربيعة^٥ .

أما عن موطنها الأصلي فيذكر البكري أنها كانت تجاور أختها خندف
في تهامة وما والاها ، فلما كثر عددهم ، وضاعت بهم الأرض ، وتنافسوا
في المحال والمنازل ، اقتتلوا فظهرت خندف على قيس ، وظمنت قيس
من تهامة طالعين إلى بلاد نجد الا قبائل منهم انحازت إلى أطراف الضر
من تهامة^٥ . وفي وقت قريب من ظهور الاسلام انتشروا في مناطق شاسعة
من شمالي الجزيرة العربية ووسطها^٦ . وتفرقوا في مناطق مختلفة من الحجاز
ونجد^٧ وتهامة والمروء^٨ . فكان لكل عشيرة مجالها الحيوى الذى تتحرك
خلاله . وهي كثيرة تتفاوت فيما بينها من حيث العدد ، ومن حيث الرفعة
والشرف والقوة^٩ .

١- Ency, I: 654

٢- أنظر معجم ما استعجم ١ / ٦٠ - ٦١

٣- ثقيف من ظهور الاسلام حتى نهاية الدولة الأموية / ٤٤

٤- طبقات فحول الشعراء / ٣٤

٥- معجم ما استعجم ١ / ٨٧

٦- Ency, I: 653

٧- معجم ما استعجم ١ / ٩٠

٨- أنظر صفة جزيرة العرب / ١٥٩ .

٩- أنظر جمهرة أنساب العرب / ٤٨٨ - ٤٨٩ ، الأنساب ١ / ٢٧ - ٣٠

٥٣ ، ٧٠ - ٨١ ، الحيوان ١ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ، البيان والتبيين ٤ / ٣٦ ،

زهر الآداب ١ / ٢٥ ، ٢ / ٦٣٣ .

والجمهور على أن قيساً ولد ثلاثة : عمراً وسعداً وخصيفة^١.
 أما عمرو بن قيس فمنه بطنان لصلبه وهما : عدوان^٢ واسمه الحارث ،
 وفهم^٣ ، وأمهما جديلة بنت عمرو بن أد^٤ . وقد نسبوا هم ومنوهم اليها^٥.
 ومن بطون عدوان : بنو خارجة ، وبنو واثش ، وبنو يشكر ، وبنو
 رهم بن ناج ، ومن بني ناج ذو الأصبع العدواني الشاعر ، وعمار بن
 الظرب ، وكان من حكماء العرب^٦.
 ومن بني فهم بن عمرو : بنو طرود وهم بطن متسع كانوا بأرض نجد ومنهم
 الأعشى^٧.
 وكانت منازل فهم وعدوان بالطائف ، وجاورتهم عامر وثقيف ، ثم وقعت
 بين بطون عدوان حروب ، فتفرقت جماعتهم ، وتشتت أمرهم ، فطمع فيهم
 العامريون والثقيفون وأخرجوهم من الطائف ، ففهم عنها^٨ ، وفي ذلك
 يقول ذو الأصبع العدواني :
 بغي بعضهم بعضاً فلم يراعوا على بعض

- ١- الأنباء على قبائل الرواة / ٨٣ ، نسب عدنان وقحطان / ١٠ ،
 الاشتقاق / ٣٦٦ ، إلا أن ابن الكلبي قال في موضع خصفة بن قيس :
 عكرمة بن قيس ، وقال : خصفة أم عكرمة غلب اسمها على بنيتها (الأنباء
 على قبائل الرواة / ٨٣) . وقد أضاف بعضهم " برا " فجعل البربر من
 قيس (الأنباء على قبائل الرواة / ٨٣ ، نهاية الأرب ٢ / ٣٣٤) ويعلق
 صاحب الأنباء على ذلك بقوله : " وأنكر أكثر أهل العلم بالنسب وأيام العرب
 أن يكون لقيس بن عيلان ولد يقال له بر ، ولم يعرفوا لقيس عيلان ولداً إلا
 الثلاثة المذكورين . أما النويري فيكتفي بالقول : " وفي ذلك ، خلاف عند النسابين " .
- ٢- قيل سمي كذلك ، لأنه عدا على أخيه فهم فقتله (الاشتقاق / ٣٦٦)
- ٣- نسب عدنان وقحطان / ١٢ ، الأنباء على قبائل الرواة / ٨٣ ،
 الاشتقاق / ٣٦٦ ، نهاية الأرب ٢ / ٣٤٣ ، صبح الأعشى ١ / ٣٤٦ .
- ٤- نهاية الأرب ٢ / ٣٤٣ .
- ٥- الأنباء على قبائل الرواة / ٨٣ ، الأغاني ١٦ / ١٠٢
- ٦- الاشتقاق / ٣٦٨ ، العقد الفريد ٣ / ٣٥١ ، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٠
- ٧- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٠
- ٨- أنظر معجم ما استمع ١ / ٦٥ ، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٠ ، صبح
 الأعشى ١ / ٣٤٦ ، معجم القبائل ٢ / ٧٦٢ ، الفصل في تاريخ
 العرب ٤ / ٥٠٧ .

وهم يوروا ثقيفا ١ . ر لازل ولا خفض ١
فخرجوا الى تهامة ٢ . وذكر ابن حزم أن دارهم على مقطع البرام بقرب
مكة ، على طريق نجد ٣ . أما ابن دريد فيأبى الا فناءهم يقول :
" وفنيت عدوان في الدهر الأول لبغيتهم " ٤ . وهو قول ينقصه الدليل فنحن
نجد عدوان وقبيلة فهم تشتركان في فتح مصر ، وتستقران هناك ٥ . ومن شعرائهم
في العصر الأموي : محمد بن بشير الخارجي ، وشماخ بن أبي شداد المدواني .

أما سعد بن قيس عيلان فأعقب من بطنين لصلبه هويشا : غطفان ،
ومنبه ، وهو أعصر ٦ ، وقيل سمي بذلك لبيت قاله وهو :
أعصر ان أبائك شيب رأسه كرا اللبالي واختلاف الأعصر ٧
ومن أعصر : غني ، ومالك (باهلة) ، والحارث (الطفاوة) ٨ وهي بنت
جرم بن ريان ، ومنها ثعلبة ، وعامر ، ومعاوية واليها ينسبون ، ان
لا يعرف فيهم بطن ينسبون اليه غير القبيل الأكبر على حد تعبير المبرد ٩ .
ويبدو أن تلك كانت قبيلة صغيرة ١٠ .
أما باهلة ففيها خلاف ، ان يقال ان باهلة هو ابن أعصر ١٢ وقيل انها امرأة
مالك بن أعصر ١٣ وهي بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج ١٤ . وولدت
باهلة سعدا وصفا فقلب اسمها عليهم ونسبوا اليها ١٥ . وولد من :
قتيبة ، ووائل ، وجثاوة ، وأود ١٦ وفراصا ، وأبا عليم ١٧ .

- ١- معجم ما استمعجم ١ / ٧٧ ٢- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٢٣٠
- ٣- جمهرة أنساب العرب / ٢٤٥ ٤- الاشتقاق / ٣٦٩
- ٥- الولاة والقضاة / ٧٦
- ٦- نسب معدنان وقحطان / ١٠ ، جمهرة أنساب العرب / ٢٤٥
- ٧- طبقات فحول الشعراء / ٢٨ - ٢٩
- ٨- نسب معدنان وقحطان / ١٠ ، جمهرة أنساب العرب / ٤٥٦
- ٩- جمهرة أنساب العرب / ٢٤٥
- ١٠- نسب معدنان وقحطان / ١١
- ١١- أنظر جمهرة أنساب العرب / ٤٨٩
- ١٢- وفيات الأعيان ٣ / ١٧٠ ١٣- وفيات الأعيان ٣ / ١٧٠
- ١٤- نهاية الأرب ٢ / ٣٤٢ ١٥- نهاية الأرب ٢ / ٣٤٣
- ١٦- المقصد الفريد ٣ / ٣٥٢
- ١٧- الاشتقاق / ٢٧١ .

وكانت باهلة تسكن اليمامة ، ومن أمّاكنهم : القويح والفرعة^١ . وكان بنو
أمامة ، من باهلة ، سدنق ذى الخلصة^٢ ، ومن باهلة : أعشى باهلة ،
وعمر بن أحمر . واشتركت باهلة في يوم " شعب جبلة " ^٣ بين عامر وعيس
وأحلافهما من جهة . وتضميم وذبيان وأحلافهما من جهة ثانية ، فكانت إلى
جانب العامريين . ويبدو أنها كانت قليلة الشأن حتى كثرت الأقوال في
اتضاعها ومن ذلك قولهم " العرب كلها تنتسب طولا إلا باهلة فانها تنتسب
عرضا ، تقول : أخوالنا كذا ، وأخالاتنا كذا " ^٤ وكان العرب يستنكفون من
الانتساب إليها حتى قال أحدهم :
وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة^٥
واقترن اسم غني باسم باهلة في الوضاعة ، حتى كأنهم آلة لمدارج الأقدام ،
ينكب فيها كل ساع ويمثر بها كل ماش . وقيل " كان الغنوي والباهلي لا
يفتدى إذا أسرا إلا بناقة " ، قال الفرزدق يهجو الأصم الباهلي :
أتهمل دارما كابني دخانا وكانا في الغنيمة كالركاب^٦
ويفسر حسين بن بكر الكلابي النسابة السب في ذلك بقوله : " لقد كان
بينهما غناء وشرف ، ولم يضعهما إلا إشراف أخويهما فزارة وذبيان عليهما
بالمآثر ، فلوّموا بالاضافة إليهما^٨ " . وأعقب غني من غنم وحيدة ،
وكانت ديار غني بنجد في جوار طي^٩ ، وعند حمى ضريبة^٩ . واشتركت
في يوم " شعب جبلة " ومن أصدانهم : اللات ومناة والعزى ، ومن شمرائهم
طفيل بن عمرو الغنوي ، وكعب بن سعد في الجاهلية ، وعلي بن الخديدر
وسهم بن حنظلة في العصر الأموي .

١- صفة جزيرة العرب / ١٦٤ ، معجم ما استعجم / ١ / ٩٠ : دائرة
المعارف الإسلامية / ٣١٩ - ٣٢٠ ، معجم القبائل / ١ / ٦٠
٢- الأصنام / ٣٤ - ٣٥ وذو الخلصة من الأصنام وكان بتبالة بين مكة
واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة ، وكانت تقطعها وتهدي لها خثعم
وجبيلة وأزد السراة ، ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن .

٣- العقد الفريد / ٥ / ١٤١ وما بعدها .

٤- أنظر الأنساب / ٢٧ / ٣٠ .

٥- الأنساب / ١ / ٧٠ - ٧١ ، وفيات الأعيان / ٤ / ٩٠ .

٦- الخيران / ١ / ٣٥٩ .

٧- نقائير جرير والأخطل / ١٢٩ .

٨- وفيات الأعيان / ٤ / ٩١ .

٩- معجم القبائل / ٣ / ٨٩٥ .

أما غطفان فهي من جماجم العرب ، ويصفها ابن خلدون بقوله :
 " بطن عظيم متسع كثير الشعوب والبطون " ٢ . والبيت من قيس في غطفان ٣ .
 ولذا قيل : " إذا كنت من قيس ففاخر بغطفان " ٤ . وقد استنطق صلاح الدين
 الهادي الروايات المختلفة حول منازل غطفان ، وتتبع منازل بعض بطونها ،
 وانتهى الى القول : " فقبائل غطفان كانت قبل الاسلام تتحرك في تلك المنطقة
 التي تلي الحجاز شرقا ، والتي تمتد من وادي السرحان في بادية السماوة
 شمالا ، والى وادي الشربة قريبا من المدينة ، ومعدن بني سليم جنوبا ،
 ومن جبلي طي (أجأ وسلمى) شرقا الى وادي القرى غربا " ٥ . ويبدو أن
 غطفان نازعت قبيلة قريش السيادة ، إذ اتخذت لها حرما اشتهر باسم
 " بس " بناء ظالم بن أسعد ، واجتزأ به عن الحج ، وبقي هذا الحرم قائما
 وله حرمة ، حتى أغار زهير بن جناب الكلبي ، وقتل ظالما ، وهدم بناءه ٦ .
 وكانت غطفان من أشد القبائل العربية عدا لل مسلمين ، فكثرت غزوات الرسول
 صلى الله عليه وسلم ، لها . كما سارعت الى الردة بعد وفاته . صلى الله
 عليه وسلم ، بل ان قبيلة عيس وقبيلة ذبيان أول قبيلتين اصطدتا مع أبي بكر
 رضي الله عنه . كما اصطدمت غطفان بالعامريين في الجاهلية ف وقعت بينهم
 حدة أيام منها : يوم الرقم ، ويوم القرنيتين ، ويوم طواله ، ويوم قرن ٨ .

١- العقد الفريد ٣ / ٣٣٦ . وسميت جماجم لانه يتفرع من كل واحدة منها
 قبائل اكنفت بأسمائها دون الانتساب اليها . وجماجم العرب ثمان ، اثنتان
 في قيس هما : غطفان وهوازن .

٢- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣١ ، صبح الأعشى ١ / ٣٤٤ .

٣- الممدة ٢ / ١٩١ ، الأنساب ١ / ٥٣ .

٤- الممدة ٢ / ١٩٢ .

٥- الشماخ ١ / ٦١٠ . وهو رأى مستقرا من روايات القدماء في موطنها .

يقول ابن خلدون : " منازلهم ما يلي وادي القرى وجبلي طي " ، كما

يذكر أن أشجع كانوا عرب المدينة " (تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣١) أما

ابن بليهد فيقول : " أما غطفان فغربي بلادها شرقي المدينة وشرقي

بلادها غربي القصيم ، ومعظم بلادها وادي الرمة . (نقل عن ديوان

عنترة ٧ /) والبكري يذكر أن أرض غطفان ما يلي الشام .

٦- الأغاني ١٤ / ٩ ، تاج العروس ، مادة " بس " .

٧- تاريخ الطبري ٣ / ٢٤٢ .

٨- معجم القبائل ٣ / ٨٨٨ .

وولد غطفان ريثا ١، وعبد الله ١. وأعقب عبد الله عشرة أفعان ٢، وكانوا يقطنون العيسانية ٣. ومن بني عبد الله بنو جوشن وكان لهم عدد بالبصرة ٤. والمقب من ريث بن غطفان من أريمة بطون لصلبه وهم : بغيض ، وأشجع ، ومازن ، وأهون ٥ . وكانت أهون مع بني ثعلبة بن سعد ٦ ، كما كانت مازن مع بني شمع بن فزارة ٧ .

وكانت ديار أشجع قريبة من المدينة ، فقد ذكر ابن سعد : * أن أشجع قدمت على الرسول ، صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، لا تعلم أحدا من قومنا أقرب دارا ، ولا أقل عددا ، وقد ضقتنا بحربك ، وبحرب قومك ، فجئنا نوادعك ٨ . ويقول ابن خلدون عنهم : * كانوا ، عرب المدينة ٩ . وكانوا حلفاء للخزرج وقد ساعدوهم في يوم بعاث ١٠ . كما كان بينهم وبين سليم بن منصور يوم في موضع الجرا ١١. وأعانت أشجع على عثمان ١٢ ، رضي الله عنه . ومنهم نعيم بن مسعود الذي شئت جموعا لحزب آل أبي النضر ، صلى الله عليه وسلم . ومن شعرائهم في العصر الأموي جيسم العلاء الأشجعي .

أما بغيض فأهم ديارهم الشربة والريذة على مسيرة مئة وثلاثين ميلا غربا شمالي المدينة ١٤. ومن بغيض : أنمار ، وعيس ، وذبيان ١٥. ويبدو أن بني أنمار لم يكونوا ذوي شأن ، يقول ابن دريد " وليس في أنمار رجل يذكر ١٦ .

- ١- نسب عدنان وقحطان / ١١ / جمهرة أنساب العرب / ٢٤٨ / وعبد الله اسمه عبد المعز ولكن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بدل اسمه .
- ٢- نهاية الأرب ٢ / ٣٤٢ وهم : بهثة ، وقطن ، وعدى ، وعذرة ، وكلب ، وباعت ، وشبابه ، وغنم ، وعوف ، وبنو به .
- ٣- معجم القبائل ٢ / ٧٣٢
- ٤- الاشتقاق / ٢٧٦
- ٥- جمهرة أنساب العرب / ٢٤٩ ، نهاية الأرب ٢ / ٣٤١ .
- ٦- جمهرة أنساب العرب / ٢٤٩
- ٧- جمهرة أنساب العرب / ٢٤٩
- ٨- طبقات ابن سعد ٢ / ٧١ - تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٣١
- ٩- الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي / ٨٣ .
- ١٠- معجم القبائل ١ / ٢٩١ - الاشتقاق / ٢٧٦
- ١١- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣١ - دائرة المعارف الإسلامية ٩ / ٣٨٥
- ١٢- نهاية الأرب ٢ / ٣٤١
- ١٣- الاشتقاق / ٢٧٧ .

وتعد عيس من جمرات العرب^١ . ويحدد البكري موطن عيس بقوله :
 " وكانت منازل عيس فيها بين أباينين والنقرة ، وماوان والريذة ، هذه
 منازلهم^٢ " وفي تحديد هذه الأماكن خلاف عند القدماء . أما أباينان
 فهما جبلان عظيمان ، أحدهما أباين الأبيض ، والآخر أباين الأسود . ويرى
 البكري أنهما في بلاد أسد . بينما جعل ياقوت الأبيشي لبني فزارة وعيس
 والأأسود لبني فزارة^٣ . ويمر وادي الرمة بين أباينين^٤ وهو يرتبط بأسفل
 " القصيم " وهو رمل لبني عيس . أما النقرة فالبكري لا يوضح موقع هذا المكان ،
 بينما يقول ياقوت : " أنها بطريق مكة وهي مفترق للمدينة^٥ " وكذلك الخلاف
 في ماوان . أما الريذة فمن حديث البكري الطويل عنها يستنتج القارئ أنها
 قسرية من المدينة . ويقول عادل البياضي - بعد استقراء الروايات المختلفة
 وترجيحه رأي البكري في أباين : " فأباين الأبيض والجبال المعروفة بقطن تحد
 الجهة الغربية من منازل عيس ووادي " أثال " من الشمال ، ورمل " زود " ^٦
 المتصل برمل عالج " الدهناء " من الشرق وإقليم السر من الجنوب " . ويرى
 ويرى محمد مولى أن " هذه النقاط التي أوردها المؤلفون إنما هي نقاط
 تغيد في بيان منازل القبيلة في أوقات مختلفة " .^٧
 وهذه المنطقة الواسعة لم تكن كلها خاصة بعيس ، بل كانت تشتركها فيها بعض
 بطون غطفان وأسود وفزارة وعامر^٨ . فبنو أسد في الغرب ويشتركون معها
 في أباين وفي حمى ضرية . أما في الشرق فتجاور أرض بني تميم ، كما تجاور
 العامريين في الجنوب . وهذا الموقع حدد علاقات عيس بجاراتها . وقد كان
 زهير بن جذيمة البصري سيد عيس كلها^٩ ، بل سيد غطفان^{١٠} .
 وقد تزوج إليه النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر لشرفه وسوء دمه^{١١} .

-
- (١- الحيوان ٥ / ١٢٣ . قال الجاحظ " إنما يقال لكل واحدة منها جمة
 لأنهم تجمعوا حتى قوا على عدوهم ، ومنهم خف مجر إذا كان مجتمعا شديدا .
 (المصدة ٢ / ١٩٨) . ٢- معجم ما استعجم ٤ / ١١٧٨
 ٣- معجم البلدان ، مادة أباين ٤- معجم البلدان ١ / ٦٢
 ٥- معجم البلدان ، مادة النقرة .
 ٦- الشعر في حرب داحس والغبراء / ٢٦-٢٧ ، وانظر الشعر
 وأيام العرب في العصر الجاهلي / ٨٣
 ٧- ديوان عنتره / ٨
 ٨- أنظر وصف " حمى ضرية " في معجم ما استعجم ٣ / ٨٦٤
 ٩- العقد الفريد ٣ / ١٣٦
 ١٠- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٢
 ١١- تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ١٧١ ٨٠

وكانت هوازن تدفع له الأتاوة ، ويبدو أنه بغى وتجبر ، فقتله العامريون فولد ذلك عداً بين القبيلتين . كما اصطدم المبسبون ببني تميم في يوم " ملزق " وهو يوم " السومان " . على أن أكبر حدث في تاريخ عيس هو اصطدامها بأختها " ذبيان " في حرب داحس والغبراء^٢ ، بسبب مفاخرة بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر على فرسين أيهما أسبق وأجود . واضطرت عيس - أمام ضغط أعدائها المحيطين بها - أن تتناسى أحقادها مع العامريين ، وأن تتحالف معهم . وبذلك أطلقت جمرة من جمرات العرب . وسنرى أنها تشترك مع العامريين في يوم " شعب جيلة " ^٣ على ذبيان و تميم . ومن شعراء عيس : عنتره ، والحطيئة ، وعروة بن الورد ، ومنهم في العصر الأموي سائر بن هند .

والمقبان من عيس من بطنيين : قطيعة ، وورقة^٤ . ولقطيعة عدة أفخاذ منهم : الحارث ، وعوف ، وغالب رهط الحطيئة . ومن مازن بن الحارث : جذيمة وهي عشيرة زهير بن جذيمة^٥ .

وكانت ذبيان ذات شأن كبير في الجاهلية ، وكان سيدها حذيفة ابن بدر الفزاري يدعى " رب معدا " . وموطنها في الشمال الغربي لشبه الجزيرة ، يقول ديرنبرغ : " وكان بنو ذبيان يستقرون في جهة تسمى شربة ، ووادي الشربة مع وادي الرمة يصلان بين مكة والأبلة ويخترقان نجداً ، غير أن غطفان كانت شمالي وادي الشربة وذبيان كانت نحو الشمال الغربي وهذا الموقع جعلها مجاورة للغساسنة ، ولم تكن العلاقات صافية تماماً بين الطرفين ، ومن يرجع إلى ديوان النابغة الذبياني يجد شعراً يؤكد ذلك ، ومنه قصيدته التي منها قوله :

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تريمهم في كرا أ. ن. ف. ر. ٨

وكان حتى أقر للغسانيين ، ويقع قرب أراضي غطفان . ويبدو أن النابغة كان أشبه بسفير لقومه لدى الغساسنة ، ولذا كان يحرض على رضاهم^٦ .

١- المدة ٢ / ٢١٢ - ٢٢٣

٢- أنظر الأغاني (طبعة دار الثقافة) ١٧ / ١٢٣ وما بعدها .

٣- المدة ٢ / ٢٠٣

٤- نهاية الأرب ٢ / ٣٤٢

٥- نهاية الأرب ٢ / ٣٤٢ ٦- المدة ٢ / ٢٠٣

٧- نقلاً عن " النابغة الذبياني " ٢٢ /

٨- ديوان النابغة الذبياني ١٦٩ /

٩- أنظر العصر الجاهلي / ٢٧٠ وما يليها .

- ٩ -

وكانت قبيلة ذبيان على علاقة حسنة بسجاراتها من القبائل العربية .
 إذ كانت تحالف قبيلة أسد ، كما كانت على علاقة طيبة بالأسدي التي
 شاركها بعض المنازل^١ ، ولذا انضمت اليها مائتان القبيلتان في صراعها
 مع المسييين في داحس والفبراء وما تمخض عنها من أيام وحروب ، كما
 انضمت اليها يوم شعب جبلة . وأشهر شعراء ذبيان في العصر الجاهلي
 النابغة الذبياني ، ومنهم الشماخ ومزرد .
 وولد ذبيان فزارة ، وسعدا^٢ . ومن سعد : عوف وثلعة . وكانت
 ثلعة تجاور أشجع أي أنهم ظل كانوا قريبين من المدينة ، وجبل رحرحان
 في ديارهم ، وهو يقع غربي الربدة^٣ . أما عوف ، فهو الذي قال فيه عمر بن
 الخطاب ، رضي الله عنه ، انه من قريش لحق بقطان^٤ .
 ومن بطون عوف : مرة^٥ وكانت منازلهم بين فداك وخيبر^٦ . ومن بني مرة
 هرم بن سنان الذي مدحه زهير بن أبي سلمى ، وهو سيدهم في
 الجاهلية^٧ . ومنهم في العصر الأموي : مسلم بن عقبة المري قائد يزيد بن
 معاوية يوم الحرة على أهل المدينة^٨ . ومن شعرائهم في العصر الأموي :
 أرطاة بن سببة ، وشبيب بن البرصاء ، وعقيل بن علفة ، وابن ميادة .
 ومن مرة : بنو غيظ ، ومالك ، وسهم ، وبنو صرمة^٩ . ومن غيظ بن مرة
 بنو يربوع^{١٠} بنو نشبة^{١١} .
 وبني غطفان في فزارة^{١٢} . وكانت منازلهم بنجد ووادي القرى^{١٣} .
 ومن فزارة حذيفة بن بدر الذي كان طرفا في سبب حرب داحس والفبراء .

- ١- أنظر سفة جزيرة العرب / ١٢٩
- ٢- الاشتقاق / ٢٨١ ، نسب عدنان وقحطان / ١١
- ٣- معجم ما استعجم / ٢ / ٦٣٣
- ٤- أنظر ص ٥ من هذا البحث .
- ٥- نسب عدنان وقحطان / ١١
- ٦- الأغاني / ٢ / ٢٦٦ ويذكر صلاح الدين الهادي أنهم ينزلون " فداك " بين
 خير وتيما ويشير الى لعماده على التنبيه والاشراف / ٢٦٢
 وتاريخ ابن الأثير / ٢ / ٨٦ وهذا خطأ لأن " فداك " ليست بين الموقمين
 المذكورين ، إنما هي جنوب خير .
- ٧- تاريخ ابن خلدون / ٢ / ٦٤٣ ٨- الاشتقاق / ٢٨٧
- ٩- نسب عدنان وقحطان / ١١ ١٠- جمهرة أنساب العرب / ٢٥٣
- ١١- الاشتقاق / ٢٨٨ ١٢- الانساب / ١ / ٥٣
- ١٣- صبح الأعشى / ١ / ٣٤٤ ، معجم القبائل / ٣ / ٩١٨ .

— ٢٠ —

ومن ولده عيينة بن حصن الذي قاد الأحزاب الى المدينة ، وأغار على المدينة لأولبيعة أبي بكر ، رضي الله عنه ، وكان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يسميه الأحمق المطاع^١ . ولغزارة حروب وأيام كثيرة مع القبائل المجاورة وأشهرها داحس والفبراء وفيها قتل حذيفة يوم "الهباءة"^٢ . ومن أيامها يوم "اللوى"^٣ الذي انتصرت فيه على هوازن ، وفيه قتل عبد الله بن الصمة أخو دريد . ومن فزارة في العصر الأموي : الشاعر عوف القوافي ، وحلحلة بن قيس الذي قتل عبد الملك لفتكه بالكلبين يوم بنات قين ، والمسيب بن نجبة أحد أمراء التوابين يوم "عين وردة"^٤ . ومن بطون فزارة : عدي ، ومازن ، ومرة ، وشمخ^٥ .

أما خصفة بن قيس عيلان فالعقب منه بطنان : عكرمة ، ومحارب . ومحارب قبيلة منسوبة الى الضمف^٦ . ومنها عامر بن وهب بن مجاشع المعروف بذي الرمحين ، وهو الذي قال للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، : "جملي أحب الي من ربك"^٧ . ومن بطون محارب : بنو جسر ، وبنو طريف . ومن طريف : الخضر^٨ ، ومن شعرائهم في العصر الأموي : الحكم الخضري ، وصخر بن الجعد الخضري .

وأعقب عكرمة من منصور وفيه المدف^٩ . وأعقب منصور من هوازن ، وسليم ، ومازن ، وسلامان^{١٠} . ويبدو أن عشيرتي مازن ، وسلامان خاملتا الذكر . ومن مازن عتبة بن غزوان الذي اختط البصرة^{١١} زمن عمر بن الخطاب .

- ١- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٣
- ٢- المحبر / ٢٤٩ ٣- أنظر أيام العرب في الجاهلية / ٢٩٣
- ٤- جمهرة أنساب العرب / ٢٥٦
- ٥- جمهرة أنساب العرب / ٢٥٥
- ٦- نسب عدنان وقحطان / ١٢ ، جمهرة أنساب العرب / ٢٥٩ ،
- ٧- أنظر زهر الآداب / ٢ / ٦٧٣
- ٨- جمهرة أنساب العرب / ٢٤٨
- ٩- نسب عدنان وقحطان / ١٢
- ١٠- جمهرة أنساب العرب / ٢٦٠ ومن عقب عكرمة : سمد ، وعامر
- (نهاية الأرب ٢ / ٣٣٤) ١١- جمهرة أنساب العرب / ٢٦٠ ،
- نهاية الأرب ٢ / ٣٣٤ .
- ١٢- نسب عدنان وقحطان / ١٣ ، الاشتقاق / ٣١١ .

رضي الله عنه ،

وسليم قبيلة كبيرة غرب المثل بها في الشجاعة ف قيل : " الفرسان في قيس من سليم^١ وقيل " حارب بسليم^٢ .
والنسابون يضمنون على سليم ، فليس له من الولد سوى بهثة ومنه جميع أولاده^٣ .
وهم : الحارث ، ومعاوية ، وامروء القيس ، وعوف ، وشعلبة^٤ .
ولكل من هؤلاء بطون وأفخاذ^٥ .

وكانت قبيلة سليم تسكن في المنطقة الواقعة بين وادي القرى وخيبر إلى شرقي المدينة المنورة^٦ . وهم يجامرون هوازن ويمغر بطون غطفان . وفي منازل سليم سلسلة من الحرات البركانية ومراكز التمدين والواحات . كما كان لهم مركز ممتاز بين عرب الحجاز لسيطرتهم على الطريق إلى المدينة ونجد والخليج العربي ، ولغنى أرضهم بالثروة المعدنية والزراعية^٧ . وقد أسلمت سليم عامة عام الفتح ، فقتل خرج سيحيمية من فرسانهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلقوه في قديد ، فأسلموا واشتركوا معه في فتح مكة^٨ . ومن شعراء سليم عباس بن مرداس السلمي ، وخفاف بن ندبة وكان بينهما نقاش وتنافس على زعامة سليم بعد مقتل صخر بن عمرو الشريد ، أخي الخنفساء ، يوم " ذات الأثل^٩ " بين سليم وأسد . ومن شعرائها الفرسان في العصر الأموي : عمير بن الحباب ، والجحاف بن حكيم صاحب وقعة البشر المشهورة^{١٠} .

أما هوازن ، فمن جماجم العرب^{١١} ، تفرعت منها قبائل كثيرة شهيرة بين القبائل العربية ، ولذا قيل " كثر بهوازن^{١٢} " . ويذكر

-
- ١- العمد ٢ / ١٩٢ ٢- الأنساب ١ / ٥٣
 - ٣- نسب عدنان وقحطان ٢ / ١٢ ، جمهرة أنساب العرب ٢٦١ ، نهاية الأرب ٢ / ٣٤١ ، صبح الأعشى ١ / ٣٤٥ .
 - ٤- جمهرة أنساب العرب ٢٦١ ، نهاية الأرب ٢ / ٣٤١
 - ٥- أنظر نسب عدنان وقحطان ١٢ - ١٣ ، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٥ وما يليها . ومنها بهز بن امرئ القيس ، وذكر ابن شعلبة . . .
 - ٦- صفه جزيرة العرب ١٣١ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٣٣
 - ٧- أنظر: الفصل في تاريخ العرب ٤ / ٥١٨
 - ٨- تاريخ الطبري ٣ / ٥١ ، وانظر ديوان العباس بن مرداس ١٣
 - ٩- العقد الفريد ٣ / ٣٢٢
 - ١٠- العقد الفريد ٣ / ٣٣٦
 - ١١- العمد ٢ / ١٩٢ .

البكري أنها " نزلت — بعد تفرق مضر — ما بين غور تهامة الى ما والى
 بيشة وركا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين وأوطاس وما
 صاقبها من البلاد "١ ، أي أنها كانت تسكن مواضع من الحجاز وفي نجد
 وتقرّب من حدود اليمن ، وهذا فهي تحد بقبيلة عيس وفزارة في
 الشمال ، وخثعم وحبيلة ومذحج من جهة الجنوب ، وسليم وقريش
 من جهة الغرب ، وكندة وتميم من الشرقي . ويبدو أنها لم تكن على
 علاقة حسنة بخاراتها ، إذ كانت حروب الفجار بينها وبين قريش
 وكنانة . وكانت تدفع الأتاوة لزمير بن جذيمة العبسي ثم قتلته ٢ .
 واصطدم العامريون — من هوازن — بمذحج وخثعم في يوم " فيف الريح "٣
 كما سيأتي . كما اصطدموا بذيبيان وتميم وأحلافهما يوم " رحرعان "٤ .
 ويوم شعب جبلة ، وقد انضمت عيسر للعامريين .
 وكانت بطون هوازن وقبائلها تصطدم مع بعضها ، ونحن نمرف أن قبيلة
 ثقيف اصطدمت بالعامريين وأخرجتهم من الطائف وقد امتد الصراع
 بين فروع عامر المتجاورة حتى أيام الدولة الأموية ، ومن ذلك يوم " هراميت " بين
 بين الضباب وجعفر وكلثام من كلاب بن زبيعة بن عامر .

وأعظم هوازن بكر لا غيره ، وأعقب بكر من ثلاثة أفعان : معاوية ،
 وفيه العدد ، ومنبه ، وسعد وهم أظفار الرسول ، صلى الله عليه وسلم .
 ومن ولد منبه : قسي ، وهو ثقيف . وفي نسب ثقيف خلاف ٥ فسرناه
 بالظروف القبلية والسياسية ، وما عرف عن الحجاج من قسوة . وكانت منازل
 ثقيف حول الطائف مجاورين عدوان وعامرا . ولما غلب العامريون المدوانيين
 على الطائف اتفقت مع العامريين على زرعها ، على أن يكون لهم النصف .

- ١ — مجمع ما استمع ٨٧ / ١
- ٢ — الأغاني ٨٢ / ١١
- ٣ — الفمدة ٢١٣ / ٢ — ٢١٤
- ٤ — الأغاني ٨٢ / ١١ وما بعدها .
- ٥ — الاشتقاق ٢٦١ / ، جمهرة أنساب العرب / ٢٦٤ ،
 نهاية الأرب ٢ / ٣٣٥ .
- ٦ — نسب عدنان وقحطان ١٣ ، نهاية الأرب ٢ / ٣٣٥ ، ويضيف
 ابن حزم في الجمهرة أخا رابعا هو زيد ، ويذكر أن معاوية قتل .
- ٧ — أنظر أنساب الأشراف ١ / ٢٥ ، الأنباء على قبائل الرواة /
 ص ٨٩ — ٩٢ ، السيرة النبوية ١ / ٤٦ — ٤٧ ، الأغاني
 ٣٠٢ — ٣٠٨ .

وكان العامريون أهل ضرع ولا ضرع للثقيين ، وكانوا يصيفون بالطائف
ويشتون بأرضهم من نجد ، وبقي الأمر على حاله حتى كثرت ثقيف فمنعوا
العامريين ، وظفروا بهم فخلصت الطائف لثقيف^١ .
والطائف غنية بثروتها المزراعية ولذا طمع فيها الثقيون . ويد وأنها
كانت غنية بثروتها الحيوانية ، ولذا تنسب اليها الأهب فيقال :
" الأهب الطائفية " وهي بلد الدباغ على حد تمبير الهمداني^٢ .
وهي قرية من مكة ، بل ان بعض ثقيف يشتركون مع بعض قريش في سكني
" معدن البرام^٣ " كما أن قبيلة قريش تشاركها عبادة " اللات^٤ " .
فغنى الطائف ، وموقعها الجغرافي الممتاز ، وعلاقتها بقريش التي
كانت تشتغل بالتجارة ، جعلها تقوم بدور كبير في تجارة العجاز ،
حيث كانت محطة للقوافل التجارية المتجهة الى الشام والمراق واليمن^٥ .
وكثيرا ما نجد الثقيين يشاركون القرشيين رحلاتهم الى الشام واليمن وفارس .
ولذا فمن الطبيعي أن تقوم بين الثقيين وسكان هذه البلاد علاقات قويصة
تؤكد المصلحة المشتركة . وهذا الاختلاط الكبير جعل منها مركزا
أديا ممتازا .
ومن ثقيف : عوف ، وحشم^٦ . ومن رجال ثقيف الحارث بن كلدة طبيب
العرب المشهور^٧ ، وأبو محجن الثقي . ومن شعرائهم في العصر الأموي :
يزيد بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله النميري الثقي .

ومن معاوية بن بكر بن هوازن : نصر^٨ ، وحشم^٩ ، وعوف ، وصحصصة .

- ١- تاريخ ابن الأثير ١ / ٦٨٤ - ٦٨٥ ، معجم ما استعجم
١ / ٦٤ - ٦٥ ، ٧٧ - ٧٨ .
- ٢- صفة جزيرة العرب / ١٢٠ ٣- صفة جزيرة العرب / ١٢٠ .
- ٤- الأصنام / ١٦ واللات بالطائف وكان سدنتها من ثقيف .
- ٥- أنظر السيرة النبوية ١ / ٤٦ ، ٤٧ ، الأغاني (ط ساسي)
٤ / ١٣٣٩
- ٦- نسب عدنان وقحطان / ١٣ ، ويضيف ابن حزم " دارسا " ويقول
دخل ولده في اليمن (جمهرة أنساب العرب / ٢٦٦)
- ٧- تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٤١
- ٨- كانوا يسكنون وادي ليه شرقي الطائف (صفة جزيرة العرب / ١٢٠)
- ٩- ومنازلهم بالسروات وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمن
الى الشام كسروات الجبل . وسروات حشم متصلة بسروات هذيل (تاريخ
ابن خلدون ٢ / ٦٤٢) ومنهم غزية بن حشم ومن غزية دريد بن الصمة .

وأشهر بطون صمصمة : عامر ومرة (سلول) وكانت منازل سلول الى الشرق من مكة^١ . ومن شعرائهم في العصر الأموي : المعجير السلولي ، وعبد الله ابن همام .

أما عامر فمن قبائل عدنان المظالم على حد تمبير ابن حزم^٢ . ويرى أبو عمرو ابن العلاء أنها من القبائل التي غلبت على الناس كثرة^٣ . وهذا قول تؤيده كثرة بطون عامر .

وقد مر بنا أنهم كانوا بنجد والطائف مجاورين لمدوان ، ثم نفوا عدوان عن الطائف ، وأخيراً غلبتهم ثقيف عليها ، فانتشروا في نجد والحجاز في رقعة كبيرة جداً ، تنحدر شرقاً حيث نزل بنو كعب بن ربيعة بالفلج وباديته ، وهم يجاورون تميماً وضبة ، وانتشروا عامر غربي الجزيرة نحو الحجاز حيث سكن بنو كلاب بن ربيعة ، وبنو هلال وبنو سلول . وبقية بني عامر سكنت في المنطقة القريبة من نجد مما يلي الحجاز ، وهم في حمى ضرية عند فيد يجاورون طيهاً في جبل سلس ، واجتدت منازلهم كذلك الى الجنوب من نجد عند الهامة حيث سكن بنونمير مجاورين باهلة بن أعصر وبني حنيف^٤ . واصطدم العامريون بمذحج وخثعم — حيث كانوا يجاورونهم من جهة الجنوب — يوم " فيف الريح " ^٥ وفيه اجتمعت عامر كلها الى عامر بن الطفيل الذي أصيبت عينه في اليوم المذكور . ومن أيامهم يوم " شعب جبلة " ^٦ وهو من أعظم أيام العرب^٧ . وكان الذي هاج يوم شعب جبلة ، أن بني عيس حين خرجوا هاربين من ذبيان قصدوا بني عامر ، فحشد لهم الذبائين والتميميون والأسديون وأحلافهم ، وانتهى الأمر بانتصار العامريين والمبسيين^٨ . وكان العامريون يفتخرون بهذا اليوم ويؤرخون به^٩ . ويوم شعب جبلة بعد

- ١- دائرة المعارف الاسلامية ١٢ / ١١٨ - ١١٦
- ٢- جمهرة أنساب العرب / ٤٨٨
- ٣- الأنباة على قبائل الرواة / ٩٧
- ٤- لبيد بن ربيعة / ٢٠ واعتمد المؤلف على ما جاء في معجم ما استمعج
- ٥- العدد ٢ / ٢١٣ - ٢١٤
- ٦- نقائض جرير والفرزدق / ٦٥٤ - ٦٧٨
- ٧- عظام أيام العرب ثلاثة : يوم الكلاب ويوم ذي قار ويوم شعب جبلة .
- ٨- أنظر نقائض جرير والفرزدق / ٦٥٤ - ٦٧٨ .
- ٩- التنبيه والأشراف / ١٧٥ .

يوم الرحرحان بسنة^١ . وفي يوم الرحرحان انتصر العامريون على تميم^٢ ،
والذي هاج يوم الرحرحان استجارة الحارث بن ظالم المري — قاتل خالد
ابن جعفر ، سيد عامر ، ببني تميم^٣ .

وولد عامر بن صفصة أريمة : ربيعة وفيه العدد ، ونميرا ،
وهلالا ، وسواءة . ومن سواءة^٤ : بنو حبيب ، ونوحساس ، ونو
حرثان^٥ .

وكان بنو هلال ينزلون نواحي مكة مما يلي المشرق مجاورين لهذيل وبني
سعد^٦ . ومن أماكنهم " وادي جلدان " شرقي الطائف . ومنهم الشدايف^٧ .
حميد بن ثور ، وتكلمارة الهلالية ، وعاصم بن جعد الله الهلالي . . .
وهلال حي القبيلة التي هاجرت إلى المغرب ، ونسج حولها القصور الكثير
ومن بطونها : نهيك ، وعهد مناف ، وربيعة .

ونمير إحدى جمرات العرب^٨ ، وشعراؤها يفتخرون بذلك ،
يقول أبو حية النميري :

وهم جمرة لا يصطلي الناس نارهم توقد لا تطفا لريب النوايب^٩
وكانت دارهم باليمامة^{١٠} مجاورين عنيفة ، وكعب بن ربيعة ، وتميما ،
وضبة . وقد شاركوا في الأيام بين العامريين وتميم^{١١} ، واميطدوا بحنيقة
في العصر الأموي ، وانتصروا عليهم يوم النشاش . كما رحل قسم منهم
إلى سرة نجد واستقروا بالشريف ، وهو من أخصب بقاع نجد^{١٢} .

١— كان يوم شعب جيله قبل الاسلام بخمس وأربعين سنة (نقاشر .

جرير والفرزدق / ٢٣٠) .

٢— الأغاني ١١ / ٨٢ وما بعدها .

٣— نسب عدنان وقحطان / ١٣ ، جمهرة أنساب العرب / ٢٧٢ ،

نهاية الأرب ٢ / ٣٣٦ .

٤— نهاية الأرب ٢ / ٣٣٧ .

٥— المسالك والممالك / ٢٥

٦— صفة جزيرة العرب / ١٢١

٧— المقد الفريد ٣ / ٣٣٦ ، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٤٣ .

٨— الحيوان ٥ / ١٢٤ ، وانظر زهر الآداب / ١ / ٢٧ .

٩— معجم ما استعجم / ١ / ٩٠

١٠— معجم البلدان ، مادة " الشريف " .

وهاجر قسم آخر الى الجزيرة الفراتية^١ ومن أشهر شعرائهم في العصر الأموي : الراعي النميري ، ومنهم هاني بن قبيصة الذي قتل يوم مرج راهط ، ومن ولد نمير : عامر ، والحارث ، ومن عقبه : عبد الله ، وفيه المدد ، وجعونة^٣.

أما ربيعة بن عامر فأكبر بطون عامر بن صعصعة ومنها : كلاب ، وكعب ، وعامر^٤ . وأعقب عامر من أريمة أفخاذ : عمرو ، وعوف ، والبيكا ، ومعاوية . وأعقب كعب بن ربيعة من عقيل^٥ ، والحريش^٦ ، وجعدة^٧ ، وقشير^٨ ، وعبد الله^٩ . وكانت منازلهم بالفلج^{١٠} ، وما أحاط به من البادية إلا فهم يمارون حنيفة ، ونميرا ، وتميما ، وكندة ، ومذحج . وشاركوا في القتال بين العامريين والتميميين . وكان يوم "النساج"^{١٢} باليمامة بين عليمة الجعفي ومذحج من ناحية وكعب من ناحية ثانية . واصطادتم قشير بيتي منظلة وبني عمرو من تميم يوم "المروت" . وانتصرت جعدة ، وعقيل ، وقشير على شراحيل الجعفي يوم "شراحيل" وهو يوم تفتخر به مضر كلها على اليماني^{١٤} . كما اصطادتم جعدة وقشير بالنعمان بن المنذر وذلك يوم

- ١- صبح الاعشى ١ / ٣٤١
- ٢- نسب عدنان وقحطان / ١٥
- ٣- الاشتقاق / ٢٩٤
- ٤- نسب عدنان وقحطان / ١٣ - ١٤
- ٥- من ولد عقيل : ربيعة ، وعادة ، وعوف ، ومعاوية ، وعبد الله ، وعمرو ، ومنه خفاجة ، وعامر ومنه المنتفق ، وخويلد ، وربيعة (جمهرة أنساب العرب / ٢٩٠ - ٢٩١) ومن عقيل الشاعر مزاحم العقيلي ، والقحيف وتوبة بن الحمير ، وليلى الأخيلية .
- ٦- ومنهم عبد الله بن سبرة الحرشي ، الشاعر الفاتك .
- ٧- منهم عبد الله بن الحشرج ، والنايفة الجعدي .
- ٨- ومن بطون قشير : ربيعة ومعاوية ، ومرة . ومن شعرائهم الصمة القشيري .
- ٩- ومن بطونهم : نهم وربيعة والمجلان . ومن المجلان تميم بن أبي ابن مقبل (جمهرة أنساب العرب / ٢٨٨)
- ١٠- والفلج : الماء الجاري من المين . ومنطقة الفلج من المناطق الفنية التي تكثر فيها الميون والآبار . (صفة جزيرة العرب / ١٥٩ - ١٦١)
- ١١- معجم ما استمعتم / ١ / ٩٠ ، وانظر صفة جزيرة العرب / ١٥٩ - ١٦١
- ١٢- الأغاني ٥ / ١٨
- ١٣- الصمدية ٢ / ٢٠٢
- ١٤- الأغاني ٥ / ١٩ - ٢٠ .

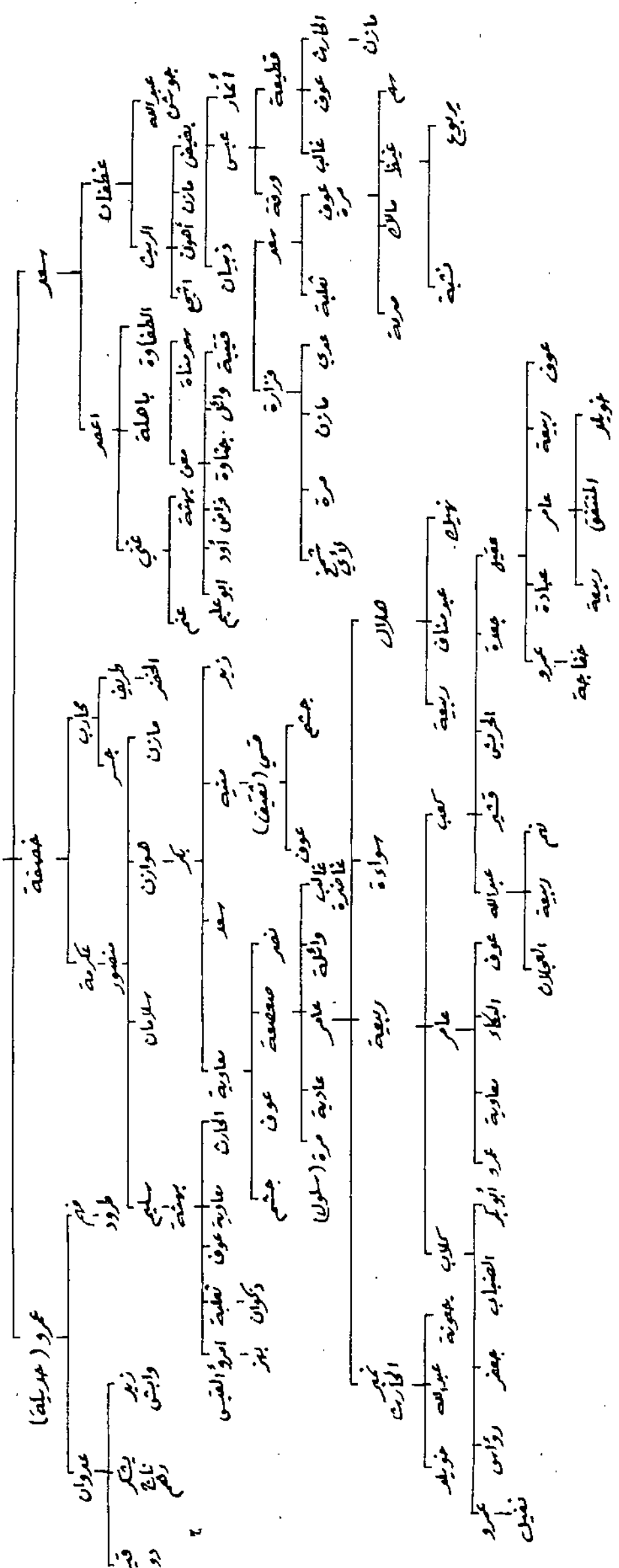
سفوان ، وقد ذكره النابغة الجعدي :
وظل لنسوة النعمان منا على سفوان يوم أرونا نسي^١

ومن كلاب بن ربيعة بطون كثيرة^٢ ، ومنها الضباب (معاوية)
وعبيد (أبوبكر) ، وجعفر ، وعمرو ، ورواس . . . وليس فيهم
كبير بطون ينسب اليه الا الأب الأكبر . ومن شعراء كلاب : عامر بن
الطافيل ، ولبيد بن ربيعة . ومنهم في العصر الأموي : زفر بن الحارث ،
والقتال الكلابي ، ولهمان بن عمرو الكلابي .

وكانت ديار بني كلاب " حصي غرية والريذة في جهات المدينة
وفدك والموالي^٣ . وكانت بطون كلاب تتصادم فيما بينها متنافسة
على المحال . ويبدو أن العداء بين الضباب وجعفر قد استحکم ،
فكانت بينهما أيام في الاسلام منها " يوم طخفة^٤ " و " يوم " هراميت^٥ " وكان
في زمن عبد الملك .

-
- ١- شعر النابغة الجعدي / ١٦٣
 - ٢- أنظر نسب عدنان وقحطان / ١٤ ، بجمهرة أنساب العرب / ٢٨٢
 - وما يليها . نهاية العرب / ٢ / ٣٣٨ .
 - ٣- تاريخ ابن خلدون / ٢ / ٦٤٦ .
 - ٤- نقاش جرير والفرزدق / ٥٢٥
 - ٥- نقاش جرير والفرزدق / ٩٢٧ وما يليها .

فيلس عيلا بن مضر



تحييكم قيس الى مواطن جديد :
=====

ما أن فرغت الدولة الإسلامية من إعادة المرتدين الى حظيرة الدين حتى وجهت همها الى فتح الاقطار المجاورة تلبية لدواعي الجهاد ، ومضيا في نشر الاسلام ، واستثمارا لطاقة القبائل الكامنة التي كانت تستثمر بالفرز والحروب في الجاهلية . ولا شك أن حال القبائل التي اشتركت في حركة الفتوح قد تحسنت ، فالأرض الجديدة التي حلوا بها حققت لهم كثيرا مما يتمنون من حيث الخصب وتوافر الأموات والخيرات ، فسارعوا اليها بمن محاسب وطامع . وقد عمر خالد بن الوليد عن وفرة الخيرات في البلاد المفتوحة في خطبة له في العراق بعد هزيمة الفرس يوم الولجة حيث قال : " ألا ترون اليه الطعصام كرفع التراب وبالله لو لم يلزنا الجهاد في الله والدعاء الى الله عز وجل ، لم يكن الا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به . ونولي الجوع والافلال من تولاه من اتاقل عما أنتم عليه " . وحين سأل عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، رسول عتبة بن غزوان عن الناس في البصرة ، أجابه : " انما ليت عليهم الدنيا فهم يسهلون الذهاب والفضة " . وبلغ من وفرة هذه الأموال أن قال عمر رضي الله عنه : " لقد هممت أن أجعل المطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ، ألفا يجعلها الرجل في أهله ، وألفا يزودها معه ، وألفا يتجهز بها ، وألفا يترفق بها " . ولذا أثر الناس البلاد المفتوحة واتخذوها دار إقامة وأنشأوا وأقاموا الجديدة لدواعي عسكرية وأخرى اجتماعية ، فكانت البصرة ، والكوفة ، والفسطاط ، والقيروان . وانتقلت مراكز الاحتكاك القبلي من الجزيرة العربية ، الوطن الأم ، الى المواطن الجديدة . وتفرقت البطون في أرجاء الدولة الإسلامية الواسعة لتتشكل من جديد في قبائل تجمعها روابط النسب الموثلة في القدم كالمعدانية والقحطانية والمضرية والريمية والقيسية .

وليس من السهل تتبع بطون قبيلة ما عمر حركة الفتوح في صدر الاسلام والمصر الأموي . كما أن تاريخ القبيلة في العصر الأموي مرتبط

١- فتوح البلدان / ١٤٩

٢- تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٤

٣- تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٨٨

٤- تاريخ الطبري ٣ / ٥٩٥

أشد ارتباطاً بالقبائل الأخرى لاسيما في مصر الواحد ، وحين تشاء السياسة الأموية أن تتحيز القبيلة على حساب الأخرى . أي أن الحديث عن تحريك قيس يقتضي ، بالضرورة ، المأ بالتحريك غيرها حتى تستقيم علاقتها بغيرها من القبائل عند التحدث عن دورها في أحداث مصر . وقد انتشرت بطون قيس في كل مكان ، وساهمت في جل أحداث مصر الأموية . وليس من شأن هذا الفصل تقصي كل مكان وجد فيه القيسيون ، بل سيكتفي بتتبع القيسية في الأماكن التي نشطت فيها فمالية القبائل ، والتي كان لها الدور البارز في احتواء أهم أحداث مصر الأموية ، وهي العراق (البصرة والكوفة) ، وخراسان ، وبلاد الشام والجزيرة الفراتية ومصر . مع ملاحظة أن المواطن الأولى لبطون قيس في الجزيرة العربية لم تقهر من أهلها ، بل بقيت فيها جماعات شتى . كما يلاحظ أن من المفسرين اعطاء صورة دقيقة من حيث الكم للقيسيين الذين استقروا في الأمصار الجديدة ذلك أن الهجرة اتخذت شكل جماعات وشكل أفراد . كما أن تحريك القبيلة لك يمكن خاضعاً للنظام دقيق ، بل ارتبط بحركة الفتح ، فلا تكاد القبيلة تستقر في مكان حتى تنطلق جماعة منها مع الجيش إلى فتح جديد وهكذا . كما أن بعض الأفراد والبطون كانوا — لظروف اقتصادية أو اجتماعية — يتركون مواطنهم مهاجرين إلى مواطن جديدة . ففي سنة ثلاثين للهجرة كتب سميد بن الماعز إلى عثمان بن عفان : " أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم ، وقلب أهل الشرف منهم والبيوتات السابقة ، والغالب على تلك البلاد روادف قدمت ، وأعراب لحقت ، حتى لا ينظر إلى ذي شرف وبلاء من نابتها ولا نازلها " ١ . وذكر أن ربيعة بن عاصم المقيلي خرج مع جماعة من قبيلته من الكوفة بمد مقل عثمان يريدون معاوية ، فمروا بالجزيرة فرأوا بلاداً خصبة ريفية ، ومزدرةا واسما ، وقلة أهل ، فلما وصلوا إلى معاوية رد هم إلى أرغ الجزيرة ، وأسكنهم بها ٢ . ويروى أن بني عوف بن عقيل جلوا عن بلادهم بمد مقل توبة بن الحمير ، وتحملوا إلى الجزيرة ٣ .

وإذا كانت الهجرات سببا في ازدياد عدد السكان في المواطن الجديدة فإن الفتح الداخلي ، والممارك القبلية ، وانتشار الأويثة كانت تفعل عكس ذلك . ففي الطاعون عمواس سنة ثمان عشرة للهجرة ، مات خمسة وعشرون ألفا ٤ . وبلغ عدد قتلى يوم الجمل عشرة آلاف ٥ .

١ — تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٠٨

٢ — تاريخ ابن عساكر ٥ / ٣٠٤

٣ — الأغاني ١١ / ٢٢١ ، جمهرة أنساب العرب ٢٩١

٤ — تاريخ الطبري ٤ / ١٠١

٥ — تاريخ الطبري ٤ / ١٠١ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٥٥

- ٤ -

وفي مرج راهط ، سنة أربع وستين للهجرة ، قتل قيس مقلته لم
يقتل مثلها في موطن قط ١ ، وروى أن عدد قتلاهم آنذاك بلغ
تسعة آلاف ٢ ، وروى أن الحجاج قتل يوم الزاوية سنة اثنتين
وثمانين للهجرة ، أحد عشر ألفاً من جماعة بن الأشعث ، خدعهم
بالأمان ٣ ، واذ كان في قول عمرو بن أحمر الباهلي :
لقد ظلمت قيس فألقت بيوتها بسنجار فالأجزاء أجزاء دوسراً ٤
ما ينبيء أن "سنجار" كانت من موطن القيسيين في الجزيرة الفراتية آنذاك ،
فان في شعر الأخطل ما ينبيء أنهم تركوا "سنجار" بضغط من بني تغلب
في الأيام والوقائع التي أعقبت مرج راهط ، يقول الأخطل :
فأصبحت منهم سنجار خالية والمحلبات فالخاهور فالسرر
كروا إلى حرتيهم يعمرونهما كما تكرر إلى أوطانها البقر ٥
وشمة ملاحظة أخرى تتعلق بهجرة القبائل ، وهي أن بعضها كان يرغب
في الهجرة إلى بعض المواطن دون غيرها لأسباب قبلية وأخرى بيئية ، ففي
"فتوح البلدان" ٦ أن أهل اليمن كانوا ينزحون إلى الشام ، وكانت مضر
تنزع إلى العراق .

القيسية في العراق ؛

=====

كثرت الروايات عن فتوح العراق ، بحيث يسمف الباحث في رسم
صورة تقريبية للجماعات المهاجرة التي انضمت إلى غيرها من الجماعات الصربية
التي كانت تسكن العراق منذ العصر الجاهلي . وقد بدأت المرحلة الأولى
من فتوح العراق زمن أبي بكر ، رضي الله عنه ، إذ لم يكد خالد يفرغ
من حروب الردة حتى عهد إليه ، وإلى عياض بن غنم أن يقصدا العراق ،
وأمرهما أبو بكر أن يستنفرا من قاتل أهل الردة ، ومن ثبت على الإسلام
بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وألا يفرزون معها مرتد ٧ .

١- تاريخ ابن الأثير ٤ / ١٥٠

٢- نقاش جريرو والأخطل / ١٧ ، وفي نفح الطيب ٣ / ٥٢
أن عدد القتلى من قيس وأحلافهم بلغ سبعمائة ألفاً .

٣- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٤٦٩

٤- شعر عمرو بن أحمر / ٧٨

٥- نقاش جريرو والأخطل / ١٦٠

٦- ص ٤٨٧

٧- تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٧ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٨٥ .

وكان جل جيش خالد ، المكون من عشرة آلاف ، من ربيعة ومضر .
ويعد سلسلة من المصارك مع الفرس ومن ظاهريهم من العرب ، أمر أبو
بكر خالد بالتوجه إلى الشام^١ فاستخلف المثنى بن حارثة^٢ وخرج بطائفة
من الجيش . ويهدو أن المثنى - بعد أن خاض معركة بابل^٣ - شعر بقلّة
جندة ، فتوجه بنفسه إلى المدينة يطلب المدد من أبي بكر ، رضي الله عنه ،
ويستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ممن
يستطيع نفسه الغزو^٤ . واكتفى أبو بكر - لأنه كان في مرض الموت - بأن
أوصى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أن يتدب الناس مع المثنى
وأن يرد أصحاب خالد إلى العراق أن فتح الله على أمراء الشام^٥ .
وكان أول يمث وجهه عمر إلى العراق يمث أبي عبيد بن مسعود الثقفي
في ألف رجل من أهل المدينة ومجّين حولها^٦ . واستغل عمر طاقة أهل الردة
فندبهم " فأقبلوا سراعا من كل أوب فرس بهم الشام والعراق^٧ " . ولم
يكن عريوئمر أخدا منهم ، فكان رؤسائهم " حشوة إلى أن ضرب الاسلام
بجرانه^٨ " . وقد قتل أبو عبيد يوم الجسر^٩ ، وتمزق جيشه ~~حينئذ~~ أصيب
أربعة آلاف بين قتيل وجريح . ورفض عنه أهل المدينة راجعين ، وبقي المثنى
في ثلاثة آلاف^{١٠} فكان لابد من أن يمدّه الخليفة ، فتدفقت إلى العراق
طوائف من الرباب ، وخثعم ، وبنو حنظلة من تميم ، وبنو عمرو من تميم ،
وضبة ، وبعد القيس^{١١} . واستطاع المثنى أن يحقق نصر يوم البويب . ثم
كانت معركة القادسية سنة أربع عشرة للهجرة على الأرجح ، وقد
اقتضت طائفة أخرى من الامدادات ، وأحسن الخليفة بخطورتها ،
فكتب إلى المثنى ومن معه يأمرهم بالخروج من بين المعجم ، والتفرق فمسي
النواحي التي تلي المعجم ، وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحدا
من أهل النجدات ، ولا فارسا الا أحضروه . . . وأرسل عمر ، رضي
عنه ، إلى عماله على العرب أن لا يدعوا من له نجدة أو فرس أو سلاح أو

١- تاريخ الطبري ٣ / ٣٨٤

٢- تاريخ الطبري ٣ / ٤١٥

٣- تاريخ الطبري ٣ / ٤١٢

٤- تاريخ الطبري ٣ / ٤١٣

٥- تاريخ الطبري ٣ / ٤١٤

٦- تاريخ الطبري ٣ / ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، وانظر المجتمعات الإسلامية

في القرن الأول / ٩١ .

٧- تاريخ الطبري ٣ / ٤٤٨

٨- تاريخ الطبري ٤ / ٢٥ ٩- تاريخ الطبري ٣ / ٤٥٥

١٠- تاريخ الطبري ٣ / ٤٥٨ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٤٠

١١- تاريخ الطبري ٣ / ٤٨٥ .

أورأي إلى وجهه إليه ، فأما من كان على النصف ما بين المدينة والمراق فجاء إليه بالمدينة ، وأما من كان أقرب إلى المراق فانضم إلى المثنى بن حارثة^١ . ولما اجتمع الناس إلى عمر استشارهم في المسير إلى العراق^٢ . وكان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن بنجد ، فكسب اليهم بانتخاب ذوى الرأي والنجدة والسلاح ، فجاءه كتاب سعد يقول : " قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي وماحب حيطة يحوط حريم قومه ، اليهم انتهت أحسابهم ورأيهم^٣ " . واختار عمر سعدا فأمره على العراق وسرحه في أربعة آلاف : ثلاثة آلاف ممن قدم عليه من اليمن والسراة ، وألف من قيس عيلان عليهم بشر بن عبد الله الهلالي^٤ . ثم أمد عمر سعدا بممد خفروجنه ، بألفي يمانى وتلفي نجدى مؤد من غطفان وسائر قيس^٥ . وتتأبعت الامدادات حتى كان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفا .

ثم كان بناء الكوفة سنة سبع عشرة للهجرة على الأرجح^٦ . وكان سعد قد خیر المسلمین بالخمدائن فبقي أقوام من الأتقاء ، وأكثرهم بنو عس^٧ . وجاء في " تاريخ الطبري^٨ " أن أعشار الكوفة " رجع بعضهم بعضا رجحانا كثيرا " فاستشار سعد عمر في تعديلهم ، فسوافقه . وعدلت على الأسباع بعد أن استئمان سعد يقوم من نسائي العرب وذوى رأيهم وعقلائهم ، فكانت الأسباع على النحو التالي :

١- كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم ، وجديلة — وهم بنو عمرو بن قيس عيلان — .

٢- قضاة وجيلة وخشم وكندة وخصرموت ، والأزد .

٣- مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم .

٤- تميم وسائر الرباب وهوازن .

٥- أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبة — يمة وتغلب .

٦- إياذ وعك وعبد القيس وأهل حجر والحمر^٩ .

١- تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٤٨ — ٤٤٩

٢- تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٥٠

٣- تاريخ الطبري ٣ / ٤٨٣ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٥١

٤- تاريخ الطبري ٣ / ٤٨٤ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٥١

٥- تاريخ الطبري ٣ / ٤٨٦

٦- فتوح البلدان / ٣٨٢

٧- تاريخ الطبري ٤ / ٤٣

٨- ج ٤ / ٤٨

٩- أنظر تاريخ الطبري ٤ / ٤٨ .

أما السبع الأخير فلم يذكره الطبري ، ولم أقع على ذكر له عند غيره من القدماء . واستنتج ماسنيون أنه سبع طي* ، معتمداً على وجود سهم لهذه القبيلة في الفنائم والفي* منذ البداية ، وأنها كانت تشكل قبلاً مستقلاً في صفين . ولم يطمئن احسان النص إلى استنتاج ماسنيون ، ولا حظ أن قبيلة بكر قد أهمل ذكرها وأنها أصبحت مع أختها تغلب سبعة مستقلاً ، كما أن علياً أحد شعديلاً في توزيع قبائل الأسباع حين قدم الكوفة^٣.

وملاحظ أن القبائل القيسية اشتركت في ثلاثة أسباع ، فهي ممثلة بجديلة في السبع الأول ، وهوازن في السبع الرابع ، وخطفان في السبع الخامس .

وبقيت الكوفة تتبع نظام الأسباع حتى وليها زياد بن أبيه سنة خمسين للهجرة ، فجعلها أرباعاً^٤ على النحو التالي :

- ١- تميم وحمدان .
- ٢- ربيعة وكنانة .
- ٣- مذحج وأسد .
- ٤- أهل المدينة (قريش وكنانة والأزد وخثعم وقيس عيلان ومزينة) .

وملاحظ أن زياداً تعمد المزج بين المجموعتين القبليتين الأساسيتين : اليمنية والنزارية ، في كل ربع . وكان صنيمه خطوة مهمة في طريق التخفيف من حدة المصيبة القبلية . كما يلاحظ أن تصنيفه أغفل ذكر بعض القبائل التي جاء ذكرها في الأسباع ، وهذا ينسب^٥ أن زياداً ألحق القبائل القليلة المدفأة بالكوفة بالقبائل الكبيرة التي تتصل بها في النسب^٦ . والأرجح أنه لم يطرأ تفسير على هذا النظام طوالت العصر الأموي^٧.

-
- ١- خطط الكوفة / ١١ .
 - ٢- المصيبة القبلية وأثرها في الشعر الأموي / ٢٢٠ .
 - ٣- وقعة صفين / ١٣٢ ، خطط الكوفة / ١١ ، وانظر المصيبة القبلية وأثرها في الشعر الأموي / ٢٢١ . وقد أصبحت قيس وعبد القيس في سبع واحد .
 - ٤- تاريخ الطبري ٤ / ٤٨ .
 - ٥- تاريخ الطبري ٤ / ١٩٩ ، ٥ / ٣٢٩ .
 - ٦- المصيبة القبلية وأثرها في الشعر الأموي / ٢٢٣ .
 - ٧- جاء في تاريخ الطبري (٦ / ٥٨٠) أنهم كانوا بالكوفة أخماساً ، فجعلهم زياد أرباعاً ، وهذا الخبر يناقض ما ذكر في الكتاب نفسه ٤ / ٤٨ . ولم أجد ما يؤيد التخميس عند غير الطبري .

أما عدد أفراد كل قبيلة فليس واضحاً ، ويستفاد من حديث للشعبي أن أهل اليمن كانوا اثني عشر ألفاً حين خططت الكوفة ، وأن النزاريين كانوا ثمانية آلاف . وتنبه تضاعف هذا العدد ، ففي سنة أربع وعشرين للهجرة كان بالكوفة أربعون ألف مقاتل^٢ . وبلغوا بعد موقعة صفين سبعة وخمسين ألفاً^٣ . ولكن لا يصح الاعتماد على هذه الأرقام لأن مجتمع الكوفة لم يكن مستقره فقد ينقص وقد يزيد تبعاً لظروف البلد العسكرية والاجتماعية .

أما البصرة التي خططت قبل الكوفة سنة أربع عشرة للهجرة على الأرجح فلا يسف القدماء في ذكر القبائل التي نزلت بها عند تمصيرها . وقد حقق ماسنيون مواقع أخماس البصرة بالنظر إلى الدساكر السبع القديمة التي قامت البصرة عليها^٤ . وتعقب الدكتور أحمد كمال زكي صنيع ماسنيون وبين ما فيه من خطأ ، ورأى أن الأخماس كانت موزعة على الوجه التالي :

- ١- خمس تميم في الجنوب الغربي من البصرة .
- ٢- خمس بكر في الشمال والغرب .
- ٣- خمس عبد القيس عند نهر معقل ونهر الرزق في شرقي البصرة ، وقد اختلطت خططهم بخطط بكر واعتدت منازل الجميع إلى الزابوقة ،
- ٤- خمس أهل العالية وهم الموظفون وأصحاب المناصب من قيس وقريش وغيرهما ، وكانت منازلهم ممتدة إلى الجنوب الشرقي من البصرة .
- ٥- خمس لاذ وقد وفدوا إلى البصرة متأخرين ، فاستقروا في الأطراف البعيدة عن المسجد الجامع ، ونزلوا في الجزء الجنوبي الغربي من البلد قرب وادي المقيق .

ولم يطرأ تغيير على أخماس البصرة طوال العصر الأموي رغم اجتذابها كثيراً من مهاجرة العرب بحيث أصبح عدد مقاتلتها سنسبع وثلاثين للهجرة ستين ألفاً سوى أبنائهم وعبدانهم ومواليهم لا وكان العنصر المضرى هو الغالب على سكان البصرة^٥ .

-
- ١- فتوح البلدان / ٣٨٩
 - ٢- تاريخ الطبري / ٤ / ٢٤٦ - ٣ - الامامة والسياسة / ١ / ١٤٨
 - ٤- فتوح البلدان / ٤٨٣ ، تاريخ الطبري / ٣ / ٥٩٠
 - ٥- خطط الكوفة / ٣٨
 - ٦- الحياة الأدبية في البصرة / ٦٩
 - ٧- تاريخ الطبري / ٥ / ٨٠
 - ٨- تاريخ الطبري / ٥ / ٥١٦

ففي خراسان :

=====

بدأت المرحلة الأولى من فتوح خراسان أواخر خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حين غزا الأخنف بن قيس خراسان وكان معه من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم ١. ولما قتل عمر نقض أهل خراسان على عيالهم ٢. ولم يكن العرب قد استقروا فيها بعد . وفي خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، توالفت الحملات على خراسان حين كان عبد الله بن عامر والياً على البصرة ٣. حيث توجه لفتحها ، وكان من قادته : مجاشع بن سمود السلمي ، وقيس بن الهيثم السلمي الذي ولي نيسابور ، وعبد الله بن خازم السلمي الذي دخل سرخس عنوة ٤. وتم لابن عامر فتح خراسان بعد سنتين من الحملات المتتالية ، أي أن الحظ الأوفر في فتح خراسان كان لأهل البصرة ، وشاركت الكوفة في المرحلة الأولى ٥. ويذكر الطبري أن " بلخ " كانت مما افتتح أهل الكوفة ٥. ويبدو أن النواة الأولى لسكان خراسان كانت من مقاتلة أهل البصرة ، إذ " لم يزل أهل البصرة يفزون من لم يكن صالح من أهل خراسان ، فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف نجدة ٦ " ولم يذكر القدماء عدد الحملات ، كما أهملوا ذكر عدد من اشترك مع ابن عامر .

وفي سنة خمس وأربعين للهجرة قولى معاوية بن أبي سفيان زياد ابن أبيه البصرة وبعث زياد عماله على خراسان ، فولى أمير بن أحمر ٧ اليشكري مرو والشاهجان ، فكان أميراً أول من أنزل العرب بمرو والشاهجان . ولا يسعف البلاذري في شيء عن طبيعة أولئك ، كما أن المصادر الأخرى تسكت عن ذكر هذا الاستيطان .

وفي سنة إحدى وخمسين للهجرة عين زياد الربيع بن زياد الحارثي على خراسان ، وحول معه من أهل البصرة والكوفة خمسين ألفاً بعيالهم ، فأسكنهم دون النهر ٨. وقد استمرت الهجرات والنجدات عن خراسان طوال العصر الأموي ٩. ويستدل من احصائية أوردها البلاذري في فتنة قتبية بن

١- تاريخ الطبري ٤ / ٩٤ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٤

٢- تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٢٣

٣- تاريخ الطبري ٤ / ٣٠١ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٢٤

٤- تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٢٤ وما يليها .

٥- تاريخ الطبري ٤ / ٢٦٢

٦- تاريخ الطبري ٤ / ٣١٦ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٣٦

٧- فتوح البلدان ٥٧٦ / ٨ - تاريخ الطبري ٥ / ٢٢٦

٩- أنظر الشعر العربي بخراسان ٥٧ وما يليها .

سلم الباهلي سنة ست وتسعين للهجرة أن جل من كان بها من أهل البصرة ، فقد بلغ عدد مقاتلة البصرة فيها أربعمائة ألفاً ومن الكوفة سبعة آلاف ومثلهم من الموالي^١ . وكان البصريون موزعين على القبائل التالية :

- ١- أهل العالية (قيس وغيرها) تسعة آلاف .
- ٢- بكر سبعة آلاف
- ٣- تميم عشرة آلاف
- ٤- عبد القيس أربعة آلاف
- ٥- الأزد عشرة آلاف

واستدل فلها وزعي بهذه الأرقام على أن جملة العرب في خراسان لم تكن تتجاوز مئتي ألف^٢ . أما الدكتور حسين عطوان فناقش المسألة واستقصى جوانبها ورجح أن تكون جملة العرب بخراسان قد قاربت نصف مليون نفس^٣ . ويستدل من بعض الأخبار أن الكثرة العددية في خراسان كانت لقبيلة تميم^٤ . وقيل كان لقيس تهر بارز في أحداث خراسان ، والمتبع لولا خراسان في العصر الأموي يجد أن أكثرهم من قبيلة قيس^٥ . وأشهر أولئك — على الإطلاق — قبيلة بن سلم الباهلي .

أما تنظيم العرب الاجتماعي والعسكري في خراسان فقد اتبع فيه نظام الأخماس الذي كان متبعاً في البصرة^٦ لأنها كانت من فتوحها ولأن أكثر سكانها من البصرة . هذا إلى أنها تبعت البصرة إدارياً فولاتها كانوا — فسي أغلب الأحيان — ممن يمينهم والي البصرة . ويذكر اليعقوبي^٧ (ت ٢٨٤ هـ) أن : " في جميع مدن خراسان قوماً من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن^٨ " . وكانت قبيلة قيس هي الغالبة بنيسابور^٩ ، وهي الرابطة الفريية من خراسان .

- ١- فتوح البلدان / ٥٩٦ - ٥٩٥
- ٢- تاريخ الطبري ٦ / ٥١٢ ، تاريخ ابن الأثير ٥ / ١٥
- ٣- تاريخ الدولة العباسية / ٤٠٧ - ٤٠٨
- ٤- الشعر العربي بخراسان / ٦٣
- ٥- نقائض جرير والفرزدق / ٣٦٧ - ٣٦٨ ، تاريخ الطبري ٦ / ٥١١
- ٦- أنظر البلدان / ٥٧ وما بعدها
- ٧- أنظر تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٥ ، ٥١٢ ، ١٠٤ / ٧ ويذكر اليعقوبي أن عبد الله بن عامر أنصرف بعد فتح خراسان إلى عثمان بن عفان ، وأن إبراهيم صير خراسان أرباعاً (تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٦ - ١٦٧) ولكن أخبار الأرباع تختفي ، وقد تكون حولت إلى أخماس فيما بعد .
- ٨- البلدان / ٥٥
- ٩- تاريخ الطبري ٧ / ٣٣٨

في الشام والجزيرة الفراتية :

مر بنا أن أهل اليمن كانوا ينزحون إلى الشام ، فهبي موطن أسلافهم
 إذ أن جل القبائل العربية التي كانت تنزل الشام قبل فتحها من أصل يمني
 كفسان ، ولخم ، وجذام ، وكلب ، وكانت غالبية سكان الجزيرة
 قبل الإسلام من العرب ، وحتى كانت الجزيرة ~~بأكملها~~ لهم "ديارا"
 عرفت بأسماء قبائلهم التي استقرت فيها مثل : ديار ربيعة ومضر ويكر
 وتغلب . وكان عدد المسلمين الذين تجمعوا في أجنادين ، سنة
 ثلاث عشرة للهجرة ، لا يزيد على ثلاثين ألفاً^٢ ، وهو لاء كانوا نواة
 القبائل التي استقرت في الشام بعد الفتح ، وقد أشمل انتصار المسلمين
 في أجنادين الحامية في غرب الجزيرة ما جعلهم يهملون زافات على الشام^٣ .
 ثم كانت معركة اليرموك سنة خمس عشرة للهجرة حاسمة ، ففقد أخذت المدن
 تتساقط الواحدة بعد الأخرى^٤ . ولم يمد في سورية مقاومة إلا في المدن
 الساحلية^٥ التي استطاع معاوية — حين ولي الشام بعد موت أبي عبيدة
 ويزيد بن أبي سفيان — الاستيلاء عليها ، وبذا تمت فتوح الشام .

ولا يسف القداماء بذكر أسماء القبائل التي نزلت بلاد الشام عند
 الفتح ومعهده ، ولكن يمكن معرفتها بالاعتماد على بعض الأحدثات في
 مصر الأموي وقبيله ، فأكثر من ثلث معاوية في وقعة صفين من القبائل
 اليمنية ، أما القبائل المضربة فالمنصر الغالب عليها هو المنصر القيسي^٦ .
 وقد لعب القيسيون دوراً مهماً في بلاد الشام والجزيرة في المضرا الأموي .
 ويبدو أن هجرات جماعية كانت تتجه إلى الشام لاويروى أن معاوية بن أبي
 سفيان كان لا يفرغ إلا لليمن ، فلما عزت اليمن وكثرت ولفه أن أحدهم
 تبجح فتوعد النزاريين بأخراجهم من الشام فرض لأريمة آلاف رجل

- ١- أنظر التاريخ السياسي للدولة العربية ١ / ٢٠٦
- ٢- فتوح البلدان / ١٥٠
- ٣- فتوح الشام ١ / ١٣١
- ٤- فتوح الشام ٣ / ٢٠١
- ٥- فتوح البلدان / ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٢ .
- ٦- أنظر وقعة صفين / ٢٣٢ وما بعدها .
- ٧- فتوح البلدان / ٢٠٥ ، تاريخ بن خلدون ٢ / ٦٤٣ ، ٦٤٦
 صبح الأعشى ١ / ٣٤١

من قيس^١. وروى أن عدد قتلاهم بلغ - في مرج راهط - تسعة آلاف،^٢ مما قد يدل على كثرتهم آنذاك .

ولم يتبع في توزيع القبائل في الشام نظام الأقسام الذي اتبع في البصرة ، ولا نظام الأسباع الذي اتبع في الكوفة ، بل اتبع نظام الأجناد وهو النظام نفسه الذي اتبعته بيزنطة^٣ . قسمت الشام أقساما عرفت باسم "Thema" وشوا فيها الجاميات^٤ وكانت أشهر مواطن قيس قيسين وما حولها . ويذكر البلاذري أن أبا عبيدة أسكن "بالس" قوما من العرب الذين كانوا بالشام فأسلموا بمدد قوم المسلمين الشام ، وقوما لم يكونوا من البعث نزعوا من البوادي من قيس^٥ . وجعل أهل حمص وحماة من اليم^٦ . وقد غرب المثل بذلة القيسي في حمص فقبل "أذل من قيسي بحمص"^٧ . أما مدينة دمشق فالأغلب عليها أهل اليم وسها قوم من قيس^٨ . ولجند دمشق من الكور الفوطية وأهلها غسان ويطون من قيس ، ومدينتها بصرى وأهلها قوم من قيس من بني مرة خلا السويداء فان بها قوما من كلب ، والبثنية ومدينتها أذرعات وأهلها قوم من يمن ومن قيس ، والظاهر ومدينتها عمان ، والفور ومدينتها ربيعة وهاتان المدينتان أرضي البلقاء وأهلها قوم من قيس وسها جماعة من قريش ، والجولان ومدينتها بانياس وأهلها قوم من قيس أكثرهم بنو مرة وسها نفر من أهل اليم^٩ . وأهل جند فلسطين أخلاط من العرب والعجم ومن لخم وجذام وعامله وكنده وقيس وكنانة^{١٠} .

أما الجزيرة فقد فتحت سنة ثمان عشرة للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ، حين سار إليها عياض بن غنم وكان من قادته ميسرة بن مسروق المبسي ، وصفوان بن المعطل السلمي^{١١} . وهي بلاد غنية بموقعها التجاري ، خصبة حيث تقع بين دجلة والفرات^{١٢} . وقد مر بنا أن ربيعة بن عاصم المقيلي سار بجماعة من القيسيين في الكوفة

١- الأغاني ٢٠ / ١٧١ ، خزائن الأدب ٢ / ٢٥٥

٢- نقائص جرير والأخطل ١٧ /

٣- الامبراطورية البيزنطية ١٣١ / ١٣٢

٤- فتوح البلدان ٢٠٥ /

٥- البلدان ٨١ /

٦- وجمع الأمثال ٢٥٩ / ١

٧- البلدان ٨٢ /

٨- البلدان ٨٣ / ٩- البلدان ٨٥ /

١٠- فتوح البلدان ٢٤٠ /

١١- المسالك والممالك ٥٢ /

بعد مقتل عثمان ، الى الجزيرة التي أغراه خصبها . ويذكر
البلاذري أن معاوية بن أبي سفيان — لما ولي الشام والجزيرة لعثمان بن
عفان — أمره عثمان أن ينزل العرب بمواقع نائية عن المدن والقرى ،
ويأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لاحق فيها لأحد ، فأنزل بني تميم
الرابية ، وأنزل المازحين والمدير أخلاطا من قيس وأسد وغيرهم ،
وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مصر ، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك^١ .
وفي الأغاني^٢ أن حاضرة الجزيرة — في خلافة عبد الملك — كانت لقيس وقضاعة
وأخلاط مصر ، ففارقهم قضاعة قبل حرب تغلب ، ويذكر القدماء أسماء
مدن كان جل أهلها من قيس ومنها : تل بني سيار التي كانت لفنسي^٣ ،
والرها لبني سليم^٤ ، ويبدو أن أشهر حواضرهم في الجزيرة كانت قرقيسيا
فاليها حرب زفر بن الحارث ، وفيها تحصن واجتمعت اليه قيس
بعد موقعة مرج راهط^٥ . وقبل ذلك ، خشي معاوية بأئمة المغيرة بن
شعبية حين سأله المغيرة أن يمزله عن الكوفة ، وأن يقطع له منازل
بقرقيسيا بين ظهري قيس^٦ . ويبدو أن كثير من القيسيين تركوا الشام الى
الجزيرة الفراتية ، ففي ممرغ حديثه عن معركة الخا زر سنة سبع وستين
للهجرة يقول الطبري : " وكانت قيس كلها بالجزيرة ، فهم أهل خلاف
لمروان وآل مروان^٧ " . ويبدو أن الجزيرة كانت أشهر مواطن القيسيين
وأكثرها اكتظاظا بهم . وقد استطاعوا ، فيها ، مقارعة التغلبيين
— سكان الجزيرة الأصليين — وإدلالهم . ويروى أن مروان بن محمد
— حين أناه مقتل الوليد بن يزيد — دعا قبيلة قيس وربيعة ففرغوا لسته
وعشرين ألفا من قيس^٨ .

-
- ١- فتوح البلدان / ٢٤٥
 - ٢- ج ١٢ / ٢٠٥
 - ٣- المسالك والممالك / ٥٥
 - ٤- نسخة جزيرة العرب / ١٣٢
 - ٥- تاريخ الطبري ٥ / ٥٤١
 - ٦- تاريخ الطبري ٥ / ٢١٧
 - ٧- تاريخ الطبري ٦ / ٨٦
 - ٨- تاريخ خليفة بن خياط ٢ / ٣٩١ ، المقد الفريد ٥ / ٤٦٦ .

فهرس مصر :

يستفاد مما ذكره القدماء عن الحملة التي قادها عمرو بن العاص الى مصر أن غالبية الآلاف الأريسة من قبائل الجنوب ، ان يذكر ابن عبد الحكم " أنهم من عك ١ " وفي موضع آخر يقول " ثلثهم من غافق ٢ " ، ويذكر الكندي أن " ثلثهم من غافق ٣ " . وفي النجوم الزاهرة ٤ أنهم " كلهم من عك " . وتحرز ياقوت في قوله " أن أكثر من كان مع عمرو من عك ٥ " . والمصادر تسكت عن ذكر القبائل الغالبة على امدادات عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص . ولما خططت الفسطاط مينة احدى وعشرين للهجرة أسكنت فئات من أشجع وثقيف وعيس معجموعات من قبائل أخرى خطة واحدة سميت خطة أهل الراية ، ويدوان عدادهم كان قليلا لذا اشتركوا مع غيرهم في خطة واحدة . وفي مصر في حديث ابن دقماق عن الآدار المشهورة يذكر دار أبي عراية وهي خطة كانت لحبيب بن أبي أس الثقي ، وكان حبيب سيد ثقيف وعليه نزل يوسف بن الحكم وابنه الحاج مقدمهما مصر معروان بن الحكم ٧ . ودائرة الزبير وهي خطة كانت لرافع بن وهب الأشجعي ٨ . أما بنو فهم بن عمر بن قيس عيلان فكانت لهم خطة مستقلة ٩ . وعندما رغب عبد الله بن أبي السرح في غزو افريقية سنة سبع وعشرين للهجرة ، أمدده عثمان بن عفان بجماعات من القبائل منهم أربعمئة وخمسون من بني سليم ١٠ . وخرج في هذه الغزاة ممن حول المدينة من العرب خلق كثير ١١ ، حيث اشتركوا في غزو افريقية وأقاموا مع أميرهم في سبيلها ١٢ سنة وشهرين ، ثم رجعوا الى مصر ١٣

١- فتوح مصر / ٥١

٢- فتوح مصر / ٥١

٣- الولاة والقضاة / ٨

٤- ج ١ / ٥

٥- معجم البلدان ، مادة " فسطاط "

٦- أنظار الولاة والقضاة / ٥٤ ، ٥٦ ، النجوم الزاهرة ١ / ٨

٧- الانتصار / ٩

٨- الانتصار / ٨

٩- الانتصار / ٥

١٠- رياض النفوس / ١٠

١١- فتوح البلدان / ٣١٧

١٢- مدينة مسورة على سبعين ميلا من القيروان .

١٣- رياض النفوس / ١٧ .

بعد أن غنموا كثيرا ، إذ بلغ سهم الفارس - بعد اخراج الخمس - ثلاثة آلاف دينار ، للفارس ألف دينار ، ولفارسه ألف دينار ، وللراجل ألف دينار . ويبدو أن تغيب ابن أبي السرح عن القسطنطينية خمسة عشر شهرا ، ووفرة ما حازه ، وخوفه أن يرتد الروم عن طريق البحر ، وقلة ما بين يديه من جند ، كل ذلك حمله على أن يجعل من هذه الحملة حملة كشف وريادة^٢.

ويظهر أن القيسيين وغيرهم من عرب الشمال كانوا قلة في مصر طوال القرن الأول^٣ . فحين تولى عهد العزيز بن مروان أمر مصر سنة خمس وستين للهجرة ، كتب لأبيه مروان : " يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس فيه أحد من بني أمي^٤ . وفي خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عبيد الله ابن الحبحاب ، صاحب خراج مصر (١٠٣ - ١١٦ هـ) أنه لم ير لقيس حظا في مصر إلا أبياتا من فهم ، وطلب إليه أن يأذن بتسيير جماعات من قيس إلى كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها فنزلهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهي بلبس . فأذن له هشام على أن لا ينزلهم القسطنطينية ، فبعث ابن الحبحاب إلى البادية يستحثهم على الهجرة " فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر ، ومائة أهل بيت من بني عامر ، ومائة أهل بيت من أفناء هوازن ومائة أهل بيت من بني سليم فأنزلهم بلبس^٥ " بالحواف الشرقي . فلما بلغ عامة قومهم تحسن أحوالهم المعيشية تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية ، ثم أتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت ، ولما توفي هشام سنة مئة وخمس وعشرين للهجرة ، كان بلبس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس^٦ ولما ولي الحوثر بن سهيل الباهلي مصر سنة مئة وثمان وعشرين للهجرة ، مالت إليه قيس ، فمات مروان بها (أي بمصر) ثلاثة آلاف أهل بيت^٧ . وفي خلافة أبي جعفر المنصور - حين كان محمد بن سعيد واليا على مصر - أحصى القيسيون كبيرهم وصغيرهم وكل من جمعت الدار منهم فكان عددهم " خمسة آلاف إلا مائتين أو مائتين^٨ "

ويظهر مما تقدم ، أن أفواج القيسيين إلى مصر استمرت حتى بأخرة

- ١- الولاة والقضاة / ١٨٤
- ٢- أنظر حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول / ١١٨ - ١١٩
- ٣- القبائل العربية بمصر وأثرها في الأدب في القرون الثلاثة الأولى / ٣٦
- ٤- الولاة والقضاة / ٤٧
- ٥- الولاة والقضاة / ٧٦ - ٧٧
- ٦- الولاة والقضاة / ٧٧ ، البيان والاعراب / ٢٧ ، خطط المقرئ / ١٤٧ / ١
- ٧- الولاة والقضاة / ٧٧ ، البيان والاعراب / ٦٧ ، خطط المقرئ / ١٤٧ / ١
- ٨- الولاة والقضاة / ٧٧ .

من الدولة الأموية ، ولذا انشطت فعاليتهم السياسية والقبلية أواخر الدولة الأموية . أما في القرن الأول الهجري فليس للقيسيين فـي مصر دور بارز . ويبدو أن الأمويين تنبهوا الى ضرورة خلق التوازن بين قبائل الجنوب وقبائل الشمال في مصر . ويظهر أن نزول القيسيين بالحواف الشرقي كان له أثر بعيد في انتشار الاسلام في الريف ، وقد تكون حركة توطينهم في مصر ذات مغزى ديني ، فالمقرهزي يقول : " ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة ، عندما أنزل ابن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحواف الشرقي ، فلما كان بالمائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها " ١ .

١- أنظر : دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل / ١٠١ .

دور قيس السياسي والقبلي في العصر الأموي

كان لقبيلة قيس دور بارز في جل أحداث العصر الأموي السياسية والقبلية ، فقد استطاع كثير من رجا لا شها الوصول الى الطناصب العليا ، ومن أولئك الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أوصى عبد الملك فيه بنيه بقوله : " أكرموا الحجاج فإنه وطأ لكم المناير " . وثمينة بن مسلم الباهلي الذي قال فيه رجل من أهل خراسان : " والله لو كان منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به اذا غزونا " ، وعبد الله بن خازم السلمي الذي غلب على خراسان ، وكان من أشجع الناس وأشد هم بطاشا حتى قرنه الصهب بن أبي صفرة بمصعب وعبد الله ابني الزبير فقال : " لو سألتهموني عن أشد الناس والجن لقلت لكم : عبد الله ومصعب ابنا الزبير وعبد الله بن خازم " .

ومعروف أن كثيرا من ساسة الدولة الأموية أسهموا الى حد بعيد في اثاره العصبية والنمرات القبلية ، بحيث يمكن القول : ان دراسة العصبية القبلية في العصر الأموي هي دراسة لمعلم كبير من معالم الحياة السياسية في العصر المذكور . واذا كان الأمويون قد استفادوا من الفتن القبلية في مستهل حكمهم ، فان هذه الفتن كانت محولا قويا من معاول الهدم التي أودت بحياة الدولة . وقد رأى فلهاوزن أن هذه المنازعات القبلية جعلت القبائل العربية عاجزة عن اخماد الثورة في خراسان ، في حين أنها يوم كانت متحدة استطاع بنو أمية أن يخضعوا الدولة كلها بوسائلها . ومن الحق أن أبا مسلم الخراساني استفل الصراع بين القبائل اليمنية والمضربة بخراسان أحسن استفلال ، كما أن اليمنية خذلت مروان بن محمد الذي كان جل اعتماده على القيسيين ، كما سيأتي .

ويبدو أن لمعاوية بن أبي سفيان يدا في وضع سياسة الأيثار القبلية ، فقد ارتبط بالكلميين - وهم كثرة أنصاره بالشام - بوشائج القرابة ،

١- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٥١٨ ، المصرون والنوايا ١٦٠ /

٢- تاريخ ابن الأثير ٥ / ١٩

٣- المصبر ٢٢٢ / ، الأصابة ٢ / ٣٠١

٤- الدولة العربية ١٢٣ /

فتزوج ميسون بنت بحدل الكلبي ، وهي أم يزيد^١ ، وظل يوءثر
اليمنية بالعداء حتى عزت وتطاولت على مضر ، فاضطر معاوية أن
يفرض لأربعة آلاف قيسي ولمثلهم من خندفاً . ثم أخذ معاوية
يفرض اليمن في البحر ، ويفرض قيساً في البر ، فاحتج أحد شعراء
اليمنية على ذلك ، بأبيات منها :
أتترك قيساً حين بدارهم وتركب ظهر البحر والبحر زاحر^٢
فلما بلغت الأبيات معاوية ، اعتذر اليهم اعتذاراً لم يخف فيه تهيمه :
" ما أغزيتكم البحر إلا لأنني أتيمن بكم ، وإن في قيس أخلاقاً لا يحتملها
الشعر ، وأنا عارف بطاعتكم^٣ " . وذكر أن معاوية أوصى يزيد باليمن
خيبراً ، وقال له : " انهم منك ، وأنت منهم^٤ " . ورغم ذلك ، فإن معاوية
استطاع - بدهائه السياسي - أن يحول دون أي احتكاك بين اليمنية
والقيسية ، وهو قد حارب بهما أهل المراق ، ففي معركة صفين كانت
كل قبيلة في الشام تكفيه أختها في جيش علي^٥ ، كرم الله وجهه . ورعى
معاوية للقيسيين وفاءهم ، فلما بعث بسر بن أرطاة الفهري إلى البادية
ليقتل من كان من شيعة علي ، طلب إليه معن بن يزيد السلمي ، وزير
ابن الأشهب الجعدي أن لا يجعل لبسر سلطاناً على قيس فيقتلها بمثل
قتلت بنو سليم من بني فهر وبني كنانة يوم فتح مكة ، فاستجاب معاوية
لطلبهما^٦ .

وليس بين أيدينا ما يوءد عداً القيسيين في الشام ليزيد بن
معاوية غير هذا الخبر الذي ذكره أبو تمام ، وفاده أن الناس بايعوا
يزيد بن معاوية ما خلا هذا الحي من قيس فأنهم قالوا : والله لا نبايع
ابن الكلبي ، فوقعت الحرب بين بني أمية وقيس^٧ . ويقول الدكتور
عبد المنعم ماجد : " وفي عهد يزيد لم تملن القيسية عصيانها ، ربما
بسبب وجود عامله القيسي على دمشق ، الضحاك بن قيس الفهري^٨ " .

- ١- نقائش جرير والأخطل / ١
- ٢- الأغاني ٢٠ / ١٧١ ، ١٧٢ ، خزنة البغدادى ٢ / ٢٥٥
- ٣- الأغاني ٢٠ / ١٧٢
- ٤- الأغاني ٢٠ / ١٧٢ ٥- في مقتل الحسين / ٤
- ٦- تاريخ الطبري ٥ / ١٤ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٦
- ٧- نقائش جرير والفرزدق / ٧١٦ ، الأغاني ٥ / ١٠ - ١١ ،
الاصابة ١ / ٥٧٩
- ٨- نقائش جرير والأخطل / ١ ، والخبر في شرح ديوان الحماسة
١٩٧ / ١٩٩ ويبدو أن التبريزي ينقل عن النقائش .
- ٩- التاريخ السياسي للدولة العربية ٢ / ٩٥ .

- ٥٥ -

وهذا التفسير مبني على خطأ ، فالضحاك قرشي وليس قيسياً .
ولم تطل ولاية يزيد إذ توفي سنة ١٤٤ هـ^٢ على الأرجح ، بمدة
حوالي ثلاث سنوات ونصف من توليه الخلافة ، وكان جيشه يحاصر
ابن الزبير^٣ ، فعاد الجيش إلى الشام . وقد استخلف يزيد ابنه
معاوية الثاني ، وأمه كلثبة . ولا يسمحنا القدماء بموقف معاوية
الثاني من القيسيين ، كما أن خلافة لم تدم إلا شهرين ونصف
أو أقل^٤ ، ولذا فبعض المصادر التاريخية تدفع الطرف عنه ، ويمنحها
يدكره عرضاً . وأهم ما يعرف عنه قصة تنازله التي صيغت على شكل يجعل
منها وثيقة تدين الأمويين ، فقد رأى أن جده معاوية الأول نازع علياً
الأمر مع أنه لم يكن أولى به منه^٥ . وقد مات معاوية الثاني في السنة
نفسها التي توفي فيها والده دون أن يستخلف أحداً ، ولكنه أوصى
أن يصلي بالناس حسان بن بهدل الكلبي ، وأن يكون الأمر شورى .
ويبدو أن صنيع معاوية الثاني كان طمعة لنظام الميراث الذي سنه معاوية
الأول ، كما أن موته ترك منصب الخلافة خالياً تتصارع عليه الأطراف
المتنازعة ، مما أدى إلى انتشار الفوضى في أنحاء الدولة . ومما
يلاحظ أن الأخبار عن الفترة التي تلت وفاة يزيد لا تخلو من اضطراب
وخلط^٦ ، ولكن يمكن تبين الملامح العامة لكل من : الحجاز ، والعراق ،
والشام وهي الأمصار التي كانت موضع الأحداث المثيرة منذ مقتل
عثمان رضي الله عنه .
ففي الحجاز انسحب جيش يزيد الذي كان يحاصر ابن الزبير في مكة ،
وغادر الأمويون المدينة .
أما في العراق ، فكان عبيد الله بن زياد يجمع تحت امرته البصرة والكوفة ،

-
- ١ . أنظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/٧ ، المعقد الفرثي ٤/٣
الاصابة ٢٠٧/٢ .
 - ٢ . تاريخ الطبري ٤٩٩/٥ ، تاريخ ابن الأثير ١٢٥/٤ .
 - ٣ . تاريخ الطبري ٥٠٨/٥ .
 - ٤ . أصبح الأغشى ٢٥٦/٣ .
 - ٥ . تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/٢ - ٣٠٣ ، مختصر الدول ١٩١/١ .
 - ٦ . نقائص جرير والأخطال ٠٦ .
 - ٧ . أنظر - على سبيل المثال - نقائص جرير والأخطال . والفرزدق ١١٢/١
وما بعدها ، أنساب الأشراف ٤/ القسم الثاني ٩٧/١ وما بعدها ،
الأخبار الطوال ٢٨١/١ وما بعدها ، تاريخ الطبري ٥٠٨/٥ وما بعدها ،
تاريخ ابن الأثير ١٣١/٤ وما بعدها .

وكان أخوه مسلم على خراسان . وقد حاول عبيد الله بن زياد أن يجمع كلمة الناس في البصرة ، ولكنه فشل فاضطر أن يلجأ إلى مسعود بن عمرو الأزدي^١ ، رئيس الأزدي في البصرة . وفي الوقت نفسه أخذت الأحداث بخراسان تؤثر في حياة البصرة ، ذلك أن عبد الله ابن خازم السلمي القيسي أوقع بالبكرين في هراة فأفنى كثيرا منهم^٢ . وكانت مضر تكثر ربيعة بالبصرة ، فاضطر مالك بن مسمع البكري أن يجدد الحلف الجاهلي بين ربيعة والأزدي^٣ ، ثم قتل مسعود بن عمرو الأزدي في طرف غامر^٤ ، فخرجت ربيعة والأزدي ، وخرجت اليهم مضر وعليهم الأحنف بن قيس ، وجأ قيس عيلان وعليهم قيس بن الهيثم السلمي فاقتلوا أشد قتال^٥ . ثم غرغز التميميون المدح ، واتفقوا على قرشي هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب^٦ المصروف بـ " بيه " . كما رفع أهل الكوفة بيعة ابن زياد وعزلوا خليفته عمرو بن حريث المخزومي^٧ ، واتفقوا على عامر بن مسعود الجمحي القرشي^٨ ، فأقره ابن الزبير أشهراً ثم عزله ، وولى عبد الله ابن يزيد الخطمي الأنصاري^٩ .

والتاث الناس في خراسان على مسلم بن زياد ، فاستخلف عليهم المهلب بن أبي صفرة ، وخرج ، ولما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرشد البكري ، فقال له : ضاقت عليك خراسان حتى وليت رجلاً من أهل اليمن ؟ فولاه مرواً الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان ، وولى أوس ابن ثعلبة البكري هراة . ولما وصل مسلم نيسابور لقيه عبد الله بن خازم السلمي الذي أنكر عليه صنيعه وقال له : " أما وجدت في المضر

- ١ . الأخبار الطوال - ٢٨٣ ، تاريخ الطبري ٥/٥٠٤ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٤/١٣١ وما بعدها .
- ٢ . نقاشن جريز والفرزدق ٧٢٧/٧ ، تاريخ الطبري ٥/٥٤٦ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٤/١٥٤ وما بعدها .
- ٣ . نقاشن جريز والفرزدق ٧٣٠/٧ .
- ٤ . في رواية أن الحرورية قتله ، ومثل به بعض بني منقر التميميين (أنساب الأشراف ٤/١١٢) وقيل ان الأحنف بن قيس ، رئيس تميم ، حرض الخوانج على قتل مسعود (أنساب الأشراف ٤/٩٨)
- ٥ . أنساب الأشراف ٤/١١٢ .
- ٦ . أنساب الأشراف ٤/١٠٠ .
- ٧ . أنساب الأشراف ٤/٩٧ ، تاريخ الطبري ٥/٥٢٣ .
- ٨ . أنساب الأشراف ٥/١٩٠ ، تاريخ الطبري ٥/٥٢٣ .
- ٩ . تاريخ ابن الأثير ٤/١٤٣ . ٩ . أنساب الأشراف ٥/١٩٠ .

من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر وائل واليمن ؟ فكتب
له مسلم عهدا على خراسان . وقد استطاع ابن خازم — بمساعدة
التميميين — أن يهزم البكريين وأن يغلب على خراسان^١ ، فأقوه ابن
الزبير عليها^٢ . ويدو أن سلطان ابن الزبير ، في خراسان ،
كان اسميا ، فليس لدينا ما يدل على أن ابن خازم أرسل إلى مكة
خراج خراسان مدة ولايته عليها ، أو أن ابن الزبير أرسل من قبله
عامل خراج أو قائد جيش أو قاضي كما عبرت العادة بذلك في الدولة
الإسلامية^٣ .

أما في الشام ، فقد تابع زفر بن الحارث الكلبي بقنشرين لابن
الزبير ، وكذلك فعل النعمان بن بشير الأنصاري بحمص . وكان حسان
ابن يحدل الكلبي بفلسطين عافلا ليزيد ، وهو يريد بني أمية ،
فسار إلى الأردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامي ، فثار
ناتل بن قيس الجذامي فيمن تبعه من جذام ولخم بروح بن زنباع الجذامي^٤ ،
وأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير^٥ .
وفي دمشق ، مركز الخلافة ، وميث يرتفع احساس الناس بفراغ منصب الخليفة ،
فقد كان الضحاك بن قيس الفهري أمير دمشق^٦ يقدم رجلا ويؤخر أخرى ،
فتارة يبدو أموي الهوى ، وطورا يظهر زبيريته . ولكن أغلب أهل
الشام مالوا إلى ابن الزبير^٧ ، حتى قيل أن مروان بن الحكم هم بمبايعة
ابن الزبير^٨ ، فمنعه الأمويون وعبد الله بن زياد بحجة أنه عم الخليفة ،
وشيخ قريش العرجوني^٩ ، وانقسم الناس فريقين : فريق يدعو لابن الزبير ،

- ١- تاريخ الطبري، ٥ / ٥٤٦ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ١٥٤ وما بعدها
- ٢- الإصابة ٢ / ٣٠١
- ٣- أنظر قصة المختار ٦٣
- ٤- تاريخ الطبري، ٥ / ٥٣١ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ١٤٥
- ٥- نقائص جرير والأخطل ٦ / ٦ ، أنساب الأشراف ٤ / قسم ٢ / ٦٢ ،
التنبيه والأشراف ٢٦٦ / ٢ ، والأغاني ٩٩ / ١٣٩٠ .
- ٦- تاريخ الطبري ٥ / ٥٣٣
- ٧- تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٢٥٥ ، التنبيه والأشراف ٢٦٦ / ٢ ،
مروج الذهب ٣ / ٨٥ .
- ٨- نقائص جرير والأخطل ٦ / ٦ ، مروج الذهب ٣ / ٨٥ ، الأغاني
١٩ / ١٤٠ ، تاريخ الطبري ٥ / ٥٣٠ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ١٤٥ .
- ٩- نقائص جرير والأخطل ٦ / ٦ ، مروج الذهب ٣ / ٨٥ ، الأغاني
١٩ / ١٤٠ ، تاريخ الطبري ٥ / ٥٣٠ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ١٤٥ .

وأكثر أولئك من قيس ، وفريق يدعول بني أمية وأكثرهم من كلب^١.
ثم استجاب الضحاك لضغط القيسيين بنصرة ابن الزبير ، فنزل
ومن معه مرج راهط^٢ ، وأمدّه النعمان بن بشير ، وزفر بن الحارث ،
ونائل بن قيس^٣. وسار مروان بن الحكم ، بمن معه من الأمويين وانهارهم
حيث التقى الفريقان في معركة بحاسمة ، انتصر فيها مروان وقتل الضحاك ،
وقتل قيس مقتلة عظيمة . وقد عد بعض المحدثين معركة مرج راهط نتيجة
للصراع القبلي بين القيسية واليمانية ، ومن أولئك من ينطلق من مقولة
خاطئة بأنهم يعتبرون الضحاك قيسياً^٤ . ويبدو أن تفسير معركة المرج من
منطلق قبلي بحث لا يخلو من مبالغة ، فمن المعروف أن أكثر أهل الشام
من أصل يمني ، ورغم ذلك ، فأكثر أهل الشام قد أيد ابن الزبير ، كما أن
جيش الضحاك بن قيس كان يفوق جيش مروان بن الحكم من حيث العدد^٥.
ويعاود الدكتور يوسف العس أن يدفع رأياً من يرى أن سبب مرج راهط
تقريب الأمويين لليمانية على حساب القيسية فيقول : " كان معاوية
يقرب اليه القيسيين أيضاً ، فمن حاشيته الضحاك بن قيس ، وهو قيسي .
وزفر بن الحارث ، ونائل بن قيس وهما قيسيان كانا واليين ، فلا معنى
أذن للقول بأن القيسيين كانوا مهنومين الحقوق أمام الكلبيين^٦ " . وقد
مر بنا أن الضحاك قرشي ، أما نائل فجذامي مصر على قبطانيته^٧.
ويرى يوسف العس أن الخلاف بين القيسيين واليمنيين راجع إلى نظرتهما
الاقليمية ، فالمدنانيون يرون أن مقام الخليفة ليس محتماً في دمشق ،
والكلبيون يتمسكون بأقاخسته في الشام^٨ . وهذا الرأي سبق إليه ابن عبد
ربه^٩ ، ولكن العس لا يشير إليه بل يحاول أن يبنّي رأيه على حادثة ساقطة :
فيرى أن القيسيين رفضوا الاشتراك في وقعة الحرة مع الجيش الذي أرسله

- ١- تاريخ الطبري ٥ / ٥٣١ .
- ٢- تاريخ الطبري ٥ / ٥٣٣ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ١٤٩ .
- ٣- تاريخ الطبري ٥ / ٥٣٥ .
- ٤- أنظر التاريخ السياسي للدولة العربية ٢ / ٩٥ ، خلافة بني أمية ١٢٥ / ١٢٧ ، ١٢٦ ، الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في دمشق إلى نهاية العصر الأموي ١١٩ .
- ٥- أنظر التنبيه والإشراف ٢٦٦ ، الأغاني ١٩ / ١٤٠ ، تهذيب تاريخ ابن عساکر ٧ / ٩ .
- ٦- الدولة الأموية ١٧٧ .
- ٧- أنظر طبقات فحول الشعراء ٧٠١ / ٧٠١ ، ~~فقد~~ رفض نائل رغبة روح بن زباع الجذامي في الحاقه ببلادهم .
- ٨- الدولة الأموية ١٧٨ .
- ٩- العقد الفريد ٥ / ٣٦٣ .

يزيد بن معاوية الى المدينة^١ . وهذا القول لا يطمأن اليه ، فقائد جيش يزيد هو مسلم بن عقبة العري القيسي^٢ ، بل ان عبد الله بن سمدة الفزاري كان على رأس ألف رجل من دمشق^٣ ، وكان زفر بن الحارث الكلبي على رأس ألف رجل من قيسين^٤ ، ومربنا أن أكثر أهل قيسين من قيس .
والحق أن عوامل كثيرة تدخلت لتتمخض عن مرج راهط ، منها أن مسألة الوراثة لم تكن قد استقرت بعد ، بل أن معاوية الثاني حاول هدمها كما ذكر . كما أن الخلافة كانت تسير ببطء من البيت السفيناني الى البيت المرواني ، وهي نقطة حاول يمدح اليضيين عوقها بحجة أن آل مروان أهل بيت من قيس^٥ . هذا الى أن ابن الزبير في الحجاز ، وهو رجل كفو للخلافة ، وتاريخه أنقى من تاريخ مروان ، فابن الزبير : " نصر أمير المؤمنين عثمان ، وهو ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه بنت أبي بكر ، وله فضل في نفسه ليس لغيره^٦ " . أما مروان فابن " طريد النبي^٧ " (ص) ، وقد تولى مروان المدينة لعثمان ، واشترك في حملة ابن أبي السرح على اقرية ، فكذب له عثمان بخص غنائمها ، وقد أنكر الناس ذلك على عثمان^٨ . لهذه الأسباب مجتمعة نرى أن الضحاك بن قيس ، والنعمان بن بشير الأنصاري ، وناقل بن قيس الجذامي ، وزفر بن الحارث الكلبي ينقلبون على الأقرع ، وييايمون لابن الزبير ، رغم أنهم كانوا من أخلص الزعماء للأمويين .

ومهما يكن ، فقد تمخضت مرج راهط عن نتائج خطيرة ، فهي من ناحية ، أعطت الأمويين أملا في تثبيت ملكهم ، وقد تم لهم ما أرادوا فيها بعد . وهي من ناحية ثانية ، أحدثت صدعا كبيرا بين اليضية والمضرية عامة وبين كلب وقيس خاصة . فقد قتل كثير من القيسيين ، ولن يذهب دمهم هدرا ، ولذا نشطت الحزازات القبلية ،

١- الدولة الأموية / ١٧٧

٢- أنساب الأشراف ٤ قسم ٢ / ٤٦ ، الأخبار الطوال / ٢٦٤

٣- تاريخ اليمقوي ٢ / ٢٥١ ، وانظر الاصابة ٢ / ٣٦٨ .

٤- تاريخ اليمقوي ٢ / ٢٥١

٥- نقائض جبرير والاخلط / ١٦

٦- أنساب الأشراف ٤ قسم ٢ / ٦٥

٧- المصارف / ٣٥٣

٨- أنساب الأشراف ٥ / ٢٥ .

وتردى بعض خلفاء بني أمية في هزيمتها ، وكان ظاهرها شبيها بما كان عليه الأمر في الجاهلية . فقد فر زفر بن الحارث الكلابي الى قرقيسيا وغلب عليها ، واجتمعت اليه قيس فرأسوه عليهم^١ ، وجعل يغير منها على بلاد كلب . وكان على مروان أن يخضع القيسيين بالجزيرة حتى يتفرغ لابن الزبير في العراق ، دون أن يتلقى طعنة من خلفه قد تجهز عليه ، ولذا سير عبيد الله بن زياد على رأس جيش الى الجزيرة الفراتية لمحاربه زفر ، فاذا فرغ منه توجه الى العراق^٢ . وقد توفي مروان قبل أن ينفذ ابن زياد الى الجزيرة ، فأقره عبد الملك على ما استعمله أبوه^٣ . وكان سليمان بن صرد الخزاعي - زعيم التوابين - قد خرج من الكوفة ، وتوجه الى قرقيسيا حيث استقبله زفر بن الحارث وأكرمه وجيشه ، وأجرهم وصول عبيد الله بن زياد الرقة ، وعرض عليهم أن يقيموا عنده ليقاتل معهم . ولما رفضوا نصحهم أن يسيروا الى عين الورد ، وأن يجعلوها في ظهورهم ليكون الماء قبيهم ، فعمل سليمان بنصيحته ، ولكنه قتل ومر جيشه المهزوم بزفر فزودهم كما فعل أولا^٤ . وبعد معركة عين الورد توجه عبيد الله بن زياد الى زفر بقرقيسيا فحاصره سنة ، ولكنه لم يتمكن منه^٥ ، فضى يريد العراق ، وكان المختار الشقي قد وثب بالكوفة وغلب عليها ، وأرسل جيشا بقيادة ابراهيم بن الأشر النخعي لقتال ابن زياد . والتقى الجيشان بالخازر ، قرب الموصل ، وكان على ميسرة ابن زياد عمير بن الحباب السلمي ، الذي كان مضطغنا على الأمويين وأندسارهم لما قتلوا من قيس في معركة مرج راهط . وقد بدا لعمير أن الفرصة قد حانت له انتقام ، ولذا كاتب ابن الأشر سرا ، واتفقا أن ينصرف عمير بمن معه ، وقيل ان عميرا مال الى ابن الأشر بعد أن صاح بقومه " يا لثارات العرج " فنكس قومه أعلامهم وانهزبوا . وكان من نتيجة تضعف جيش الشام أن قتل عبيد الله بن زياد وهزم جيشه ، فقال عمير :

- ١- نقائير جريز والأخطل / ٢٦ ، الأغاني / ١٩ / ١٤٠ ، مروج الذهب / ٣ / ٨٨ ، تاريخ الطبري / ٥ / ٥٣٩ ، تاريخ ابن الأثير / ٤ / ١٥١ .
- ٢- أنساب الأشراف / ٥ / ٢٠٤ ، ٢٩٨ ، ٣١٣ ، تاريخ الطبري / ٦ / ٣٩ تاريخ ابن الأثير / ٤ / ١٦٠ .
- ٣- أنساب الأشراف / ٥ / ٢٠٤ ، ٢٩٩ ، تاريخ ابن الأثير / ٤ / ١٦٠ .
- ٤- أنساب الأشراف / ٥ / ٢٠٩ ، ٢١١ ، مروج الذهب / ٣ / ٩٤ ، تاريخ الطبري / ٥ / ٥٦٣ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير / ٤ / ١٢٩ وما بعدها .
- ٥- أنساب الأشراف / ٥ / ٢٦٨ ، ٢٩٩ ، تاريخ الطبري / ٦ / ٣٩ ، تاريخ ابن الأثير / ٤ / ٢٢٨ .

جزينا هم بيوم العرج يوما
فلم ينفك أعظم سكسكي
كسوف الشمس أسود ذا ظلال
أمام الجسر ما اختلف الليالي^١
وكانت معركة الخازر^٢ سنة سبع وستين للهجرة ، وقيل بل سنة ست
وستين للهجرة ، وكان من نتائجها أن قويت شوكة قيس بالجزيرة ، وقد اعترف
ابن الأثير بجميلهم فولى زفر بن الحارث قرقيسيا ، وجاشم بن النعمان
الباهلي حران والرهماء وسميساط وناحييتها ، وولى عمير بن الحباب
كفر توتا وطور عديين . ثم انضم عمير ومن كان معه من قيسية الشام الى
زفر بن الحارث بقرقيسيا ، فجملا يطلبان الكلبين واليمانية في البوادي ،
بمن قتلوا من قيس ، وكانت تغلب تقاتل معهما^٣ ، حتى أن حميد بن
حريث بن بحدل الكلبى سار يريد بني تغلب لمثا هزتهم القيسيين^٤ ،
فقال الأخطل التغلبي :
نبئت كلبا تمنى أن تقاتلنا
وطال ما حاربونا ثم ما ظفروا^٥
وقد اشتدت وطأة قفرات القيسيين على الكلبين ، حتى رحل كثير منهم
الى غور الشام^٦ ، فقال زفر بن الحارث :
يا كلب قد كلب الزمان عليكم
ان السماوة لا سماوة فالحققي
فجنوب عكا فالسواحل انهبأ
وأصابكم عني عذاب مرسل
بالنور فالأفحار بعس الموئل
أرغر تذب بها اللقاح وتهزل^٧
ثم نزل عمير بثني من أثناء الفرات بين منازل تغلب ، فازداد الاحتكاك
بين قيس وتغلب^٨ ، وأخذ رجال عمير يستأوون بجواري تغلب ، ويسخرون
مشايخهم ، ويعقدون على أملاكهم^٩ ، فهاق التغلبيون من ذلك ،

- ١- أنساب الأشراف ٥ / ٢٦٨ .
- ٢- عن أخبار هذه المعركة ونتائجها أنظر : أنساب الأشراف ٥ / ٣١٣ وما يليها ، ٢٤٨ ، ٢٦٨ . الأخبار الطوال ٢٦٣ / وما بعدها .
- ٣- مروج الذهب ٣ / ٩٧ ، الكامل للمبرد ٣ / ٢٦٢ ، تاريخ الطبرى ٦ / ٨٦ تاريخ ابن الأثير ٤ / ٢٦١ وما بعدها ، معجم ما استعجم ٢ / ٤٨٤ ، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٦٥ .
- ٤- أنساب الأشراف ٥ / ٣٠٨ ، الأغاني ١٩ / ١٤٢ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣٠٩ . ويرى الدكتور محمد محمد حسين ، أن قبيلة تغلب وقعت على الحياض قبل اصطدامها بقيس (الهجاء والهجاءون في الاسلام ص ٦٨ ، ٦٩) وهو قول يعوزه الدليل ، وتنقذه الأخبار التاريخية .
- ٥- أنساب الأشراف ٥ / ٣٠٩ .
- ٦- الأغاني ٢٣ / ١٦٠ ، ١٦١ - الأغاني ٢٣ / ١٩٣ .
- ٧- الأغاني ٢٣ / ١٩٩ .
- ٨- أنساب الأشراف ٥ / ٣١٤ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣٠٩ .

- ٦٩ -

وأغاروا على بني الحريش من قيس ، وكان الأخطل براذان فلما بلغه الأمر ساء تهمدع الوحدة بين قيس وتغلب وحما من نزار ، فقال :
أتاني ودوني الزابيان كلاهما
أتاني بأن ابني نزار تغلبنا
وكان رد عمير وجماعته أن أغاروا على بني تغلب بأزاء الخابور ، فشكا التغلبيون أمرهم إلى زفر بن الحارث ، وألحوا عليه أن يجلي القيسيين عن ديار تغلب ، فلما أبهى اشتبكوا مع عمير ، ثم اصطليح الفريقان كرها للحرب ولشماتة الأعداء ١

وحدث أن وفد عمير بن الحباب على مصعب بن الزبير ، وأعلمه أن قد أدلج قضاة بمدائن الشام ، وأنه لم يبق إلا حي من ربيعة أكثرهم نصارى ، وسأله أن يوليهم . ثم كتب مصعب إلى زفر بذلك ، ولكن التغلبيين أنفوا ، وقتلوا بعض الرسل ورفضوا دفع الجزية . فلما علم زفر كره - بادئ الأمر - استفساد بني تغلب ٢ ، ولكن عميرا أعظم فيهم القتل بماكسين ٣ ، مما ساء زفر الذي كان يحريش على وحدة ابني نزار ليستطيما التمدد لكلب والقيصيين ، فقال يماتب عميرا ويستهمجن صنيعة :

رسالة عاتب وعليك زاري	ألا من مبلغ عني عميرا
وتجمل حد نايك في نزار ٤	أترك حي ذي يمن وكلب
فخاتته بوهي وانكسار ٥	كمنتمد على أحدى يديه
وتألم القمامي التغلبتي - وكان وقع في الأسر فأطلقه زفر - لا تقطاع	وحبل قيس وتغلب فقال :
وتغلب قد تباينت انقطاعا	ألم يحزنك أن سبال قيس
تزيد سنا عريقها ارتفاعا	فصارا ما يفبهما أمور
بيت وانما بدأ انصداعنا ٦	كما العظم الكسير بهاض حتى
ولكن صيحات زفر والقمامي لم تجد ، فقد انهار اتحاد نزار ، وتمقد	

١- أنساب الأشراف ٥/ ٣١٥ ، الأغاني ٢٣/ ١٩٩

٢- الأغاني ٢٣/ ٢٠٠

٣- الأغاني ٢٣/ ٢٠١

٤- أنظر الأغاني ٢٣/ ٢٠١ ، أنساب الأشراف ٥/ ٣١٦ ، تاريخ ابن الأثير ٤/ ٣١٠ ، معجم ما استعجم ٤/ ١١٧٥ . وماكسين من قرى الخابور .

٥- أنساب الأشراف ٥/ ٣٢٠ ، الأغاني ٢٣/ ٢٠٣

٦- الأغاني ٢٣/ ٢٠٤ ، ديوان القمامي ٣٢/ ٠٠٣٢

وتمتدق الموقف ، وتغلي زفر عن موقفه الأول ، فأخذ يمين عميرا
في غاراته ، وعادت الأيام بين قيس وتغلب أشد مما كانت عليه
أيام العرب في الجاهلية . ولقي بنوا تغلب هزائم أكثر مما ظفروا^١ ،
فقد حزموا يوم الثرثار الثاني ، ويوم الفدين ، ويوم السكير ، ويوم
المعارك . . . وظفروا يوم الثرثار الأول حيث اجتمعت اليهم النمر
ابن قاسط ، وشيخان الجزيرة ، فاستنجد عمير بني تميم وأسد فلم
يأتهم منهم أحد . فكانت المعركة بين ربيعة وقيس^٢
وكان يوم الحشاك^٣ سنة سبعين للهجرة ، وفيه قتل عمير بن الحباب
السلمي ، حيث اجتمعت تغلب : حاضرتها وباديتها ، واستحضر
القتل يومئذ ببني سليم وغني ، وبمشتغلين رأس عمير إلى عبد الملك ،
وكانها تنوب عنه في محاربة أعدائه . وقد استطاع القيسيون بزعاقة زفر ،
أن يثأروا لعمير "يوم الكميل" حيث قتلوا التغلبيين أنزع قتل .

ولا شك أن الحروب بين قيس وكنب ، وبين قيس وتغلب قد أفادت
عبد الملك ، وهيات له أن يقوى مركزه في الشام قبل أن يتحرك إلى شرق
الدولة الذي يتبع ابن الزبير . فبعد أن قضى على فتنة الأشدق ، عمرو
ابن سميد^٥ ، أجمع عبد الملك الرأي على السير إلى العراق . ولكن السبيل
صعب لأن قيس الجزيرة زيرية ، ولذا توجه إلى قرقيسيا وحصرها سنة
احدى وسبعين للهجرة ، واستفاد مما جرى لمبيد الله بن
زياد ، فلم يسمح للقيسيين الذين في جيشه أن يشتركوا معه في القتال^٦ .
ورغم ذلك ، فقد عزت عليه قرقيسيا ، فاضطر أن يعرض على زفر الأمان ،
واشترط زفر أن لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في
عنه^٧ . واتفق الطرفان ، وأكد الصلح بأن تزوج مسلمة بن عبد الملك

١- أنظر : أنساب الأشراف ٥ / ٣١٣ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير

٢ / ٣١١ وما بعدها ٢

٢- أنساب الأشراف ٥ / ٣١٨ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣١١ .

٣- أنظر عن يوم الحشاك ومقتل عمير : أنساب الأشراف ٥ / ٣٢٣ ،
نقائض جرير والأخطل / ٨٠ ، تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٢٦٢ ،
تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣١٥ ، النجوم الزاهرة ١ / ١٨٥ . والحشاك
ما إلى كجانب الثرثار بالجزيرة .

٤- أنساب الأشراف ٥ / ٣٢٦ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣١٨ .

محبهم ما استمجم ١ / ٣٣٨ .

٥- أنظر تاريخ الطبري ٦ / ١٤٠ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٢٩٧ .

٦- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣٣٨ .

٧- أنساب الأشراف ٥ / ٣٠٥ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣٤٠ .

تاريخ ابن خلدون ٢ / ٨٢ .

- ٦٤ -

الرباب بنت زفر^١ . وهذا الطيبي^٢ عبد الملك الى ظهرة ،
فتوجه الى مصعب بن الزبير في العراق ، وكان عبد الملك قد كاتب
أشراف قبائل العراق ، ومناهم ان هم انضموا اليه ، فكان له منا
أراد ، ولم تجد صيحة قيس بن الهيثم السلمي القيسي : " ويحكم ،
لا تدخلوا أهل الشام عليكم ، فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليضيقن عليكم
منازلكم ، والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح ان
أرسل في حاجة ، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير ، وان
الرجل من وجوههم ليفزو على فرسه وزاده خلفه " . وقتل مصعب سنة
اثنيتين وسبعين للهجرة على الأرجح^٣ . وكان الهذيل بن زفر سار مع
عبد الملك ثم تحول الى مصعب ، وقاتل في جيشه ، فلما قتل مصعب استخفى
حتى أخذ له الأمان^٤ .

وقد كان غنقل مصعب صدمة لابن خازم السلمي في خراسان ، وقد
عبر عن أسفه لأنه لم يشاؤك مصعبا قتال جيش الشام ، بقوله :
خذوني فجريني جمار وأبشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره^٥
وكان موقفه متضعضا في خراسان . وقد مر بنا أن التميميين أعانوه
في حربه مع ربيعة ، فلما صفت لخراسان جفيا بني تميم ، ومنهم من دخول

١ . أنساب الأشراف ٣٠٧/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٣٤٠/٤ ، تاريخ

ابن خلدون ٨٢/٣ .

٢ . الأخبار الطوال ٣١١/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٣٢٥/٤ ، ويذكر
البلاذري في (أنساب الأشراف ٣٣٣/٥) أن أشراف أهل العراق

كتبوا الى عبد الملك يدعونه الى أنفسهم ، ويخبرونه أنهم ما يصفوه ، فلم
يبق بالبصرة شريف الا كاتبه غير المهلب .

٣ . تاريخ الطبري ١٥٧/٦ ، تاريخ ابن الأثير ٣٢٥/٤ . وكان قيس
ابن الهيثم على رأس عالية البصرة الذين اشتركوا في قتال المختار ، فهو

مخلص للزبيريين .

٤ . أنساب الأشراف ٣٥١/٥ ، الأخبار الطوال ٣١٣/٥ ، تاريخ

خليفة بن خياط ٣٤٠/١ . ويذكر الطبري مقتل مصعب في أحداث

سنة (٧١ هـ) وكذلك فعل ابن الأثير ، ولكن الطبري يستدرك فيذكر

أن هناك من يروى أنه قتل سنة (٧٢ هـ) . أنظر تاريخ الطبري ١٦٢/٦ .

٥ . تاريخ الطبري ١٦٤/٦ ، تاريخ ابن الأثير ٣٢٤/٤ ، أنساب

الأشراف ٣٥٠/٥ ، تاريخ ابن خلدون ٨٢/٣ .

٦ . تاريخ الطبري ١٥٨/٦ .

هراة ، ولكنه جعل بكير بن وشاح التميمي على شرطته^١ ، وضم اليه
شهاب بن دثار المطاردى الذى سمح لبني تميم بدخول
هراة فقتلوا محمد بن عبد الله بن خازم ، واستمرت الحروب بين
الطرفين سنتين ، ثم تصالح الطرفان^٢ . ولكن شبح الانتقام ظل
يهمود ابن خازم ، فصمم عليه ، وكان قد قال :
فلا صلح بيني ما حييت وبينكم تميم بن مرأوفى بكم وترى^٣

وقد استغل تفرق تميم في خراسان ، فحضر عدة من فرسانهم بقصر فرثنا
وأعمل فيهم القتل^٤ ، وكان من أثر ذلك أن صمموا على قتله وأعتبروه
ثأرهم المنيم ، لا سيما أنه أخذ يتبخج بفتكه بهم ، فقال يوما ومجوله

بنو سليم وبنو عامر وناس من سائر قيس :
أبيننا أن ندر على المخازى
وكننا القوم ندرك بالوغم^٦
قتلنا منهم قوما كراما
وقال يمرؤ بن تميم :

ولسنا كأقوام هراة محلهم
ولكننا قوم بدار مرابط
لهم سلف في أهلها وجوير
يفار علينا مرة وتغير
وتجمع التميميون بنى سبور ، وكان يقودهم بجير بن ورقاء الصريمي
فاستخلف ابن خازم على مرو الرود بكير بن وشاح وسار اليهم ، وبينما كان
مشغولا بقتالهم أرسل اليه عبد الملك كتابا مع رجل من قيس يدعوه فيه

١ . بيد وأن ابن خازم رغب في بث الشقاق في قبيلة تميم ، أو أنه كان يقدر
التنافس بين بكير بن وشاح وجير بن ورقاء ، وهذا ما تم بالفعل ولكن بعد
مقتل ابن خازم . أنظر تاريخ الطبرى ١٧٧/٦ ، تاريخ ابن الأثير ٣٤٦/٤
٢ . أنظر تاريخ الطبرى ٦٢٣/٥ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٢٠٧/٤
وما بعدها .

٣ . تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٧٧/٧ .
٤ . تاريخ الطبرى ٧٧/٦ ، تاريخ ابن الأثير ٢٥٤/٤ .
٥ . ذيل الأمالي والنوادر / ٣١ .
٦ . الوغم : جمع وغم ، وهو الثأر .
٧ . ذيل الأمالي والنوادر / ٣١ .
٨ . قيل مع سودة بن أشتم النميرى ، وقيل مع ابن مكهل الغنوى .

الى البيمة له على أن يطعمه راسان سبع سنين ، فكان رد ابن
خماسم أن أكره القيسي على أكل الكتاب ، ولم يقتله خوف الفتنة
في صفوف قيس^١ ، وقال :
أعيش زبيرى الحياة فان أمست فاني موصى هامتي بالتمزق^٢
فلجأ عبد الملك الى حيلة موفقة ، ~~كذب~~ كتب الى بكير بن وشاح
بمعهده على خراسان ، ووعدته ومناه . فخلع بكير ابن الزبير ،
ودعا الى عبد الملك ، وبذا اجتمع شمل تميم - وشتم أكثر خراسان -
على عداء ابن خازم ومن معه من قيس . وأدرك ابن خازم أنه لا يستطيع
مقارعة التميميين هذه المرة ، فقرر أن يلحق بابنه موسى بترمد ،
ولكن بجيرا لحق به ، واستطاع أن يقتله سنة اثنتين وسبعين للهجرة^٣.
وبذا خبت نار قيس في خراسان ، ولكن الى حين .

وفي سنة اثنتين وسبعين للهجرة ، أنفذ عبد الملك الى ابن
الزبير حملة من الكوفة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استطاع

- ١- تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧١ ، تاريخ الطبري ٦/ ١٧٦ ، تاريخ ابن
الأثير ٤/ ٣٤٥ ، وفیات الأعيان ٣/ ٧٤ ، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٨٣
- ٢- تاريخ ابن خلدون ٣/ ٧٤ .
- ٣- أنظر : نقاشي جرير والفرزدق ، ٣٧٢ / ٦ ، تاريخ الطبري ٦/ ١٧٦
تاريخ ابن الأثير ٤/ ٣٤٥ ، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٨٣ وفيه " يترمد "
بدلا من " بترمد " ويقول المحقق : يترمد الشبي : جعله من الرماد
والكلمة غامضة . ولورجع الى مصادر أخرى لا أدرك التحريف .
وفي تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧١ أن بكيرا ثقفي ، وهو تحريف ، والمجيب
أن حسين محمد سليمان يعقد فصلا قصيرا في رسالته الجامعية :
ثقيف من ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الاموية " لحركة بكير على أنه
ثقيف ، وهو يحيلنا الى تاريخ الطبري وابن الأثير وليس فيهما ما يؤيد زعمه .
(أنظر ثقيف من ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الاموية / ٢٥٠)
- ٤ . كان الحجاج يكره ابن الزبير كرها شديدا حتى انه لم يقرب النساء ولا الطبيب
عندما حاصر ابن الزبير حتى قتل (أنظر الطبقات الكبير ٥/ ١٦٩) ويبدو
أن سبب ذلك راجع الى أن الحجاج ووالده اشتركا في الحملة التي أرسلها
فروان سنة ٦٥ هـ لمحاربة ابن الزبير ، وكانا مع فلول الهاربيين (أنظر
تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥٦ ، أنساب الأشراف ٥/ ١٥٩) وكان الحجاج
يقول : ما أقبح الهزيمة ، لقد كنت ورجل آخر ، يعني أباه ، في جيش ابن
دلجة فانهزمنا وانه ليخيل اليها أن رماح القوم في أكافنا) (أنساب الأشراف
٥/ ١٥٣) وقد جعل مصعب لمن جاء بيوسف بن الحكم وابنه الحجاج جملا ،
فلم يقدّر عليهما . (أنساب الأشراف ٥/ ١٥٤) .

القضاء على ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، وذلك ،
قضى على أكبر خطر كان يهدد خلافة الأمويين ، وهدأت الفتن
القبلية .

وفي سنة خمس وسبعين للهجرة تولى الحجاج العمراق ،
فأخذ الناس بالشدة ، ونقص أعطياتهم فخرج جمع من أهل البصرة
والتفوا حول عبد الله بن الجارود الأزدي الذي استغل خروج أغلب
الجند مع المهلب بن أبي صفرة الذي كان يقاتل الخوارج . واستولى
ابن الجارود على خزائن السلام ، مما أخرج موقف الحجاج . ولكن
القيسية وقتت إلى جانبه بعد أن يؤسس من الحياة ، فقد عز على قتيبة بن
مسلم الباهلي أن يقتل قيس وينهب ماله ، فجاءه في قومه ، وانضم
إليه سيرة الكلائي وسميد بن أسلم بن زرة الكلابي ، ففوق مركز الحجاج
واستطاع أن يقضي على ثورة ابن الجارود ١ . ومن الباحثين من يرى أن
ثورة ابن الجارود على الحجاج ، ظاهرة من ظواهر العصية ٢ . والأرجح
أنها نتيجة لسياسة الحجاج ، وهو لم يمتد على قيس وحدها ، بل
انضم إليه جعفر بن عبد الرحمن بن مختف الأزدي ، وشبط مسمع بن مالك ،
ابن مسمع البكري الناس عنه حين طلب إليه ذلك ٣ . وكذلك كانت ثورة عبد الرحمن
ابن الأشعث سنة إحدى وثمانين للهجرة ، حيث اجتمع إليه أهل الكوفة
وأهل البصرة والقراء وأهل الثغور والمسالح لأنهم كرهوا الحجاج ، كما
كرهوا الأمويين وأهل الشام عامة ، ولذا رفضوا عرض عبد الملك بخلق
الحجاج ، وأصروا على القتال ، ويصور أعشى حمدان اتفاق كلمة القبائل
العربية إبان هذه الثورة بقوله :
سار بجمع كالدبي من قحطان
ومن معد قد أتى ابن عدنان
بحمفل جـم شديد الارنان
ويبدو أن هاتين الثورتين جعلتا الحجاج يميل إلى معارضة اليمينية ،
ويعصب لقيس عامة وثقف خاصة ، وشجعه على ذلك تمصّب يزيد بن
المهلب الأزدي — الذي ولاه الحجاج خراسان سنة اثنتين وثمانين للهجرة
خلفاً لوالده المهلب وكان عهد الملك قد ضم إلى الحجاج خراسان
وسجستان سنة ثمان وسبعين للهجرة ٤ . فقد عرض يزيد بن المهلب

- ١- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣٨٢ وما بعدها .
- ٢- نقاض جرير والفرزدق ، للزهيرى / ١٧٨
- ٣- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٤٦١ وما بعدها .
- ٤- تاريخ الطبرى ٦ / ٣٣٤ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٤٦١ وما بعدها
- ٥- تاريخ الطبرى ٦ / ٣١٩ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٤٤٨ .

على ابن الأشعث — لما أتى خراسان — الأموال ، وطلب اليه أن يرسل بحجة أنه يكره قتاله ، ولما رفض ابن الأشعث قتله يزيد على كره منه ، وأمر أتباعه بالكف عن ملاحقة لثباع ابن الأشعث^١ .
كما أن يزيد بن المهلب أطلق الأسرى من اليمانية وأرسل أسرى مضر إلى الحجاج الذي قال له عبد الله بن عامر حين مثل بين يديه ، وكان في الأسرى :
" جزى الله ابن المهلب بما صنع ، ولما سأله الحجاج عما صنع ابن

المهلب ، قال :
لأنه كاس في إطلاق أسرته
وقى بقومك ورد الموت أسرته
وكان قومه ، أوفى عنده خطرا^٢
وقاد نحوك في أغلالها مضر
ولما استطاع الحجاج أن يقنع عبد الطك بن مروان بعزل يزيد بن المهلب عن خراسان ، لجأ إلى الحيلة حتى يتقي ثورة يزيد الذي كان يعتمد على قوة قبيلته الأزدي في خراسان . وقد تنبه يزيد إلى مكيدة الحجاج ، فقال لأهل بيته لما بلغه أن الحجاج عزله : " من ترون الحجاج يولي خراسان ؟ قالوا : رجلا من ثقيف ، قال : كلا ولكنه يكتب إلى رجل منكم بمعهده ، فإذا قدمت عليه عزله وولي رجلا من قيس ، وأخلق بثنية بن مسلم^٣ .
وكان ما توقع ابن المهلب ، فقد عين الحجاج الفضل بن المهلب سنة خمس وثمانين للهجرة . وكان موسى بن عبد الله بن خازم السلمي غالبا على الترمذ منذ قتل والده ، ولم يتعمر نحره المهلب وابنه يزيد فترة ولايتهما . وكان المهلب بعيد النظر في موقفه من موسى ، فقد أوصى بنيه بقوله : " اياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولاية خراسان ما دام هذا الشط بمكانه ، فإن قتل فأول طالع عليكم أمير على خراسان من قيس^٤ .
ولكن الفضل بن المهلب خرج على وصية والده ، وأسأء التقدير حين ظن أنه سيحظى عند الحجاج ان هو قضى على موسى . ولما كتب الفضل إلى الحجاج بقتل موسى سنة خمس وثمانين للهجرة ، قال الحجاج : " العجب منه ، أكتب إليه بقتل ابن سبرة فيكتب الي أنه لمآبه ويكتب الي أنه قد قتل موسى بن عبد الله بن خازم " ولم يسر الحجاج بقتل موسى لأنه من قيس^٥ .

١- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٤٨٦

٢- تاريخ الطبري ٦ / ٣٨٠ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٤٨٧ .

٣- تاريخ الطبري ٦ / ٣٩٥ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٥٠٣ .

٤- تاريخ الطبري ٦ / ٤٠٣ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٥٠٨ والشط :

الثقل البطن . وفي ابن الأثير " الشط " .

٥- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٥١٢ .

وفي سنة ست وثمانين للهجرة توفي عبد الملك ، وتولى ابنه الوليد الذي لم يكن له حق سابق في الخلافة ١ ، ويروي أن الحجاج هو الذي زين لعبد الملك بيعة الوليد ٢ . وقد بقي الحجاج متنفذاً في المشرق كله حتى وفاته سنة خمس وتسعين للهجرة . وفي زمنه عزت قيس في شرق الدولة لأنه اتخذ ولايته منهم ، وأشهر أولئك قتيبة بن مسلم الباهلي الذي تولى خراسان بعد عزل الفضل بن المهلب سنة ست وثمانين للهجرة . وكان قتيبة من أعظم رجال الفتوح حتى قال أهل التاريخ : " بلغ قتيبة بن مسلم في غزو التراب والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع ، واستباحة الأموال وقتل الفاك ما لم يبلغه المهلب ولا غيره ، حتى أنه فتح بلاد خوارزم وسمرقند في عام واحد ٣ " . وقد وصفه أحمد الشمراني بأنه جدير بالخلافة إذا ما خرجت من قريش :

إذا ما قريش خلا ملكها
فان الخلافة في باهلة
ويبدو أن التميميين - وهم كثرة خراسان - لم يكونوا راضين عن تولي قيسي خراسان ، لا سيما أن قتيبة لم يخف رغبته في الانتقام لموسى بن عبد الله بن خازم ٤ . كما يبدو أن الحجاج كان يرغب في أن تمر قيس بخراسان بعد أن ذلت عقب مقتل عبد الله بن خازم ، وفي أيام المهالبة الذين تصحبوا للأزد ، حتى لم يدعوا موضعاً يستخرج منه درهم إلا استعملوهم عليه ، وحملوهم على رقاب الناس ، على حد تعبير يزيد بن المهلب ٥ . وقد بادر عبد الله بن الأهم التميمي إلى مفاداة قتيبة حيث حاول أن يذر الشقاق بين قتيبة والحجاج ، وكلاهما

١- كان مروان قد بايع لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده . وولي عبد العزيز عمل مصر ، وقد بقي عليها خلافة عبد الملك . ولكن عبد الملك أراد أن ينهي عبد العزيز إذ لم يكن أخاه من أمه ، وقد توفي عبد العزيز قبل عبد الملك .

٢- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٥٠٤ .

٣- وفيات الأعيان ٤ / ٨٧ . وفي فتوح قتيبة أنظر : فتوح البلدان / ١٢٠ وما بعدها ، تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٢٩٣) وما بعدها ، تاريخ

الطبري ٦ / ٤٢٤ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٥٢٣ وما بعدها ، تاريخ ابن خلدون ٣ / ١٢٩ .

٥- لما قدم قتيبة أميرا على خراسان ، وأخبر أن رجلا من الجند ضرب ساق موسى دعاه قتيبة وقال له : ما دعاك إلى ما صنعت بفتي العرب بعد موته ؟ فقال الرجل : كان قتل أخي ، فأمر به قتيبة فقتل بين يديه . (تاريخ الطبري ٦ / ٤١٢ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٥١٣) .

قيسي - حين أخذ يشق الكعب في قتيبة للحجاج ، ولكن الحجاج كان يميل كنبه الى قتيبة . ولما حرب عبد الله نكب قتيبة بني الأهم فقتل عددا منهم ، مما أغضب التميميين ، وكان على رأسهم وكيع بن حسان اليربوعي ، الذي رفض الصلاة لمقتل بني الأهم ^{الذين} لم يغضب لهم أحد في الأرض ولا في السماء على حد تعبيره ! ولم يكن الحجاج راضيا عن وكيع فأرسل الى قتيبة يتهم وكيعا بأنه كان لصا بسجستان ، ويأمر قتيبة بمنزله عن الشرطة ^٢ ، فمزله قتيبة وجرده من رئاسة بني تميم ، واستعمل مكانه ضرار بن حصين النخعي ^٣ . ولم يكن ضرار في قوة وكيع ، والى هذا أشار عمر بن يزيد الأسدي في كتابه الى قتيبة : " عزلت السباع ، ووليت الضباع " ^٤ . وقد كان عزل وكيع سببا في ازدياد حقه ، وكان عليه أن ينتهز فرصة للانتقام ، ولم تكن الفرصة الا بموت الوليد وتولي سليمان بن عبد الملك الأمر سنة ست وتسعين للهجرة . ولم يكن سليمان راضيا عن قتيبة لأنه وافق الوليد على خلعه ، وتولية عبد العزيز بن الوليد ^٥ . وكان يزيد ابن المهلب قد هرب آمن سجن الحجاج ولجأ الى سليمان وهو أمير . وقد توقع قتيبة أن يخلعه سليمان ، وأن يولي خصمه يزيد بن المهلب ، فبهم بخلع سليمان ، وأخذ يستطلع آراء الناس ويعرض بسليمان فيشبهه بيزيد ابن ثروان (حينئذ) ولما لم يجد منهم استجابة ، قام فيهم خطيبا فسب قبائلهم ، وهددهم بمن معه من المصدق ، مما أغضب سائر القبائل فمشى رؤسائهم الى بعض سرا ، وأخذوا يخططون لخلعه . وكان الأزدي ساخطين عليه بعد خروج المهالبة من خراسان فاتفقوا مع حلفائهم القدماء من ربيعة على خلعه ، وأتوا الحنظليين بن منذر البكري ، وكان الحنظليين يميلون للنظر حين نصحتهم بمخالفة تميم لأنها أعد اهل خراسان رجلا ، ولأنه خشي

١ . نقائض جرير والفرزدق ٣٤٩ /

٢ . نهاية الأرب ٤٧ / ٦ .

٣ . نقائض جرير والفرزدق ٣٤٩ / ، تاريخ ابن خلدون ١٤٩ / ٣ .

٤ . الحيوان ٤٥٢ / ٦ .

٥ . نقائض جرير والفرزدق ٣٤٩ / ، الميرون والحدائق ١٧ / ، تاريخ

الطبري ٤٩٩ / ٦ . تاريخ ابن الأثير ١٠ / ٥ ، تاريخ ابن خلدون

١٤٨ / ٣ .

٦ . تاريخ الطبري ٤٤٨ / ٦ ، تاريخ ابن الأثير ٤٤٥ / ٤ .

تجمع المضربة . ويدو أن الحزبين استغل غضب التميميين على قتيبة
لأنه قتل آل الأهم وعزل وكهما . وإلى هذا التحالف بين ربيعة والأزد
وتميم أشار نهار بن توسعة البكري محذرا قتيبة ، والا فإنه سيلاقى مصير
ابن خازم :

تتمر وشمر يا قتيب بن مسلم	فان تميما ظالم وابن ظالم
ولا تأمننن النافرين ولا تنم	فان أخوا الهيجااء ليس بنائهم
ولا تثقن بالأزد فالقدر منهم	ويكر فمضهم مستحل المكـارم
واني لا أخشى يا قتيب عليكم	مصرة يوم مثل يوم ابن خـازم

أما قبيلة قيس فلم تنتصر لقتيبة فهي من ناحية ، لا تستطيع مـا ولـمة
القبائل التي اتحدت على خلفه ، وهي من ناحية ثانية نالت حظها من
شتم قتيبة في خطبته حيث قال فيها : " يا أهل السافلة ولا أقول أهل
المالية ، انما أنتم أوشاب من أوشاب كابل الصدقة جمعت من كل أوبى " .

فلما أمر قتيبة رجلا فنائى : أين بنو عامر ؟ قال أحدهم وهو محفن بن
جزء الكلابي : نادهم حيث وضعتهم . ولما ذكرهم قتيبة الله والرحم ،
قال محفن : أنت قطعتها . ولعل موقف قيس الفاضل من قتيبة هو الذى
دعا وكهما القول - ان صحت نسبة البيت - حين قتل قتيبة .
أنا ابن خندف تمنيني قبائلها للصالحات وعمي قيس عيلانـا
وعليه فلم يكن مقتل قتيبة في نزاع بين قبائل اليمانية والمضربة كما رأى بعض
الباحثين . بل انه لم يبق مع قتيبة سوى أهل بيته وخوادم أصحابه وثقاته ،
بعد أن تخلى عنه حيان النبطي في الصفد ؟
ومن الباحثين من يرى أن سليمان بن عبد الملك انتهج سياسة مخايرة

- ١ . نقاش جرير والفرزدق / ٣٥٦ . ويذكر الدكتور حسين عطوان في كتابه
(الشعر العربي بخراسان / ٢٨٦) ان ابن توسعة صدر في هذه
المقطوعة عن روية واناة وانفتاح فكرى ، متجردا من الماطقة ، ومخلصا من
المهنية .
- ٢ . انظار الخطبة كاملة في نقاش جرير والفرزدق / ٣٥٤ .
- ٣ . تاريخ الطبرى ٥١٨/٦ ، نقاش جرير والفرزدق / ٣٦٣ .
والبيت في جمهرة انساب العرب / ١٠ لنصر بن سيار ، وهو في ديوانه / ٥٠ .
وهو في تاريخ الطبرى ٣٣٨/٧ لنصر . وفي تاريخ ابن الأثير ١٦/٥
" محقون جزئ الملائي وهو قيسي " بدل محفن الكلابي .
- ٤ . التاريخ السياسي للدولة العربية ٢٣٩/٢ .
- ٥ . عن فتنة قتيبة ومقتله انظر : نقاش جرير والفرزدق / ٣٤٩ وما بعدها ،
الصيوان والحدائق / ١٧ ، تاريخ الطبرى ٥٠٦/٦ وما بعدها ،
تاريخ ابن الأثير ١٢/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٨٧/٤ .

لسياسة الوليد ، فالوليد كان قيسيا لحما ودما ، أما سليمان فكان
 يعني الهوى ١ . . وهو لا يستدلون على ذلك بتكرار سليمان
 للحجاج وعمله ، وتولية يزيد بن المهلب العراق . . والارجح
 أن الوليد لم يعتمد على الحجاج لأنه قيسي ، بل لقوة شخصيته وكفاءته
 وهو قد أثبت قدرته أيام عبد الملك الذي أوصى بنيه به خيرا . أما سليمان
 فكان عداؤه منصبا على شخص الحجاج ورجالاته ، وليس لأن الحجاج
 قيسي . . ويبدو أن سليمان لم يكن راضيا عن عسف الحجاج منذ البداية ،
 ولذا كان يلجأ إليه الفاروق من الحجاج ، ومن أولئك يزيد بن الحكم الثقفي
 الذي أغضب الحجاج لأنه أنشد بين يديه قصيدة يفتخر بأبيه ولا يمدحه .
 ويبدو أن الحجاج لم يستطع سجن يزيد بن المهلب في خلافة عبد الملك ،
 ولكنه استطاع لما تولى الوليد الأمر سنة ست وثمانين للهجرة . . ويبدو أن
 يزيد بن المهلب كان يعلم موقف سليمان من سياسة الحجاج ، ولذا هرب من
 سجنه سنة تسعين للهجرة ولجأ إلى سليمان الذي أخذ له الأمان من الوليد .
 وقد بلغ الأمر بالحجاج أن كتب إلى الوليد يعرض بعمربن عبد العزيز والسي
 المدينة . . لأن عمر كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عطفه في العراق ،
 فكان أن عزل الوليد ابن عمه عمر بن عبد العزيز . . ولما أراد الوليد سنة
 ست وتسعين للهجرة ، أن يخلع سليمان وأن يبيع لولده عبد العزيز ، كتب إلى
 عماله ودعا الناس إلى ذلك ، فلم يجبه إلا الحجاج وقتيبة بن مسلم وخوارج من
 الناس . . وقد كان الحجاج مقدرا موقف سليمان منه ، فقد روى أنه قال
 - لما مرض الوليد مرضا لم يمت منه - : " اللهم لا تسلط علي من لا رحمة له
 فقد طالما سألتك أن تجعل مني قبله ٦ . . " وقد استجاب الله لدعائه
 فمات في آخر خلافة الوليد ، وظل أصحابه من بعده ليتعرضوا للمزل أو القتل
 ومن أولئك قتيبة بن المسلم الباهلي الذي خلع سليمان قبل أن يعزله . . ويبدو
 أن سليمان لم يكن راضيا عن مقتل قتيبة ، أو أنه خشي غضب القيسيين في الشام .

- ١ . الشعر العربي بخراسان / ٨٤ ، وانظر رأي دوزي في تاريخ مسلمي
 اسبانيا / ١٢٩ ، وانظر شعر البصرة في العصر الاموي / ٢٨ .
- ٢ . الاغانى / ٢٨٧ ، خزنة الاشب / ١ - ٧٩ - ٨٠ .
- ٣ . تاريخ الطبرى / ٦ / ٤٨٤ ، تاريخ ابن الاثير / ٤ / ٥٤٥ .
- ٤ . تاريخ الطبرى / ٦ / ٤٨١ .
- ٥ . نقائص جرير والفرزدق / ٣٥٣ ، تاريخ الطبرى / ٦ / ٤٩٩ ، تاريخ ابن
 الاثير / ٥ / ١٠ .
- ٦ . تاريخ الطبرى / ٦ / ٤٩٧ ، تاريخ ابن الاثير / ٥ / ١٠ .

فقد روى أن الهذيل بن زفر كان عند سليمان لما أتت برأس قتيبة فقال له سليمان : هل ساء لك هذا يا هذيل ؟ فقال : لو ساءني لساء قوما كثيرا . فقال سليمان : ما أردت هذا كله .^١ ومحمد بن القاسم الثقفي - فاتح السند - الذي حمله يزيد بن أبي كبشة السكسكي - والي سليمان على السند - مقيدا إلى صالح بن عبد الرحمن الذي كان على خراج العراق ، فقتله صالح انتقاما لأخيه آدم الذي قتله الحجاج^٢ .

وعثمان بن حيان المرو الذي استعمله الوليد على المدينة ، وأمره بالفلظة على أهل الذلثة ، وقد عزله سليمان ، وأخذه بألفي ألف درهم^٣ . وخالد ابن عبد الله القسري الذي ولاه الوليد مكة تلبية لرغبة الحجاج^٤ ، وقد عزله سليمان وسجنه^٥ مع أن اليمينية يمدون خالدا منهم .

ومما ينفي التهمة عن سليمان ، أنه نكب موسى بن نصير الذي كان من اليمينية على زعم بعضهم^٦ . ويروى أن عبد العزيز بن موسى تمصت مقتولا بأمر من سليمان^٧ . ولم يمسد سليمان إلى يمني بتولي الأمر بمحمد عبد العزيز ، بل ولي الأندلس الحر بن عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ، وهو من أهل دمشق^٨ .

هذا إلى أن سليمان بن عبد الملك نشأ بالهادية عند أخواله بني عباس القيسيين ، وكان كمب بن جابر العبسي على شرطته^٩ . وقد لقيت سياسة سليمان استحسانا عند الناس ، حيث سئموا ولاية الوليد وأشراف الحجاج ، كما أثبتوا على استخلافه عمر بن عبد العزيز فقل : " فتح سليمان بخير ، وختم بخير " فسمي مفتاح الخير^{١٠} .

ولم يكن عمر بن عبد العزيز راغبا عن الوليد وممض ولاته الذين عسفوا بالناس ، فكان يقول : " الحجاج بالعراق ، وأخوه محمد باليمن ، وعثمان بن

- ١ . تاريخ ابن الأثير ١٩/٥ .
- ٢ . فتوح البلدان / ٦١٨ - ٦١٩ .
- ٣ . العقد الفريد ٣٠٤/١ .
- ٤ . تاريخ الطبري ٤٨٢/٦ .
- ٥ . العقد الفريد ٤٢٨/٥ .
- ٦ . انظر دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول / ٢٠ .
- ٧ . تاريخ ابن الأثير ٢٢/٥ . تاريخ ابن عساكر ١١٥/٤ .
- ٨ . المصارف / ٣٦٠ .
- ٩ . تاريخ ابن الأثير ٣٩/٨ .
- ١٠ . تاريخ ابن الأثير ٣٧/٥ . العيون والحدائق / ١٧ ، وفيات الأعيان / ١ ٤٢٠ .

حيان بالحجاز ، والوليد بالشام ، وكوة بن شريك العبسي بمصر ،
 اقتلأت بلاد الله جوراً ١ . ورغم أن هؤلاء الولاة الذين ذكرهم
 عمر بن عبد العزيز من قيس ، إلا أنه ترفع عن المصحية ، وزهد في الدنيا .
 وكان من عماله عدى بن أرطاة الفزاري على البصرة ٢ . وعمر بن هبيرة الفزاري
 على الجزيرة ٣ . وعمر بن مسلم الباهلي على الهند ٤ . وكان عمر بن عبد العزيز
 يراقب عماله وفي ذلك يقول : " أن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوالي
 ركن ، والقاضي ركن ، وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا " ، ولذا
 استدعى يزيد بن المهلب وطلبه بالأموال التي كتب بها إلى سليمان ، ولما
 ادعى يزيد أنه ما فعل ذلك ، إلا لسمع الناس به ، حبسه بحصن حلب ٥ .

ولم تطل خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقد توفي سنة (١٠١ هـ) وخلفه
 يزيد بن عبد الملك الذي كان ناقماً على يزيد بن المهلب لأنه عذب أصحابه ،
 وكانت أم الحجاج بنت محمد بن أبي يوسف الثقفي - وهي ابنة أخي الحجاج -
 زوجة يزيد بن عبد الملك . وكان يزيد قد توسط لأصحابه لدى ابن المهلب
 الذي رفض وساطته . وقد خشي ابن المهلب أن يفتك به فهرب من السجن ،
 لما علم بفراره عمر بن عبد العزيز ، وقصد البصرة حيث مرق في طريقة بقبيلة قيس
 فاتهموه ، غير أن الهذيل بن زفر ردهم عنه ٦ . واجتمع إليه في البصرة أهله
 وقومه ومواليه ٧ . وانضمت قيس وتميم إلى الوالي القيسي ، عدى بن أرطاة الفزاري .
 واستطاع يزيد بن المهلب أن يهزم عدواً ، فهرب رؤوس أهل البصرة من قيس وتميم ،
 ولحقوا بالكوفة والشام . ثم سار يزيد بن المهلب إلى الكوفة ، ماراً بواسط ٨ ،
 حتى نزل المقر من أرغ، بابل ، حيث التقى بجيش الشام والجزيرة الذي أنفذه يزيد بن
 عبد الملك ، بقيادة أخيه مسلمة ، وكان الهذيل بن زفر الكلابي على مسيرة الجيش .
 وقد رجحت كفة جيش الشام حيث انضم إليهم ناس من قيس وتميم ، وقتل يزيد بن
 المهلب سنة (١٠٢ هـ) ، وهرب آل المهلب إلى كرمان ، فأرسل مسلمة في
 طلبهم وقتلوا ، إلا من استطاع الفرار إلى الهند ٩ .

١ . النجوم الزاهرة ٢٢٣/١ . وكوة بن شريك، تولى مصر سنة ٩٠ للهجرة ،
 وكان سيء التدبير ، وتوفي في السنة نفسها التي توفي فيها الحجاج ،
 فتماعها الوليد للناس .

٢ . تاريخ الطبري ٥٥٤/٦ ، تاريخ ابن الأثير ٤٣/٥ .

٣ . تاريخ الطبري ٥٥٦/٦ ، تاريخ ابن الأثير ٥٥/٥ .

٤ . تاريخ ابن الأثير ٥٥٤/٥ .

٥ . تاريخ الطبري ٥٦٨/٦ .

٦ . انظر تاريخ الطبري ٥٥٦/٦ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٤٩/٥ .

٧ . تاريخ الطبري ٥٦٤/٦ .

٨ . عن فتنة ابن المهلب انظر : التنبيه والاشراف ٢٧٧ ، الميون والحدائق

٢٥/٣ وما بعدها ، تاريخ الطبري ٥٦٤/٦ وما بعدها ، تاريخ ابن

الأثير ٥٧/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢٧٩/٦ وما بعدها .

ومحمد القنء على ثورة ابن الصهلب ، اسندت ولاية العراق
وخراسان الى مسلمة بن عبد الملك ، غير أنه عزل في السنة نفسها لأنه لم يرفع
من الخراج شيئاً ، وعين مكانه عمر بن هبيرة الفزاري ، وكان شديد الرأي في
قيس ، فولى خراسان سميد بن عمرو الحرشي ، وهو من قيس ، وكان ممتزاً
بنسبه في عام ، شجاعاً مظفراً في مصادلة الصفد ، وقد خطب يوماً وكان
الناس يازاء المد وفقال :

فلست لعامران لم تروني
وأضرب شامة الجبار منهم
فما أنا فني الحروب بمستكين
أبي نسي والدي من كل ذم
إذا خاطرت أنفامي حي كعب
ويهدو أنه أخذ بمزة نفسه ، فأخذ يستخف بابن هبيرة ، ويكتب بانتصاراته
الى الخليفة مباشرة ، فكان أن عزله ابن هبيرة سنة (١٠٤ هـ) ، وولى
خراسان قيسياً آخر هو مسلم بن سميد بن زرعة الكلابي . وفي ولاية مسلم
كانت الوقعة بين المضوية وبين اليمانية والربمية بالبروقان ، من أرغ بلخ ،
وذلك أن مسلم بن عمرو قطع النهر على رأس حملة الى فرغانة ، ولما تباطأ
الناس عنه ، أرسل نصر بن سيار الى بلخ وكان عليها عمرو بن مسلم الباهلي
(اخو قتيبة) فمنع نصراً وجماعته دخول بلخ ، وتجمعت ربيعة والازد
بالبروقان متذرعين بأنهم لم يأخذوا اعطياتهم ، ويهدو أنهم حاولوا استغلال
تمرد عمرو وهو قيسي ، مما قد يحدث صداعاً في صف مضر ، كما ادعوا أن
مسلم بن سميد يريد أن يخلع ، ولكي تتم اللعبة ادعت تغلب الربمية
أن باهلة من تغلب ، فخرجت مضر الى قصر واشتد القتال ، وهزمت اليمانية
والربمية .

وقد ارتفعت منزلة قيس في المشرق خلافة يزيد لأن الولاة منهم
وروي أن عمر بن هبيرة الفزاري قال : " عسى أن أكون خير قيس ، انه
لم يضرني الي أمر أرى أنني اقدر في على منفعة وخير الا جردته اليهم " .
ولم تطل خلافة يزيد فقد توفي سنة (١٠٥ هـ) ، وخلفه هشام بن عبد
الملك ، فعزل عمر بن هبيرة الفزاري عن العراق وما كان اليه من عمل المشرق ،

١. تاريخ الطبري ٦/٦٢١ ، تاريخ ابن الاثير ٥/١٠٤ .

٢. أنظر تاريخ الطبري ٧/٣٠ ، تاريخ ابن الاثير ٥/١١٥ .

٣. تاريخ اليعقوبي ٣/٣١١ .

وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري من بجيلة . وكان خالد
قد أقنع يزيد بن عبد الملك بمدم استخلاف ابنه الوليد ، وبأن يمهّد
إلى هشام حتى لا يوقع الشر والانقسام في البيت الأموي ، فحفظ له
هشام جميله بأن ولاه المراق . وقد يكون السبب أن هشام بن عبد الملك
أراد أن يرضي يمانية المراق التي كانت لا تزال تحقد على الخلافة الأموية
بسبب هزيمتها على يد يزيد بن عبد الملك ، إذ يروى أن خالد القسري
كان يذكر اليمن وطاعتها في مجلس هشام^١ ولم يكن تولي القسري المراق
في مصلحة قيس وتميم ، وهما القبيلتان المضرّيتان اللتان أعانتا جيش الشام
على ابن المهلب . ولعل موقف الفرزدق التميمي من خالد يدل على
أن حلف مضر قد استاء من تولي خالد الأمر ، فقد استقبل الفرزدق خالدًا
بقصيدة هجائية^٢ . ولما سجن خالد القسري عمر بن هبيرة الفزاري هجى
الفرزدق خالدًا ، ومدح ابن هبيرة بعد أن كان هجاء^٣ . ولما سجن خالد
القسري الفرزدق قال لابنه : استمن بالقيسية ولا يملك منهم هجائي لهم ،
فإنهم سيفضون لك . وقال يحرش هشام بن عبد الملك على خلع خالد :
فإنار بقتل ابن المهلب خالد وفينا بقيات الهدى وأما مهلب
فغير أمير المؤمنين ، فإنها يمانية حمقاء أنت هشام مهلب
أرى مضر المصيرين قد ذل نصرها ولكن عسى ألا يذل شأ مهلب
فأعانه القيسيون وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إذا كان في مضر ناب ،
أو شاعر ، أو سيد ، وثب عليه خالد فحبسه^٤ . ولذا مدح الفرزدق
قبيلة قيس ، وأكد تحالف قيس وتميم :
ألم تر قيسا قيس عيلان ، شمتر لنصرى ، وخاطبني هناك فزومها
فقد حالفت قيس على الناس كلهم تميها ، فهم منها ، ومنها تميمها
وعادت عدوى ، ان قيسا لأسترتي وقومي ، إذا ما الناس عد صميمها^٥

وقد عزل خالد القسري والي خراسان القيسي ، واستعمل عليها أخاه اسدًا
الذي تمصب لبلالزد على مضر ، وادعى في إحدى خطبه أن أمير المؤمنين
أخوه خالد ، وأن معه اثني عشر ألف سيف يمني ، فاضطر هشام أن يعزل

- ١ . تاريخ اليعقوبي ٣١١/٢ .
- ٢ . طبقات فحول الشعراء ٣٥٢/ ، تاريخ ابن الأثير ١٢٤/٥ .
- ٣ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٦ .
- ٤ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٤/ . وقيل لابن هبيرة : من سيد أهل المراق ؟
قال : الفرزدق ، هجائي ملكا ومدحني سوقة .
- ٥ . انظر طبقات فحول الشعراء ٣٤٨ وما بعدها ، الأغاني ٣٥٣/٢١ وما بعدها .

خالدًا وأخاه عن خراسان سنة ١٠٩ هـ ، وأن يوليها قيسياً
هو أشرس بن عبد الله السلمي^١ ، الذي بقي والياً حتى سنة ١١١ هـ
حيث عزله هشام وولى الجنيد بن عبد الرحمن المري ، وهو قيسي كذلك ،
وقد تعصب الجنيد حتى أنه لم يستعمل إلا مضرياً ، وكان أكثر عمله من
قيس^٢ .

وفي سنة ١١٦ هـ عزل هشام الجنيد لأنه تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ،
وولى عاصم بن عبد الله الهلالي القيسي^٣ ، الذي لم يكد يستقر حتى ثار الحارث
ابن شريح التميمي بالنخذ ، ودعا إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والبيعة
للرضا ، وبعثه جمع كثير ، فاستطاع أن يحتل الفارياب وبلخ والجوزجان والطالقان
ومرو الروند ، وتوجه إلى مرو والشاهجان في ستين ألفاً ومعه فرسان الازد وتميم
ولكنه لم يفلح إذ استطاع عاصم أن يصد هجومه^٤ . ثم أرسل عاصم إلى هشام بن
عبد الملك ينصحه أن يضم خراسان إلى العراق ، لقربها ولتباعد أمير المؤمنين
منها ، وتباطؤ غيثة عنها ، فمزل هشام وضم خراسان إلى خالد القسري
فولاه أخاه أسدًا الذي ألحق بخاقان الترك هزيمة معاهقة ، مما أحســد
عليه القيسية في الشام^٥ . بقي أسد أميراً على خراسان حتى توفي سنة مئة
وعشرين للهجرة ، وفي السنة نفسها عزل هشام خالد القسري بسبب غناه
الفاحش ، فقتل ملك الضياع الكثيرة ، واستفل ولايته لصالحه ، واستخف بيمش
أشراف قريش ، فتضافروا مسمع أعدائه من القيسيين ، وأثاروا في نفس هشام
الخوف من يهوف نفوذ خالد^٦ .

وولى هشام العراق يوسف بن عمر الثقفي الذي كان والياً على اليمن ، وكان أحق
مناقضا^٧ كما كان صامداً شديداً فأخذ الناس بالشقاق^٨ . ولم يخف تعصبه
لقيس ، فحين استشاره هشام فيمن يولي خراسان ، أشار عليه بجماعة من مضر
وأكثرهم من قيس ، وأطرى القيسية ، ولكن هشام تنبه إلى ذلك فولى نصر بن
سيار الكناني ، وقال ليوسف بن عمر "ولكنك تقيست علي ، وأنا متخندق عليك"^٩ .

- ١ . انظر تاريخ الطبري ٤٧/٧ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ١٤٣/٥ .
- ٢ . انظر تاريخ الطبري ٦٩/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٦٩/٥ .
- ٣ . تاريخ الطبري ١٨٢/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٩٣/٥ .
- ٤ . تاريخ الطبري ١٨٣/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٩٤/٥ .
- ٥ . تاريخ الطبري ٦٩/٧ ، تاريخ ابن الأثير ١٨٦/٥ .
- ٦ . تاريخ الطبري ١٢٦/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٢٠٦/٥ .
- ٧ . تاريخ الطبري ١٤٢/٧ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٢١٩/٥ .
- ٨ . انظر تاريخ ابن الأثير ٢٢٥/٥ ، وفيات الأعيان ١٠٩/٧ .
- ٩ . وفيات الأعيان ١٠٧/٧ .
- ١٠ . تاريخ الطبري ١٥٦/٧ .

وقد تمصّب نصر في خراسان لمضر ، فلم يستعمل أربع سنين الا مضرباً ، ولما فرق عماله في خراسان قال رجل من اليمانية : ^٢ " ما رأيت عصبية مثل هذه ، فقال نصر : بلى ، التي كانت قبل هذه " ، مشيراً بذلك الى عصبية أسد . وقد أفسد تمصّب يوسف بن عمر الثقفي ، ورغبته فسي ضم خراسان اليه مودة نصر بن سيار لقيس . ففي سنة مئة وثلاث وعشرين للهجرة غزن نصر فرغانة ، وأوفد مفراً بن أحمر النهمري في وفد الى العراق ثم الى هشام ، فلما مر ابن أحمر بيوسف قال له : " يا ابن أحمر ، يفلّيك ابن الأقطاع - يعني نصراً - يا معشر قيس على سلطانكم " وأوصاه أن ييقّر بطن نصر عند هشام ، ففعل ابن أحمر ، ولما علم نصر جهة الخاقانية في خراسان^٣ ، حتى قال بعض الشعراء :

لقد بغي الله الكرام اليكم كما بغي الرحمن قيساً الى نصر
رأيت أبا ليث يهين سراتهم ويذني اليه كل ذي والث غمراً^٤
وفي سنة مئة وخمس وعشرين توفي هشام وخلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأسرع الى الانتقام من أجب هشام الى خلعه ، ومن أولئك بنو القمقاع بن خليل العباسي ، ^٥ ~~حيث~~ عزلهم عن قنشرين وهمض ، ودفعهم الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري لينتقم منهم ، وكان بنو القمقاع اساءوا الى عمر بن هبيرة بأمر من هشام^٥ . وإذا استثنينا هذه الحادثة فان الوليد قد تمصّب للنزارية وجفا اليمانية . وقد حظيت قيس عامة وثقيف خاصة باحترامه وتقديره ، لخواولته في ثقيف ، فأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف ، أخي الحجاج^٧ . وقد أبقى الوليد يوسف بن عمر الثقفي واليا على العراق ، واستعمل خاله يوسف ابن محمد الثقفي على المدينة ومكة والطائف^٨ ، واستعمل عبد الملك بن محمد ابن الحجاج الثقفي على دمشق^٩ . ثم بايع الوليد لابنيه الحكم وعثمان ، وكان خالد القسري ممن رفع البيعة فأغضب الوليد ، ولما أراد الحج نهاه القسري وجذره من مؤامرة عليه ، ولكنه لم يكشف له أبعادها ، فزاد غضبه^{١٠} . ويبدو أن يوسف بن عمر الثقفي استغل موقف الوليد من خالد ،

١. تاريخ الطبري ١٥٨/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٢٢٧/٥
٢. تاريخ الطبري ١٥٧/٧ .
٣. أنظر تاريخ الطبري ١٩٢/٧ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٥٥٢/٥
٤. تاريخ الطبري ١٩٧/٧ .
٥. تاريخ الطبري ٢٣٧/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٢٦٤/٥ ، الأغاني ٣/٧
٦. التنبية والاشراف / ٢٨٠ .
٧. نقائص جرير والفرزدق / ٩٣٩ ، التنبية والاشراف / ٢٨٠ ، تاريخ
٨. المعقوبي ٣٣١/٢ ، المعيون والحدائق ١١٢/٣ ، تاريخ الطبري ٢٥٣/٧
٩. تاريخ الطبري ٢٢٦/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٢٧٣/٥
١٠. تاريخ ابن الأثير ٢٣٧/٥ ، ١٠ . المعيون والحدائق ١٣١/٣

وحاجته الى الأموال فاشترى منه خالدًا بخمسين ألف ألف ، وحمله الى الكوفة ، وعذبه حتى مات سنة مئة وست وعشرين للهجرة^١ . وقد كان لمقتل خالد أسوأ الأثر في نفوس اليمانية الذين حفظوا جميله واعتبروه منهم ، كما أنهم لم يطبقوا حقيقة تنفذ وال قيسي في أمر الخلافة وهم أكثر أهل الشام ، فأخذوا يكيدون للخليفة ، ورووا على لسانه شعرا يفخر فيه بقيس والنزارية ، ويصنف اليمانية وينسبهم الى الضعف ، ومنه :
 وطئنا الأشعرين بمز قيس فـ فيما لك ، وطأة لن تستقـالا
 وكندة والسكون قد استعانوا نسومهم المذلة والخبـالا
 شددنا ملكنا بيني نـزار وقومنا بهم من كان مـالا
 وهذا خالد فينا قتـلا ألا نمصوه ان كانوا رجـالا
 ولو كانت بنو قحطان عربـا لما ذهبت صنائعه ضلـالا^٢

واستغلت اليمانية سوء سيرته ، وعداءه ليمى الأمراء من المؤمنين فاجمعوا على قتله ، وأتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك فبايعوه ، واستطاعوا ان يخلعوا على دمشق بعد أن هزموا المضرية . ثم جرد يزيد الى الوليد جيشا استطاع أن يقتله سنة مئة وست وعشرين للهجرة^٣ . في حصن البخراء ، بين حمص ودمشق ما يلي البحر^٤ . وكان قد لجأ اليه . وقد صور شعراء اليمانية ومن في فلكتهم مقتل الوليد على أنه أخذ بثأر خالد ، وأزال لقيس والمضرية ، ومن ذلك قصـول الاصـبح بن ذوالـة الكلبي :
 فمن مبلغ قيسا وخندف كلـها وساداتهم من عبد شمس وهـاشم
 قتلنا أمير المؤمنين بخالد وبمنا ولي عهدـه بالـدراهم
 وقول خلف بن خليفة البجلي :
 تركنا أمير المؤمنين بخالد مكبا على خيشومه غير ساجـد
 اقري بمد بالهوان فانـسا قتلنا أمير المؤمنين بخالد^٥

- ١ . الأخبار الطوال / ٣٤٧ ، التنبيه والاشراف / ٢٨٠ ، تاريخ الطبرى ٢٥٦/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٢٧٦/٥ وما بعدها
- ٢ . الأخبار الطوال / ٣٤٨ ، العميون والحدائق ٣/٣٢٢ ، تاريخ الطبرى ٢٣٤/٧ . ويحترس الطبرى فيقول : وقيل ان هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية . وانظر تاريخ ابن الأثير ٢٨٢/٥
- ٣ . في مقتل الوليد أنظر : تاريخ اليعقوبي ٢/٣٣٣ ، الأخبار الطوال / ٣٤٩ ، التنبيه والاشراف / ٢٨٠ ، العميون والحدائق ٣/١٣٠ وما بعدها ، تاريخ الطبرى ٢٣٠/٧ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٢٨٠/٥ وما بعدها .
- ٤ . التنبيه والاشراف / ٢٨١ ، الأغاني ٨١/٧
- ٥ . التنبيه والاشراف / ٢٨٠ ، تاريخ الطبرى ٢٦٠/٧

— ٨ —

واعتمد يزيد بن الوليد على اليمانية لأنهم نصره على ابن عمه ، وجفـاً
القيسية حتى روى أنه قال : " لولا أنه ليس من شأني سقاء الدماء
لما جلت قيساً ، فوالله ما عزت إلا ذل الإسلام " . وحاول يوسف بن
عمر الشقي أن يوقع بين اليمانية والمضرية في العراق ، لكنه لم يفلح ، فهرب
من الكوفة إلى البلقاء — لما علم بعزله وتولي منصور بن جمهور الكلبي —
فأرسل إليه يزيد من أتى به ، وحبسه مع ابني الوليد بن يزيد .
وفي اليمامة خرج بنو حنيفة على عاملهم القيسي علي بن المهاجر ،
وتجمعت العشائر القيسية التي كانت هناك ، ولم يخف القتال إلا بقدوم
المثنى الفزاري واليا على اليمامة أيام مروان بن محمد ، وقد تعصب المثنى
لقيس وأسكت بني حنيفة .

ولم تطل خلافة يزيد فقد توفي بعد ستة أشهر من خلافته ، وخلفه
أخوه الذي خلفه مروان بن محمد . ويذكر الدينوري أن المضرية اجتمعت
من أقطار الأرض ، وطالبت مروان أن يثأر للوليد بن يزيد . ويذكر السعدي
أن مروان كان يفرى بين القبائل ، ويفض بين العشائر واصطفى قيس
عيلان ، وانحرف عن اليمن ، وبادأها المداوة فصارت عليه الباء وله حرباً .
والمقتبوع أيام مروان المثقلة بالفتن والحروب ، يجد أنه اعتمد المضرية عامة ،
والقيسية خاصة . فهو قد خرج مطالباً بدم الوليد الذي أعانت اليمانية على
قتله . ثم أنه كان والياً على الجزيرة حيث تكثرت القبائل المضرية عامة والقيسية
خاصة . هذا إلى أنه محدم عندما تحرك — عقب مقتل الوليد — بثورة بعض
جنوده من اليمانية من أهل الشام ، بزعامه ثابت بن نصيم الجذامي ، وكان
مروان تركه لحماية الثغور في آسيا الصغرى ، وكانت حجة ثابت أنهم يريدون
المودة إلى دمشق لمبايعة الخليفة الجديد . وقد تمكن مروان من القبض على
ثابت ثم تحرك حتى أتى حران ، حيث جاءه كتاب من الخليفة يوليه ما كان بيد
أبيه من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان إن شاء بايع ، فقبل مروان .
ولما أتم مروان وفاة يزيد دعا قبيلة قيس وربيعة ، ففرض لستة وعشرين
ألفاً من قيس وسبعة آلاف من ربيعة ، وخرج يريد الشام ، فقتله وجوه قيس

- ١ . تاريخ الطبري ٢٧١/٧
- ٢ . تاريخ الطبري ٢٧١/٧ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٢٩٥/٥ — ٢٩٧
- ٣ . أنظر الأغاني ٢٤٦/٢٣ ، تاريخ ابن الأثير ٣٠١/٥ .
- ٤ . الأخبار الطوال / ٣٥٠ .
- ٥ . التنبيه والإشراف / ٢٨٣ .
- ٦ . أنظر تاريخ الطبري ٢٩٥/٧ وما بعدها .

- ٨١ -

في حوالي خمسة آلاف^١ ، فلما وصل قنسرين ، وبها بشر بن الوليد (أخو يزيد) وتضاف الجيشان مائة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري في القيسيين الى مروان ، وأسلموا بشرا وأخاه مسرورا ، فحبسهما مروان وتوجه الى حمص^٢ . ثم التقى بجيش سليمان بن هشام الذي أرسله ابراهيم بن الوليد ، يمين الجر - بين بعلبك ودمشق - واستطاع مروان أن يحقق انتصارا أهله للزحف الى دمشق في جيش جله من القبائل المضرية^٣ ، واستطاع دخول دمشق بعد أن قتل ابنا الوليد ويوسف بن عمر الثقفي بتأمر اليمانية وبمصر أمراء المؤمنين ؟

ويبدو أن مروان لم يأمن الإقامة في دمشق لكثرة اليمانية ، فانتقل الى حران - قسبة ديار مصر - ولتخذها عاصمة له^٥ . وهي نقلة ذات مغزى سياسي وقبلي . وقد رأت اليمانية في انتصار مروان انتصارا للمضرية ، فامتد الصراع حيث توجد اليمانية والمضرية في أجزاء الدولة . ففي سوريا ثار أهل حمص وجلبهم من أصول يمنية ، فاضطر مروان الى الرجوع من حران لقمع الفتنة . ثم وجه زعيما قيسيا هو أبو الورد - حفيد زفر بن الحارث الكلابي - في عشرة آلاف فقتلوا يزيد بن خالد القسري الذي ثار هناك ، وحرقوا البصرة من قرى اليمانية^٦ . ثم توجه أبو الورد الى فلسطين فهزم ثابت بن نعيم الجذامي الذي جمع رجاله من اليمانية وحاصر طبرية^٧ . ولم ييأس ثابت ، فقد هرب الى مصر في نفر من اليمانية ، ودعا الناس الى خلع مروان ، فقاتله زمان بن عبد العزيز بن مروان في جمع من قيس وهزموه^٨ . ولما ولي الحوثة ابن سهيل الباهلي مصر سنة مئة وثمان وعشرين للهجرة ، استطاع أن يقهر على ثابت ، حبه وأرسله الى مروان فقتله^٩ . وثار أهل تدمر وجلبهم من كلب اليمنية ، فسار اليهم مروان ، ولكنهم طلبوا العفو فصغح عنهم ، وأمر بهدم سور المدينة^{١٠} . ثم اجتمعت اليمانية في الشام الى سليمان بن هشام ، وعسكروا قرب قنسرين فهزمهم مروان^{١١} .

- ١ . انظر تاريخ خليفة بن خياط ٣٩١/٢ ، العقد الفريد ٤٦٦/٥ .
- ٢ . تاريخ الطبري ٣٠٠/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٣٢١/٥ .
- ٣ . الأخبار الطوال ٣٥١/٥ .
- ٤ . تاريخ خليفة بن خياط ٣٩٢/٢ ، تاريخ الطبري ٣٠٢/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٣٢٢/٧ ، وفيات الأعيان ١١١/٧ ، العقد الفريد ٤٦٧/٥ .
- ٥ . تاريخ ابن الأثير ٣٢٤/٥ .
- ٦ . تاريخ الطبري ٣١٣/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٣٢٩/٥ .
- ٧ . تاريخ الطبري ٣١٤/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٣٢٩/٥ .
- ٨ . النجوم الزاهرة ٨٥/١ - ٨٧ .
- ٩ . النجوم الزاهرة ٩٠/١ ، تاريخ ابن عساكر ٣٧٢/٣ .
- ١٠ . تاريخ الطبري ٣١٥/٧ .
- ١١ . تاريخ الطبري ٣٢٤/٧ وما بعدها ، تاريخ ابن الأثير ٣٣١/٥ وما بعدها .

وكذلك تأجج المراق بالعصبية والفتن ، فقد ولي مروان المراق قيسيا هو النضر بن سميد الحرشي ، ولكن اليمانية رفضت الوالي الجديد وانضمت الى الوالي السابق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالحيرة . أما المضربة فاجتمعت الى النضر بالكوفة ، وأخذ الطرفان يقتتلان . ثم تصالحا ليتمكنوا من مواجهة الخوارج بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني ، الذي استطاع الاستيلاء على الكوفة سنة مئة وسبع وعشرين للهجرة ، فهزب الحرشي وابن عمر الى واسط ، وهناك تجددت بينهم الحرب ، فوشت اليمانية مع ابن عمر ، والنزارية مع الحرشي ، ويفسر الطبري ذلك بقوله : " وذلك أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد الناقع بن الوليد حيث أسلم خالد القسري الى يوسف ابن عمر الثقفي حتى قتله ، وكانت القيسية مع مروان ، لأنه دأب بدم الوليد ، وأحوال الوليد من قيس ، ثم من ثقيف " .

ولما تحرك الضحاك الى واسط صارت كلمتهما واحدة ، ولكن الحرشي اضطر الى الانسحاب الى الشام ، أما ابن عمر فأقنعه منصور بن جمهور الكلبي - زعيم اليمانية - بمقد اتفاق مع الضحاك لأنه اعتبر حربهم مع الضحاك لمصلحة مروان ، وبذا تمكن الضحاك من السيطرة على المراق ، ومد نفوذه حتى اطراف الجزيرة في الموصل التي استولى عليها وطرده عامل مروان منها ^٢ . ولم يطل سلطان الضحاك على المراق ، فقد استطاع مروان أن يقتله سنة مئة وثمان وعشرين للهجرة ^٣ ، وولي المراق يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري القيسي ، فهزم الخوارج ، واستطاع أخذ عبد ابن عمر من واسط وحبسه في حران ^٤ .

ووقعت الفتن في خراسان ، وكان عليها نصر بن سيار الكتاني الذي كان متمصبا على اليمانية ، ميفضا لها . وعادى - ايضا - ربيعة لميلها الى اليمانية ^٥ ، ولا رغباطهما بحلف قديم يرجع الى أيام الجاهلية . وكان جديع ابن علي الأزدي ، المعروف بالكرماني ، شديد التمسب حتى انه لم يطلب له أن يبقى نصر بن سيار على خراسان في خلافة يزيد بن الوليد فقال : " كانت غاييتي من بني مروان أن يقلد ولدي السيوف فأطلب بثأر بني المهلب " .

١ . تاريخ الطبري ٣٢١/٧ .

٢ . انظر تفاصيل هذه الأحداث في تاريخ الطبري ٣١٨/٧ وما بعدها ،

تاريخ ابن الأثير ٣٣٤/٥ ، ٣٤٨ وما بعدها .

٣ . تاريخ الطبري ٣٤٤/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٣٤٨/٥ .

٤ . تاريخ الطبري ٣٥٠/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٣٥٤/٥ .

٥ . الأخبار الطوال ٣٥١/٧ .

٦ . تاريخ الطبري ٢٨٧/٧ .

ولما حبسه نصر استطاع ان يفلت من سجنه^١ ، واجتمعت اليه الأزد وسائر
 من بخراسان من اليمانية ، وانحازت اليهم ربيعة ، وجددوا حلفهم
 القديم^٢ ، وللحارث بن عبدالله بن الحشر الجعدي قطعة تفصح عن
 الانقسام ، وتحذر من مغبة الفتن ، وتنبي^٣ بمستقبل مظالم :
 أبيت أرعي النجوم مرتفقا^٤ اذا استقلت تجرى أوائلها^٥
 من فتنة أضحت مجلبة^٦ قد عم أهل الصلاة شاملها^٧
 من بخراسان والعراق ومن^٨ بالشام كل شجاء شاغلها^٩
 فالتاس منها في لون مظلمة^{١٠} دهما^{١١} ملتجة غياطلها^{١٢}
 يمسى السفه الذي يصفى بالجهل^{١٣} سواء فيها وعائلها^{١٤}
 يفدون منها في ظل مهمة^{١٥} عميا^{١٦} تفتالهم غوائلها^{١٧}
 لا ينظر الناس في عواقبها^{١٨} الا التي لا يبين قائلها^{١٩}
 كرهوة البكر أو كصهوة^{٢٠} طارقت حولها قوابلها^{٢١}
 فجاء فينا أوزى بوجهته^{٢٢} فيها خطوب حمر زلزلها^{٢٣}
 وقد حاول نصر أن يرأب الصدع بين الضرية وبين الأزد وربيعة ، ولكن
 دون جدوى ، مما أتاح الفرصة لأبي مسلم الخراساني الذي استغل هذا
 الصراع فاقوى أمره في بخراسان^{٢٤} ، ولم يستطع نصر أن يحصر الأزمة ، وخاف
 أن ينحاز الكرمانى في اليمانية والريمية الى أبي مسلم ، فحاول أن يحدث
 صدا في صف الكرمانى ، حيث كتب الى ربيعة بمرو شعرا^{٢٥} يستعطفهم ،
 ويحذرهم خطر العباسيين . ولما لم يجد أذنا صاغية احتال على الكرمانى
 حتى قتله^{٢٦} . وكان مقتل الكرمانى سببا في دق السمار الأخير في نمش الدولة
 الأموية بخراسان ، فقد انضم علي ابنه الى أبي مسلم وطالبه أن يثأر لأبيه ،
 فهرب نصر ، ودخل أبو مسلم مرو سنة مئة وثلاثين للهجرة^{٢٧} . ثم أرسل
 قحطبة بن شبيب الطائي في جيش كثيف ، قتل نباتة بن هنظلة الكلابي القيسي^{٢٨} ،
 عامل مروان على جرجان^{٢٩} . بعد ذلك ، توجه قحطبة الى العراق حيث التقى

- ١ . تاريخ الطبرى ٢٨٩/٧ .
- ٢ . الأخبار الطوال ٣٥٢/ - ٣٥٣ .
- ٣ . تاريخ الطبرى ٢٨٦/٧ .
- ٤ . الأخبار الطوال ٣٥٥/ ، ٣٥٧ .
- ٥ . الأخبار الطوال ٣٦١/ .
- ٦ . الأخبار الطوال ٣٦٢/ ، تاريخ الطبرى ٣٧٠/٧ .
- ٧ . الأخبار الطوال ٣٦٣/ ، تاريخ الطبرى ٣٧٧/٧ ، تاريخ ابن الأثير
٣٨١/٥ .
- ٨ . التنبيه والاشراف ٢٨٣/ ، تاريخ الطبرى ٣٩١/٧ .

ببزيدي بن عمر بن هبيرة الفزاري قرب الكوفة سنة مئة واثنين وثلاثين للهجرة ، وكان مروان قد أمد يزيد بحوارة بن سهيل الباهلي في عشرة آلاف من قيس . ورغم ذلك هزم يزيد وهرب إلى واسط ، وغرق قحطبة ! واستغل محمد بن خالد بن عبدالله القسري انتصار قحطبة فسود بالكوفة ، وأخرج عنها عامل ابن هبيرة ٣ .

وكان سلم بن كتيبة الباهلي على البصرة ، فقدم عليها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب عاملاً للمباسبين . ولكن سلماً امتنع بمن معه من قيس ومضر ومن كان بالبصرة من بني أمية ومواليهم ، فجمع سفيان اليمانية وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم ، واستطاع سلم أن يهزم سفيان ، وأن يحتفظ بالبصرة حتى أتاه مقتل ابن هبيرة ، وبواسط ، بعد أن هزم مروان بن محمد في موقعة الزاب ٥ سنة مئة واثنين وثلاثين للهجرة . ويذكر أن مروان هم أن يقطع الدرب حتى ينزل ببلاد الروم عليه يستأمن من ملك الروم ، ثم يحارب المباسبين بمن يلحق من أتباعه ، ولكن اسماعيل بن عبدالله القسري ، أخا خالد ، أشار عليه بالذهاب إلى مضر ، واعتبر ذلك خدعة منه لمروان الذي كان متعصباً على قحطبان .

ولم يستسلم القيسيون جميعاً في الشام والجزيرة بهزيمة مروان وانتصار المباسبين ، ففي البثنية وحموران خاف حبيب بن مرة البري على نفسه وقومه ، فخلع المباسبين ، وياخته قيس ٧ ، فقاتله عبدالله بن علي ، ثم اضطرا إلى مصالحته لما بلغه أن أبا الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر الكلابي خلع بقسرين وجل أهلها من قيس . واستطاع عبدالله بن أن يهزم أبا الورد ، وأن يقتله سنة اثنتين وثلاثين ومئة للهجرة . وفي السنة نفسها امتنع اسحاق بن مسلم المقلبي القيسي بسمساط ، وانضم إليه كثير من أهل الجزيرة ، وكان اسحاق يرى أن في عنقه بيعة لن يتركها حتى يموت صاحبها ، فحاصره أبو جعفر المنصور سبعة أشهر ، ثم صالح بعد أن علم اسحاق بمقتل مروان بن محمد ٩ .

- ١ . النجوم الزاهرة ٣١٢/١ .
- ٢ . التنبيه والاشراف ٢٨٣/٢ ، تاريخ الطبري ٤١٤/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٤٠١/٥ .
- ٣ . تاريخ الطبري ٤١٧/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٤٠٤/٥ .
- ٤ . تاريخ الطبري ٤١٩/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٤٠٦/٥ .
- ٥ . تاريخ الطبري ٤٣٢/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٤١٧/٥ .
- ٦ . الأخبار الطوال ٣٦٥/٣ ، مروج الذهب ٢٤٩/٣ وفيه " القشيري " وهو تحريف .
- ٧ . تاريخ الطبري ٤٤٣/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٤٣٢/٥ .
- ٨ . تاريخ الطبري ٤٤٣/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٤٣٢/٥ .
- ٩ . تاريخ اليعقوبي ٣٥٤/٢ ، تاريخ الطبري ٤٤٧/٧ ، تاريخ ابن الأثير ٣٣٤/٥ .

كلمة في شعر القيسيين :

=====

يذكر جرجي زيدان أن عدد الشعراء القيسيين في العصر
الأموي ستة وعشرون شاعرا ، وهو رقم بالغ في ضآلته ، فقد استطلعت
معرفة ما يقرب من مئتي شاعر من قيس وصلنا ببعض شعرهم الذي قيل في
العصر الأموي ، وهو هؤلاء الشعراء منهم المخضرم الذي عاش في الجاهلية
وازد به العصر حتى شهد العصر الأموي ، مثل النابغة الجعدي ،
وتميم بن أبي بن مقل ، ومنهم من قضى أكثر حياته في العصر الأموي ،
مثل الراعي النميري ، وليلى الأخيلية . ومنهم من كان من مخضرمي
الدولتين : الأموية والمباسية ، مثل طريح بن اسماعيل الثقفي ،
وابن ميادة ، وأبي حية النميري .

ورغم كثرة شعراء قيس في العصر الأموي إلا أننا نفتقد كثيرا
من دواوينهم التي عني بها القدماء ، ومنها ديوان يزيد بن الطثيرة
الذي اعتنى به الطوسي وجمعه^٢ ، كما جمعه أبو الفرج الأصفهاني^٣ .
وديوان تميم بن أبي بن مقل الذي عله أبو عمرو ، والأصمعي ،
وابن السكيت والطوسي^٤ ، وروى أبو مروان بن سراج شعر ابن مقل عن
أبي سهل الحراني^٥ . وديوان النابغة الجعدي الذي عله الأصمعي
وابن السكيت ، والطوسي^٦ ، ويذكر ابن خيرة أن شعر النابغة الجعدي
من الكتب التي حملها أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي إلى الأندلس ،
ويقع في خمسة أجزاء^٧ . وديوان أبي حية النميري صنعة الأصمعي^٨ .
ويذكر العيني^٩ أن من بين الدواوين التي اعتمدها : ديوان توبة بن الحمير
وديوان عبد الرحمن بن سيحان المحاربي ، وديوان ابن ميادة ،
وديوان الصمة بن عبد الله القشيري ، وديوان الراعي النميري ،
وديوان ليلى الأخيلية ، وديوان مزاحم العقيلي . ويذكر البغدادي^{١٠}
ديوان محمد بن بشير الخارجي ، وديوان عبد الله بن حمام السلولي .

١- تاريخ آداب اللغة العربية ٢٤١ / ١

٢- وفيات الأعيان ٣٦٨ / ٦ ٣- وفيات الأعيان ٣٦٩ / ٦

٤- الفهرست ١٧٨ / ٥- فهرسة ابن خيرة ٣٩٧ / ٦

٦- الفهرست ١٧٨ / ٧- فهرسة ابن خيرة ٣٩٦ / ٨

٨- الفهرست ١٧٨ / ٩

٩- المقاصد النحوية ٥٩٦ / ٤ - ٥٩٧

١٠- خزانة الأدب ، طبعة دار المصور ١٢ / ١ .

وأحيانا نجد القدماء يذكرون شعراء ، ولكننا لا نجد الا القليل من شعرهم .
ومن هؤلاء علي بن الغدير الغنوي الذي يصفه الآمدي بأنه " من
أشعر الناس " ، ومالك بن أسماء الفزاري الذي يصف المرزباني شعره
بالكثرة ^٢ ، وزينب بنت الطيرة التي يذكر ابن خلكان أن لها شعرا
كثيرا ^٣ ، كما يذكر المرزباني أن الطماح بن يزيد العقيلي شاعر مخضرم
كثير الشعر ^٤ ، ولم أعرف للشاعر عمرو بن حرثان الفهسي المدواني الا
قطعة قصيرة ذكرها المرزباني ^٥ ، وكذلك لم أجد لمضرهي بن حريث
المبسي الا ثلاثة أبيات ذكرها الآمدي ^٦ ، أما شيان بن الحارث
الفيطافاني فيذكر ابن عساكر أنه شاعر أديب ^٧ ، ولم أجد له غير ستة أبيات ^٨ .
وكان سوار بن أوفى القشيري يهاجي النابغة الجعدي ^٩ ، ولكنني لم أجد
لسوار شيئا يذكر في هذه المهاجة . ويذكر المسمودي أنه اختار أبياتا
من جيد شعر الحجاج ^{١٠} ، ولم أجد للحجاج الا الأقل من شعره ^{١١} .

ولبعض شعر القيسيين — فوق قيمته الفنية — قيمة تاريخية إذ يمكن
الالتكأ عليه في تفسير بعض ما أهمله المؤرخون ، كما نجد فيه سجلا لحركة
القبائل السياسية والقبلية في العصر الأموي . كما أن له قيمة جغرافية إذ
كثيرا ما يتكأ البكري وياقوت على هذا الشعر في محاولة تحديد كثير من الأماكن .
ويبدو أن الراعي النميري من أكثر شعراء العصر الأموي الذين تكثروا في شعرهم
أسماء الأماكن . أما قيمة شعر القيسيين اللغوية فواضحة من كثرة الاستشهاد
بشعرهم في كتب اللغة ، مثل جمهرة اللغة ، ولسان العرب ، وتاج
المعروس . . . وقد روى عن الأصمعي أنه قال : " من أراد الفريب الشديد
الثقة ففي شعر ابن مقل ، وابن أحمر ، وحמיד بن ثور الهلالي ،
والراعي النميري ، ومزاحم العقيلي . . . " . وفي الخصائص أن

- ١- المومتلف والمختلف / ٢٤٧
- ٢- الموشح / ٢٦٦
- ٣- وفيات الأعيان / ٦ / ٣٧٥
- ٤- الاصابة / ٢ / ٢٣٧
- ٥- معجم المشراة / ٤٦
- ٦- المومتلف والمختلف / ٢٨٥
- ٧- تاريخ ابن عساكر / ٦ / ٣٤٤
- ٨- تاريخ ابن عساكر / ٦ / ٣٤٦
- ٩- الاصابة / ٢ / ١١٧
- ١٠- مروج الذهب / ٣ / ١٣٣
- ١١- أنظر : النوادر / ١٧٨ ، مروج الذهب / ٣ / ١٣٣ ، تاريخ
ابن عساكر / ٤ / ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٢ .
- ١٢- المصون في الأدب / ١٧٣ .

الأصمعي " ذكر حروفا من الغريب ، فقال : لا أعلم أحدا أتى بها
 إلا ابن أحمر الباهلي ، منها الجبر ، وهو الملك . . . وقوله :
 اسلم براووق حبيبت به
 ومنها قوله كأس رنونة أي دائة ، وذلك قوله :
 يبيت عليه الملك أطنا بهتا
 كأس رنونة وطرف طمر
 ومنها مارية ؛ أي لولوة ، لونها لون اللؤلؤ . ومنها الهابوس
 وهو أعجمي ، يعني ولد الناقة . . . ويعلق ابن جني على ذلك
 بقوله : " والقول في هذا الكلم المقدم ذكرها وجوب قبولها ، وذلك
 لما ثبتت به الشهادة من فصاحة ابن أحمر . فاما أن يكون شيئا أخذه
 عن ينطق بلفظة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ، واما أن يكون
 شيئا ارتجله ابن أحمر فان الأعرابي اذا قويت فصاحته ، وسعت
 طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به ١ . ويذكر ابن سلام
 أن ابن أحمر صحيح الكلام كثير الغريب ٢ . وقال أبو عمرو بن العلاء :
 " كان ابن أحمر في أفصح بقعة من الأرض أهلا ، يذبل والقماقع "
 يعني مولده قبل أن ينزل الجزيرة ونواحيها ٣ . وعن أبي عبيدة :
 لم يسمع في النوء أنه السقوط الا في قول ابن أحمر :
 الفاخذ ، العادل ، الهادي نقيته والمستناء ، اذا ما يقحط المطر ٤
 ويعلق أبو عبيدة على قول تميم بن أبي بن مقبل :
 فمرت علي أطراب هر ، عشية لها توأبانيان لم يتفلخلا
 بقوله : سمى ابن مقبل خلفي الناقة توأبانيين ، ولم يأت به عربي ٥ .
 وروى أن ذا الرمة قال : ان مزاحما المقيلي " يقول وحشيا من الشعر
 لا يقدر على مثله ٦ . وكان الأصمعي يعتبر ابن ميادة وحكما الخضرى
 من ساقاة الشعراء ، وآخر من يستشهد بشعرهم ٧ . ويهلل بي الأمر
 لو استعرضت كل ما قيل في شعراء قيس ، ولعل فيما ذكرت ما يكفي
 للحكم لهم .
 وقد آن أن تتناول الموضوعات التي كثر دورانها في شعر القيسيين .

١- أنظر : الخصائص ٣ / ٢١ ، ٢٤ - ٢٥

٢- طبقات فحول الشعراء ٤٩٢ /

٣- الشعر والشعراء ٢٧٥ /

٤- لسان العرب ١ / ١٢٥ ، مادة "نوأ" .

٥- لسان العرب ١ / ٢٢٥ ، مادة "تأب" .

٦- الأغاني ١٩ / ٣٤

٧- فحول الشعراء ٥٣ / ، وانظر الأغاني ٤ / ٣٧٣ .

الشمر القبلي

استغرق الشمر القبلي النصيب الأكبر مما وصلنا من شعر الشعراء القيسيين ، فقد احدثت المصيبات ، وكثرت الفتن القبلية ما حال دون استقلال شخصية كثير من الشعراء عن شخصية القبائل التي ينتمون اليها ، بل ان كثيرا من الشعراء اسهموا في تأجيج نار المصيبة ، وفي اثاره الفتن القبلية ، وكأنهم أبواق شر ودعاة فتنة ، ينفثونها فيفرون بين الخصوم . كما أن من الشعراء من كان شيخا في عشيرته ، تأتمر بأمره ، وتشبع لهما الى الانتقام وسفك الدماء ، فلا يجد صعوبة في قيادتها الى اهلالة غيرهما ومن أولئك : زفر بن الحارث الكلابي ، وعمر بن الحباب السلمي ، والجحاف بن حكيم السلمي . وحيث ينطلق الشعراء يمجدون الفتك ، ويشيدون ببطولات القاتلين ، ويتشفون بمن قتلوا من خصومهم . ومثلا يلاحظ أن أكثر هذا الشعر قيل في الجزيرة الفراتية حيث تكثر القيسية ، وحيث اصطدمت بالكلبيين ، ثم اصطدمت بالتغلبيين . وهذا الشعر يصف الوقائع والأيام القبلية وصفا سريعا ، فجله مقطوعات قصيرة تستقل بغرضها ، ولا تلتفت الى التفاصيل الجزئية ، وانما يعشها بالدرجة الأولى تسجيل الانتصار الذي يعقب كثيرا من قتلى الطرف الثاني ، يقول عمر بن الحباب السلمي بعد أن أصاب الكلبيين يوم الفوير ، حيث هرب زعيمهم حميد بن حريث :

وأفلتنا ركضا حميد بن حيدل
ونحن جليبا الخيل قبا شوازا
إذا انتقصت من شأوه الخيل خلفه
تسائل عن حي رفيدة بعدما
والتقى الحيان يوم دهان ، ثم أغار عمير فأوقع بكلب ، وتحملت من منازلها ، وصاروا الى الفوير ، فقال عمير يهدد ويتمنى الانتقام ليوم دهان ويوم مرج راھط :

بشر بني القيس بطمن شرجي
ما زال امرأى لهم ونسجي
يشيع أولاد الضباع المـرج
وعقبتى للكور بعد السـرج

- ١ . الأغاني ٢٣ / ١٨٥ .
- ٢ . غاج : تثني وتعطف .
- ٣ . قب : ضوامر وكذلك شوازب
- ٤ . الأغاني ٢٣ / ١٩١ .
- ٥ . طمن شرجي : طمن مسيل .

حتى اتقوني بالظهور الفلج هل أجزين يوما بشيوع المـ
ويوم دهمان ويوم هـ

وقال أ:

شفيت الغليل من قضاة عنوة جزينا هم بالمرج يوما مشهرا
فلم يبق الا هارب من سيوفنا وقال أ يذكرو رحيلهم ، ويتشفى بمن قتل منهم :

يا كلب لم تترك لكم أرماء حنسا بلوى السماوة فالقويهر مرادا
يا كلب أحرنا السماوة فانظري غير السماوة في البلاد بـ
ولقد صكنا بالفوارس جمعكم وعد يدكم يا كلب حتى بادا
ولقد سبقت بوقعة تركتكم يا كلب بالحرب الفـوان بـ
وكذلك عيهم زفر حين أغار عليهم بتدري فقتل منهم كثيرا وقال ٣ :
يا كلب قد كلب الزمان عليكم وأصابكم مني عذاب مرسل
ان السماوة لا سماوة فالحقي بمنابيت الزيتون وابني بـ
وأرضك والسواحل انهارا أرغز تدوب بها اللقاح وتـ
وقال المجير بن أسلم القشيري يفتخر ببلائه ، ويتشفى بقتلى الكلبين :

أصبحت أم عمرو عدلتني في ركوي الى ضادى الصياح
فدعيني أفيد قومك مجدا تنديني به لدى الأثـواح
كل حي أذقت نعي هوئي بيني عامر الطوال الرـواح
وصد منا كلبا بكل أجـرد صاف ورجال معدة وسـلاح
ولما أوقع حميد بن حريث الكلبي ببني فزارة " بالماء " وأعطاهم عبد الملك
ابن مروان دياتا لقتلي ، اشتروا بالديات خيلا وسلاحا ، وأمدتهم
سائر عشائر قيس ، فأغاروا على ماء يدعي " بنات قين " يجمع بطونا من كلب ،
وقتلوا منهم كثيرا ٥ ، فقال أوطاة بن سمية :
صبحناهم غداة بنات قيس ملطمة مناكبها زـورا

١. الأغاني ١٦٧/٢٣ .
٢. الأغاني ١٩٥/٢٣ .
٣. أنساب الأشراف ٣٠٨/٥ ، الأغاني ١٤٣/١٦ . وفي البيت الثاني اقواء .
٤. الأغاني ١٦٢/٢٣ .
٥. أنساب الأشراف ٣٠٨/٥ وما بعدها ، الأغاني ١٤٨/١٦ وما بعدها ،
شرح حماسة أبي تمام ٩٥/٢ وما بعدها ، معجم ما استعجم ٢٧٩/١ .

فلما أن طالعنن نعين جمدا وقللى الماء اذ قتلوا غزورا^١
 بلأى ما تناول ملجموها نواصي قرح ذهبت صدورا^٢
 وقال مشيرا الى نكت الصلح الذى أراد به الملك :
 وقعننا وقعة بروءوس كالمسب شفت قيسا وأخفرت الأميرا^٣
 وقريب من قول أرطاة الأسبق قول عوف القوافي الفزارى :
 صبحناهم غداة بنات قيس ملطمة لها لجب طحوننا^٤
 كأن الخيل يوم بنات قيس يرين وراءهم ما يبتغينا^٥
 وقال مضرحي بن هريث ، أهد بني جذيمة بن رواحة العبسي ، وحمد
 فزارة لأنها أخذت ثأرها يوم بنات قين :
 ان يكن معشر سبقوا بوتبر فقد أدركت نيلك يا فزارا^٦
 على حين التهاجر والتمادى ونار الحرب تستمر استمارا^٧
 بكل طمرة مرطى سلسوق يكف لجاصها حداً مطبارا^٨
 ولما لجأ الكلبيون الى عبد الملك عيرهم زفر بن الحارث الكلابي ، وسخر
 منهم ، واتهمهم بالضعف ، واقتخر بقيس التي تأخذ ثأرها عنوة ، وتشقى
 بقتلى الكلبيين :
 بني عبد ود لا تطالب ثأرننا من الناس بالسلطان ان شيت الحرب
 ولكن بيض الهند تسمر نارننا اذا ما خبت نار الأعادى فما تخبو
 أباد تكم فرسان قيس فما لكم عديد اذا عد الحصا لا ولا عقب
 بأيد يهم بيض رفاق كأنهنا اذا ما انتضوها في أكهم الشهب
 فسبوهم ان انتم لم تطالبوا بثأركم قد ينفع الطالب السبب
 وما امتنع الأقوام عنا بنأيهم سواء علينا ألنأى في الحرب والقرب^٩
 وكذلك كثرت المقطوعات التي قيلت في الايام والوقائع بين قيس وتغلب في
 الجزيرة الفراتية ، وهي لا تخرج في شكلها وفي مضامينها عما قيل في
 الايام بين قيس وكتب . ويبدو أن الممارك كانت شديدة جدا لأن التغلبيين

- ١ . البيت الأول في معجم ما استمع من ٢٧٦/١ ، والبيتان : الثاني
 والثالث في شرح حماسة أبي تمام ١٠٠ / ٢
- ٢ . شرح حماسة أبي تمام ١٠١ / ٠
- ٣ . البيت الأول في معجم ما استمع من ٤٣٤/١ ، والبيت الثاني في
 شرح حماسة أبي تمام ١٠٠ / ٢
- ٤ . الموءتلف والمختلف ٢٨٥ / ٠
- ٥ . الأغاني ١٩٦/٢٣

- ٩٢ -

الى قومكم قد تعلمون مكانهم وكانوا جميعا حاضرين واديا^١

ثم ان قبيلة قيس تجمعت وعليها عمير ، وأتاهم زفر من قرقيسيا ، واستطاعوا أن يقتلوا كثيرا من بني تغلب يوم " الثرثار الثاني " ، ويذكر أن العامريين انهزموا ، وصبرت سليم حتى انهزمت تغلب فقتل عمير ابن الحباب :

فدى لفوارس الثرثار نفســــــــــــــــي
وولت عامر عنا فأجلــــــــــــــــت
أكا وحهم بد هم من سليــــــــــــــــم
وما جمعت من أهل ومــــــــــــــــال
وهولي من ربيعة كالجــــــــــــــــال^٢
وأعصر كالمصاعيب النهــــــــــــــــال

ولنفيح بن صفار المحاربي في يوم " لبي^٣ " يـذكر حرق التغلبيين قتلاهم لكثرتهم وحتى لا ينتنوا :

فان بماكسين ويوم لبــــــــــــــــي
حماة ظمار تغلب في مكــــــــــــــــر
جملتكم ناركم لهم قهــــــــــــــــورا
أردتم أن تجنوها فتخفــــــــــــــــسي
ملاحم ذكرها خزي وعــــــــــــــــار
تلطف بها الجيائل والنشــــــــــــــــار
لها منهم اذا شبت قــــــــــــــــار
بناركم اذا احترق الشنار^٤

ولأحد القيسيين في يوم " البليخ^٥ " يذكر بكرهم بطون النساء ، وقتلهم الرجال :
تسامت جموع بني تغلــــــــــــــــب
بقرنا النساء غداة البليــــــــــــــــخ
الينا فكنا عليهم والــــــــــــــــا
اذ جئتنا وقتلنا الرجال^٦

وفي سنة سبعين للهجرة كان يوم " الحشاك " وفيه قتل عمير بن الحباب السلمي ، حيث جمعت تغلب حاضرتها واديتها ، واضطر زفر بن الحارث أن يفارق عميرا ، وأن يلحق بقرقيسيا لأن عبد الملك بن مروان عزم على الحركة اليه^٧. ولما أخبر أسماء بن خارجة الفزاري بالكوفة بمقتل عمير ، قال يهدد ويتوعد :

يدى لك رهـن عن سليم بفارة
وتترك أولاد الفدوكس عالــــــــــــــــة
تشيب لها أصداء بكر بن وائــــــــــــــــل^٨
يتامى أيامى نهزة للقبائــــــــــــــــل

١. أنساب الأشراف ٣١٨/٥ ، الأغاني ٢٠٥/١٢ .
٢. أنساب الأشراف ٣٢٠/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٣١٢/٤ .
٣. لبي : مكان بالجزيرة قرب الموصل .
٤. نقائش جرير والفرزدق ، ١٠١٣٨/١٠١ .
٥. البليخ : نهر بين الرهتين .
٦. أنساب الأشراف ٣٢٣/٥ .
٧. أنساب الأشراف ٣٢٤/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٣١٦/٤ .
٨. أنساب الأشراف ٣٢٧/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٣١٧/٤ .

وقال زفر بن الحارث يتفجع ، ويطمئن قبيلة كلب بأن تنام فقد قتل الذي أرقها :

ألا يا كلب غيرك أوجمونني
ألا يا كلب فانتشرى ونامني
ولما ثار زفر لمير يوم " الكحيل " ، قال :

فان تاء تغلب قتلت عيميرا
وقد أفنى بني جشم بن بكر
قتلنا منهم مقتين صبيرا
وقتلنا نعدهم كراميرا
وقال :

فلو نيش المقابر عن عمير
غداة يقارع الأبطال حتى
فيخير عن بلاء أبي الهذيل
جري منهم دما مرج الكحيل^٤

وفي سنة ثلاث وسبعين للهجرة قتل عبدالله بن الزبير ، وهدأت الفتن ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فتدخل في الصلح بين قيس وتغلب ، وتكاثفت القبيلتان ، ولكن الأخطل التغلبي بعث نار المداوة من جديد عندما ذكر الجحاف بن حكيم السلمي - في مجلس عبد الملك - بمن قتل بنو تغلب من قيس ، وتعداه أن يثار لهم :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر
بقتلى أصيبت من سليم وعامر^٥
وكان رد الجحاف :

نعم سوف نبيكهم بكل مهند
ثم افتعل الجحاف - على لسان عبد الملك - عهدا يخوله جباية صدقات بكر وتغلب بالجزيرة ، وسار بجماعة من قيس فدهموا بني تغلب بالبشر ، وأعضموا فيهم القتل . وكان ابن الأخطل من بين القتلى ، أما الأخطل فقد أسرف ادعى أنه عبد فأطلق سراحه ، بالسي ذلك يشير نفيع بن

- ١ . أنساب الأشراف ٣٢٥/٥ ، العقد الفريد ٣٥٩/٣ .
- ٢ . الكحيل : من أرض الموصل في جانب دجلة الغربي .
- ٣ . أنساب الأشراف ٣٢٧/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٣١٨/٤ .
- ٤ . معجم ما استمعجم ٣٣٨/١ .
- ٥ . نقائش جرير والفرزدق ٤٠١/١ ، الكامل للمبرد ٩٨/٢ ، الشمر والشمراء ص ٣٩٥ . الأغاني ٢٠٠/١٢ ، معجم ما استمعجم ٦٣٢/١ .
- ٦ . الكامل للمبرد ٩٨/٢ ، الأغاني ٢٠٥/١٢ .

صفار المحاربي في قوله :

لم تنج الا بالتميد نفسه
وتشابها برق المباء عليهم

وقال الجحاف يخاطب الاخطل ، ويتشفى بمن قتل من تغلب ، ويذكر

هركي التغلبيين قتلاهم لكثرتهم :

أبا مالك هل لمتني اذ حضتني
أبا مالك اني اطمعتك في التي
بكل فتى ينمى عمرا بسيفه
نكحت بسيفي من زهير ومالك
لقد أوقدت نار الشمرنى بأروى
تحش بأوصال من القوم بينها
على القتل أم هل لا منسي لك لائم
حضضت عليها فعل حيران حازم
اذا اعتصمت أيمانهم بالقوائيم
نكاح اغتصاب لا نكاح الدراهم
عظام اللحى مفرزات اللهازم
وسين الرجال الموقد يهسا محارم

أما الاخطل فلجأ يستصرخ عبد الملك :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقمة
واضطر الجحاف الى اللحاق بالروم خوفا من عبد الملك ، ثم شفع له اشراف
قيس ، وألزم بدفع ديات القتلى ، فلجأ الى الحجاج القيسي فأعانسه
وقال الجحاف يذكر ذلك :

رحلت الى الحجاج أطلب رفسده
فأحفى سوءي ثم أقبل ضاحكا
على ثقة بالسلة والرهن قد غلق
الي وأعطاني الوفاء من السورق

وطبيعي أن نجد ، الى جانب هذا الشعر الذي يصور الأيام والوقائع
القبلية ، شعرا يحضرن على الثأر ، لا سيما حين يمتنى قوم الشاعر بالهزيمة
فيكثر فيهم القتل ، وهناك ينصرف الشاعر الى قتلى قومه لا ليوءبنهم فحسب ،
بل ليثير الهم الى أخذ الثأر عنوة . وكان هذا الشعر يجد صدى واسعا
بين افراد القبيلة . وقانون الثأر شريعة جاهلية ، حاربها الاسلام .
ولكنها عادت جذعة في العصر الأموي بفعل عودة الاحتدام القبلي كما كان عليه
في الجاهلية ان لم يكن أشد . وقد وقف غير شاعر داعيا الى الأخذ بالثأر

١. الأغاني ٢٠١/١٢ .

٢. الشمرنى : أحد البكريين اشار على بني تغلب أن يحرقوا قتلاهم
حتى لا يميروا .

٣. نقائش جرير والفرزدق / ٤٠٢ ، ٩٠٠ ، أنساب الأشراف ٣٢٦/٥ ،
الشعر والشعراء / ٣٩٥ ، الأغاني ٢٠٢/١٢ ، تاريخ ابن الأثير

٣٢١/٤ .

٤. أنساب الأشراف ٣٢٠/٥ ، الأغاني ٢٠٣/١٢ .

٥. أنساب الأشراف ٣٣١/٥ .

ومنهم زفر بن الحارث الكلابي الذي فاغت نفسه حقدا على الأمويين
والكلبيين عقب موقعة مرج راهط ، وطمح الأخذ بالتأثر على عقله وتفكيره ،
وقال قصيدته المشهورة فيها :

لعمري لقد أبقت وقيمة راهط
أذهب كلب لم تنلها رماحنا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا
ألا ليت شعري هل تصين غارتي
وقال قيسي آخر :

فلا صلح أو تزقو لمروان هامة
ولما فتك الكلبيون ببني نمير في تدمر ، قال زفر يحرر قومه :
هلا تأرتم وأنتم معشر أنف
قلبي بتدمر جافتها الخنازير

ولما دفع عبد الملك بن مروان شيخي فزارة : حلحلت بن قيس ، وسعيد بن
عينق إلى الكلبيين ليقتلوهما ، لأنهما أغارا على الكلبيين يوم بنات قيس ،
قال علي بن الفدير الغنوي يتهدد ويتوعد ويدعو إلى الانتقام :
لحلحلة القليل ولا بن بسدر
فبعد اليوم أيام طوال
وكل صنينة رمد ليوم
وبكى أرطاة بن سهبة المرى قلى قومه يوم بهات قين ، وخلص بكاءه بالتهديد
والوعيد :

فلا وأبيك لا ننفك نبكي
على قلى هنالك أوجعتنا
سنبكي بالرماح إذا التقينا
بطعن ترعد الأحشاء منه
ولعبد الله : بن خازم السلمي معبرا عن إصراره على التأثر لابنه محمد
الذي قله التميميون بخراسان :
أعزى عليه والمزاء سجيبي
وما أنا بالأسى على حدث الدهر
على قلى هنالك ما بقينا
وأنستنا رجلا آخرينا
على اخواننا وعلى بنينا
يرد البيض والأبدان جونا

- ١ . الوحشيات / ٥٠ ، التنبيه والاشراف / ٢٦٨ ، مروج الذهب ٢ / ٨٧ :
- الأغاني ١٤١ / ٩ ، تاريخ الطبري ٥ / ٥٤١ ، تاريخ ابن الأثير
- ١٥٢ / ٤ ، الحماسة البصرية ١ / ٢٦ .
- ٢ . أنساب الأشراف ٥ / ١٦٧ . وخالد هو خالد بن حصين الكلابي قتل
- يوم العرج .
- ٣ . حماسة البهتري ٣٤ / ٣٤ .
- ٤ . الأغاني ١٥١ / ١٦ .
- ٥ . الأغاني ١٣ / ٤٣ .

فلا صلح بيني ماحييت وسينكم
 وكان السمهري الملكي لصاً فافكا ، فاسلمه بنو أسد للسلطان فأمر
 بقتله ، فقال صديقه عبد الرحمن بن مسافع بن دارة الفطفاني يحرق
 قبيلة عكل على الثأر له من بني أسد :
 وكيف تنام الليل عكل ولم تنسل رضى قود بالسمهري ولا عكل
 فلا صلح حتى تنخط الخيل بالقتل وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل
 وإن أنتم لم تثأروا بأخيك فكونوا نساء للخلوق وللكنه
 ويبيعوا الردينيات بالحلبي ولأقعدوا على الذل وابتاعوا المنازل بالنبل^٢
 والشعراء ليناقي في التركيبة الاجتماعية التي كانت قائمة في مصر
 الأموية ، وهي تركيبة أسففت — الى حد كبير — في اثاره المصنوعات .
 ومربنا أن توزيع الحرب في الأمصار استند على أسس قبلية ، وهو توزيع
 فرضه نظام العطاء واستنفار المقاتلين^٣ " ولم يكن في استطاعة العرب عند
 بدء نزولهم في الأمصار أن يتصوروا تخطيطاً آخر يحل محل التخطيط القبلي فيها^٤
 وكان يمكن للقبائل العربية أن تتناسى أحقادها القديمة ، وأن تندمج في
 إطار اسلامي رائج ، لا يقيم وزناً للأصل ، ولا يحتفل بالنسب ، لو أن السياسة
 الأموية كانت راشدية . ولكن انتصار معاوية كان انتصاراً للتيار القبلي .
 وبقي معزلة خلفاء بني أمية — كما مربنا — يتأرجحون في انحيازهم الى هذه
 القبيلة أو تلك ، ما هيأ الظروف لاشتداد التيار القبلي . وعلى هدى
 الخلفاء سار بعض الأمراء ، فقد ذكر أن الأمراء الأمويين انقسموا على أنفسهم ،
 وكاد يكون بينهم شرقة لما حبس عبد الملك شيعي فزارة . فمن كانت أمه
 قيسية من الأمراء رفض قتل الشيعيين ، ورأى أن يكتفى بالدية ، ومن كانت
 أمه كلبية أصر على القصاص بالقتل .

-
- ١ — تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٧٧/٢ .
 - ٢ . الأغاني ٢٥٦/٢١ .
 - ٣ . المصيبة القبلية وأثرها في الشعر الأموي ٢٥٢/٢ .
 - ٤ . أنساب الأشراف ٣١١/٥ ، وانظر شرح حماسة ابي تمام ٩٦/٢ .
- وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ١١٧/٦ — ١١٨ .

وقد مررنا موقف بمصر الولاية والعمال من الاغراء بين القبائل ، وليس من شك في أن التحزب السياسي لفئة يستتبع مفاهيم مادية على حساب الفئات الأخرى " والصراع السياسي بين القبائل يحمل في الوقت عينه طابع صراع اقتصادي وهو صورة جديدة من صور الفزوال القبلي في العصر الجاهلي تلائم مقتضيات النهضة الجديدة " ، ولذا كان العامل الاقتصادي من العوامل التي أسهمت في إثارة الفتن القبلية . وإذا كانت الأمصار الجديدة مسرحاً لجل الأيام والوقائع التي تمت بين القيسيين وبين غيرهم من القبائل ، وخاصة القبائل اليمنية فإن المواطن الأصلية قد شهدت صراعاً بين العشائر القيسية نفسها ، لتجاورها المكاني الذي يقتضي تنافساً على المحال والأموال .

لهذه الأسباب مجتمعة نجد المماني القبلية تطفئ على غيرها في غير موضوع من موضوعات الشعر . وقد مررنا جانب من شعرهم الذي صور وقائعهم ، وجانب آخر من مراثيهم القبلية التي تبرز شريعة الثأر . وإلى جانب هذين الموضوعين كثرت المناقشات القبلية ، كما كثر الفخر القبلي .

١ . المصيبة القبلية وأثرها في الشعر الأموي / ٢٦٦ .

المناقضات القبلية : =====

فن النقائض فن متطور عن فن الهجاء ، وقد بلغ ذروته الفنية في العصر الأموي . ويمكن رد أسباب المناقضة الى خصومات قبلية أو شخصية . ويقرن الهجاء بالفخر في المناقضة ، فالشاعر لا يكفي بتجريد قبيلة المهجو من المناقب ، بل يضيف الى قبيلته مناقب تقابل مثالب الخصم ، فان رمى قبيلة الخصم بالضعف أضاف القوة الى قبيلته وهكذا . ويلاحظ أن الباديء بالهجاء يفرغ على مناقضه غير قيد ، ومن ذلك التقيد بالوزن ، والقافية ، وبمعنى المعاني ، أي أن " المبدأ الذي يقوم عليه فن المناقضة هو تتبع الشاعر معاني خصمه ونقضها وتفنيدها ، فاذا رمى الأول قبيلة الثاني بنقيضة عمد الناقد الى التبرؤ من وصفتها وألصقها بقبيلة خصمه ، وربما استعمل الناقد الفاظ خصمه بيمينها " . واذا كانت الأيام والوقائع بين القيسيين وغيرهم قد اتخذت مادة لنقائض الفحول ، أعني : جريرا والفرزدق ، والأخطل ، فان الشعراء القيسيين قد ساءلهموا في هذا الفن . ويلاحظ أن الجزيرة الفراتية هي أشهر نقائضهم مع غيرهم لا سيما من كلب وتغلب . وطبيعي أن يكون ذلك ، لأن الجزيرة الفراتية كانت أشهر مواطن العنف القبلي . فلما هزمت قيس في معركة مرج راهط ، ظل زفر بن الحارث الكلابي تصيده المشهورة التي بكى فيها القتي ، واعتذر عن الهزيمة ، وضمنها شعوره الحمادي لكلب وبنى مروان ، ومنها :

أبعد ابن عمرو وابن ممن تتابعنا ومقتل همام أرجي الأمانيا ؟
فلم تر مني نبوة قبل هذه فرارى وتركى صاحبي ورائيا
أيذهب يوم واحد ان أسأتسه بمالح أيامي وحسن بلائيا ؟
فكانت هذه القصيدة سببا دعا شعراء كلب واليمانية الى نقضها ، ومن هؤلاء جواس بن القعطل الكلبي الذي أجاب زفر بنقيضة تشفى فيها بما أصاب القيسيين ، وهجا زفر وقومه ، وفخر بقبيلته كلب ، ومنها :

لعمري لقد أبقت وقيمة راهط على زفر داء من الداء باقيا
تبكي على قتلى سليم وعامر وذبيان معذورا تبكي الهواكيا^٣
ولما افتخر عمرو بن مخلدة الكلبي ببلاء قومه يوم المرج ، وعير قبيلة قيس هزيمتها ، ورمها بالخزى والمار ، وذلك قوله :

١- المعصية القبلية وأثرها في الشعر الأموي / ٤٢٥ .

٢- تاريخ الطبري ٥ / ٥٤٢

٣- نقائض جرير والأخطل / ٢٦ الأغاني ١٩ / ١٤١ ، تاريخ الطبري

٥ / ٥٤٢ ، تاريخ ابن الأثير ٤ / ١٥٢ .

ويوم ترى الرايات فيه كأنهما
خلا أربع بعد اللقاء وأربع
فمن يك قد لاقى من المرح غبطة
فلن ينصب القيسي للناس راية
ولما زحفنا باليهوف فأقبلوا
أجابه زفر بن الحارث الكلابي بملقضة ، اغتخرف فيها على ابن مخلدة
بملاقعتهم بقريش حيث تبصمهم الرابطة المضرية ، ولا مناع للكلب من
الخنزوع لمضر ، سواء انتصرت قيس أو هزمت أمام أختها قريش :
فخبرت ابن مخلدة العمار بمشهد
علا لك به قوم كأنك وسطهم
فان لك نازعنا قريشا فانهم
فأى قبيلتنا وأملك ما يكن
واشتدت الوثائق بين قيس وكنب ، فاتصلت المهاجاة بين شعراء القبيلتين ،
فلما أوقع عمير بن الحباب بكلب يوم الاكليل ، قالت هند الجلاحية تهرغ
قومها على الثأر ، وترثي القتلى :
ألا هل ثائر بدماء قوم
وهل في عامر يوما نكير
فان لم يثأروا من قد أصابوا
أبعد بني الجلاح ومن تركم
تطيب لفائر منكم حياء
ثم التقوا ثانية وهزمهم عمير ، وأغار على الجوف فقتل منهم خمسين ،
ثم أغار على السماوة فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأجاب هند الجلاحية
وافتحى بقومه الذين داسوا بخيولهم التغلبيين :
ألا يا هند هند بني جلاح
ألما تهرى عنا بأنا
ألا يا هند لو عاينت يوما
غداة ندوسهم بالخيول حتى
ولو عطفت مواساة حميدا
وودى عبد الملك قتلى فندارة يوم المعاه ، فقال عمرو بن مخلدة
الكلبي يعيرهم :

- ١- نقائير جريرو والأخطل / ١٨ ، شرح حماسة أبي تمام ٢ / ١٩٥ .
- ٢- نقائير جريرو والأخطل / ١٩ ، أنساب الأشراف ٥ / ١٤٨ .
- ٣- الأغاني ٢٣ / ١٨٧ ، ٤- الأعضب : المكسور القرن .
- ٥- الأغاني ٢٣ / ١٨٧ .

خذوها يا بني زبجان عقلا على الأحياء واعتقدوا الخزاما
مواعد من بني مروان دينا ندافكم بها عاما فعاما^١
ولكن الفزاريين اشتروا بالديات سلاحا ، وأغاروا على بني عبد ود
وبني سليم من كلب ، فأوقعوا بهم يوم بنات قين ، فقال عوف القوافي
الفزاري يرد على ابن مخلدة :
فسائل جحجبي وبني عدى وتيم اللات من عقد الخزاما
فانا قد جمعنا جمع صدق يفرج عن مناكبه الزحاما^٢
ويبدو أن الكلابيين لم يرضوا عن تقريب عبد الملك القيسي بعد أن صالحهم
فقال عمرو بن مخلدة الكلبي ، أو جواس بن القمطل الكلبي قصيدة^٣
افتخر فيها ببطولته وبطولة قومه ، ولأم عبد الملك ، وذكره بد فاع
قومه عن منبر الملك يوم جبيرون ويوم المرج ، وهجا القيسيين ، ومنها :
ومستلحم نفست عنه وقد بدت مقاتله حتى أهل وكبرا
فلو كذبت من قيس بن عيلان لم أجد فخارا ولم أعدل بأن أتنبهرا
وما كان في قيس بن عيلان سيد يعد ولكن كلهم نهب أشقرا^٤
ضربنا لكم عن منبر الملك أهله بجبيرون إذ لا تستطيعون منبرا
وأيام صدق كلها قد علمت نصرنا ويوم المرج نصرا مؤثرا
فلا تكفروا حسنى مضت من بلائنا ولا تمنحونا بعد لين تجبرا
فأجابه معبد بن عمرو الكلابي بنقيضة افتخر فيها ببلائه ولاء قومه ،
وذكر أنهم هزموا خصومهم في بعض وقائع المرج :
لقينا بني كلب بخيل منيرة تشير عجايبها بالسناياك أكررا
فلما تلاقى القوم واختلف القنا وقارع أطراف الذكور السنورا^٥
سموت إلى قوم ولم أبغ غيره فأحبوه غضب الشفرتين مذكرا
وقلت لعبد الله دونه لهذا^٦ ترى في سماه طالع الموت أحمررا
فأوجرته رمحي وأعمل رمحيه فلم يخن شيئا غير أني قد تكسرا
وجالدهم بالمرج منا أعزة يرون المنايا مكرمات وفخررا
لدى غدوة حتى أتى الليل دونهم ومزق جلاباب النهار فأدبرا
فولوا سراعا وابتدعوا وكلهم يحث بعظام الساق طرفا مشمرا

١- أنساب الأشراف ٣١٠ / ٥ - ٢- أنساب الأشراف ٣١٠ / ٥

٣- نقائش جرير والأخطل ١١ / ١١ ، شرح حماسة أبي تمام ٦٦ / ٤

٤- نهب أشقرا : رجع الصالحاني أن يكون الشاعر أراد الروم ، لأن الغالب على الوانهم الصهبية وهم أعداء العرب .

٥- نقائش جرير والأخطل ٢٠ / ٢٠ - ٦- أي قارعت السيوف الدروع .

٧- اللهزم : كل شيء من سندان أو سيف قاطع .

- ١٠٢ -

ولما اشتدت الوقائع بين قيس وتغلب بالجزيرة ، نارت معركة لسانية
بين هيمراء القبيلتين . ففي أعقاب هزيمة قيس يوم الثرثار الأول ،
مقتل عمير يوم الحشاك ، قال الأخطل قصيدة طويلة بدأها بذكر
هند الفزارية ، وأظهر شماتته بما نزل بقيس ، وهجا نفيح بن صفار
المحاربي وعرض بالمشاعر القيسية ، واقتخر بفتك بني تغلب بهذه المشاعر ،
ومن القصيدة قوله :

وقد أصبحت منا هوازن كلها	كواحي السلامي زيد وقرا على وقر ^٢
ونقت بلا شيء شيوخ محارب	وما خلتها كانت تريش ولا تبرى ^٣
شأنفى النفس قتلى من سليم وعامر	ولم يشفها قتلى غني ولا جسر ^٤
وكان ابن صفار هجين محارب	كمقتبس مني شهابا على زعر ^٥
ألا يا ابن صفار فلا ترم العللى	ولا تذكر حيات قومك في الشعر
فنحن قلنا ابن الحباب مغربا	وقد كان سكرنا ونكم أيتا سكر ^٦
وكم من جنين بات ينزع نفسه	لقيسية قد هكها ^٧ السيف بالخصر
فأجابه نفيح بن صفار المحاربي بنقضة ^٨	بدأها بذكر هند القتابية التغلبية ،
واقتخر بقومه ، وهجا الأخطل وذكره يوم الكحيل حيث هزمت تغلب ،	
وسبى القيسيون كثيرا من النساء ، وقتلوا كثيرا من الرجال بعمير ، ومن	
القصيدة :	
ألا حي هندنا بالنبي الى البشر ^٩	وكيف تحييها على النأى والمجر
أبا مالك لو أدركنا ، رماحننا	لخر البواقي من نواهدك الخضر
وان ندماك الذين خذلناهم	أبا مالك عند الخنوءاساة والصبر

- ١- نقائش جرير والأخطل / ٢٨ وما بعدها ، والقصيدة في شعره
١ / ١٧٩ وما بعدها .
- ٢- الواحي : المنكسر . السلاميات : عظام مفروشة في ظهر القدم .
الوقرة : صدع في الساق .
- ٣- النقيض : صوت الضفدع . يقول هي تصايخب وليست ممن يضر
ولا ممن ينفع .
- ٤- سليم وعامر من أشراف قيس ، وغني بن أعصر وجسر بن محارب ليسوا
كسليم وعامر .
- ٥- ابن صفار : نفيح بن صفار المحاربي كان يهاجي الأخطل . زعر : فرع .
- ٦- ابن الحباب هو عمير . وقد كان سكرنا : أى يرد عنكم العدو كما يرد
السكر الماء .
- ٧- هكها : جرحها ومقرها .
- ٨- نقائش جرير والأخطل / ٣٨ وما بعدها ، ومنها أبيات في الحيوان
٤ / ٢٤١ ، وفي أنساب الأشراف / ٥ / ٣٢٠ .
- ٩- النبي : الرابية . البشر : جبل لفني .

- ١٠٢ -

ثووا اذ لقونا بالكحيل كما ثوت
فان تاء أبقتك الموارث بعد هم
فما كنت فيما بيننا غير ثعلب
تفر اذا ما كان يوم كرهه
وتسلم أبكار النساء وعوذها
ينادين حيي تغلب ابنة وائل
قتلت عميرا لا تمدون غيره
ويروى أن عبيد الله بن الحر الجعفي
ولما سجنه مصعب قال قصيدة يهجو القيسيين ومنها :
ألم تر قيسا قيس عيلان برقمق
لحاحا وباعت نيلها بالمفسنازل^١
ولما أطلق سراحه ، استطاع نفر من بني سليم أن يأسروه ، ثم قتلوه ،
فقال زفر بن الحارث قصيدة نقف فيها قصيدة ابن الحر ، ومنها :
ولمنا رأيت الناس أولاد علة
وأغرق فينا نزع كل قائل
تكلم عنا مشينا بسيوفنا
ألى الموت واستنشأ حبل المراكل
فلو يسأل ابن الحر أخبر أنها
يمانية لا تشتري بالمفازل
وأخبر أنها ذات علم سيوفنا
بأعناق ما بين الطلي والكواهل^٢
ودخل الراعي النضيري جرير والفرزدق ، ففضل الفرزدق ما دعا
جريرا الى هجائه وهجاء قومه النعميريين في بائعته^٣ المشهورة ، ومطلعها :
أقلي اللوم عاذل والفتابا
وقولي ان أصبت لقد أمابا
ومنها البيت المشهور :
ففض الطرف انك من نمير
فأجابه نمير بقصيدة دافع فيها عن نمير جمره العرب ، وذكر أنه يربأ

(١) في نقاش جرير والفرزدق بالرحوب بدلا من بالكحيل ، والبيت في
الحيوان هكذا :

ثووا اذ لقونا بالكحيل كما ثوى
شام الى يوم القيامة والحشر
٢- الشعاف : رؤوس الجبال وأطرافها . الغفر : ولد الوعل الصغير .
٣- الخمر : ما وارك من شجر أو غيره .
٤- الموز : جمع عايز وهي التي معها ولد يعوز بها .
٥- الهام : يريد ما كان أهل الجاهلية يقولونه : اذا مات الرجل
خرجت من رأسه هامة .

٦- تاريخ الطبري ١٣٧ / ٦ ، تاريخ ابن الأثير ٢٩٥ / ٤

٧- تاريخ الطبري ١٣٧ / ٦

٨- أنظر ص ١٩٧ من هذا البحث .

٩- القصيدة في ديوان جرير / ٥٨ .

بنفسه وقبيلته عن هجاء جرير وقبيلته ، لولا أن جريرا هجا بني
نمير :

نمير جمرة العرب التي لم	تزل في الحرب تلتهب التهايا
وأني إذ أسب بها كلها	فتحت عليهم للخسف بابا
فلولا أن يقال هجا نميرا	ولم نسمع لشاعرهما جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليب	وكيف يشاتم الناس الكلابا ١

ولج الهجاء - في الحجاز - بين المساور بن هند المبيسي
والمرار بن سعيد الفقمسي - الأُسُدي . ولم أقع - في الكتب
التي اهتمت بها - على سبب لهذه الخصومة . وفي " الأغاني " ٢ أن بني
فقمس غزوا رهط المساور لأنهم ضربوا المزار لما رأوه يحدث نساء هم ،
وقد تكون هذه الخصومة سببا في المهاجة بين المساور والمرار ، ومما
هجأ به المساور بني أسد قوله :

ما سرتني أن أمي من بني أسد	وأن ربي ينجميني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم	وأن لي كل يوم ألف دينار ٣

فأجابه المزار :

لست إلى الأم من عيس ومن أسد	وانما أنت دينار بن دينار
وان تكن أنت من عيس وأهم	فأم عيسكم من جارة الجار ٤

واشتدت معارك لسانية بين شعراء ينحدرون من أصل قيسي ،
ويلاحظ أن الجزيرة العربية أشهر مواطن هذه المعارك . فقد تهاجى
ابن ميادة والحكم الخضرى المزاربي ٥ . واصطدم أرطاة بن سهية المرى
بكل من : شبيب بن البرصاء المرى ، والربيع بن قعبن الفزارى ، وزميل
ابن عبد المناف الفزارى .

وليس بين أيدينا ما ينسب عن سبب المهاجة بين أرطاة وشبيب -
وكلاهما من مرة - . ويذكر الأصفهاني ٦ أن " لكل منهما في صاحبه
هجاء كثيرا ، وكان كل واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في
أشعاره " . ومن ذلك قول أرطاة يتهم رهط شبيب بأنهم يهود ،
وينفيهم عن بني مرة :

-
- ١- العقد الفريد ٣ / ٣٦٧ . ٢ - ١٠ / ٣١٨ .
 - ٣- الشعر والشعراء ٢٦٥ / ، الأغاني ١٠ / ٣١٨ .
 - ٤- الشعر والشعراء ٢٦٥ / ، ودينار بن دينار : أى عبد ابن عبد .
 - ٥- أنظار ص ٤٦٤-٤٦٧ من هذا البحث .
 - ٦- الأغاني ١٣ / ٣٢ .

- ١٠٥ -

وفي آل عوف من يهود قبيلة
أبي كان شيرا من أبيك، ولتزل
فلو كنت عوفيا عميت وأسهمت
ويبدو أن العداء استحكمت واشتد بين الشاعرين ، فلما هاجى شبيب
رجلا من غني زه وقيل من باهلة ، أعانه أرطاة على شبيب ، فقال
شبيب^١ يهجو أرطاة ويمغفه لأنه أعان عليه شاعرا من غير مرة :
لعمري لئن كانت سهية أوضمت بأرطاة في ركب الهيانة والفدر
فما كان بالطرف^٢ المتية فيشتري لقحلتها ، ولا الجواد إذا يجرى
أتنصر مني معشرا لست منهم وقد كنت أولى بالحياطة والتنصر
ويذكر أن أرطاة بن سهية قال يوما للربيع بن قعنبة كالعياشي به :
لقد رأيتك عريانا وهو عزرا
فأجابه الربيع :
لكن سهية تدرى أن أتيتكم
ثم لجع الهجاء بينهما ، وتناول كل منهما رهما الآخر بالسخرية والهجاء ،
ومن ذلك قول الربيع بن قعنبة يتهجم أرطاة بالخفة والوضاعة والبخل :
وما عاشت بنو عقان إلا
وما عقان من غطفان إلا
إذا نسرت بنو غيظ جزورا
طهارة اللحم حتى ينشجوه
فأجابه أرطاة ، وعيره بأن أمه من عبد القيس أكلت التمر :
وهذا . . . قد شاركت فيه
وأى الناس أخبت من هبل
وليس في أخبار أرطاة وزميل الفزاري ما يتنبى عن سبب تلاصقهما ،
ولما توعد زميل أن يجرع أرطاة كأس ابن دارة^٣ ، قال أرطاة يستخف

- ١- الأغاني ١٣ / ٣٣ ، كدى : جمع كدية وهي الأرض الفليضة ، يريد لو كنت من بني عوف لعميت مثل كثير منهم ، ولسهلت أرضك الفليضة .
- ٢- الأغاني ١٢ / ٢٧٧ . ٣- الطرف : الفرس الكريم الأطراف ،
- ٤- الأغاني ١٣ / ٤١ ، معجم ما استمع ٣ / ٣٨ ؟
- ٥- الأغاني ١٣ / ٤١ .
- ٦- الأغاني ١٣ / ٤١ . الهبل : الثقل المسن من الناس والابل .
- ٧- وسالم بن دارة من غطفان ، قتله زميل لأنه هجا ثابت بن رافع الفزاري ، وهجا فزارة فقال :
لا تأمن فزاريا خلوت به
على قلوبك واكتبها بأسيار .

بوعيده ، ويسخر من قوته :
يا زمل اني ان أكن لك سائقا
اني امرؤ أوفي اذا قارعتكم
فأجابه زميل متحديا :
يا أرتا اي تسك فاعلا ما قلت
فافعل كما فعل ابن دارة سالم
وثارت خصومة بين عقيل بن علفة المري وعوف القوافر الفزاري لأن بني مرة
تركوا تصر رهط عوف يوم ابن جرح ، فقال^٣ عوف يصف بني مرة :
كنا لكم يا مرأما حفية
وكنتم لنا سيفا وكنا رعاء
فأجابه عقيل بقصيدته^٥ التي أولها :
أما وى ان الركب مرتحل غدا
ومنها ينك قش عويفا ، ويملو عليه ، ويرد ما اتهموا به :
اذا قلت قد سامحت سهما وما زنا
وقد أسلموا أستا هم لقيلة
فما كنت أما بل جعلتك لي أختا
عوف استها قد رمت ويحك مجدنا
ولو أنني يوم ابن جرح لقيتهم

ترفض برجليك النجاة والحق
قصب الرهمان وما أشأ أتمرقت^١
والمرء يستحي اذا لم يصدق
ثم امش هونك سادرا لا تتق^٢
وعوف القوافر الفزاري لأن بني مرة
فقال^٣ عوف يصف بني مرة :
وكنتم لنا يا مصر يوا كمجدا
اذا نحن خفنا أن يكل فيفمدا
وحق ثوى نازل أن يزودا
ويرد ما اتهموا به :
أهل النسب الداني وكفرهم اليدا
قضاية يدعون هنا وأميذا
وقد كنت في الناس الطريد المشردا
قدما فلم تعد الحمار المقيدا
لجردت في الأعداء عضبا مهندا

وتهاجى عقيل بن علفة وابن خالته ، شبيب بن البرصاء - وكلاهما
كسان سيدا في بني مرة^٦ . وكان عقيل جافيا شرسا^٧ . ويذكر الأصفهاني
ان الذي هاج الهجاء بينهما اعتداء عقيل على جار لرهط شبيب كان
يطوف في بني مرة يتحدث الى النساء . وما قاله شبيب في هجاء عقيل ،
ويبدو أنه من نقضة :
ألا أبلغ أبا الجرباء عني
فلا تذكر أباك المبد وأفخر
فهبها مهرة لقت لمير
بآيات التباغض والتفالي
بأم لست تكرهها وخال
فكان جنينها شر البفال^٨

- ١- الأغاني ١٣ / ٣٧ . أتمرقت : أذهب
- ٢- الأغاني ١٣ / ٣٨ . الهون ومثله الهوينى : التوعدة والرفق .
- ٣- الأغاني ١٩ / ١٣٨ . وكان عوف من ساكني الكوفة .
- ٤- البر : جلد الميت من الحيوان يحشى تينا لتحن أمه بتقريبه اليها .
- ٥- الأغاني ١٩ / ١٣٨ ، الأغاني ١٢ / ٢٧١ ، ٢٨١
- ٦- الكامل للجرد ٢ / ٤٩ ، الأغاني ١٢ / ٢٧١ ، معجم الشعراء ١٦٤ /
- ٧- أنظر الأغاني ١٢ / ٢٧٣ ، القول في البفال / ١١٠ .

الفخر القبلي :

يتسم أكثر ما وصل من فخر الشعراء القيسيين بالسمة القبلية ، لأن الشاعر ظل مرتبطاً بهؤومته ، ممثلاً بانتماؤه إليهم . والفخر القبلي أكثر الأغراض لصوقاً بالهجاء القبلي^١ لأنها يحدان عن منيع نفسي واحد هو الشعر العصبى^٢ الذى يخيم ، بظله الثقيل ، على نفس الشاعر حتى في معرض فخره بشخصه ، حيث نجد أنه لا يغفل قبيلته أو رعاياه الأندلسيين ، بل أنه قد يربط مقامه بأسباب قبلية ، يقول عبد الله ابن الحشر الجعدي^٣

فلا وأسيء لا أعطي صديقي
ولكنني أمروء عودت نفسي
محافظة على حسبي وأرضي
ويقول من قسيدة أخرى :

سأبذل مالي إن مالي ذخيرة
ولست بميكاة على الزاد باسل
ولكنني سمح بما حزت باذل
بذلك أوصاني الرقاد وقبله
وصفا وصف به شبيب بن البرصاء نفسه نف قوله :
ألين لذى القربى مرارا وتلتوى
بأعناق أعدائي حبال تمرس^٥

وقد أكثروا من الافتخار بأيامهم ووقائعهم ، بحيث يمكن اعتبار شعرهم سجلا يؤرخ علاقة قبيلتهم وعشائرتهم بغيرها من القبائل والعشائر . وقد مر بنا جانب من شعرهم الذى قيل في وقائعهم القبلية في العصر الأموى . ويضاف الى ذلك ما قيل من شعر فنسروا فيه بأيامهم الجاهلية ، ومنه قول النابغة الجعدي من قسيدة^٦ هجا فيها سوار بن أوفى القشيري ، وفخر بمآثر عشيرته ، وذكر بعض أيامهم القديمة ومنها

- ١- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموى / ٥٣٩ .
- ٢- شرح حماسة أبي تمام ٤ / ٢٥٧ ، معجم ما استمعتم ١ / ١٨٣ .
- ٣- ورد والرقاد : ابنا عمرو بن عبد الله بن جعدة ، وكانا قتلا بعض الملوك غدرا ، فهم يفخرون بذلك .
- ٤- الأغاني ١٢ / ٢٧ .
- ٥- الأغاني ١٢ / ٢٨٠ ، حبال تمرس : يشتد الترسواؤها .
- ٦- شعر النابغة الجعدي / ١٠٣ .

يوم "رحرحان" لعامر على تميم :
 فقل هم رحلوا يوما الى ملك
 كما فعلنا بحسان الرئيس وابن الجون ان لا يريد الناس اقبالا ١
 ان ائمتد عامر لا شيء يحبسهم حتى يروا دونهم ضيا وأنوالا ٢
 حتى عطفناهم عطف الشروس وهم يلقون مما تخاف النفس بلعبالا ٣
 نحن ا لفوارس يومي رحرحان وقد ظنت هوازن أن المزد قد زالا ٤
 وله ٥ يذكر يوم شعب جبلة بين عامر و تميم :
 ونحن حبسنا الحي عيسا وعامرا لحسان وابن الجون ان قيل اقبالا ٦
 وقد ائمتد عن ذي بحار نساهم كاصفاد نسر لا يرومون منزلا ٨

- ١- عناة : جمع عان وهو الأسير ، وكل من ذل واستكان فقد عناة .
- ٢- حسان : هو حسان بن عامر بن الجون . والجون الكلبي ملك هجر .
 وكان لقيط بن زارة عزم على غزو بني عامر للأخذ بثأر أخيه معبد الذي قتله العامريون يوم رحرحان ، وبينما هو يتجهز ان أتاه الخبر بحلف عيس وعامر ، فاستنجد النعمان بن المنذر والجون الكلبي ، غير أن العامريين هزوهم . أنظر (أيام العرب في الجاهلية / ٣٩٤ في الحديث عن يوم شعب جبلة)
- ٣- هضب : واحد الهضاب ، وهي جذبات القطر بعد القطر .
 النول : الوادي السائل .
- ٤- الشروس : صفة للناقة ، وناقة غروس : سيئة الخلق تعثر حالبها .
 البلبل والبليلة : الهم ووسواس الصدر .
- ٥- رحرحان : جبل قريب من عكاذ خلف عرفات ، قيل هو لخطافان ، وكان فيه للعرب يومان ، أحدهما لعامر على تميم .
- ٦- شعر النابغة الجعدي / ١١٥
- ٧- حبسنا الحي : وذلك في يوم شعب جبلة حين أشار الأحوص ابن جعفر على قومه بني عامر أن يهربوا من بني تميم وحلفائهم ، فمضوا من ذلك عمرو بن عبد الله بن جعدق ، وأشار عليهم بالرجوع الى شعب جبلة . أنظر أيام العرب في الجاهلية / ٣٥٢
- ٨- ذوبحار : على لفظ جمع بحر : موضع مذکور ، محدد في رسم صفي ضرية . ويقال أيضا : بحار ، غير مضاف . قال أبو بكر :
 بحار موضع ينجد ، أحسبه .

عافنا لهم عطف النورس فصادفوا من الهزيمة الحمراء عزا ومذلا^١
 وافتخر النابغة الجعدي بغارة قومه على النعمان بن المنذر ، ملك
 الحيرة ، وهو على سفوان - ماء من البصرة - حيث أخذوا أضرأته
 المتجردة في نسوة من نساءه ، وهرب النعمان فلهق بالحيرة ، يقول
 الجعدي^٢:

جلينا الخيل من تثليث حتى أتينا على المنقى مسكات
 أتينا على المنقى مسكات يمارضهن أخضر ذو ظلال
 وظل لنسوة النعمان منا فأردنا حليته وجئنا
 أتينا على أواره فالمدان^٣ خفاف الوطء من جذب الزمان^٤
 على حافاته فلق الدنان^٥ على سفوان يوم أرواناني^٦
 بما قد كان جمع من هجان^٧ وافتخر عقيل بن علفة المري برهله الذين قتلوا شرحبيل بن الأسود بن
 المنذر^٨ قتلنا شرحبيلا ربيب أبيكم بناصية المفلوب ضاحية عضا^٩

وكذلك أكثرنا من التوقيع على الفخر بأصرة النسب ، فمنهم من
 استوهى عصبته العاسمة ، أعني نسبه في قيس ، يقول أوطاة بن

- ١- الهزيمة الحمراء : هي جيلة التي وقع فيها يوم شعب جيلة ، لمار من قيس وحلفائهم من عيس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرهما . وجيلة : جبل عظيم طويل يقع بين الشريف : وهو ماء لبني نضير ، والشرف : وهو ماء لبني كلاب ، وله شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من قبله ، وهو متقارب وداخله متسع .
- ٢- أنظر نداء جرير والفرزدق / ٤٠٤ ، والأبيات في شعر الجعدي / ١٦٢ .
- ٣- تثليث : موضع من ديار بني تميم ، وواد بنجد أيضا وهو على يومين من حرسين . أواره : ماء دوين الجريب لبني تميم . المدان : قال البكري : سيف كل بحر ونهر وليس بموضع بعينه .
- ٤- المنقى : موضع على سيف البحر مما يلي المدينة .
- ٥- ذو ظلال : يعني البحر . فلق : جمع فلقة ، وهي الشق .
- ٦- سفوان : اسم ماء على قدر مرحلة من باب المريد . السافي : وهو التراب . يوم أروانان : الشديد في كل شيء من حر أو برد أو جلبة .
- ٧- الهجان : كرائم الأموال وأشرفها .
- ٨- أنظر تفصيل الخبر في الأغاني ١١ / ٩٤ وما بعدها .
- ٩- الأغاني ١١ / ١٠٩ . المفلوب : سيف الحارث بن ظالم . ضاحية : علانية وجهرا .

- ١١٠ -

سهية المرى مفتخرا ، في مصرى هجائه حياشة الأسدى ،
 ان تدع خندف بغيا أو مكاثرة
 قد نسي الحق حتى ما يجاورنا
 ان تدع القبائل من قيس بن عيلان
 نيني لاخرنا مجدا نشيده
 والحق يحبسنا في حيث يلقتنا
 انا كذاك ورثنا المجد أولانا ١
 ولا بن ميادة :
 واني من قيس وقيس هم الذرى
 اذا ركب فرسانها في السنور ٢
 وله أيضا :
 ولو أن قيسا قيس عيلان أقسمت
 على الشمس لم يطلع عليكم حجابها
 ولو حازمتنا الجن لم نرفع القنا
 على الجن حتى لا تهر كلابها ٣

ومنهم من استوحى عصبية الضيقة ورهطه الأدين . وهذا الضرب
 من المفاخرات القبلية كثيرة - في الغالب - المداوات التي كانت تقوم
 بين القبائل المتنافسة في منازلها ، والمتنافسات التي كانت تقوم بين
 شعراء البطون في القبيلة الواحدة ٤ . ومن هذا الضرب قول يزيد بن
 الحكم الثقي يفخر ببيته في ثقيف ، وكان الحجاج أراد أن يولييه فارس ،
 فاستنشد به معنى شعره وهو يطمح في مديحه ، ولكن ابن الحكم خيب ظنه
 حين جعل مفاخر ثقيف في بيته :

ومن يك سائلا عني فاني
 أنا ابن الصيد من سلفي ثقيف
 وفي وسط البطاح محل بيتي
 محل الليث من وسط الزريف
 وفي كعب ، ومن كالحى كعب ؟
 حللت ذؤابة الجبل المنيف
 حويت فخارها غورا ونجدا
 وذلك منتهى الشرف الشريف
 نماني كل أسيد لا يعصف
 يحمل المفضلات ولا غنيص ٥

وفآخر أرطاة بن سهية شبيب بن البرصاء ، وكلاهما يرى شرف
 مرة في بيته ورهطه الأدين ، يقول أرطاة ٦ :
 أنا ابن صرمة ان تسأل خياريهم
 أضرب برجلي في ساداتهم وتدى

١- الأغاني ١٣ / ٣٧

٢- شعر ابن ميادة / ٨٠

٣- شعر ابن ميادة / ٢٠

٤- انظر : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي / ٥٦٣

٥- خزانة الأدب للبغدادى ١ / ٧٩

٦- الأغاني ١٣ / ٣٥

٧- صرمة : هو ابن مرة بن عوف بن سعد بن أسلاف أرطاة .

ومن بني مالك أم وزافرة ١
ضربت فيهم بأعراقي كما ضربت
ولشبيب بن البرصاء ٢
اني امرؤ لي رواب لا يشققها
ان المكارم والاحسان عودهما
أنا ابن عوف ، ومنى ان فخرت به

لا يدفع المجد من قيس الى أحد
عروق ناعمة في أبطح شدد ٣
سيل الأتي ولا تتسارع أوتادي ٤
من آل مرة : أعماي وأجدادي
بنو سنان ومسعود بن شداد ٥

ومن المماني التي أضافها الشعراء الى عشائهم وقبائلهم في العصر
الأموي معنيان يحتلان ، الصدارة هما : القوة والكرم . وهما من
فضائل الصحراء ، فقد طالما تفنى بهما الجاهليون . ومعلوم أن كثيرا
من شعراء الدولة الأموية نشأوا في البادية ، فبقيت فضائلها تسرى
في عروقهم ، كما أن التجمعات القبلية جعلت الاحتكام الى منطق القوة
مشروعا في كثير من الأحيان ، لاسيما في غياب قوة الدولة أيام الفتن
السياسية والقبلية ، وهي كثيرة . ومن التباهي بالقوة القبلية قول سهم
ابن حنظلة الفنوي :
تحمي غني أنوفا لا تذلل ولا
ولأرطاة بن سهية ٦
وقد علمت أفناء مرة أننا
حماة لأسساب المشيرة كلها
وكان عبد الله بن المشرح الجعدي جوادا مدحا ٨ ، وجعل ما وصل
من شعره في الاشادة بكرمه ، ووفرة بذله ، ومنه قوله يريد على لائمه :
أبي لي جدي البخل مذ كنت يافعا صغيرا ومن يبخل يلم ويضلل
ويستغفن عنه الناس ، فاركب محجة الكرام ودع ما أنت عنه بممزل
وقوله ١٠ يفتخر بكرم قومه وقوتهم ، فهم عزومون يلينون أبي التلاتل

- ١- زافرة : عشيرة وأنصار . ٢- أعراقي : أصولي . ناعمة : النبتة
الحسنة الغذاء والرى . أبطح : سيل واسع . شدد : ندى .
- ٣- طبقات فحول الهراء / ٥٦٧ .
- ٤- الأتي : السيل الغريب لا يدرى من أين أتى . وأراد بالأوتاد :
أصول نسبه لأنها أوتاد الأرض ، وهي الجبال .
- ٥- سنان : أخو جد شبيب . ومسعود بن شداد بن غطفان من عمومته .
- ٦- تهذيب الألفاظ / ٣١ ٧- الأغاني ١٣ / ٤٣
- ٨- الأغاني ١٢ / ٢٣ ٩- الأغاني ١٢ / ٢٩
- ١٠- الأغاني ١٢ / ٣٢ .

في حربهم ؛
أبي لي ما قد سقتني غير واحد
كهول وشبان مضوا لسبيلهم
هم الغيث ان ضنت سماء بقطرها
وهرب يخاف الناس شدة عرها
حموها وقاموا بالسيوف لحملها
فلما أبت الا طمأحا تنمروا
فذلّت وأعطت بالقياد وأزعت
وكانت طموح الرأس يصرف نابها
فلما امترينا بالسيوف خلوفها
فدرت طباقا وارعوت بعد جهلها
ويشيد المجير السلولي بقوة قومه ،
فيهمهم بكثرة القتال ، وبالسخاء والكرم ،
فهم يحلبون دماء البزل برماحهم اذا نزل القحط ، وثلّت الألبان ، :
فان بني كعب رجال كأنهم
تحلب أيد يهم نجيفا وناثلا
مروها بأطراف الموال ، فأسبلت
نجيما له تحت اللبان خر يسر^٨
ويبدو ما قد منا ، أن أظهر خصائص الفخر القبلي اعتماده اللفظ الفخيم
قوى الجرس . فالشاعر يهول في ألفاظه ، كما يبالغ عنان خياله
ليسبح في مبالغة تنفخ قبيلته وينتفخ هو معها ، لأن الفخر مرتبط بالعضى
عن الحقيقة ، والايان المتعجرف بالتفوق والغلبة ، وهما أمران
يستبدان بصاحب المنطق القبلي .

- ١- تصرف : تصرف ٢- تعجرف : ركب الأمر دون ترو
٣- تتقشف : ترتعد ٤- يتصلف : يتكبر .
٥- طيقات فحول الشمرء / ٥١٨
٦- بنو كعب : يعني كعب بن عائشة جده الأعلى . الشرى : غياض
وآجام ومأسدة ، كثيرة الأسد . والممنى أنهم يخمون مواضع المخافقة
ويدرأون عن قومهم الشر والعيب والنقيصة .
٧- النجيع : الدم الطارى المصبوب . البزل : جمع بازل ، بصير وناق
بازل : اذا انشق نابها في السنة التاسعة .
٨- مري الضرع : حليه . الموالى : جمع عالية . وهي أعلى القناة
التي يركب فيها سندان الرمح ، ويعني أطراف الرماح .

الشعر السياسي

قل شعر القيسيين السياسي بالقياس إلى شعرهم القبلي قلة ملحوظة ، ولعل سبب ذلك أن شعراء قيس لم ينتظموا في الأحزاب السياسية المشهورة التي بقيت تعارض الأمويين حتى دالت دولتهم . كانت القيسية — وخاصة في الشام والجزيرة الفراتية — زبيرية الهوى لكن الزبيرية انتهت بمقتل عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، كما أن القيسيين شغلوا عن زبيريتهم بمراعاة القبلي ، الذي كان يحمل في الوقت نفسه معنى سياسياً . ويلاحظ أن شعر القيسيين السياسي — الذي وصلنا — لا ينتظمه خط عام شأن شعرهم القبلي . ولهذه الظاهرة أسباب تتعلق بشخصيات الشعراء أكثر مما يفسرها موقف الجماهة القبلي ، وإذا كان ابن ارقطة ، عبد الرحمن ابن سيحان المحاربي يقول في الأمويين :

غطارفة ساسوا البلاد فأحسنوا سياستها حتى أقوت لمردف^١
لأنه كان من حلفائهم ، فإن بكارة الهلالية هالها أن ترى الأمويين يحكمون ، وكانت تأمل أن تموت قبل أن ترى عجائب الزمان ، وحكم الأمويين :

قد كنت آمل أن أموت ولا أرى فوق المناير من أمة خاطبها
فاله آخر مدتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبها^٢
في كل يوم لا يزال خطيبهم وسط الجموع لآل أحمد عائها

ورأى بشير بن أبي العباس أن معاوية أشبه كلياً في تجبره ، ولكن ليس في الأمة حساس يفتك به :

قد سرت سير كليب في عشيرته لو كان فيهم غلام مثل حساس
الطاعن الطعنة النبلاء عايدها كطرة البرد ، أعيا فتقهسا الآسي^٣

ولما بايع معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بولاية العهد ، عارض عبد الله بن همام السلولي مبدأ الوراثة ، ورأى فيه كسروية غير مشروعة ، وهجا الأمويين ، وسخر منهم ، وتضمن قوة رادعة تصيدهم إلى مكة :

١. الأغاني ٢/ ٢٤٩ . مردف : تابع

٢. بلاغات النساء ٤٠ /

٣. النوادر ١٥١ / ، والهيتمان في الحيوان ٣٢٣ / ١ لرجل من بني كلاب . عايد : العرق يسيل فلا يرقأ .

لقد ضاعت رعيتكم لديكم
 اذا ما مات كسرى قام كسرى
 وكل الناس نحن ميايموه
 وان جئتم برملة أو بهند
 نثبت ملككم واذا أردتم
 فيها لهفي لو أن لنا أنوفاً
 اذا لضربتم حتى تعودوا
 حشيناً الفيظ حتى لو شربنا

تدرون الأرناب غافلينـــــــــــــــــا
 نعد ثلاثة متابعينـــــــــــــــــا
 وان شئتم فمكم السمينـــــــــــــــــا
 نايحها أميرة مؤمنينـــــــــــــــــا
 بنا الصلاصلاء قلنا مخبتينـــــــــــــــــا
 ولكن لن تعود كما عنينـــــــــــــــــا
 بمكة تلحسون بها السخينـــــــــــــــــا
 دماء بني أمية ما روينـــــــــــــــــا ١

ويبدو أن ابن همام كان قلباً يميل مع الرياح ، فقد جبن لما تولى يزيد
 الأمر وخاف من عبيد الله بن زياد ، والي الكوفة ، فأرهن عريفه عند
 ابن زياد ، وأتى يزيد بن معاوية ، فعزاه عن معاوية وهناه بالخلافة ٢ ،
 ورغبه في البيعة لمعاوية الثاني ، أي أنه أصر على مبدأ الوراثة الذي
 كان عارضه :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة
 أصبحت لا رزء في الأقلام تعلمه
 أعطيت طاعة أهل الأرض كلهم
 وفي معاوية الثاني لنا خلف

واشكر عطاء الذي بالملك أصفاك
 كما رزئت ، ولا عقبى كمقباك
 فأنت ترعاهم والله يرداك
 اذا نعيمت ولا نسمع بمنعاك ٣

ولابن همام قصيدة ٤ ثانية عزي فيها عن معاوية ، وأشاد بمدله فترته
 بأبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، وأوصى بني حرب المؤمنين بالمحافظة
 على الخلافة ، وأن يدبروها بينهم فيبايع يزيد لمعاوية الثاني ، فان
 ظفروا فليظفروا اللين ، وان وجدوا من يحارص فليجنحوا الى القوة ،
 وليكرهوا الناس على الطاعة :

١. الوحشيات / ١٠٢ ، مروج الذهب ٢٨/٣ وفيه الخ أن الشعر لعبد
 الرحمن بن همام السلونسي ، ويبدو أنه تحريف ان لم أجد شاعراً
 بهذا الاسم في غير مروج الذهب . وانظر أنساب الأشراف ٤ / قسم
- قسم ٦/٢ - ٧ .
٢. أنساب الأشراف ٤ قسم ٧/٢
٣. أنساب الأشراف ٤ قسم ٥/٢ ، الكامل للمبرد ١١٢/٤ ، مروج
 الذهب ٦٦/٣ ، الشعر والشعراء ٥٤٦/٥ ، المقد الفريد ٣٧٤/٥
- زهر الآداب ٥٩/ ، معاهد التنصيص ٢٨٧/١ .
٤. طبقات فحول الشعراء ٥٢٢/٥ ، أنساب الأشراف ٤ قسم ٥/٢ ،
 شرح حماسة أبي تمام ١٤٢/٣ ، والقصيدة في نقاش جرير
 والأخطل / ١ لعلي بن الفدير الفنوي ، ولم أجد ما يؤيد ذلك
 في غير النقاش ويبدو أن ابا تمام كان يستلمي ذاكرته ببعض الأحيان .

تمزوا يا بني حرب بصبر
لقد وارى قلبكم بيانا
اما لا يجور كان فيها
فماض الله أهل الدين منكم
مجانبة المحاق وكل نحس
تلقها يزيد عن ابيه ،
أدبروها بني حرب عليكم
فان دنياكم بكم الحماة ثنت
وان ضجرت عليكم ، فاعصوها
وتنسب لابن همام قصيدة ثالثة يرغب يزيد في أن يخسم الأمر ، ويباع
لمعاوية الثاني ، وأن لا يترك الخلافة تنتقل الى دار غير دارهم ،
كما يدعوه الى استصلاح جند الشام ، والى ترك مبدأ الشورى ، فليس
لمن يسأل الشورى الا القوة والحزم ، وكيف يستشار من ساهم في مقتل
عثمان بن عفان ، رضي الله عنه :

يزيد يا ابن أبي سفيان هل لكم
انا نقول ويقضي الله مقدرنا
اعزم عزيمة أمر غيه رشدا
واعهد بقالكم خذها يزيد فقل
ان الخلافة ان تثبت لثالثكم
عيشوا وأنتم من الدنيا على ثقة
فلا تحلنها في دار غيركم
فما لمن سالك الشورى مشاورة
أنى تكون له شورى وقد قتلوا
خير البرية راعوا المسلمين به

فمن هذا الذى يرجو الخلود ؟
وهلما لا كفا له وجودا
به الصديق أو عمر الشهيد
ورد لنا خلافتكم جديدا
مقاربة الايمان والسعدا
فدونكها معاوى عن يزيد
ولا ترموا بها الغرض البصيدا
فأولوا أهلها خلقا سديدا
عصا تستدر به شديدا
الى ثناء وود غير منصرف
وما يشأ ربنا من صالح يدم
قبل الوفاة وقطع قالة الكلم
خذها معاوى غير العاجز الهرم
تثبت أو اخبئها فيكم ولا ترم
واستصلحوا جند أهل الشام للبهيم^٢
انى أخاف عليكم حسرة الندم
الا بطمن وضرب صائب خذم
عثمان ضحوا به في الأشهر الحرم
ملحبا خرجت اثوابه بدم^٤

١ . المحاق : آخر الشهر القمري أمحق الهلال وهو ما يتشاءم به .

٢ . البهيم : المشكلات من الأمور .

٣ . سالك : عوى سالك .

٤ . الأبيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ مع بيتين آخرين في أنساب الأشراف

٤ قسم ٢ / ٥ ولا يقطع البلاذرى أنها لابن همام ، بل يقول :

" وقال - أى ابن همام - أو غيره " والقصيدة في نقائص جرير

والأخطل ٣ / لملي بن الخدير الغنوى .

ويذكر أن عمرو بن أحمر الباهلي هجا يزيد بن معاوية ، واستخف به ، فرأى أنه لا يصلح لغير التزين ، وأنه لن يطاع حتى يكره الناس على ذلك :

أبا خالد هذب جميلك لن ترى بهمينيك^{وندا} آخر الدهر جائيسا
ولا طاعة حتى تشاجر بالقنا قنبا ورجالا عاقدين النواصيا^١

ورغم أهمية موقعة مرج راهط السياسية إلا أنها لم تتخضع عن شعر سياسي ذي شأن ، وقد مر بنا أنها تمخضت عن صراع قلبي بين القيسية واليمانية وخاصة قبيلة كلب .

ولملي بن الفديسر الفنوي طاعة^٢ ينصح فيها القيسيين أن

لا تهلكهم الفتنة ، لأن المستفيد منها قريش ، كما يدعوهم إلى توحيد صفوفهم وإلى معرفة المدو ، وأن يتركوا قبيلة قريش تقتل فلها برها ، وعليها آثامها ما دام الملك فيها .

فمن يبلغ قيس بن عيلان كلها	بما اجتاز منها أرغى نجد وشامها
فلا تهلككم فتنة كل أهلها	كحيران في طخياء ^٣ داج ظلامها
فشأن قريش بالخصومة بينها	إذا اختصمت حتى يقوم امامها
هم أخذوها بين حثف معجل	وخطة خسف لا تزال تسامها
فضموا جناحيكم إلى مرجحة ^٤	معا حربها ان حاربت أو سلامها
وشيموا سيوف الهند حتى تبينوا	على أي اعداء تسل حسامها
وخلوا قريشا تقتل ان ملكها	لها وعليها برها وآثامها
فان وسعت أحلامها وسعت لها	وان عجزت لم يدم الا كلامها
فان قريشا مهلك من أطاعها	تنافس دنيا قد أحمر انصرامها ^٦

١ . شعر عمرو بن أحمر الباهلي / ١٧٥ .

٢ . نقائش جرير والأخطل / ٢٣ ، معجم الشعراء / ١٣١ ، جمهرة

أنساب العرب / ٢٤٧ .

٣ . الطخياء : ظلمة الليل . يقول : دعوا قبيلة قريش تختصم لتنتخب

لها اماما وتجنبوا الفتنة لئلا تهلكوا .

٤ . مرجحة : أي كتيبة عظيمة .

٥ . شيموا : اغمدوا - ها هنا - ، وشيموا يكون سلوا .

٦ . أحمر : دنا .

ورأت سبرة بنت الحارث النميرية أن قبيلة قريش هي سبب البلاء
 في منج راخط ، وأن الثأر المنيم في قريش :
 قريش هم الثأر المنيم فاث تسلسل فتلك دماء شافيات لدائيا ٢
 ألا انما يشفي المريض دواؤه وكانت قريش لو أصيبت دوائيا
 أما سهم بن حنظلة الغنوي فدعا الله أن ينصر المؤمنين فهم وارثو
 النبي صلى الله عليه وسلم ، كما تشفى بقتل الضحالك وهجا ابن
 الزبير وزفر بن الحارث وتمنى مقتل زفر :

نصر الاله بني أمية انه من يخطه سبب الخلافة ينصر
 الوارثين محمدا سلطاناه وجواز خاتمه وعود المنير
 لما لقوا الضحالك ضل ضلاله في يوم موت للجبان محير
 خطبوا سيوفهم بحبل نخاعه وفلقن هامته وراء المفير
 ألق السلاح أبا خبيب انه عار عليك وخذ وشاحي معصر
 لنسوأ دركت زفر الضلالة خيلنا لتركنه لخوامع ولا تسير ٢
 وهذا موقف شاذ لشاعر قيسي " شامي " . وقد بحثت عن السبب
 فلم أجده ما يشفي ، وقد يكون ذلك راجعا الى بقاء العداء الجاهلي
 بين عامر وغني ، مكينا في نفس سهم ، آية ذلك أن له قصيدة ٥
 هجا فيها قبيلة عامر ويطونها .

واستنكر ابن همام السلولي سياسة الزبيريين : آل
 وقد جرب الناس آل الزبير فلاقوا من الزبير الزبير ٦
 وقد يكون هذا البيت من قصيدة قالها ابن همام ليكسب ود المختار
 الثقي الذي ثار بالكوفة ، سنة ست وستين للهجرة ، داعيا الى ابن
 الحنفية ، ومناديا بالثأر لآل البيت ، واستطاع المختار أن يطرد عامل
 ابن الزبير ٧ . وقد وقف ابن همام - أول الأمر - مناوئا للشيمة ،

- ١ . بلاغات النساء / ١٧٥ . وفيه " المنير " و " سل " ويبدو أنه
 تحريف ان لا يستقيم الوزن .
- ٢ . أنساب الأشراف / ١٣٩ .
- ٣ . الإصابة ١١٦ / ٢ .
- ٤ . انظر نقاش جرير والفرزدق / ٣٣٥ وما بعدها .
- ٥ . أنظر الحيوان / ٢٥٨ / ١ ، ٣٣٣ / ٤ ، القول في البفال / ١٠٩ ،
 عيون الأخبار / ٨٧ / ٢ ، الحماسة البصرية ٢٨٧ / ٢ .
- ٦ . جمهرة اللغة / ٢٥٥ ، الزبير : الكدر .
- ٧ . تاريخ الطبري ٧ / ٦ .

- ولما ظهر المختار استأمن عبد الله بن شداد الجشمي لابن حمام
منه ، فأنشد ابن المختار شعرا أيد فيه حركته ، وكان
ابن حمام شيمي مع أنه كان عثمانيا ، يقول :
فمن وزير ابن الوصي عليهم وكان لهم في الناس خير شفيع
وآب الهدى حقا الى مستقره بخير ايا بآه ورجوع
الى الهاشمي المهتدي المهتدي به فنحن له من سامع ومطيع^٢
- وكان عبد الله بن الحشر الجعدي يكره عبد الله بن خازم
والزبيرين ، لأن ابن خازم الذي يقول :
أعيش زبيرى ~~للمهوى~~ فان أمت فاني موصها متي بدلتزير^٣
- قتل والده ، وكان غلب على قهستان^٤ ، ولذا مدح ابن الحشر محمد
ابن مروان ، قاتل مصعب بن الزبير ، ورأى أن ابن مروان أقام دين محمد
صلى الله عليه وسلم ، بعد أن ضل الناس :
أقام لأهل الارض دين محمد وقد أدبروا وارتاب كل مضلل
فما زال حتى قوم الدين سيفه وعزبحزم كل قرن محجل
وقادر أهل الشك شتى ، فمنهم قتيل وناج فوق أجرد هيكل^٥
- ويذكر أن محمدا بن مروان كان يقوم بأمر ابن الحشر ، ويوليه الأعمال ،
ويتشفع له الى أخيه عبد الملك^٦ ، وهذا لم يصدر ابن الحشر ، في
شعره السابق ، الا عن نفسه .
- ولقيس بن الهيثم السلمي قصيدة^٧ رثى فيها عبد الله بن الزبير
وأخاه مصعبا ، وفيها يذكر أنه ذل بمدهما ، ولذا تمنى أن لو
قتل ولم يصبح مطيحا لأهل الشام ، لأن عبد الملك بن مروان
-
- ١- تاريخ الطبري ٦ / ٣٥ ، وانظر حياة الشعر في الكوفة / ٣٦١ .
٢- تاريخ الطبري ٦ / ٣٥
٣- وفيات الأعيان ٣ / ٧٤
٤- الأغاني ١٢ / ٢٣
٥- الأغاني ١٢ / ٣٠ . عز : غلب . القرم : السيف من الرجال .
٦- الأغاني ١٢ / ٣١
٧- تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ / ٤٢٢ .

— الذي نزل السبيل — يذكره الثأر والمداء :

فقدنا مصعباً وأخاه لما
نفدت عنا سماءهما المحولا
فوالهفي ولهف أبي وأمي
لقد أصبحت بمدى زليلا
ويا لهفا علي ما فات بني
ألا أصبحت في القتل قتلا
ولم أصبح لأهل الشام نصبا
ولا وفدا يمد ولا غناء
ولكن بين ذلك بين بين
ورأى علي بن الفدير الفنوي أن الأمة أكرهت علي عبد الملك ، فاستخف
بها :
خليفة أمة قصرت عليه
تخط فاستخف بمن يدين ٢

وقد مر بنا أن الوليد بن يزيد تمصّب لقيس عامة ، ولشقيف خاصة
لخو ولته فيهم ، وكان الوليد يقدم طريحا الشقي ويكرمه ٣. ويذكر
الأصفهاني ٤ أن طريحا استفرغ شعره في الوليد . ويبدو أن طريحا
كان مقدرا الحنطة السياسية والقلبية التي شنها خصوم الوليد عليه .
قفي مدح طريح له نراه يزيكي خلافته ، ويرى أنه امام الهدى يرفقه
الله بالكرم والتقوى ، وأنه مجتهد فيهما ولي ، وأن الناس أثلجت
صدورهم لتوليهِ الخلافة ، وسجدوا حمداً لأن أمرهم قد صلح بمد
طول فساد :

أنت أمام الهدى الذي أصلح الله به الناس بمد ما فسدوا
لما أتى الناس أن ملكهم . اليك قد صار أمرهم يسجدوا
وعج بالحمد أهل أرضك حتى كاد يهتز فرجة أحد
أثلجهم منك أنهم علموا أنك فيما وليت مجتهد
كنت أرى أن ما وجدت من الفرجة لم يلق مثله أحد

١- الذحول : الثأر ، المداوة .

٢- أنساب الأشراف ٣١٢ / ٥ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر

٣٠٩ / ٦

٣- الأغاني ٣٠٩ / ٤

٤- الأغاني ٣٠٩ / ٤

حتى رأيت العباد كلهم قد وجدوا من هواك ما أجد
يرفمك الله بالتكرم والتقوى فتعلموا وأنت ممتضد
قد صدق الله ما دحك فما في قولهم فرية ولا فند ١

ورأى ابن ميادة في مقتل الوليد بن يزيد ثمة في صف الأمويين ،
ولذا دعاهم الى رأب الصدع حتى يلتئم شملهم :

لقد فعلت بنو مروان فعلا نديما ما يسوغ به القراح
فهل لكم الى أمر رشيد فتصطلحوا ففي ذاكم صلاح ٢

ورغم أن القيسيين كانوا القوة الرئيسة التي اعتمد عليها مروان بن
محمد - آخر خلفاء الأمويين - ، الا أنه لم يصل اليها شعر يصور
موقفهم السياسي من مروان وخصومه .

-
- ١- أنظر القصيدة في الأغاني ٤ / ٣٢٣ وما بعدها .
٢- الميرون والحدائق ٣ / ١٤٧ ، شعر ابن ميادة / ٣٣ .

في الهجرة والحنين :

=====

شعر الحنين نتيجة طبيعية لحماية أولئك الذين هاجروا
من مواطنهم الأصلية ، واستقروا في البلاد المفتوحة والأصا
الجديدة ولو إلى حين . وهو باب جميل من أبواب الشعر
الاسلامي ، لأنه يكتنف بنطاق وجداني عميق تتدفق فيه
المشاعر بحمارة وصدق . ويشغل فيه الشاعر نفسه عن نفسه ،
فتأتي أبياته في غاية الرقة واللطافة ، وتقل المقدمات التقليدية ،
ويصب أكثره في محور طويلة لأنه وليد لحظات حالمة مآنية .

ومن المعروف أن الانسان - بطبيعته - ميال الى ما يألفه ،
علوق بموطنه ، نسأ لسيدات الموطن ان استبد به الشوق الى
مراحمه التي بعد عنها . وقد قيل : " اذا كان الطائر يحن الى
أوكاره فالانسان أحق بالحنين الى أوطانه " . وقيل لبعض الأعراب
ما الغبطة ؟ قال : الكفاية مع لزوم الأوطان ، والجلوس مع
الاخوان . . . فقل له فما الذلة ؟ قال : التنقل في البلدان ،
والتنهي عن الأوطان ٢ .

ومر بنا أن الهجرة من الجزيرة العربية كانت جماعية وفردية ، وأن
خيرات البلاد المفتوحة كانت من أسباب الانتقال اليها . وإذا كان
النايفة الجعدي يتمنى نقلة القيسيين الى الشام ، وذلك قوله ٣ :
ليت قيسا كلها قد قطعت
بسحلانا فحصيدا فتبسل ٤
فالأشافي فأعلى حامر
فلوى الخرف أطراف الرجل ٥
جاعلين الشام حتما لهم
ولئن هموا لنعم المتقنسل
فان من الشعراء من لم يستطع التكيف في البلاد الجديدة ، ولم
يوفق في مسعاه ، ولذا أثر حياته القديمة على حياته في المواطن

١- الحنين الى الأوطان / ٧

٢- الحنين الى الأوطان / ٣٢

٣- شعره / ٩١

٤- سحلاان : واد من أودية أود . حصيد : موضع مذكور في
رسم الأمرار وفي رسم تيل . وتيل : واد قبل حصيد .

٥- الأشافي : واد في ديار قيس . حامر : من بلاد غطفان .
والخر والرجل : اسما موضعين .

الجديدة . فعمرو بن أحمر الباهلي يمقت الاستقرار في أرض الجزيرة
الفراتية ، ويكره احتراف الزراعة ويحن إلى دياره الأولى حيث تنتشر
الجمال في مساربها ، وكأنه يفضل المعزى وحياة البدو على المزدرع
والحياة الحضرية ، يقول ^١ :

لقد ظمئت قيس فألقت بيوتها بسنجار فالأجزاء أجزاء دوسرا ^٢
وقد كان في الظهار أورمل فارز أوالدوم لما أن دنا فتهصرا ^٣
غنى عن مياه بالمدبير مرة وعن حرب بنيانه قد تكسيرا
أبعد حلول بالركاء وجامل غدا وسارحا من حولنا وتنشيرا ^٥
تبدلت أصابلا وتلا وجرة وديكا إذا ما آتس الفجر فرقرا
وبستان ذي ثورين لالين عنده إذا ما طغى ناطوره وتشمسيرا ^٦
وفي قصيدة ثانية يشكو ابن أحمر إلى قبيلته ما نزل بهم من مكروه فسي
الموطن الجديد ، فقد عضهم الفقر ، وانتشرت فيهم الأمراض ،
وكان الشاعر يحذر قبيلته من الهجرة ، يقول ^٧ :
فيا راكبا اما عرضت فيلخن قبائلنا بالأخرمين وجورم
ويلغ أبا الوجناء موعد قومـه بحوريت تظعن راغبا غير مقجم ^٨
نأت عن سبيل الخير الا أقله وعذت من الشر القواح بمعظم
ليهنكم أنا نزلنا ببلدة كلا فلو يها مبثس غير منعم
تمشى بأكفاف البليخ نساؤنا أرامل سيستطعن بالكف والفسم
نقائذ برسام وحمى وحصبة وجوع وطاعون ونقر ومفـرم ^{١٠}

١- شعره / ٨٢

٢- سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة . الجزء : مقطع الوادي
دوسر : هي قلعة جمير المعروفة قرب الرقة على الفرات .
٣- الظهار : تربة من نجران . فارز : رطة في أرض خشم على سمت
اليامة . الدوم : شجر يشبه النخل يثمر المقل وله ليف وخوص مثل ليف
النخل . تهصرت الأغصان : تهدلت .

٤- المديير : موقع قرب الرقة .

٥- الركاء : واد في ديار بني المجلان . الجامل : الجمال .

٦- ذو ثورين : أراد به الزارع . تخشم : بدا منه العنف والجفاء .

٧- شعره / ١٥٢ ٨- راغبا غير مقجم : راغبا غير مكروه .

٩- الطوان : الليل والنهار .

١٠- النقائض : جمع نقيذ وهو الفرس الذي أبقته من المدو وأخذته منهم

البرسام : العملة ، كأنه معرب ، وير : هو الصدر ، وسام : من أسماء

الموت . النقرة : داء يأخذ المعزى في حوافرها وفي أفخاذها

فيلتص في مواضعه فيرى كأنه ورم فيكوى . المفرم : الدين الذي يلزم أدائه .

أرى ناتي حنت بليل وشاقها غناء كنوح الأعجم المتوالم
ويرفر جبهاء الأشجعي أن يستبدل حياة الحاضرة بمياة البادية ،
ويأبى الا أن يظل في قومه الذين يستعين بهم على عدوه ، وينتفع
ببذلهم ان عجز عما ضدته وتكفل به ، يقول مخاطباً زوجته التي دعت
الى بيع ابله ، وأن ينتقل الى المدينة حيث يفرغ له في المطام :
قالت أنيسة دع بلادك والتمس دارا بطيبة ربة الآطام
فهمت ثم ذكرت ليل لقاحنا بلوى عنيزة أوبق بشام
اذ من عن سبي منداود كلما نزل الظلام بمصبة أغنام^٢
ان المدينة لا مدينة فالزمي حقاً السناد وقبة الأرجام
يحلب لك اللبن الفريض وينتزع بالعيس من يمن اليك وشام
وتجاوري النفر الذين ينبلهم أرضي العدو اذا نهضت أرامي
البازلين اذا طابت تلامهم والمانعي ظهري من الفرام^٤
ويضيق معن بن أبي عامية السلمي بأقامته في العراق ، فقد أضى
ليك طويلاً ، وكان الليل يقصر عليه في الحجاز حيث موطنه وأهله ،
وانذا تمنى العودة قبل المات :
تطاول ليالي بالعراق ولم يكن علي بأكناف الحجاز يطول
فهل لي الا أرض الحجاز ومن به بمافية قبل المات سبيل^٥
ويستشعر عبد العزيز بن زرار الكلابي غربته ، فقد ودع نجدا وأهله ،
ولكن لم ينس تنعمه في ديار قومه :
رحلنا من الوعاء وعاء مالك لحين ، وكنا عندها بنعيم
فدا لبثنا العيس ان قذفت بنا لذي غربة والعهد غير قد يم
فأصبحنا قد ودعنا نجدا وأهله وما عهد نجدنا بذميم^٦
ورحل صخر بن الجعد الخضري الى الشام ، تحت وطأة ظرف نفسي ،
فقد أقيم عليه الحد لأنه كان يذكر " كأس " في شعره^٧ واستبد
به الشوق الى نجد ، ومر على فراقه عشرون سنة وهي فترة طويلة

١ . الأغاني ٤٠ / ١٨ ، ٤١ ، المنازل والديار / ٢٤٤

٢ . أغنام : من لا يفصحون .

٣ . حقف : ما اعوج من الرمل واستطال .

٤ . في المنازل والديار " المراض " وهو الشرس في خصوصته .

٥ . معجم الشعراء / ٣٢٤ .

٦ . انساب الاشراف ١٦٧ / ٥ ، الأشباه والنظائر ١ / ١٣٩ .

- ١٤٤ -

تغير المصهور . وتلايح في ناظر صخر صور موطنه ، ومنها هذه
الصورة الجميلة للنخل الذي يمتد ظله على نبت طيب الرائحة :
ألا ليت شعري هل تغير بعدنا عن العهد أم أمسى على حاله نجد
وعهدى بنجد منذ عشرين حجة ونحن بدنيا ثم لم نلقها بمجد
به الخوصة الدهماء تحت ظلالها رياض بها الحوذات والنفل والجمد^١
واشتاق ابن ميادة الى موطنه وأهله ، فلم يطلق الا قامة عند الوليد بن
يزيد " بأباين " رغم ان الوليد قربه وأكرمهم فقال ابن ميادة :

لمعرك اني نازل بأباين ————— لصور مشتاق وان كنت مكرما
أبيت كأني أرض المين سامر اذا بات أضحائي من الليل نومنا
ويذكر ان الوليد بن يزيد قال له عندما سمع البيتين : يا ابن ميادة
كأنني غرقت من قربنا ، فقال ابن ميادة معبرا عن شوقه لأهله الذين
تعهدوه ورؤوه ، وعن حنينه لسماع اصوات الابل التي تنتقل في مراعي
بلادهم التي قضى فيها طفولته وشبابه :

ألا ليت شعري هل ابين ليلة بحرة ليلي حيث ربتني أهلي^٥
وهل أسمع الدهر أصوات هجمة تطالع من هجل خصيب الى هجل^٦
وقطع طهمان بن عمرو الكلابي يد زوج أخته فترك نجدا وهرب الى اليمن ،
واحتمى ببني الحارث بن كعب من مذحج ، فضايق بغيرته بين اناس ليسوا
من قومه ، فهو مجفوخا عاف حذر لأنه غريب . وصور طهمان عنقه متدا
عله يظفر بروية قلتي دمخ اللتين تبدوان من بعيد ، وقد اكتنفهما
السراب : كتمني برقع فمن الشاعر الى تفيئه في ظلالهما ، والى مائهما
المذب الذي يضح الحليل ، يقول^٧ :
كفى حزنا أني تطاللت كي أرى نرى قلتي دمخ كما تريان^٨

١. الأغاني ٤٣/٢٢ ، الخوصة : النخل . النفل : نبت زهره أصفر طيب الرائحة .
٢. الأغاني ٣٠٦/٦ ، شعره ٩٤/ .
٣. أباين : اسم موضع كان ينزله وقت الربيع . صور : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلي الشام .
٤. الشعر والشعراء ٦٥٦/ ، الأغاني ٣١٠/٢ .
٥. حرة ليلي : في ديار بني مرة بن عوف ، يلقونها الحاج في طريقهم الى المدينة . ربتني : فعل رباعي ، يقال : ربت الصبي تربيتا أي رباه تربيت .
٦. الهجمة : القطعة الضخمة من الابل . الهجل : المطمئن من الأرض .
٧. ديوانه ٦٠/ .
٨. تطاللت : تناولت . وتطال : مد عنقه ينظر الى الشيء . يمد عنه . القلة : اعلى الجبل وكل شيء . دمخ : جبل في ديار عمرو بن كلاب .

كأنهما والال يجري عليهما
ألا حبذا والله ، لو تعلمانه
وماؤه كما المذب الذي لو وردته
واني والعسبي في أرض مذحج
غريان مجفوان ، أكثر حمضا
وما كان غش الطرف منا سجية
وفيض القتال الكلابي في الحديث عن تشوقه الى موطنه ، فنراه يكثر
من ذكر الأماكن ، ويحتمل الى الاستقرار فيها :
إذا هبت الأرواح كان أحبها
الي التي من نحو نجد هبوبها
سمعت وأصحابي بذى النخل نازلا
وقد يشغف النفس الشماع جبيتها^٢
دعاء^٣ بذري البردين من أم طارق
فيا عمرو هل تبدو لنا فتحيهما^٤
وفي قصيدة ثانية يستحضر القتال معالم الديار ، ويتنقل مع الظلم
تنقلا نفسيا يذمه فيه انحدار دمعه بحسيل الماء من قرية رباطها
المستسقي على عجل فلم يحكم رباطها :
نظرت وقد جلى الدجى طاسم الصوى
بسلى وقرن الشمس لم يترجل^٥
الى ظلمن بين الرسيس فعاقل
عوامد للشيقين أو بطن خنثى^٥
ألا حبذا تلك الديار وأهلها
لوان عذابى بالمدينة ينجلي
برزت بها من سجن مروان غدوة
فأفستها بالأيام لما تحملى^٦
وأنست حيا بالمطالي وجاملا
أبابيل هطلى بين راع ومهملى^٧
ومرد على جرد يسار لمجلس
كرام بأيديهم موارن ذبلى^٨
بكيت بخلصى شنة شد حقوقها
على عجل مستخلف لم تبللى^٩

١ . غريان : مثنى غريب

٢ . ديوانه / ٣٠ . ديوانه / ٧٣ - ٧٤

٣ . جلاها : أبرزها . طاسم : طامس ، دارس . الصوى : المعالم

٤ . سلع : جبل بسوق المدينة . ترجل : ارتفع .

٥ . الرسيس : واد بنجد . عاقل : اسم لموضع كثيرة ولعل المقصود هنا

رمل بين مكة والمدينة . الشيقان : موضع قرب المدينة . خنثى : برث

من الأرض في ديار بني كلاب .

٦ . الأيـم : جبل أسود بحمى شمالية يناوح الأكوام .

٧ . المطالي : أرض واسعة من بلاد أبي بكر بن كلاب . الهطلى : المهمة

٨ . الجرد : الخيل . موارن : جمع مارنة ، وهي القناة اللينة تتخذ

من المران . ذبل : رماح .

٩ . خلصى : لم يرد مقصورا فلمله خلاصاء حذفتمزته ، وهو اسم موضع .

الشنـة : الخلق من كل آنية صنعت من الجلد . المستخلف : المستسقي .

- ١٤٦ -

ويقف الصمة بن عبدالله القشيري علما من أعلام شعر الحنين العربي .
والصمة شاعر اسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية ١ وكان
يهوى ابنة عم له ، فأثر عليه في تزويجها غيره . فحملته الأنفة على ٣
ان خرج الى الشام ٢ . ويبدو ان الطاف استقر به أخيرا في طبرستان .
وقد اشتد الحنين بالصمة ، واحترقت حشاشته فوق الحانا عذبة على
وتر حب نجد والتشوق اليه والى اهله . وكان شعره أشبه بصداح
شج يرجعه بلبل ملتحا يذكر الفه النائي ، وسكنه البعيد . فما هو
يخاطب خليليه - على عادة القدماء - ان ينظرا من عل علمهما
يستأنسان بروية نجد قبل ان يبتعدوا ، فقد نظر الصمة ولكنه لم يبعثر
نجداً لأن عينيه فاضت بالدموع ، وهو يتعنى ان يكون عبدا مصعدا مع
المصعدين الى أرض نجد :

خليلي قوما اشرفا القصر فانظروا	بأعينكم هل تؤنسان لنا نجدا
واني لأخشى ان علونا علوة	ونشرف ان تزداد ويحكمنا بحدا
نظرت وأصحابي بذروة نظرة	قلوبم تفض عيناى أبصرتا نجدا ٤
اذا مر كعب مصعدين فليتنى	مع الرايحين المصعدين لهم عبدا
والشاعر تخونه قواه حين غيب البعد الديار :	
فلما رأينا قلقت البشر أعرضت	لنا وجبال الحزن غيبها البعد
أصاب جهول القوم تشييم ما به	فحن ولم يملكه ذو القوة الجليد ٥
والصمة يحاول أن يتميز بالصبر ولكن أنى له ذلك وفؤاده لا يطيعه	
فيرتمش كلما تذكر الديار وأهلها :	
تمز بصبر لا وربك لا ترى	سنام الحمى أخرى الليالي الخوابر
كأن فؤادي من تذكره الحمى	وأهل الحمى يهفوبه ريش طائر ٦
وهو يتعنى ان يقضي ليلة في نجد ،	و يسترجع صورة النوق تناسب فيها :
ألا ليت شعري هل ابتهن ليلة	بصعد ولما تخلص من أهلها صعد
وهل أقبلن النجد أغناق أنيق وقد	سال مسيا ثم صبحها النجد
وهل أخبطن القوم والريح طلة	فروع الأء حفه عقد جمعد ٧

١. الأغاني ١/٦ ، معاهد التنصيص ٢٥٥/٣ .
٢. الأغاني ٢/٦ ، معجم البلدان ٦٣٣/١ ، معاهد التنصيص ٢٥٦/٣ .
٣. الأغاني ٤/٦ ، معاهد التنصيص ٢٥٦/٣ .
٤. معجم البلدان ٧٢٠/٢ .
٥. معجم البلدان ٥٨٦/٣ .
٦. الأغاني ٤/٦ ، معاهد التنصيص ٢٥٦/٣ ، تزيين الأسواق ١٠٥/١ .
٧. معجم البلدان ٩١/٣ .

شعر الغزل :

تردد ذكر المرأة على ألسنة كثير من الشعراء القيسيين في العصر الأموي . فمنهم من عرّض لها استجابة لظاهرة فنيّة موروثة ، ترجع أصولها إلى أعماق الحياة الأدبية فكان غزلهم تقليد يا اتخذ وسيلة ينتقل منه الشاعر إلى الموضوع الرئيس . وقد أجاد بعض هؤلاء الشعراء في التوفيق بين المقدمة الغزلية وموضوع القصيدة ، إذ يبدؤان المقدمة استجابة نفسية لأثر التناغم العاطفي الذي يشغل بال الشاعر ، وهذا تكون المقدمة فناً رمزياً يهيئ لموضوع القصيدة . فأرطاة بن سبهية كان يهاجي شبيب بن البرصاء ، فأصلح بينهما يحيى بن الحكم ، فلما افترقا شتمه شبيب عند يحيى ، فهاجها أرطاة بقصيدة بدأها بقوله :

رمتك ، فلم تشو الفؤاد جنوباً وما كل من يرمي الفؤاد يصيب
وما زودتنا غير أن خلطت لنا أحاديث منها صادق وكذب
والذي يبدؤ أن الشاعر رمزاً لشبيب جنوباً ، فهو الذي رماه عند يحيى ، ولذا قال أرطاة بعد هذين البيتين :

ألا من مبلغ فتیان قومي أننسي هجاني ابن برصاء اليدين شبيب
والشاعر يريد أن يفوت الفرصة على شبيب ولذا اتهم " جنوب " بالكذب ، وكان رصيحاً لا يصيب مقاتله .

ولما سجن الوليد بن عبد الملك ، عبد الله بن الحجاج ، قال عبد الله قصيدة يعتذر فيها إلى الوليد ويمدحه ، وبدأها بداية تقليدية تفصح عن مأساته في السجن ، فقد بعدت ظمياً ، فصفته دائمة الفيضان ، وكأنه يريد أن يستنزل نفسه عند الوليد منزلة من يرثى لحاله ، ويشفق عليه :

أقول وذاك فرط الشوق منسي لميني إذ نأت ظمياً فيضاً
فما للقلب صبر يوم بان وما للدمع يسفح من مفيض
والأمثلة على هذه المقدمات كثيرة . ولم يغلب الغزل على هؤلاء الشعراء ، وإنما غلبت عليهم فنون شعرية أخرى . ويبدو أنهم يختارون من الأسما ما يخف على ألسنتهم ، لأن المرأة ليست هي المقصودة دائماً .

١ . الأغاني ١٣ / ٣٣٠

٢ . الأغاني ١٣ / ١٦٣

٣ . انظر — على سبيل المثال — خزانة الأدب ١ / ٨٠ ، الأغاني

١٢ / ٢٨٨ ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٠

وغلب الغزل على طائفة من الشعراء القيسيين وهوؤلاء هم :

محمد بن بشير الخارجي ، ويزيد بن الطثية ، وابن ميادة ،
وتوبة بن الحمير ، ومحمد بن عبدالله النعيرى ، والصمة القشيري ،
وصخر بن الجعد الخضري ، وأبو حية النعيرى ومزاحم العقيلي .
ومن المستحسن أن اشير الى أن هؤلاء الشعراء نشأوا في البوادي
باستثناء محمد بن عبدالله النعيرى الذي نشأ بالطائف ، وأبي حية
النعيرى الذي كان من أهل البصرة القريبة من بيئة الصحراء ، كما
يحسن أن اذكر أن ثلاثة منهم كانوا من مخضرمي الدولتين : الأموية
والعباسية ، وهم : صخر بن الجعد ، وابن ميادة ، وأبو حية النعيرى .
وهؤلاء رغم أنهم اطلوا بروءوسهم على العصر العباسي الا أن اقدمهم
كانت ثابتة في مدرسة الشعر الأموي . وإذا استثنينا أبا حية النعيرى
فان الباقين لم يسكنوا في حياة زوجية مع من تعشقوا لأسباب مختلفة .
ويبدو أن ابن ميادة تمعد ذلك فهو يرى أن الزواج يفسد الحب .
وشيب صخر بن الجعد بتسابنة عمه كأس بنت بجير ، ولما لاه
أخوه وطلب اليه أن يتزوجها أو أن يترك تشبيه بها رفض صخر ،
فزوجت من رجل أسمه حصن ٦ . ويبدو أن الصمة القشيري كان
فقيرا فلم يستطع أن يدفع المهر الذي لزم فيه عمه ٧ . وخطب مزاحم
العقيلي ابنة عم له فمنعه أهلها لاملأته ، وقله ماله ، وزوجوها
رجلا موسرا في قومها ٨ . والى ذلك أشار مزاحم في قوله :

١ . أغفلت المجنون متعمدا ، ويكفي أن نقرأ ديوانه لنجد فيضا من الشعراء
ينازعونه شعره ، وقد يصح أن نعتبر ما نسب اليه ظاهرة أموية
دون أن يعطلها واحد بعينه .

٢ . الأغاني ١١٠/٦ .

٣ . طبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٣/١٦ ، الأغاني ٣٠٧/١٦ .

٤ . الأغاني ٣٢٤/٢ .

٥ . في تاريخ ابن عساكر ٣٨٥/٦ وكان يشيب بابنت عم له يقال لها
نائلة وكان يسميها كأسا . ويبدو ان الشاعر أراد أن يكني عنها
على عادة الشعراء وفي شعره قطعة ذكرها فيها سراحة . (انظر

ابن عساكر ٣٨٦/٦) ومضهم يروونها لجميل ، وقد رواها

الزبير بن بكار لصخر والزبير أعلش بأشعار الحجازيين (الأغاني ٣٧/٢٢) .

٦ . الأغاني ٣٩/٢٢ .

٧ . الأغاني ٧/٦ . تزئين الاسواق ١٠٤/١ .

٨ . الأغاني ٢٩/١٩ .

- ١٢٩ -

هنيئاً لليلى صهوة ظفرت بها وتزويج ليلى حين حان ارتحالها
فقد «يسوها» محبس البدن وابتغى بها الريح أقوام تساخف مالهيا
وافتنن توبة بن الحمير بليلى الاخيلية ، فجعل يماودها ، ثم
خطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه اياها . أما محمد بن عبد الله النميرى
فكان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج ، ويبدو أنه لم يجزوه على خطبتها
لأن الحجاج كان يتهدده .

ويمكن قسمة هؤلاء الفزليين الى فريقين : فريق كان تبع
جمال ينشده أنى وجده ، وهو «هم» : محمد بن بشير ،
ويزيد بن الطثرية ، وابن ميادة . وتكثر الاوصاف الحسية في شعر
ابن بشير وابن ميادة ، ومن ذلك قول ابن بشير الخارجي في
امرأة من مزينة كان يتحدث اليها :
وتبرجت لك فاستيتك بواضح صلت وأسود في النصف ممقد
بيضاء خالصة البياض كأنها قر توميط ليل صيف مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد ان الجمال مظنة للحسد
وكان طعم سلافة مشمولسة تنصب في اثر السواك الاغيد
وترى مداصمها ترقق مقلسة حورا ترغب عن سواد الأثمد
ويقول في الفغارية التي كان يحدثها وهو محرم :
تجلو بقادمتي ورقاء عن برد حمر المغافر في أطرافها أشر
خود مثيلة ريا مدامها قدر الشيا فلا طول ولا قصر
اذا لمجاسد ما اغتالت فواضلها منها روادف فصات وموءتزر
ان هبت الريح حنت في وشائجها كما يجاذب عود القينة الوتر
بيضاء تمشوها الأبهار ان برزت في الحج ليلة إحدى عشرة القمر
أما يزيد بن الطثرية فنادرا ما نفع على وصف حسي له ، ويبدو أن
لموضه علاقة بذلك ، فقد ذكر أنه كان غنيا ، وكان اذا جلس بين

١- قصيدتان لمزاحم / ٣٢

٢- الأغاني ١١ / ٢٠٤

٣- الأغاني ١١ / ١٢٨

٤- أنظر عن ابن ميادة ص ٢٧-٢٨ من هذا البحث .

٥- الأغاني ١٦ / ١٠٩

٦- الأغاني ١٦ / ١١٩

— ١٢٠ —

النساء ودقهن بجماله وحلاوة حديثها ، ولذا كان زير نساء^٢ ،
ومن الوصف الحسي قوله :
كأن مدامة من خمردن
ألذ الناس في الدنيا حديثا
تصب على ثناياها طرورا
وأطيه بميد النوم ريقا^٣

أما الباكون فقد أفنى كل منهم أكثر شعره الخزل في
امرأة واحدة ، وهو لا يمكن عذرهم عذريين ، ولا يعني هذا
أنهم تخلوا عن الجسد تماما ، لأن ذلك ، " لا يتفق مع طبيعة الحياة
ولا يستقيم مع واقع الصلة بين العواطف والغرائز في الطبيعة البشرية " ٤ .
ولذا نجد في أشعارهم أوصافا حسية ، كما نجد شهوة بحاجة إلى
اللذة الجسدية ، يقول مزاحم المقيلي :
أيا شفتي مي أما من شريعة
وما شفتي مي أما لي اليكما
ويا شفتي مي أما تبذلان لي
وفي شعر توبة بن الحمير أن ليلي الأخيالية اتهمته بالفجور :
وقد زعمت ليلي بأنني فاجر
وليلي توعدك خضوعه لشهوة الجسد وذلك ، قولها :
وذي حاجة قلنا له لا تبغ بها
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
أما صخر بن الحمير فقد قذف صاحبه ، واتهمها لأنها زوجت من حصن :
وأنكحها حينما لي لمس حملها
وقد حملت من قبل حصن وجرت^٥
ويتحدث الأصفهاني^٦ عن نزول أبي حية النمرى عند خمارة بالحيرة .
وهي قصة فيها كثير من الاباحية والفحش ، كما أن القناعة^٧ التي قالها

١- الأغاني ٨ / ١٥٦

٢- معجم الأدباء ٢٠ / ٤٦

٣- الزهرة ٧ / ٧٩

٤- الحب المثالي عند العرب / ٤٨

٥- الأغاني ١٩ / ٣١

٦- ديوان توبة / ٣٧

٧- ديوان ليلي / ٩٥

٨- الأغاني ٢٢ / ٣٩

٩- الأغاني ١٦ / ٣٠٩

١٠- الأغاني ١٦ / ٣١٠

بهذه المناسبة تفصح عن تهتك ، وعن شبق جنسي .

ومن الوصف المادي الذي لا يחדش السماء ، قول توبة
ابن الحمير يصف عيني ليلي ويغزلهما على عيني الطيبة :
فما أم سوداء المحاجر مطلقاً بأحسن منها مقلتين تديرها^١
أرتنا هيام الموت ليلي وراقنا عيون نقيات الحواشي تديرها
وقوله يصف نساء همدانيات ، وكان توبة كثير الفارة على الهمدانيين :
أصخترني ريب العيون ولم أزر عذارى من همدان بيضا نحورها
ينوء بأعجاز ثقال وأسوق خدال ، وألقاها لطاف خصورها^٢
ويتحدث محمد بن عبد الله النميري عن تنعم زينب وصاحباتها ، فهن
عطرات لم تلفح السمام وجوههن ، كما لم يغير البرد من نضارتهن ، أما
أعناقهن فتشبه أعناق الطيلاء الممتدة لتناول الفصوص الشاملة بفعل
حركة الريح :
تضوع مسكا بطن نعمان إذ بدت به زينب في نسوة عطرات
جلون وجوها لم تلحها سمام حرور ولم يسفمن بالسبرات
فقلت يعافير الطيلاء تناولت نياح فصوص المرء مهتضات^٣
ويشبههن على راكبهن بالبقر الوحشي الذي يرعى في السهل ، أما
عيونهن فتشبه الخرز اليماني أو تشبه ثمر الأراك :
كان على الحدائج يوم بانوا نماجا ترتمي بقل البراث
كان عيونهن من التبكي فصوص الجزع أو ينح الكباث^٤
وصاحبة مزاحم حورا ، فاترة العينين فهي غانية مكحولة خلقة ، ووجهها
يضيء دون أن تتجمل ، وهي مكنزة فموضع خلخالها مطلى^٥ ، وفخذها
تصطبب مع أختها من عظمها ، يقول مواهل :
وساجية حور جرى الميل بينها وأعناق آدم حليت لم تمطل^٦
بنجل كأعناق الصها الصين أثلعت لطاف المتون لذة التأمل

- ١- ديوان توبة / ٣٤
- ٢- الأغاني ١١ / ٢٤٥
- ٣- ديوان توبة / ٤٣
- ٤- الأغاني ٦ / ١٩٢
- ٥- الأغاني ٦ / ١٦٦ والبيت الأول في زهر الآداب ١ / ١٨٥ منسوب
لأبي حية النميري
- ٦- قصيدتان لمزاحم / ٦
- ٧- ساجية : ساكنة فاترة . آدم : ذلها ، بيض .

شرى في سنا الماوى بالمصر والضجل . على غفلات الزين والتجميل^١
وجوها لوان المدلجين اعتشوا بها . صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي
نواعم يركن الذبول برخصة . سباط . ونخذلات رواء المخلخل^٢
ولف كأفخاذ البخاتي ردها . الى مقلب تشاه باب مكبس^٣
ويقدم أبو حية النمرى^٤ صورا مادية متتابعة يبرز من خلالها جمال صاحبته ،
فبطنها ضامر ، وأردافها عظيمة ، وشرها جميل ، وريقها طيب المتذوق
يشبه سلاف الخمر ، أما رايحته فشبيهة برائحة غصن المرار الطرى ؛
وخمصانة^٥ تفر عن متنهد
إذا امتضفت بعد امتناع من الضحى
سقت شمع المسواك ، ماء غمامة
وان ذقت فادها بعد ما سقط الندى
شممت المرار الطل غب هميمه
ويقول من قصيدة أخرى :
لبسن الموشى المصب ثم خطت به لطاف الخطا بدن عراض الماكيم

هؤلاء الشمراء عرفوا لذة الوصل ، ثم رموا بنفصة الفراق ،
واكتووا بفقد من أحبوا ، فلم تسكن نفوسهم ، بل أرقهم الحرمان فكان
شمرهم مصورا للنفس العاشقة . تلذذت حواسهم بالجمال فرسموه ،
صرعت نفوسهم في مضايق الحب فترجموا عن ذوات أنفسهم بأشجى
الألحان . يقول مزاحم العقيلي مصورا حاله بعد زواج ليلى ، بهذه
القطعة التي صب فيها ألمه ووفاءه وشكواه الآسرة :

- ١- السنا : الضوء . على غفلات الزين : على أن تغفل من التزين والتجميل .
- ٢- الذيل : أسفل القصيص . ربا المخلخل : أى متلثة موضع الخلخال .
- ٣- يقال فخذ لفاء للتي تصطل مع أختها من عظامها . وردها أى رد البخاتي عن أن تخرج من الباب حتى سمت وعظمت .
- ٤- أمالي المرتضى ١٠٢/٢ ، زهر الآداب ١ / ٢٤٠
- ٥- خمصانة جو ضامرة البطن
- ٦- الامتناع : الارتفاع . المخلق : الذى علق به المتذوق والطيب من يدها .
- ٧- الفضيض : الذى سال من الغمامة . الخراطوم : سلاف الخمر .
- ٨- البخذنة : الضخمة . الرجاج : العظيمة الأرداف .
- ٩- المرار : بهار البسر . الطل : الغصن الطرى . الهميمة : مطرلين .
- ١٠- سبط اللآلي ١٢٥ / ٢ ، الحماسة الشجرية ١ / ٥٢٥ .

— ١٧٢ —

أثاني بظهر الغيب أن قد تزوجت
وقد زابت لبي وقد كان حاضراً
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا
أيا سرعة الأحباب حين تزوجت
ولست بمحصن حب ليلي لسائل
لها في سواد القلب تسمة أسهم
وتنشر نفسي بعد موتي بذكرها
عجبت لربي عجة ما ملكتمها
ليرحم ما أبقى ويعلم أنني
لئن كان يهدي برد أنيابها الملى
وأسف صخرين الجمد على ما فاته من تزويج كأس ، فأخذ يحلل نفسه
بالبكا في حضرة الذكرى الحية التي شهجه ، فقد ييست لوعة الود ،
وذبل عودها ، وصخر يتملق بأوهى أسباب الوصال ، ويتمنى أن يسمعها
صوته قبل أن يفجأ الموت أحدهما :

ألا قل لكأس ان عرضت لبيتها
لعل البكا يا كأس ان نفع البكا
وكانت تناهت لوعة الود بيننا
ليالي ذات الرمث لا زال هيجها
وعيش لنا في الدهر ان كان قلقة
تذكرت كأساً ان سمعت حمامة
دعت ساق حر فاستجنت لصوتها
وليل بدت للعين نار كأنها
فقلت عساها نار كأس وعليها
فتسمع قلبي قبل حتف يصيدني
كأن لم تكن يا كأس الفي مودة
ويصور توبة بن الحمير عينه لا تنبي عن البكا ، وتضطرب مقاييس الزمن عنده ،
فيطول اليوم الذي لا يرى فيه ليلي وكأنه سدة ثقيلة على النفس المترقبة ؛
وقال رجال لا يضربون نأيها
أليس يضرب الصين أن تكثر البكا
أرى اليوم يأتي دون ليلي كأنما

فألت بي الأرمح الفضاء تدور
وكاد جنائي عند ذاك يهدير
تلاق وعيني بالد موع تمر
فهل يأتيني بالطلاق بشير
من الناس إلا أن أقول كثير
وللناس طرا من هواي عشير
مرارا فموت مرة ونشور
وربي بذى الشوق الحزين بصير
له بالذى يسرى الي شكور
لأهوج مني انني لفقير^١
فأين بكا عيني وأين قصيدها
يقرب دناننا لنا فيميدها
فقد أصبحت ييسا وأذبل عودها
جنونا ولا زالت سحاب تجودها
يطيب لديه بخل كأس وجودها
بكت في ذرا نخل طوال جريدتها
مولهة لم يبق إلا شريدتها
سنا كوكب لا يستبين خمودها
تشكى فأضي نحوها وأعودها
تسر به أو قبل حتف يصيدها^٢
ان الناس والأيام ترعى عهدا
وتضطرب مقاييس الزمن عنده ،
يلى كل ما شف النفوس يضيرها
ويمنع منها نومها وسرورها^٣
أتى دون ليلي حجة وشهورها

١- قصيدتان لمزاحم / ٢٦

٢- الأثاني ٢٢ / ٤١

ديوان ترويسة / ٢٨ •

- ١٢٤ -

ويحول محمد بن عبد الله النمري لرواية أفاعان زينب التي لن ينساها ؛
 نظرت الى أفاعان زينب باللوى
 فأعولتها لو كان أحوالها يفلح
 فوالله لا أنساك زينب ما دعت
 وكان أبو هاتم يستجيد قول الصمة القشيري :
 إذا نأت لم تفارقتي علامتها
 وان دنت فصدود العاتب الزاري
 فعال عيحي من يوميك واحدة
 تبيكي لفرط حدود أو نوى دار^٢
 ومن لبائف شعره قوله :
 ألا من لمين لا ترى قلل الحمى
 ولا جبل الآثال إلا استهلت
 غنيا زمانا باللوى ثم أصبحت
 براق الهوى من أهلها قد تخلت^٣
 وما يستحسن لابي حية النمري قوله يصف عينه حيث لفتا بفشاوة
 من الدمع ، فكأنه ينظر من وراء زجاجة ، أما دمه فذوب النفس :
 نظرت كأني من وراء زجاجة
 الى الدار من ماء الصبابة أنظر
 فعميناى طورا تخرقان من البكا
 فأعشى وطورا تحمران فأبصر
 وليس الذى يهيم من الممين دمعها
 ولكنه نفس تذوب فتقطر^٤
 ويعلق هارون بن علي على البيتين الأولين بقوله : " لو اعترضني ملك
 تجب ما عته ، ويلزم الانقياد لأمره ، فقال أى شعر أجود وأولى بأن
 يستحسن ؟ ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الغمسر ، والهجاء
 من التشبيب ، وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء لما عدلت عن
 هذين البيتين^٥ .

ومن المعاني التي تتردد في شعرهم : الشكوى من الرقباء ،
 والألم لشماتة الأعداء ، ولتضييق الخناق ، يقول توبة بن الحمير :
 رمانى وليلى الأحملية قومها
 بأشياء لم تخلق ولم أدر ما هي
 فليت الذى تلقى ويحزن نفسها
 ويلقونه بيني وبين ثيابي^٦
 ويقول مؤلفهم العقيلي :

- ١- الأغاني ١٩٦ / ٦
- ٢- الأغاني ٦ / ٦
- ٣- تزيين الاسواق ١٠٦ / ١
- ٤- سمط اللالي ٢٦٥ / ١ ، والبيتان الأولان في أمالي المرتضى ١٠٣ / ٢
- والحماسة البصرية ١٢٠ / ٢
- ٥- أمالي المرتضى ١٠٣ / ٢
- ٦- ديوان توبة ٥١ / ٥

— ١٢٥ —

وما برح الواشون حتى ارتموا بنا
 ويوم صخر بن الجعد صاحبه لأنها تركت الأعداء الذين تألبوا عليه
 يشمتون به
 هنيئاً لكأس قطعها الحبل بمد ما
 واشماتها الأعداء لما تألبوا
 أما أبو حية التميمي فقد ألجأه الوشاة إلى الاستماضة عن رؤيتها
 ومحادثتها بسماع صوتها ، فهو يتحائل فيزور بيوتاً قريبة من بيت صاحبه
 حتى تظفر أذنه بصوتها :
 أصد عن البيت الحبيب وأنثي
 أزهر بيوتها غيره ولا مله
 وقطع أسباب المودة معشمر
 ورغم ما في الصد من مرارة فهو يضطر إليه حياء ، وخوفاً من أن تشيع
 النيمة بسعي الوشاة الذين يتأفف منهم ، ومن سعيهم بالوقعة حيث
 يشككون في حبه ، وهو يقسم أن حبه لها باق لم يتغير :
 وخبرك الواشون أن لن أحبك
 أصد وما الصد الذي تعلمينه
 حياء وتقيا أن تشيع نيممة
 ويصور أبو حية فنانته من الوشاة بقوله :
 فلو أن قولاً يجرح الجلد قد بدا
 بجلدي من قول الوشاة قسروح^٥
 وهو لاء الشعراء يفتخرون بمفتهم من وجهة نظارهم ، وكأنهم يدافعون عن
 عشقهم ، ويدفعون تهم المتريبين بهم . فتوبة بن السمير لا يرى ذنباً
 في زيارته ليلي ما دام يكتفي من الزيارة بالسلام :
 علي دماء البدن ان كان زوجها
 واني اذا ما زرتها قلت : يا اسلمي
 يرى لي ذنباً غير أنني أزورها
 فهل كان في قلبي : اسلمي
 ويعلق الأصمعي على هذين البيتين بقوله : " شكوى مظلوم ، وفعل ظالم"^٦

١- قصيدتان لمزاحم / ٢٦

٢- الأغاني ٢٢ / ٤٥

٣- أمالي المرتضي ٢ / ١٠٤

٤- الأمالي ٢ / ٢٨١ ، سطر اللالي ٢ / ٩٢٥ ، الحماسة البصرية ٢ / ٨٥ ،

زهر الآداب ١ / ١٨

٥- زهر الآداب ١ / ٤٨٩

٦- ديوان توبة / ٣٨

٧- الأغاني ١١ / ٢١٠

- ١٦ -

ومزاجهم العقيلي لم يذوق طعم فيها ، ولكنه يعرفه بفراسته :
 فما غلب جون بأعلى تبالة حمين أمالته الأكف القواطف
 بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ولكنني بالناس والطير عارف^١
 ولم ير صخر بن الجعد من كأس شيئا ، فحجابها يصبونها ، وإذا
 التقيا اكتفيا بالأحاديث الرقيقة :
 وكنا إذا نحن التقينا وما نرى بعينين إلا حجاب يصبونها
 أخذنا بأطراف الأحاديث بيتنا وأوساطها حتى ترق فنونها^٢
 ومنهم من صور في شعره أنه سبى بقوة العشق ، لا يقدر على
 الفكاه منه ، ولذا فهو لا يستطيع الاستجابة لمن يوبخه أو يلومسه ،
 فهو خاضع لسلطان العشق الذي كثيرا ما يتعارض مع سلطان الأعراف
 والقيم ، يقول توبة بن الحمير :
 يلومك فيها اللائمون نمامة فليت الهوى باللائمين مكانها
 لو ان الهوى عن حب ليلى أطاعني أطعت ، ولكن الهوى قد عصانيا^٣
 ويقول محمد بن عبد الله النميري :
 وقد لا مني فيها ابن عمي ناصحا فقلت له خذ لي فؤادي أو دعني^٤
 ورغم أن صخر الجعدي متيقن من عدم اللقاء ، إلا أن نفسه لا تطيقه ،
 فهي تأبى العزاء وترفض الصبر :
 وقد أيقنت نفسي لقد حيل دونها ودونك لو يأتني بيأس يقينها^٥
 ولكن أبت لا تستفيق ، ولا ترى عزاء ولا مجلود صبر يعينها^٦
 ولذا تعاوده الهموم والأحزان ، وتتماقب عليه الأمراض ، يقول^٧ :
 لقد عاود النفس الشقية عيدها نعم انه قد عاد نحسا سمودها
 وعادوه من حب كأس ضمانة على النأي كانت هيضة تستقيدها^٨
 وقريب من هذا المعنى قول مزاحم العقيلي :
 ومن يتهمى حبه فؤاده يمت أو يعيش ما عاش وهو سقيم
 كهران هاد زيد عن برد مشرب وعن بللات الريق فهو يحوم^٩

١- قصيدتان لمزاحم / ٢٩

٢- الأغاني ٢٢ / ٤٥

٣- ديوان اقوة / ٥٣

٤- الأغاني ٦ / ١٦٦

٥- الأغاني ٢٢ / ٤٥

٦- الأغاني ٢٢ / ٤٠ . ٧- ضمانة : مرض يشتد عليه أحيانا .

٨- هيضة : معاودة الهم والحزن والمرضة بعد المرضة

٩- قصيدتان لمزاحم / ٢٣ .

وحتى يبل توبة بن الحمير ريقه من أرض الحب ، ومشيفة سلطان
المشوق ، نراه يستعذب المغامرة ، ويمسم على اختلاس اللقاء حيث
يتنعم بفيثه لحظات تمده بأنساغ عشقية يمش على ذكراها ، وتفيض نفسه
شعرا يصور حلاوتها ، يقول ^١ مصورا رغبته في اللقاء ، وتسميه عليه :
ولو أن ليلي في نرى متمنع بنجران ، لالتفت علي قصوره ^٢
ويقول :

ولو أن ليلي في بلاد بعيدة بأقصى بلاد الناس والجن واديا
لكانت حديث الركب أو لانتحي بها ساذا أعلن الركبا الحديث — فواءيا ^٣
أما متعة اللقاء فيقول فيها :
لكل لقاء نلتقيه بشاشة

وهو يعتبر قربه . ما بالما انتذاره :
أرى النأى من ليلاك سقما وقربها حيا كحيا النفيث الذي أنت ناصره ^٥
وكذلك رأى الدسة في الهجر كمد :
علام تقول : الهجر يشفي من الجوى ألا لا ، ولكن أول الكمد الهجر ^٦
ويبكي الفراق مزاحما المقلبي الذي يبحث عن هيلة تقربه من ليلاه :
أما ليل ان تشطح بك الدار غربة سوانا ويممي النفسريك احتيالها
فكم ثم كم من عبرة قد رددتها سريع على جيب القمص انهلالها ^٧
خليبي هل من هيلة تعلمانها يقرب من ليلي الينا احتيالها ^٧

وتتردد في شعرهم أسماء الأماكن التي تجوس خلالها صويحياتهم ،
وموقعهم من هذه الأمكنة لصيق بمأساتهم ، ورويتها تعيدهم بقوة الى
ذكرياتهم ، فتستثار شجونهم ، يقول توبة بن الحمير ^٨ :
تربع ليلي بالمضيح فالحمي وتقناظ من بطن المقيق السواقيا ^٩
ذكرت بالصور التهامي فأصمدت شجون الهوى حتى بلغن التراقيا ^{١٠}

١ — ديوانه / ٣١

٢ — نرى متمنع : يريد أعلى جبل شافخ لا يقدر عليه . نجران : مدينة
بالحجاز من شرق اليمن .

٣ — ديوانه / ٥٣

٤ — ديوانه / ٢٨

٥ — ديوانه / ٤٤ . ناصره : شتبه وطالبه .

٦ — الحماسة الشجرية / ١ / ٥٤٢

٧ — قصيدتان لمزاحم / ٣٢

٨ — ديوانه / ٥٤ . ١ — المضيح : ماء لبني البكاء : بطن من عامر بن صمصمة .

١٠ — أصمدت : ارتفعت . التراقي : جمع الترقوة ، والترقوتان

عظمتان في أعلى الصدر من رأس الضكبين الى طرف ثغرة النحر .

- ١٢٨ -

فما زلت أزجي الميس حتى كأنما ترى بالحمى أخفافها الجمر حاميا^١
 بشمد ين لاحت نار ليلي وصحيتي بفرع الغضا تزجي قلاما نواجيها^٢
 ويقول مزاحم العقيلي^٣ :
 نظرت بمفضى سيل حرسين والضحي يسيل بأطراف الخا زم ألها
 بمنقبة الأجفان أنفد دمها مقاربة الآلاف ثم زياها
 فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى حتى النير خلى عبرة العين جالها
 ومصر بن الجعد على غد يري قال له جنان كان أهل كأس يجتمعون
 عليه ، فقال^٥ :
 بليت كما يلى الرداء ولا أرى جنانا ولا أكناف ذروة تخلق
 ألوى حيا زيمي^٦ بهن مباينة كما يتلوى الحية المشرق
 ومما قاله محمد بن عبد الله النميري في زينب :
 تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف
 أحب بتلك مواقعا وزينب من واقف^٧
 ويتتبع رحلتها تتبعا نفسيا ، فيعمر الأماكن التي مرت بها - حين خرجت
 توفي نذرها - براءة المساء ، يقول^٨ :
 تنوع مسكا بطن نعمان إذ مشيت به زينب في نسوة عارات
 فأصبح ما بين الهماء فموزة الى الماء ماء الجزع ذى العشرات^{١٠}
 له أرج من مجمر الهند ساطع تطالع رياه من الكفريات^{١١}
 تهادين ما بين المصعب من منى وأقبلن لا شمعا ولا غبرات
 أعان الذى فوق السماء عرشه مواشي بالبطحاء مؤتجرات^{١٢}

- ١- أزجي الراعي الماشية وزجاءها : دفعها وساقها سواة رفيقا .
- الميس : الأبل الأبيض يخالط بياضها شقرة بسيطة وهي من كرام الأبل ،
- واحد ها : أعيس وعيساء .
- ٢- القلاص : جمع القلوص . النواجي : جمع الناجبة وهي السريمة .
- ٣- قصيدتان لمزاحم / ٣١
- ٤- حرس : من مياه بني عقيل بنجد . ويروى حرسين ومما جبلان .
- ٥- نقد الشعر / ١٤٢ ، الأغاني ٤٣ / ٢٢ ، تاريخ ابن عساكر ٢٨٢ / ٦ .
- ٦- الحيزوم : وسط الصدر .
- ٧- الأغاني ٢٠٥ / ٦
- ٨- الأغاني ١٩٢ / ٦ ، الكامل للمبرد ٢٢٧ / ٢ ، الحماسة البصرية ٢٨٥ / ٢
- ٩- نعمان : بين الطائف ومكة .
- ١٠- العشرات : من كبار الشجر .
- ١١- الكفريات : العظيم من الجبال .
- ١٢- مؤتجرات : طالبات الأجر .

مررن بفخ ثم رحن عشية
تقسمن لي يوم نعمان أنني
وله أيضا ٢ :

طربت وشاقتك المنازل من جفن ٣
نظرت إلى أظمان زينب باللوى
ويقول أبو حية النميري ٤ :

لعل الهوى أن أنت حبيت منزلا
فلما سألت الربيع أين تيممت
وكنيت إذا خبرت أن مكلفا
من الحب ، عذفت المحب ، فقد بكى

يلبين للرحمن معتمرات
رأيت فوادي عارم النظرات ١

ألا ربما يعتادك الشوق بالحزن
فأعولتها لو كان أفعالها يغني
بأكياب مرتد عليه عقابله
لوى الحي لم ينطق ، وضلل سائله
بكى أو تمناه عداد يماطله
فوادي حتى أسلمته عواذله

ولعل فيما قد منا ما يكفي لمررن أهم القضايا التي تشيرها قراءة
غزلهم ، وقد لاحظنا أنهم يتشابهون في بعض المعاني والصور ، ومرد
ذلك أنهم يمدرون فيه عن تجارب متقاربة ، ولذا اختلطت بعض أشعارهم .
وقد علي القدماء بأخبار هؤلاء الفزليين فألفوا فيهم كتباً ٥ ، ومن ذلك ،
كتاب " توبة وليلى " وكتاب " الصمة بن عبد الله ورثاً " وكتاب " حوشية
واين الطثرية " ولو وصلتنا هذه الكتب لكان لدراسة شعرهم شأن آخر .
كما أعجب القدماء ببعض شعر هؤلاء ، يقول ابن الأثير ٦ " وما
ترقص الأسماع له ، ويون على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية :
بنفسي من لو مربرد بنانه
على كبدى كانت شفاء أناطه
ومن هابني في كل شيء وهبته
فلا هو يطمئني ولا أنا سائله
وإذا كان هذا قول ساكن الفلاة لا يرى إلا شحمة أو قيصومة ، ولا يأكل
الاضبا أو يربوعا ، فما بال قوم سكنوا الحضر ، ووجدوا رقة العيش
يتماطون وحشي الألفاظ وشذف العبارات " . ويروى أن جريرا كان
يقول : " ما من بيتين أحب أن أكون سبقت اليهما غير بيتين من قول
مزاحم العقيلي :
وددت على ما كان من شرف المنى
وفي الأمانى أن ما شئت يشعل

١- عارم النظرات : أي شارد النظرات حائرهما .

٢- الأغاني ١٩٦ / ٦

٣- جفن : اسم واد بالطائف لثقف .

٤- المنازل والديار / ٣٢

٥- الفهرست / ٣٦٥

٦- المثل السائر / ١ / ٣٩٠ .

- ١٤٠ -

فترجع أيام مزين ولذة
ويذكر ابن سلام أن مزاحما " كان شديد أسر الشعر حلوة " . وقال
الاصمعي : قيل لجريز : أي الناس أشعر ؟ قال : غلام بناصفة^٢
يأكل بقرو الوحش ، يعني مزاحم بن الحارث العقيلي^٣ . وذكره أن رجلا
جاء ابن سيرين يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة المصبر ، فأنشده
ابن سيرين قول محمد بن عبد الله النميري :
كأن المدامة والزنجبيل وريح الخزامى وذوب المسمل
يمل به برد أنيابها إذا النجم وسط السماء اعتدل
وحدث الزبير قال : حدثني عمي عن أبيه ، قال : قال الرشيد يوما
لجلسائه : أنشدوني شعرا حسنا في امرأة خفوة كريمة ، فأنشدوا
فأكثرها وأنا ساكت ، فقال لي : أيه يا ابن مصعب ، أما انك لو
شئت لكفيتنا سائر اليوم ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن
محمد بن بشير الخارجي حيث يقول :
وترى مدامها ترقرق ، مقلّة حورا ترغب عن سواد الأثمد
خوف إذا كثرت الكلام تموزت بحمي الحياء وإن تكلمت قصد
لم يطفها سرف الشباب ولم تمنع منها معاهدة النهم صبح المرشد
وتبرجت لك ، فاستبتك بواضح صلت وأسود في النصف معقد
وكان طعم سلافة مشمولة بالريق في أثر السواك الأغيد
فقال الرشيد : هذا والله الشعر ، لا ما أنشدتموه سائر اليوم ،
ثم أمر مسوءد بن أبيه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فرواهما
الابيات^٤ . وفي شعر أبي حية النميري يقول ابن المعتز : " ما رأيت
نكيا ولا عاقلا ولا كاتبا ظريفا إلا وهو يتمثل من شعر أبي حية النميري
بشيء " . ويقول الحصري^٥ : " كان أبو حية جود الطبع ، مألوف
الكلام رقيق حواشي الشعر "

- ١- الأغاني ٢٧ / ١٩
- ٢- طبقات فحول الشعراء ٥٨٣ /
- ٣- ناصفة : دار بني عقيل ، بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
بالحجاز ٤٠
- ٤- معجم ما استمعتم ١٢٨٧ / ٤
- ٥- الأغاني ٢٠٨ / ٦
- ٦- الأغاني ١١٣ / ١١٤ - ١١٤
- ٧- طبقات الشعراء ١٤٦ /
- ٨- زهر الآداب ٣٢٢ / ١

ويحس قارئ شعرهم أنه أمام فنانين لا يملون عقولهم كثيرا
 في فنهم ، وإنما يطفو عقلهم الواعي على سطح الانفعال الذي يحمته
 توقد العاطفة وكأنهم يفكرون بعقولهم . ويبدو أن لذلك أثرا كبيرا في شعرهم
 بحيث تقل فيه الصور المثالية قلة ملحوظة ، وحيث تناسب الكلمات
 رقيقة في إطار غنائي يقصر حال الشاعر ، ويعرض حكايته ، ويمرر
 صدق قلبه موشى برق اللقاء التي لم تستطع أن ترأبه . وحيث تقل في
 شعرهم الأبيات التي تغمش على هامش القوائد ، ولذا فأكثر قصائدهم
 قصيرة تستغني عن المقدمات ، وتحقق فيها وحدة الغرض لأن الشاعر
 ليس مهتما إلا برعشة نفسه ، وخفقة قلبه ، فقد صدقوا نفسيا وصدقوا
 فنيا . صدقوا نفسيا فتكشفت عواطفهم ، وتعتت نفوسهم على ما يبعثها
 وصدقوا فنيا فلم يتصنعوا ولم يتكلفوا ، بل كان لسانهم معبرا لما
 في قلوبهم ووجدانهم ، ولذا لم يمت شعرهم ، ولن يموت ما دام قلب
 الإنسان ينبض بالحب ، ويكلف بالجمال .

في قضايا اقتصادية ؛

=====

في الحياة الاقتصادية في العصر الأموي كثير من الاضطراب ، ولذا كان
بعض زعماء العرب ولائهم قد غافروا باقتاعات واسعة في المدائن ، ونالوا كثيرا من
عطايا الأمويين فان الحال مختلفة في البوادي التي ظل أهلها يعتمدون ما
تجود به السماء ، فان أمانيهم سنة أجدبت أرضهم ، وهلك مواشيهم ،
وساء حالهم ، وانطلق بعضهم الى الخلفاء والأمرأ يستمعيونهم بمدائحهم
" والمدح أثر في آثار الحياة الاقتصادية ، أو هو وسيلة من وسائل التغلب
على المشكلات الاقتصادية التي يعانيها صاحبها ، ولكنها وسيلة تعبر عن تلاؤم
اجتماعي يستشعره الشاعر في الخلق جمع الذي يعيش فيه " . فحين أقدمت السنة
نابغة بنو جمدة وفد على ابن الزبير ، فمدحه بقصيدة منها قوله :
أتاك أبو ليلى يحوب به الدجى
دجى الليل جواب الفلا تعشتم
لتجبر منه جانباً زغزعت به
صروف الليالي والزمان المصم^٣
ويروي أن حميد بن ثور وفد على بعض خلفاء بني أمية ، فقال له : ما جاء بك ؟
فقال :
أتاك بي الله الذي قوة من ترى
وخير ومعرف عليك دليل^٤
ولما أصابت قوم أبي ربيعة السعدى سنة مجدية ، وفد أبو ربيعة على عبد الله
ابن الحسن وأخوته ، فمدحهم ومن ذلك قوله :
هم السدى والندى ، ما في قناتهم
إذا تموجت العبدان من أود^٥
ويروي أن مروان بن الحكم مريادية بنو جعفر بن كلاب فرأى قلبية بنت بشر
- التي تزوجها فولدت له بشرا - تنزع بدلو على ابل لها ، وتقول واصفة حال
قومها الذين لم يترك لهم الجذب الا مقدار ما يسكنهم :
عامان ترقيق وعام تمصا
لم يدع في رأس عظام ملدا
لم يترك لحما ولم يترك ديسا
الا رذايا ورجالا رز ملسا
ويذكر أن ليلى الأخلية وفدت على الحجاج فسألها عن سبب وفادتها عليه ،

١- أنظار فتوح البلدان / ٥٠٤ وما بعدها

٢- حياة الشعر في الكوفة / ٤٨٩

٣- الأغاني ٥ / ٢٨ شعره / ٢٠٥

٤- الأغاني ٤ / ٣٥٢ ، ديوانه / ١١٦

٥- الأغاني ١٢ / ٢٤٨

٦- الأغاني ١ / ٣٣٥

فقلت : " اخلاف النجوم ، وقلة الفيوم ، وكلب البرد ، وشدة الجهد .
فسألها عن الأرض فقلت : الأرض مقشورة ، والفجاج مذبذبة ، وذو الفنى
مختل ، وذو الحد منفل ، ثم قلت : أمابتنا سنون مجحفة مائلة ،
لم تدع فصيلا ولا ريعا . . . فقد أهلكك الرجال ، ومزقت الميال ، وأفسدت
الأموال . " وقد يظنون بعد سنة مجدبة ، فيستقبلون الكلاء دون مواش ،
والى ذلك أشار المجير السلولي حين سأله نافع بن علقمة الكثاني عن الطار ،
فقال المجير :

يا نافع يا أكرم البرية والله لا أكذبك المشية
إننا لقينا سنة قسيبة ثم مطرنا مطرة رويبة

فنبئت البقل ولا رعيبة
وطبيعي أن يكون الجذب من أسباب ارتفاع الاسعار ، ويبدو أن أبا وجيزة السمدى
شكا الى أحد المسؤولين الفلاء ، وذلك ، قوله :

أشكو الى الله العزيز الجبار ثم اليك اليوم بعد المستار
وحاجة الحبي وقط الأسفار

ويبدو أن من التجار من اتباع طريقة موهجة في جمع الثروات ، ولذا نرى عقيل بن
علفة يحرض على مطالبة التجار ، وأكل أموالهم :

خذوا مال التجار واطلوههم الى أجل فانهم لك سام
بمطل لا يكون له وفاء ووعد لا يكون له تمام

فليس عليكم في ذلك اثم لأن جميع ما جمعوا حسام
وإذا كانت عشرة الدنانير التي كان يبيعها الرجل القيسي في مصر
كل شهر ، قد أغرت جماعات من القيسيين في الهجرة من البوادي الى مصر .

فان في أخبار الخلفاء والولاة في العصر الأموي ما ينمى بالفنى الفاحش .
وهو غنى مصدره الأموال الختلفة من الفتوح ، فقد نظر الحجاج في الذي
حمله محمد بن القاسم الثقفي من غنائم بلاد السند فكان " مائة ألف ألف وعشرين
ألف ألفا " . ويبدو أن بعض الولاة تفننوا في جمع ضرائب استثنائية أرادت
الناس ، واستنزفت أموالهم . فزياد بن أبيه يقول لمعاوية : " دوخت المراق ،
وجبيت برها ، وحرها وغشها وسمينها ، وحملت اليك لها وقشورها " .

١- الأغاني ١١ / ٢٤٠ - ٢٤١ ، الأمل ١ / ٨٥ ، النجوم الزاهرة ١ / ١٦٤

٢- الأغاني ١٣ / ٦٠

٣- اصلاح المنطق / ٨٠ أساس البلاغة ٢ / ١٦٨

٤- الحماسة البصرية ٢ / ٣٧٨

٥- الولاة والقضاة / ٧٧

٦- تاريخ ابن الاثير ٤ / ٥٣٩

٧- الوزراء والكتاب / ٢٧ .

— ١٤٤ —

ويذكر أن أحد أخوة الحجاج صادر أملاك الأهالي ببلاد اليمن ، وأثار حنقهم وسخطهم لأنه فرغ عليهم ضريبة معينة (وظيفة) ، عدا المشرق الذي قرره الاسلام . وكان الحجاج فظاً في معاملة أهل العراق ، فأضطرب أهل الذمة الى الدخول في الاسلام مما سبب انكساراً في الخراج ، ولكن الحجاج أعاد مدون سندات شرعية - جميع التزامات الأثاوة على أولئك ، وأرغصهم على ترك المدن ، وأعادهم الى قراهم . وكان صنيعه من أسباب ثورة عبد الرحمن بن الأشعث . وقد ساء عبد الملك كثرة انفاق الحجاج الأموال بعد القضاء على ثورة ابن الأشعث ، فكتب اليه عبد الملك : " أما بعد ، فقد بلغني أنك تنفق في اليوم ما لا ينفقه أمير المؤمنين في أسبوع . . . فعليك بتقوى الله في الأمر كله ، ووفر خراج المسلمين وفيئهم ، وكن لهم حرمنا يجبر ويمنع " . وكان بعض الولاة يعمدون الى انتداب الأعليات ، أو الى حرمان أهل مصر من الزيادة المقررة في أعطياتهم . وقد ذكر أن معاوية بن أبي سفيان أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطياتهم ، فأبى النعمان بن بشير الانصاري ، والي الكوفة ، أن ينفذها لهم ، لأنه كان ينفذ أهل الكوفة لرأيهم في علي كرم الله وجهه ، فقال عبد الله ابن همام السلولي :

زيادتنا نعمان لا تحبسناها	خف الله فينا والكتاب الذي تتلوه
فانك قد حملت منا أمانسة	بما عجزت عنه الصلاخمة البزلة
فلا يك باب الشر تحسن فتحه	هاب الندى والخيرات لسه قتل
وقد نلت سلطاناً عالياً فلا يكن	لفيراء جمات الندى ولك البخل
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه	فما باله عند الزيادة لا يحل
وقبلك قد كانوا علينا أئمة	يهمهم تقويمنا وهم عصا
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا	ولكن حسن القول خالفه الفعل
يدمون دنياهم وهم يرمونها	أفأويق حتى ما يدر لهم ثعل
وروي أن عامر بن سمود تزوج امرأة من بني نصر بن معاوية ، فأخذ أرزاق أهل الكوفة كلها لشهر ، فقال ابن همام السلولي يهزأ به ، ويصيره ، ويشكوه الى	

- ١- فتوح البلدان / ٩٩
- ٢- تاريخ الطبري / ٣٨١ ، وانظر مقدمة في التاريخ الاقتصادي / ٣٢
- ٣- تاريخ ابن عساکر / ٦٦
- ٤- الفاضل / ٧٦ ، الكسامل للمبرد / ٢٧٦ ، النوادر / ٤ ، الأغاني / ٣١/١٦
- ٥- رغبة الأمل / ١٨٦
- ٥- الصلاخمة : جمع صلخم ، يريد الجمال الصلبة الشديدة . البزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذي انشق نابه ، وذلك في العام التاسع من عمره .

ابن الزبير :
 ما زلت أرجو أبا جعفر وسيرته
 أنكحتم يا بني نصر فتاتكم
 أنكحتم لا فتى دنيا يعاش به
 يا ابن الزبير لقد وليته شبة
 لا يستطيف له مال فيترككم
 حتى نكحت بأرزاق المساكين
 وجهها يشين وجوه الربوب الممين
 ولا شجاعا اذا شقت عصا الديين
 كز اليدين بخيلا غير عشرين
 ولا يقول لما يعطاه يكفيني
 وفي سنة خمس وسبعين للهجرة خرج أهل البصرة على الحجاج لأنه نقض أعالياتهم
 والتفوا حول عبد الله بن الجارود .

ولعل الثلمة الكبرى في النظام الاتحادي في مصر الاموى تتمثل
 في خيانة العمال والولاة ، حتى أصبحت أمرة الولايات تتخذ وسيلة للحصول على
 الثروة وجمع المال من باب غير شريف . ففي سنة تسع وخمسين للهجرة استعمل
 معاوية بن سفيان عبد الرحمن بن زياد على خراسان ، وأخذ أسلم بن زرعة
 الكلابي فحبسه وأخذ منه ثلثمائة ألف درهم . وذكر أن سليمان بن عبد الملك
 أغرم عفر بن هبيرة الفزاري مائة غزاة في البحر ألف ألف درهم ، فمشى
 زعماء قيس إلى يزيد بن المهلب ، والي العراق ، وذكروا له أن أموال قيس
 لا تحتل هذه الأموال ، فتحملها يزيد عنهم . وكان سليمان بن عبد الملك
 قد دفع أصحاب الحجاج ، وموسى بن نصير ، وخالد بن عبد الله القسري ،
 ويوسف بن عمر الثقفي ، والحكم بن أيوب ، وعبد الرحمن بن حبان المري إلى
 يزيد بن المهلب ، وأمره أن يمدبهم حتى يستخرج منهم الأموال . وروى أن
 هشام بن عبد الملك عزل خالدا القسري سنة ١٢٠ هـ عن أعماله لأن غلته بلغت
 ثلاثة عشر ألف ألف ، وقيل بلغت عشرين ألف ألف ٧ . وفي سنة ١٢٦ هـ
 اشترى يوسف بن عمر الثقفي خالدا القسري من الوليد بن يزيد بخمسين ألف ألف ٨ .

١- أنساب الأشراف ٥ / ١٩١ ، وأبو جعفر : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٢- تاريخ ابن الأثير ٤ / ٣٨٢ .

٣- السيادة العربية / ٣٠ ، وقال الفرزدق لما ولي عبد الملك العراق عمر بن
 هبيرة :

أوليت العراق ورافد يسه
 تفيقه بالعراق أبو المثنى
 فزاريا أخذ بيد القمي
 وعلم قومه أكل الخبيث

زهر الآداب ١ / ٢٦ ٤- تاريخ ابن الأثير ٣ / ٥٢١

٥- وفيات الأعيان ٦ / ٢٨٠ ٦- تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٩٤

٧- تاريخ الطبري ٧ / ١٤٢

٨- تاريخ الطبري ٧ / ٢٥٩ وفيات الأعيان ٧ / ١١٠ .

وقد تنبه الشعراء الى سرقات الولاة والعمال ، ونددوا ببذخهم وترفهم ،
فحين تزوج مصعب بن الزبير سكينه بنت الحسين بألف بألف ، كتب عبد الله
ابن همام السلولي الى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت قدوات الجيوش جياعا
لولا أبي حفص أقول مقاتلي وأهث ما أبشتكم لارتسا عا
وبعد موت يزيد بن معاوية ، اصطاح أهل الكوفة علي غامر بن مسعود
الذي ولي عمالا فأساءوا السيرة ، ومالوا الى الخيانة ، فرفع ابن همام
السلولي الى ابن الزبير وثيقة شعرية بشأنهم ، وفيها يذكر أسماهم ،
ويوضح خيانتهم ، ويطلب بمحاسبتهم بوصفيتهم حتى تبين سرقاتهم ،
والقعدة ٢ تسير على هذا النحو :

يا ابن الزبير أمير المؤمنين ألسم يبلغك ما فعل العمال بالعمال
باعوا التجار طعام الأرض واقتسموا صلب الخراج شحاها قسمة النقل
وقدموا لك شيئا كاذبا خذ منها يقل لك شيخ كاذب يقلل
وفيك طالب حق ذو مرانيسة جلد القوى ليس بالواني ولا الوكل
أشدد يدك يزيد ان ظفرت به واشف الأراطل من دحروجة الجمل
انا منينا بضرب من بني خلف خذ المصيفير فانتهر ريشنا منه
وقيس كندة ٧ قد طالت امارته يري الخيانة شرب الماء بالمسسل
وخذ حجيرا ٨ فأتبعه محاسبة لا غمر فيها ولكن جمة السبل
ما رايتي منهم الا انتفاعهم بسرة الأرض بين السهل والجبل
ومن عذرت فلا تعذر بني قحليل الى الخبيث عن المحناة والبهل

- ١- الأغاني ٣ / ٣٦١ ، ويرويها أبو مخنف لأنس بن زعيم الليثي ، أما عمر
ابن شبة فيرويها لابن همام السلولي .
- ٢- أنساب الإشراف ١٢١ / ٥ وما بعدها .
- ٣- الشيخ هو مرثد بن شرحبيل كان أمينا على التجار في بيع الطعام .
- ٤- دحروجة الجمل هو غامر بن مسعود الذي ولي الكوفة لابن الزبير ثم عزله .
وزيد : مولى لعتاب بن ورقاء وكان خازن دحروجة الجمل .
- ٥- هو دحروجة الجمل السابق .
- ٦- يعني عبد الله بن أبي عصفير الثقفي وكان على المدائن .
- ٧- هو قيس بن يزيد الكندي .
- ٨- يريد حجيرا بن حجار بن الحر كان على الزواحي .
- ٩- بنو قهل : من تميم بن ثعلبة وكانوا على مدقات بكر .
- ١٠- الصحناء : طعام يتخذ من صفار السمك .

وما غلام على أرض صالحة
يجبى إليه خراج الأرض متكثا
والوالي^٢ الذي مهران^٣ أمره
ودونك ابن أبي عث^٤ وصاحبه
ولا يكون مال الله مأكلة
ومنقذ بن طريف من بني أسد
وما أخينس^٥ جعفري بمائمه
وأخيران من العمال عندهما
محمد بن عمير^٨ والذي كذبت^٩
وما فرات^{١٠} وان قيل امرؤ ورع
والجارش^{١١} أسيرضيه أن تقاسمه
وإدع الأتارع فاقرعهم بداهية
كانوا أتونا رجالا لا ركاب لهم
لن يمتبوك ولما يحمل هامهم
ان السياط اذا عضت غواربهم
وقد خرج عمرو بن أحمر الباهلي بما لا يقي قومه من ظلم عامل الصدقة ،
وعسفهم ، فشكاهم الى يحيى بن الحكم بن أبي العاص والي المدينة
لعبد الطنك بن مروان ، وكشف في شكاته عما يعاني قومه من بطش السعاة
الذين لم يراعوا فقرهم وجذب بلادهم ، فكسوا جلود شيوخهم السياط

- ١- دستبنى : كورة كبيرة في فارس بين الري وهمدان .
- ٢- الوالي : هو سعيد بن حرطة بن الكاهل الوالي .
- ٣- مهران : هو مولى لزياد وهو الذي جعل الوالي في عداد العمال .
- ٤- ابن أبي عث : هو رجل همداني كان على الدينوري .
- ٥- هكذا في الحميان ٣٣٢/٥ والبيت في أنساب الأشراف برواية مختلفة .
- ٦- يريد نصيم بن دجاجة ، وكان على أسفل الفرات .
- ٧- يعني زحر بن قيس ، وقيل هو محمد بن أبي سبرة وكان على جوخ .
- ٨- يريد محمد بن عمير بن عطارد أحد أجواد العراق .
- ٩- هو يزيد بن روم .
- ١٠- هو فرات بن زحر ، قتله المختار يوم جبانة السبيع .
- ١١- يريد السري بن وقاص وكان على نهاوند .
- ١٢- سمود هذا من بني أسد .
- ١٣- الحجل : جمع حجل وهو القيد .

الموجعة ، لينتزعوا منهم الابل التي طلبوها ، وحتى يظهروا للناس أنهم انما أعطوها بنفوس راضية ، وذكر ابن أحمـر الوالي أن قومه مسلمون ، ليسوا نصارى ولا يهود ، وهم على طاعة السلطان ، ينهضون بما يأمرهم به ، كما نهى الوالي الى تدارك قومه والا أقـرت منازلهم منهم ، وطالب بحاسبة السعاة محاسبة تكشف عما في صدورهم من حقد وغليلة :

يا يحيى يا ابن امام الناس أهلكنا ضرب الجلود وعصر الماء والحسرا
ان تنب يا ابن أبي العاصي بحاجتنا فما لحاجتنا ورد ولا صدر^٢
ما طرقت نرض وأن كلفتنا شططا^٣ وما كرهت فكره عندنا قـذر^٣
نحن الذين اذا ما شئت أسمعنا داع فجئنا لأى الأمر نأتمـر
اني أعوذ بما عاذ النبي به وبالخليفة أن لا تقبل العذر
من قترفكم وأصحاب لنا معهم لا يمدلون ولا نأبى فننتصر
فان تقرر علينا جور مظلـمة وربها لكتاب الله مستـر
يكسونهم أمبيـيات محـدرة ان الشيوخ اذا ملأ وجموا ضجروا^٤
حتى يلبسوا لهم نفسا علانية عن القلائى التي من دونها مكروا
لسنا بأجساد عاد في طبع ثعنا لا نألم الشر حتى يألم الحـجر
ولا نصارى علينا جـزئة نسـاء ولا يهود طغاما دينهم هـدر
ان نحن الا أناس أهل سائمة ما أنلسا دونها حرث ولا غـرر
ملوا البلاد وملتهم وأحرقهم ظلم السعاة واد الماء والشجر
ان لا تداركهم تصيح منازلهم قرا تبش على أرجائها الحـمر^٦
أدرك نساء وشيا لا قرار لهم أن لميكن لك فيما قد لقوا غير^٧
ان الميـاب التي يخفون مشـرجة فيها البيان ويلوى دونك الخـبر
فابحث اليهم فحاسبهم محاسبة لا تخف عين على عين ولا أثر

- ١- الحسر : التصب والاعياء .
- ٢- نبا بحاجته : أى أهملها وترك النظر فيها ، ولم يندفعه من ظالمه ولا أعان عليه . الورد : أن ترد الابل الماء لتشرب . الصدر : أن تنصرف عن الماء . وما لحاجتنا ورد ولا صدر : أى يهلكون وتهلك أموالهم .
- ٣- كلفتنا شططا : حططنا مالا طاقة لنا به ولا نقدر عليه . قدر : من قدرت الشيء أقدره اذا كرهته واجتنبته .
- ٤- الاصبـيات : السياط . صوط محدرج : مفار أى وحكم القتل أـلمس .
- ٥- يزيد أن عمال الصدقات كانوا يجلدون شيوخ القبيلة حتى يعطوهم الابل التي طلبوها ، وحتى يظهروا للناس أنهم انما أعطوها بنفوس راضية .
- ٦- تداركهم : تنقذهم . الحمر : جمع حمرة وحمرة وهي ضرب من الطير .
- ٧- الميـاب : جمع عيبة وهي ما يجعل فيه الشباب ، والمرب تكني عن الصدور والقلوب التي تحتوى على الضمائر المخفاة بالمـيـاب . مشـرجة : مـفقودة .

- ١٤٩ -

ولا تقولن زهوا ما تخبرنسي لمهترك الشيب لي زهوا ولا العور
سائلهم حيث يدي الله عورتهم هل في صدورهم من ظلمنا وحسرا^١
وهرع الراعي النمرى الى عبد الملك بن مروان يستغيث به من عمال المدقات^٢
وأنشد بين يديه قصيدته " اللامية " التي عدّها أبو زيد القرشي^٣ آمن
" المحصلات " . وقد بدأها الراعي بداية تكشف عما في نفسه من ألم
ومرارة لما أصاب قومه من ظلم السعاة :
ما بال دفاك بالفراش مذبيلا أقبلى بيمينك أم أردت رحيملا
لما رأيت أرقى وطول تلددى ذات العشاء وليلي المومولا
قالت خليدة ما عراك ؟ ولم تكن أبدا اذا عرت الشوون سو^٤ ولا
أخليد ان أباك بات وساده دمان باتا جنبه ودخيملا
طرقا فتلك مما هم ، أقرههما قلما لواقع كالقسي وحسولا
ثم يفيز الشاعر في وصف اهله ورحلته الى عبد الملك . ويحاول أن يبرئ
نفسه من الخروج على طاعة الخليفة الغاضب على بني نمر لانهم كانوا مع
الضحاك بن قيس في مرج راهط ، فيقسم الراعي أنه لم يتبع ابن النخير ،
ولم يشايخ نجدة بن عامر الخارجي ، ولم يشترك مع موافق :
اني حلفت على يمين برة لا أكذب اليوم الخليفة قبيلا
ما زرت آل أبي خبيب طائعا يوما أريد لبيعتي تبديلا
ولما أتيت نجدة بن عويمر أبغي الهدى فيزدني تخليلا
وشنت كل منافق متقلب ترك الزلازل قلبه مدحسولا
كما يذكر الخليفة أن قومه عرب مسلمون ، يقيمون الصلاة ، ويؤدون
حق الزكاة ، ولكن السعاة عصوا أمر الخليفة فساموا الصريف
سياط المذاب فأخذ يستنجد بالخليفة البعيد ، وكأنه مداهم كسر
جناحه ، لا يجد من يسهفه غير أولئك القساء من عمال المدقات
الذين لم يراعوا ما أصاب القوم من قحط ، بل تشددوا فتركوا الفتي فقيرا
والفقير مهزولا :
أخليفة الرحمن انا معشر حنفاء نسجد بكرة وأسميلا
عرب نوى لله في أموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا
ان السعاة عصوا يوم أمرتهم وأتوا دواحي لو علمت وغولا
أخذوا الصريف فباعوا حيزومه بالا صبحية قائما مضلولا

- ١- أنار القصيدة في شمر ابن أحر / ٩٥ . الوحسر : الفيظ والحدق
- ٢- جبهة أشعار العرب / ٢١٢ . والقصيدة في شمر الراعي / ١٢٤
- ٣- دخيلا : داخلا في الفوائد . ٤- حولا : جمع حائل وهي الناقة حمل عليها فلم تلحق .
- ٥- الصريف : ريس القوم وختكلمهم .

لحما ولا لفؤاده ممقولا منه السياط يراعة اجفيسلا^١ شمس تركن بضيمه مجزولا^٢ لا يستطيع عن الديار حمولا خرق^٣ تجربه الرياح ذبولا يدعو بقارة الطريق هديلا^٤ ورأى بمقوته أزل نسولا^٥ نهش اليدين تخاله مشكولا^٦ غرثان ضرم عرفجا جلولا^٧ أسى سواهم عزين فلبولا ما عونهم ويضيعوا التهليللا قوم أصابوا ظالمين قتيلا في كل مقربة يدعن رعيلا^٨ الا حموضا وخمة وذبيلا^٩ عقدا يراه المسلمون ثقيلا بعد الفنى وفقرهم مهزولا ويبدو أن الراعي ظن أنه بهذه الصور المفردة لحال قومه يستطيع استمالة عبد الملك ، فطالب برفع المظالم ، وهدد وتوعده : عنا وأنقد شلوننا الماكولا	حتى اذا لم يتركوا لمظامه جاءوا بهمكهم وأحذب أسارت نسي الأمانة من مخافة لقص أخذوا حمولته وأصبح قاعدا يدعو أمير المؤمنين ودونسه كهداهد كسر الرماة جناحه وقع الربيع وقد تقارب خطوه متوشح الأقارب فيه نهمة كدخان مرتجل بأعلى تلمعة أخليفة الرحمن ان عشيرتي قوم على الاسلام لما يتركوا قطعوا اليمامة ياردون كأنهم يحدون حدبا مائلا أشرافها شهرى ربيع ما تذوق ليونهم وأناهم يحس فشد عليهم كتبا تركن غضبهم ذا عيلة ويبدو أن الراعي ظن أنه بهذه الصور المفردة لحال قومه يستطيع استمالة عبد الملك ، فطالب برفع المظالم ، وهدد وتوعده : عنا وأنقد شلوننا الماكولا
--	--

- ١- اليراعة : قسيه شبه بها قلب العريف . الاجفيل : الذى يهرب من كل شيء فرقا .
- ٢- لقع : أيد ترتفع عليه بالسياط ، شبهها بأذناب الابل اللواقح .
شمس : عسر . البضيع : اللحم . مجزول : مقطع من قولهم : جزله بالسيف
أى قطعه قطعتين .
- ٣- الخرق : الفلاة الواسعة . الهداهد : الحمام الكثير الهداهد .
- ٤- المقوة : الساحة ، المحلة . الأزل : الذئب . النسول : السريع المدو
- ٥- الأقارب : الخواصر . نهش اليدين : خفيفهما .
- ٦- المرتجل : الطابخ بالمرجل . العرفج : نبات سهلي .
- ٧- الحدب : النياق الهزيلة . أشرافها : أسنتها . المقربة : الطريق
في الجبل . الرميل : القطيع .
- ٨- الحموض : جمع حمض . وخمة : ذات وخم . الذبيل : اليابس .

- ١٥١ -

فلئن سلمت لأدعون بطمئنة تدع الفرائض بالسديف قليلا
ويروى أن عبد الملك قال للراعي لما منعه تهديد : " وأين من الله
والسلطان لا أم لك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : من عامل إلى عامل ،
ومصدق إلى مصدق ، فلم يحفظ ولم يحل منه بشي . فوفد إليه من
قابل : وأنشد بين يديه قصيدته " الدالية " ومطلبها :
بان الأحية بالمهد الذي عهدوا فلا تمانك عن أرض لها عمدا
وتلطف لعبد الملك فجعله مغزعا لكل مظلوم :
اني وإياك والشكوى التي قصرت خطوى ونأياك والوجد الذي أجد
كالما والظالم المديان يطلبه هو الشفاء له والرأي لو يسرد
ثم كشف عن أطماع السعاة وظلمهم ، فقد جمعوا أضفاف حق الزكاة
المطلوب ، فلم يبق للفقير شي يستعين به ، واستنزفت أموال الأغنياء ،
ونفشد الراعي الخليفة أن يدرك القوم والا هلكوا :
أزنى بأموالنا قوم أمرتهم بالحق فيما أبقوا وما قصدوا
نصلي الزكاة فما يرضى خطيئهم حتى تضاعف أضفافا لها عدد
أما الفقير الذي كانت حلوته وفق العيال فلم يترك له سبدا
واختل ذو الوفر والمثرون قد بقيت على التلاثل من أموالهم عقود
فان رفعت بهم رأسا نعشتهم وان لقوا مثلها في قابل فسدوا
ويبدو أن الراعي نجح هذه المرة في استمالة الخليفة ، فقد ذكر أن عبد الملك
قال له عند انشادهما : " أنت العام أعقل منك عام أول " .

١- الفرائض : جمع فريضة ، وهي من الإبل والغنم ما بلغ عدده الزكاة ،
والفريضة أيضا ما يؤخذ من السائمة في الزكاة سمي فريضة لأنه فرض واجب
على رب المال ، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة .
وصحح محمد محمود شاكر هذا البيت على هذا الوجه :

ولئن بقيت لأدعون بطمئنة تدع الفرائض بالشريف قليلا

طبقات فحول الشمر ٤٤١ / .

٢- طبقات فحول الشمر ١٠٠ / .

٣- شمره ٥٤ / .

٤- الحلوة : الناقة التي تحلب وكذلك الشاة وهي بمعنى حلوة كما
يقال ناقة ركوبة أي مركوبة . وقوله : وفق العيال ، أي لها لبن قدر
كفايتهم لافضل فيه عنهم . السيد : الشمر ، وقيل النهر . فاذا
قيل ماله سبد ولا لبس فمعناه : ماله ذو ورس ولا صوف متلبس ،
يكفى بهما عن الإبل والغنم ، وقيل يكفى بهما عن الممر والضأن .

وفي صدر الاسلام ، حيث نازح الدولة التي تخالف النظام
القبلية في كثير من الوجوه ، حبس بعض الشعراء الخارجيين على بعض
قواعد الدولة وقوانينها ، ومنهم الحايثية وقصته مع الزرقان بن بدر
مشهورة ، وأبو محجن الثقفي الذي حبسه سعد بن أبي وقاص فسي
قصر المذيب ، وهو القائل :
إذا قت عنائي الحديد وأغلقت مصاريع من دولي تصم الناديا
وقد شف جسمي أنني كل شارق أعالج كبلا مصقا قد برانيه
وفي العصر الاموي ، كثرت المنازعات القبلية والثورات السياسية ،
وانتشرت حوادث الارهاب والفتك ، فامتلات السجون . وكان
لقبلية قيس دور بارز في أحداث العصر السياسية والقبلية ،
فطبيعي أن نجد بعض مشهورها يحبسون ويعذبون ،
وينفذهم السجن شعرا يفصح عن مآساتهم . ومن أولئك ، محمد
ابن القاسم الثقفي ، القائد المشهور الذي ذهب بحية القلب
السياسي ، فهو من رجالات الحجاج ، ومن أعظم القادة
المسكرين في العصر الاموي . وكان فتحه بلاد السند سنة
خمس وتسعين هجرية من أعظم الفتوح الاسلامية ، فبعده لم
يتجاوز أحد من الغزاة فتوحاته فيها الى أيام الفزنويين .
ولم تطل مدة محمد بن القاسم على السند فقد توفي الحجاج في
السنة نفسها ، وتبعه الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين

١٠- أرباب السجون / ١٥

٢- نفوسه / ٢١

۲۹ - نفسه

٤- فتوح البلدان / ٣٦٣ ، تاريخ الطبری ٣ / ٤٨٠ ، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٧٥ ، الأغاني ١٨ / ٢٩٢
٥- التاريخ السياسي للدولة العرسية ٢ / ٢٣٧ .

— ١٥٢ —

للهجرة وتولى سليمان بن عبد الملك الذي كان مضطرباً على
الحجاج لأنه زين خلعاً من ولاية العهد ، ويبدو أن سليمان
رأى أن ينتقم من أقرباء الحجاج ورجالاته ، فمزل محمداً عن
السند ، وولى مكانه يزيد بن أبي كبشة السكسكي ، فأخذ
محمداً وقيده وحمله إلى العراق مع معاوية بن المهلب ، فقال
محمد متملاً :

أضاعوني وأى فتى أغاعوا ليوم كريهة وسداد شغرا
وكان صالح بن عبد الرحمن علي خراج العراق ، فحبس محمداً
بواسطة . وفي السجن ، أخذ محمد يملل نفسه بما
يجيش على لسانه من شمر يطأج بالآلم والمرارة والشعور بالظلم .
ومن ذلك قوله :

فلئن ثويت بواسطة وأرضعها ربح الحديد مكبلاً مفلولاً
فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلاً^٢
وقوله ينمى على المروانيين ظلمه ، ويتذكر بطولاته الحربية ،
ويندب حظه حيث أفل نجمه وتسلب عليه من لا يدانيه :
أينسى بنو مروان سمعي وطاعتي واني على ما فاتني لهيبور
فتحت لهم ما بين سابور بالقنا إلى الهند منهم زاحف ومخير
ولو كنت أزمعت الفرار لوطئت اناث أعدت للوفى وذكور
وما وطئت خيل السكاسك عسكرى ولا كان من عك علي أمير^٣
وما كنت للمبد المزوني تابعا فيما لك دهر بالكرام عشور^٤

وكان عاصم بن عبد الله الهلالي والياً على خراسان لهشام
ابن عبد الملك ، فكتب إلى هشام ينصحه بضم خراسان إلى
العراق لقربها ، ولتباعد الخليفة عنها ، وتباعدوا غياثه ،
واخطار عاصم إلى مصالحة الحارث بن سريج الذي خلع وثار على
الدولة ، وأرسلا إلى هشام يسألانه كتاب الله والسنة^٥ ،

-
- ١- فتوح البلدان / ٦١٨ ، تاريخ ابن الأثير / ٤ / ٥٨٨
 - ٢- فتوح البلدان / ٦١٩ ، تاريخ ابن الأثير / ٥٨٨
 - ٣- فتوح البلدان / ٦١٩ ، معجم الشعراء / ٣٤٣ ، تاريخ
ابن الأثير / ٤ / ٥٨٨ ، الوافي بالوفيات / ٤ / ٣٤٥ .
 - ٤- تاريخ الطبري / ٧ / ١٠١ .

فعرل هشام عامما سنة مئة وسبع عشرة للهجرة ، وولى خراسان
خالد القسرى ، فاستخلف خالد أخاه أسدا عليها فحبس عامما ،
فقال يندب حظي ، ويتمنى الموت خلاصا من واقعه المرير ،
أميحت بجيلة سلطنة عليه :

أضحت بجيلة من فوق سلطنة خطاب جليل لعمري شأنه المعجب
يا ليتني مات لم تخفر بجيلة بي كذلك الدهر بالإنسان ينقلب
وفي قطعة أخرى ينحني على نفسه أن يكون قاضيه هو سجنه :
تخاصمني بجيلة ثم تقضي لأنفسها لبئس الحكم ذاكما
إذا ما كان خصمك يا ابن عمرو هو القاضي الذي يقضي علاكا
وحسبك من بلاء أن تولى قضاء في أمورك من دهاكا
ويبدو أنه يتوجه بهذه القطعة إلى الخليفة يطلب منه أن يتدخل
لفك أسره ، وفيها يظهر برمه بالسجن ، ويصور قيده مرويا بدم
ساقه ، ويتنصل من تهمة الخلع ، فقد حارب الحارث بن
سريح الذي خلعه :

حباي خليتي القسرى قيدا لبئس على الصداقة ما حباكا
فأنقذ يافداي أبي وأمي أسيرا طال ما انتظر الفكاكا
بحرو الشاهجان إذا تروت حديد ساقه بدم دكاكا
أأخلمكم وأضرب خالكم بنصل السيف كيف يكون ذاكما ؟

ومن القيسيين من سجنهم لدوره الفعال في بعض الفتن
القبلية ، ويلاحظ أن الحسن القبلي يرتفع في ما وصل من شعرهم ،
فهم من ناحية ، يومنون أقوامهم أن يرفضوا الملاح مع القبائل
المعادية ، وهم من ناحية ثانية ، يفتخرون بفتكهم بخبرومهم
وبأنهم أشفوا نفوسهم بما قتلوا . ومن هؤلاء حنبل بن قيس
الفزاري ، وسعيد بن عيينة الفزاري ، ودراج بن قطن

١- تاريخ الطبري ٧ / ٩٩ ، تاريخ ابن الأثير ٥ / ١٨٦

٢- معجم الشعراء ١١٨ /

٣- معجم الشعراء ١١٨ /

٤- الوحشيات ١٠٣ / ٠٠

الضبابي . وقد سجن ملهلة وسميد لأنهما كانا قاعدي فزاره
في غارتها على الكلبين يوم " بنات قين " ، حيث أخذت ثأرها
بعد أن تدخل عبد الملك وودى قتلاهما الذين اغتروهم حميد بن
هريث بن بحدل الكلابي^١ . وما قاله ملهلة في سجنه هذه القطعة
التي يحرر فيها قومه على ترك الدية وطلب الثأر بالقوة :

سلام على حيي عدى وما زن وشمخ وخصا بالسلام أبا وهيب
فان أنا لم أرجع اليكم فحاربوا ولا أعرفنكم تضجرون من الحرب
وهزوا جياذ المشرفي كأننا يقعن بهام القوم في حنظل رطاب
ولا تأخذوا عقلا وشنن غارة على عبد ود بين دومة والهضب^٢
ولا يضيره القتل في السجن ما دام شفى نفسه بكثرة من قتل ———
الكلبين :

فان يقتلونني يقتلونني وقد شفى عليل فواءى ما أتيت الى كلب
فقرت به عيني وأفنيت جمعهم وأثلج لما أن قتلتهم قلبى
شفى النفس ما لاقت روفيدة كلها وأشياخ ود من طعان ومن ضرب^٣
وقريب من قوله السابق قوله لما دفع الى بني عبد ود ليقاد منه :

فان أك مقتولا يقاد برمتي فمن قبل قتلي ما شفى نفسي القتل
وقد تركت حربي رفيدة كلها مجاورها في دارها الدوف والذل
ومن عبد ود قد أبرت قبائلا فغادرتهم كلا يطيف به كسل^٤

وكذلك قول سميد بن عيينة :

فان أقتل فقد أقررت عيني وقد أدركت قبل الموت ثأرى
وما قتل على حر كرىم أباد عدوه يوما بهمار
فان أقتل فقد أهلكت كلبا ولست على بني بدر بزار^٥

أما دراج الضبابي فكان صاحب الأفاعيل يوم " بئر هراميت "^٦
بين الضباب وجعفر . وقد أخذ دراج وأرسل الى عبد الملك

-
- ١- أنساب الأشراف ٥ / ٣١٠ ، المحبر ٢٤٦ / ١ ، شرح ديوان
الحماسة ٢ / ٦٦ وما بعدها ، معجم ما استمعجم ١ / ٢٧٩ ،
تاريخ ابن عساكر ٤ / ٤٢٤ .
 - ٢- حماسة البهري ٣٢ / ١ ، والأبيات في أنساب الأشراف ٥ / ٣١١
مع بعض الاختلاف .
 - ٣- أنساب الأشراف ٥ / ٣١١
 - ٤- أنساب الأشراف ٥ / ٣١١ ، معجم ما استمعجم ١ / ٢٨٠
 - ٥- أنساب الأشراف ٥ / ٣١٢
 - ٦- نقائض جرير والفرزدق ١ / ٢٢٧ وما بعدها .

ابن مروان فحبسه ثم قتله . وما قاله في سجنه ، هذه القطعة التي
يبكي فيها نفسه ، ويفتخر ببلائه في قتل الأعداء ، ويوصي قومه بعدم
الصلح وأن يوردوا الجعفرين منهل الردى :

ألا يا غراب البين أسمعت فاربع
فأنا ربتحقيق وجدت بمعية
فليس ليالينا بطخفة والحمى
إذا أم سرياح غدت في ظمائن
فبلغ بني عمرو سلاما ورحمة
بأية أني لم أكن قد علمت
فقد كنت أعطيك طريقي وتالدي
فلا تخشعوا للقوم من خشية الردى
فان يك ظني بالحجاز ماد قسي
ويستقيهم كأسا من الموت مرة
ولما دخلت السجن أيقنت أنه
فما السجن أبكاني ولا القيد شغني
ولكن أقوما أخاف عليهم

وطر بالذي قد حم ويحك أوقع
أناها رشاش العين من كل مدفع
بمرتجعات فابك شجوك أودع
عوامد نجد كادت العين تدفع
بآيات شداتي إذا الخيل تقدر
أهلل عن ضرب الكمي المقنع
وأدفع عن أحسابكم كل مدفع
لكل امرئ يوما حمام ومصرع
يقاثلهم فردا ولا يتخشع
كما قد سقوه مثلها فتغلب
هو البين لا بين النوى ثم يجمع
ولا من حذار الموت يا قوم أجزع
إذا مت أن يمطوا الذي كنت أمتع

وممن سجن من شعراء القيسيين ، ولم يكن من عليه قومه ،
عبد الله بن الحجاج الذباني الذي سجنه كثير بن شهاب بن الحصين
في خلافة معاوية بن أبي سفيان . وكان كثير على ثغر الرى ، فأغار على
الدليم ومعه عبد الله بن الحجاج ، فأصاب ابن الحجاج رجلا وأخذ
سلبه ، فانتزعه منه كثير ، وأمر بضربه وحبسه ، فقال ابن الحجاج
يصور ظلامته ، ويتألم لتقيده حيث لا يشترى في الفزوة ، ويستنكر
سجنه فقد تبدل الدليمي على مرأى من الناس :

تسائل سلمى عن أبيها صحابه
فلا تسألني عني الرفاق فأنسه
ألسن ضربت الدليمي أما هم

وقد علقه من كثير حبائل
بأبهر لا غاز ولا جو قافل
فجدلته فيه سدان وعامل

- ١- نقائض جرير والفرزدق / ٩٣ ، التذكرة السعدية / ١٥٣
وقد تدللت قليلا في ترتيب الأبيات بالنظر إلى ترتيبها في المجمعين .
٢- الأغاني ٣ / ١٦٥ ، أبهر : مدينة بين قزوين وزنجان .
والعامل من الرمح : صدره .

وخرج ابن الحجاج مع نجدة بن عامر الحنفي الشامي ، فلما انقضى
أمر نجدة لجأ ابن الحجاج الى أحيح بن خالد بن عقبة بن أبي
معيك ، فسمى به أحيح الى الوليد بن عبد الملك ، فحبسه ، فقال
قصيدة يمتدح فيها الوليد ، ويهدمه ، ويهجو أحيح بن خالد
ومنها قوله يصف قيده وما قدم له من طعام :

فدى لك من اذا ما جئت يوما تلقاني بحمامة ربـوع
على جنب الخوان وذائك لسوء وبئست تحفة الشيخ المريـع

ويتحدث القتال الكلابي عن حارسه وعنفه به دون رحمة ، فقد رجاء
القتال ان يخرج به من السجن ولو قليلا حتى يتخفف من ضيقه ، غير
ان الحارس لم يستجب بل زاد من التضيق عليه ، ان احكم القيد
وجر القتال الى حلقات ربطت بممود فخنبت بالدم ، ليوشق قيده بها :

وكالي باب السجن ليس بمنته وكان فرارى منه ليس بموتـلي
اذا قلت : رفهني من السجن ساعة تدارك بها نعي علي وأفضـل
بشد وثاقي طابسا ويتلني الى حلقات في عمود مرمـل
أقول له ، والسيف يحصب رأسه . أنا ابن ابي اسما غير التـنـحـل ٣

ووصف طهمان بن عمرو الكلابي قيده الذي يعض ساقيه :
ألا طرقت ليلي على نأى دارها ويلي على شحط المزار طـبروق
أسيرا يعض القيد ساقيه فيهما من الحلق السم اللطاف وشيق ٤

وذكر على يزيد بن الطخيرة دين البربري ، مولى عقبة بن شريك الحرشي ،
فسجنه عقبة - وهو يومئذ أمير على العقيق من بلاد بني عقيل - فقال
يزيد - في سجنه - يمتدح عن عدم وفائه بدين البربري لكثرة ، ويستنجد
أخاه ثورا الذي يجزل له المطاء ان رأى به خلة :

فلم قل دين البربري قضيتـه ولكن دين البربري كثير
وكنت اذا حلت علي ديونهم أنعم جناحي منهم فأطير
علي لهم في كل شهر أدية ٥ ثمانون واف نقد ها وجـزور

نجي الى ثور فقيم رحيلنا وثور علينا في الحماية مـبور
أشد على ثور وثور اذا رأى بنا خلة جزل المطاء فقـور

- فـ
١ . الحميان ٢ / ٣٠٢ ، الاغانى ١٣ / ١٦٣ .
٢ . تحفه ما أتحف به الرجل من طعام وشحوه .
٣ . ديوان القتال ٧٥ / يتل : يجرب قسوة . مرمـل : ملطخ بالدم
التنحل : الادعاء .
٤ . ديوان طهمان ٢٣ / .
٥ . أدية : مال قليل .

فذلك رأيت ما بقيت وما مشى
لشور على ظهر البلاد بحير^١

ومن الشعراء من تحدث في شعره عن هربه من السجن . ومن
أولئك عمير بن الحباب السلمي الذي سجنه عبد الملك بن مروان فاحْتال
بأن أسكر الحراس ، وهرب وفي ذلك يقول^٢ :

عجبت لما تظنته الموالي
بخراج من الفمات نجاج
ونوم شرطة الريان عني
كيت اللون صافية المزاج

وهرب أمام بن أقرم النميري من سجنه بالبلقاء بعد أن رفض أبان
ابن مروان بن الحكم شفاعته ابن أبي كثير السلولي ، فقال أمام : يذكر
هربه ، دون أن يمن عليه أحد في الطلاق سراحه :

ولما ان برزت الى سلاحسي
ودرعي قلت ما أنا بالأسير
طليق الله لم يمنن عليه
أبو داود وابن أبي كثير
ولا جزء ولا ابن أبي شريف
ولا أهل الأمير مع الأمير
ولا الحجاج عيني بنت ماء
تقلب طرفها حذر الصقور^٤

ويقول من قصيدة أخرى يذكر هربه ، ويفتخر بقوته وقدرته على مواجهة
النواب ، ورفضه عسف السلطان ، وقدرته على النجاء لأنه لا يخاف الموت :

تركت أبانا نائما وتمطرت
بسرحي سول كالمقاب ذنوب
وما كنت جثاما اذا الأمرنا بني
خشوعا لريب الدهر حين ينوب
ولا ضاق ذرعي يا أبان بسختكم
ولكنني في الحادثات صليب
اذا سامني السلطان خسفا أتته
ولم أعط ضيما ما أقام عشيبي^٥
وان امرأ يخشى الردى ليس ناجيا
ولا مفلتا مما يريد شمسي^٥

أما القتال الكلابي ، ففتك بسجانه وهرب ، وفي ذلك يقول :

أقول له والسيف يصب رأسه
أنا ابن أبي اسماء غير التنحل
عرفت نداي من نداه وجراتي
وربما تغشاني اذا اشتد مسحلي^٦
تركت عناق الطير تحجل حوله
على عدواء كالحوار المجسدل

١ . الأثاني ١٦٨/٨ .

٢ . أنساب الأشراف ٣١٤/٥ .

٣ . الريان : مولى عبد الملك وصاحب حرسه .

٤ . أنساب الأشراف ١٦٦/٥ ، تاريخ ابن عساكر ١٠١/٣ مع بعض التحريف

٥ . تاريخ ابن عساكر ١٠١/٣ .

٦ . ديوان القتال ٧٦/٧ ، عدواء : أرض صلبة .

ففي الخمرة :

=====

عاقب الجاهلي الخمرة وعدّها ضرباً من ضروب الفتوة ، ولذا
فخر بشربها وقرنها بغيرها من الفضائل كالشجاعة والكرم ، يقول عنتره !
هلا سالت الخيل يا ابنة مالك ، ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الواقعة أنني
واذا شربت فأنتي ستهلك
ويقول الاعشى أشهر شمراء الخمرة في المصير الجاهلي :
وكأس شربت على لذة
لكي يعلم الناس أنني امروء
وتحدثوا عن أثرها في شاربها ، وعن طعمها ولونها ، ووصفوا آنتيتها
ومجلسها وما يتعلق به كالنديم والساق والقيان والفناء . . . ولكنهم
لم يفرقوا للخمرة قصائد مستقلة ، بل عرضوا لها في ثنايا قصائدهم .
واذا استثنى الاعشى فلما نجد لاحدا لجاهليين وقفة طويلة عند الخمرة .

وقد حرم الاسلام الخمرة واعتبرها رجسا من عمل الشيطان . وكان
الخلفاء الراشدون لا يتهاونون في اقامة حدود الدين ، فقد جد عثمان
ابن عفان (رضي الله عنه) أخاه الوليد بن عقبة ومزله عن الكوفة لأنه صلى
في الناس سكران ٣ . كما خلس الراشدون من انتهاك الشعائر الدينية ،
فقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان صاحب خمرة يشربها
ويحبها قبل اسلامه ، ولكنه قطع صلته بها في اسلامه .

ووجد في صدر الاسلام شمراء كلفوا بالخمرة ولم يتكفوا مع
منطق التحريم ، أو " لم يستطيعوا أن يفرقوا بين حكمة التحريم الديني
وبين قوامة السلطة الزمنية على هذا التحريم " ومن أولئك أبو محجن
الثقي الذي يستخف باقامة الحد :
ضربت فلم أجزع ولم أك جازعاً
وامني لذ وصبر وقد مات أخوتي
رماها أمير المؤمنين بحتفها
لعماد دهر في الحكومة جائر
ولست عن الصبابة يوما بهابراً
فخلانها يكون حول المعاصر

١- ديوانه / ٢٠٦ - ٢٠٨ ٢- ديوانه / ١٧٣

٣- تاريخ الطبري / ٢٧٦ ٤- قراءة جديدة لشمراء القديم / ٢٤

٥- الاغانى ١٨ / ٢٦٦ ، ديوانه / ١٥ ، وهو يشير في البيت الاخير
الى ما قام به عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث أضرم النار في حانات
الطائف ومعاصرها . وانظر تطور الخمرات في الشعر العربي / ٨١ .

- ١٦ -

بل ان ابا محجن يستخف بمقاب الآخرة فلا يبهمة عذاب النار ، ما دام
قضى أو طارده من الخمرة في دنياه ؛
ألا سقني يا صاح خمرا فائلي بما أنزل الرحمن في الخمر عالم
وجد لي بها صرفا لأزداد منها ففي شربها صرفا ظم المائم
هي النار إلا أنني نلت لذة وقضيت أو طاري وأن لام لائم

وفي المصرا الأثوى خرج معظم الخلفاء عن جادة الراشدين ،
وتهاونوا في تطبيق بعض الحدود . يقول الأصمعي : " كان
يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء ، وآوى
المفنين ، وأظهر الفتك وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرجون
النصراني مولاه والأخطل * . وكان مسلم بن عمرو الباهلي نديما
ليزيد يشرب معه ويفنيه ، وإلى ذلك أشار أحد الشعراء حين عزل
يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم ، بقوله :
شتان من بالصبح ادرك والذي بالسيف ادرك والحروب تسممر^٣

ويروى ان عبد الملك بن مروان كان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في
السماء هو أو في الماء^٤ . ويذكر ان عمرو بن حرثان المدائني حبا وميعة
ابن عبد الله لان الأخير ضربه حدا في الشراب ، فلما علم عبد الملك لام
أمية وقال له : هلا درأته عنه الشبهة . وقيل كان الوليد بن عبد الملك
يشرب يوما ويدع يوما^٥ ، وكان سليمان بن عبد الملك يشرب كهل ثلاث ليال
ليلة^٦ . أما الوليد بن يزيد فقد بالغ بعض القدماء في الحديث عن تهتكه
ومجهونه ، حتى قيل كان دهره بين سكر وخمار^٧ ، وهو القائل ؟

أشهد الله والملائكة الأبرار والمعابد من أهل الصلاح
أنني أشتبه السماع وشرب الكأس والمض للحدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفاره يسمى علي بالاقداح .

- (١) تطوار الخمرات في الشعر العربي / ٨٧ .
- (٢) الأغاني ، ساسي ١٦ / ٦٨ .
- (٣) انساب الأشراف ٤ قسم ٢ / ١١ وفي وفيات الأعيان ٦ / ٢٩٠ .
انه لعبد الله بن حمام السلولي وقيل بل لنهار بن توسمة .
- ٤ . التاج / ١٥٢ .
- ٥ . معجم الشعراء / ٤٦ . ٦ . التاج / ١٥٢ .
- ٧ . التاج / ١٥٢ . ٨ . التاج / ١٥٢ .
- ٩ . الأغاني ٢٢ / ٧ .

- ١٦١ -

وعلى هدى خلفاء بني أمية سار بصغر ولا تهم وأمرائهم ، فقد ذكر
أن كل من قدم المدينة من ولاية بني أمية وأحداشهم ممن يصيب الشراب
كان يدعو ابن ارباط عبد الرحمن بن سيحان ويناديه ^١ ، ومن
ندما ابن ارباط عبد الرحمن بن الحكم ، والوليد بن عثمان ، والوليد
أبـن عتبة بن أبي سفيان ^٢ . وحكـن حارثة بن بدر يشرب مع
بني زياد ^٣ . ويبدو أن عبيد الله بن زياد كان مشهورا بشربها ،
فحين قتل يوم الخازن سنة ٦٧ هـ ، قال عمير بن الحباب السلمي ^٤ :

وما كان جيش يجمع الخمر والزنا محلا إذا لاقى العدو لينصرا
وكان ابراهيم بن هشام المخزومي ، والي المدينة لعبد الملك ، ينادم
ابن عائشة ويشرب هو ورفقائه معه ^٥ .

وإذا كانت هذه حالة الخلفاء ولا تهم فلا عجب أن تنتشر عادة شرب الخمرة
في العامة ، حتى أن عامر بن مسمود خطب يوما في أهل الكوفة فقال :
" إن لكل قوم اشرية ولذات ، فاطلبوها من مظانها وعليكم بما يجمل ويحل ،
واكسروا شرابكم بالماء " وإلى هذه الكلمة يشير ابن همام السلولي بقوله
مستهزئا بالوالي :

اشرب شرابك واتعم غير محسود واكسر بالماء لا تفض بد بن مسمود
ان الأمير له في الخمر مأربية فاشرب هنيئا مريضا غير مرصود
من ذا يحرم ماء المزن خالطه في قعر خابية ماء المناقيد
اني لأكره تشديد الرواة لنا فيها ويحجيني قول ابن مسمود
ولما أراد عمير بن الحباب السلمي أن يهرب من سجن عبد الملك ، سقى حراس
السجن حتى أسكرهم ثم خرج من سجنه وقال ^٦ :

عجبت لما تظنته الموالي بخراج من الفخرات نساج
ونوم شرطة الري كميت اللون صافية المساج

وقد أحس عمر بن عبد العزيز انتشار الشرب بين الناس فكتب إلى عامله عدى
ابن أرباط كتابا يمكن أن يستدل به على موقف الناس من الخمرة في ذلك

١. الأغاني ٢/ ٢٤٧

٢. الأغاني ٢/ ٢٤٥ ، ٢٥١

٣. الأغاني ٢٣/ ٤٦٢

٤. انساب الأشراف ٥/ ٢٥١ ، تاريخ ابن الأثير ٤/ ٢٦٦

٥. الأغاني ٢/ ٢٣٦ ، وانظر الشعر الغنائي في المدينة / ٢٤٧ وما بعدها

٦. انساب الأشراف ٥/ ١٩٠ ، تاريخ ابن الأثير ٤/ ١٤٣ .

٧. انساب الأشراف ٥/ ٣١٤ .

٨. الريان : هو مولى عبد الملك وصاحب حرسه .

- ١٦٢ -

المعهد ، وما جاء في كتاب الخليفة : " اما بعد ، فانه قد كان من
أمر هذا الشراب امر ساءت فيه رغبة الناس حتى بلغت بهم الدم الحرام
والمال الحرام ، والفرج الحرام ، وهم يقولون : شربنا شرابا لا بأس
به ، وان شرابا حمل الناس على هذا لبأس شديد ، واثم عظيم .
وقد جعل عنه مندوحة وسعة في اشربة كثيرة . . . فاستغنوا بما احل
الله عما حرم ، فانه من شرب بعد ما قدمنا اليه ، اوجعناه عقوبة ، ومن
استخفى فالله اشد بأسا واثمد تنكيلا " .

وقد جرى ذكر الخمرة على السنة كثير من شعراء قيس في العصر الأموي
واستوعبت اشعارهم فيها تجارب من سبقهم ، فقل جديدهم في ميدان الشعر
الخمري ، فمنهم من عد شربها من مفاخره ، وعرض لها في معرض فخره بشجاعته
وكرمه . . . يقول الثابغة الجعدي في معرض فخره بنفسه من قصيدة :

وصبها لا تخفي القذى وهي دونه تصفق في راووقها ثم تقطرب
شربت بها والدليك يدعو صباحه اذا ما بنو نمش دنوا فتصهروا^١
ويقول في معرض فخره بنفسه في قصيدة اخرى :

وشمول قهوة باكرتها في التباشير من الصبح الأول^٢
باشرته جونة مرشومة او جديد حدث القار حجل^٣
وضع الاسكوب فيه رقما مثل ما يرقع بالكي الطحل^٤
فشربنا غير شرب واغل وظلنا عللا بعد نهـل^٥
والمعجير السلولي يفتخر باستهانته بما يتلف من ماله في سبيل لذته ،
فحين م يقوم يشربون سقسوه ، فنحمر جملته في غرة نشوت يقال

١ . نقلا عن كتاب " تطور الخمريات في الشعر العربي / ١٢٦ "

٢ . شعره / ٤ . ٣ . شعره / ٨٦

٤ . الشمول : الخمرة . والقهوة كذلك : الخمر . باكرتها : شربتها
باكرا . ٥ . جونة مرشومة : خابية مختومة . جحل : عظيم ، يعني زقا
الكار : ما يطلى به الزق . ٦ . الاسكف : الاسكاف : وهو كل
صانع والاسكوب : لفة في الاسكاف ، الطحل : ان تلتق الرثة بالجانب
اذا اصيب البعير بداء .

- ١٦٢ -

علاني انما الدنيا علل
وانشلا ما اغبر من قدركم
اصحب المصاحب ما صاحبنني
ولا ييخل مالك بن اسماء بن خازجة الفزاري على ندمانه ، بل ييذل نداه
لهم ، ولا يقبل لوصهم :
وندمان صدق قال لي بحد هداة
فقال ابخلا يا ابن اسماء هلكها
فتابعته فيسيما اراد ولم اكس
ولكنني جلد القوى ابذل الندي
ضحواك اذا ما دبت الكأس في الفتى
ومنهم من استعمار الخمرة ليصف بها ريق المرأة طيبا ولذانة ، يقول ابن
الطثرية :
كان مدامة من خمر دن
ويقول محمد بن بشير الخارجي :
وكان طعم سلافة مشمول
بل ان قول الراعي النمري :
كان ريقها والليل ممتكسر
صهبا صافية أغلى التجار بها
يذكر بقوة بقول عبيد بن الأبرص :
كان ريقها بعد الكرى اغتبت
ما يفالي بها البياح عتقها
صهبا صافية بالسك مختومة
ذو شارب اصهب يفلي بها السيمة
ويستعين بعضهم بالخمرة وأثرها ليصف حالته ، فالصمة القشيري
ان هله الشوق فسرى في مفاصله سريان الخمرة في شاربها :
شربنا بما الشوق حتى كأنما
سرت فاستقرت في مفاصلنا الخمر

- ١ . الأغاني ١٣ / ٦٣ وقيل ان البيتين : الأول والثالث من منحول يحيى
المكي . انظر الأغاني ١٣ / ٥٧ .
٢ . تزهف المقل : تستخفه . ٣ . الأغاني ١٧ / ١٦٩ .
٤ . الزهرة / ٧٩ . ٥ . الأغاني ١٦ / ١٠٩ .
٦ . شعره / ٥٠ . ٧ . ديوانه / ١٣٥ .
٨ . غالي بها : رفع ثمنها . السيمة : من سام السلمة : عرضها وذكر
ثمنها ٩ . ٩ . الحماسة الشجرية ، القسم الأول / ٥٤٢ .

- ١٦٤ -

وقريب من هذا قول العجير السلولي أيضا استفراق رفيقه الذي

كان يصيب معه الطريق ، في النوم :
دعوت وقد دب الكرى في عظامه وفي رأسه حتى جرى في المفاصل
كما دب صافي الخمر في مخ شارب يميل بعطفه ، عن اللب زاهل
ويشبه مزاحم العقيلي تغلغل الحب في جسمه بتغلغل الخمرة المعتقة

في جسم الثمل :
وتخبر قديمات الهوى أن جبهها تتبع مني كل عظام ومفصل
كما اتبعت صهبا صرف محيلة ٣ مشاش المروى ثم لما تنصصل
ويشبه عبدالله بن الحجاج الذي ياني اثر الفراق في نفسه بأثر الخمرة

في شاربها :
طربت الى الحي الذين تحملوا ببرقة أحواز وأنت طروب
فظلت كأني ساورتني مداومة تمنى بهتسا شمس الطباع أريب
تمر وتستحلي على ذاك شربها لوجه أخيهما في الاناء قطوب
كفيت اذا صبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب
ويرغب عبد الرحمن بن مسافع بن دارة في الخمرة الفارسية التي تنسي
ذوى الأحلام حلمهم ، وذلك قوله :

ألا سقياني خمرة فارسية من الأول المختوم ليست من الفضل
تنسي ذوى الأحلام واللب حلمهم اذا أزيدت في دنها زيد الفحل
ويعتذر اسماء بن خارجة الفزاري عن فحشه في القول لأنه كان مخمورا :
لمن الله شربة جعلتني ان أقول الخنا لكم يا صفيصة
لم تكوني أهلا لذائك ، ولكن اسرع البازق المقدى فيه ٥

أما عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فقد وصف ترنج الثمل ضمن هذه
الخمرة التي تركت صاحبه لا تمزبين الأخ وبين من يستترف معها ملا
يجوز بين الأخوة ، وهو معنى لم يسبق اليه الشاعر فيما اعلم :
وكأس ترى بين الاناء وبينها قذى العين قد نازعت أم أهان
ترى شاربها حين يمتورانها يميلان أحيانا ويمتدلان
فما لبس ذا الواشي بأروع ما جد وعذراء خود حين يلتقيان
دعني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرع لها بلبان
دعني أخاها بعد ما كان بيننا من الأمر ما لا يفصل الأخوان ٦

١. الأغاني ٦٥/١٣
٢. قصيدتان لمزاحم ٤/٤
٣. الأغاني ١٧١/١٣
٤. الأغاني ٢١/٢٥٦
٥. تاريخ ابن عساكر ٤٣/٣
٦. المقد الفريد ٣٤٤/٦

- ١٦٥ -

ومنهم من عرض لمجلس الخمر وما يتبع ذلك من ذكر للقيان والفناء ،
فتميم بن أبي بن مقبل يحسن الى ليلة قضاها مستضيئا بديرة فيها
زق ضخم ، حيث شرب وصحبه خمرة ممتقة تبدو حمرتها التي
تشبه دم الفزال على شفاه النفاقي ، وكانت تغنيهم قينة جيدا
في صوتها غلظة وحة ، وقد انتشى فجر ثوبه طربا وخيلا ، وذلك
قوله :

ليت الليالي يا كبشة لم تكن
بتنا بديرة يضي* وجوهنا
حتى انتشينا عند أدكن مترع
ما تمتق في الدنان كأنها
وغياء سمعة جررت لصوتها
صدحت لنا جيدا تركض ساقها
فضلا ، تنازعها المحايض صوتها
والراعي النميري يقصد حانوت* ربهان* قبل شروق الشمس ،
فبييت وصحبه ليلتهم على بسط ، وقد نعموا بفناء القيان البيض ،
وشربوا كثيرا فأنزفوا خوابي الخمر ، واستهلكوا شيئا من الزق الذي
يطفح بالخمرة ،
وصهبا* من حانوت ربهان قد غدا
تبهمر عنها اليوم كأس رويضة
وتتنا على الأنماط والبيفر كالدمى
إذا نحن انزفنا خوابي علنا
علي ولم ينظر بها الشرق صابح
وبرد العشايا والقيان الصواح
تضي* لنا لباتهن المصابيح
مع الليل ملثوم من القار طافح

- ١ . ديوانه / ٢٥٧ ع
٢ . الخبت : ما اطمأن واتسع من بطون الأرض . طحال : أكيمة بحمي ضرية .
٣ . الديرة من الرمل : كالدارة ، وهي رمل مستديرا تحيط به جبال .
السليط : الزيت . الذبال : جمع ذبالة ، وهي الفتيلة التي تسرج .
يقول : انه بات هناك مستضيئا بالسليط المصبوب على الذبال .
٤ . أدكن : أي زق أدكن ، وهو الأغبر الى السواد . الجحل : الزق
المظلم الضخم . كراعه : يعني به رجله . المقال : الحبل الذي يعقل به
٥ . الناطل : الذي يصب الخمر ويكيلها . ذبيح غزال : اراد به دم الفزال
٦ . فضلا : أي هي مبتذلة في ثوب واحد . المحايض : الأوتار .
بأجش : أي بصوت أجش ، وهو الذي فيه غلظ وحة . المصحال :
من الصحل ، وهو انشقاق الصوت وان لا يكون مستقيما ، يزيد مرة
ويستقيم أخرى ويكون فيه حشرجة .
٧ . شعره / ٣٧ .

ويهدوان الخمر الحمراء كانت شائعة أكثر من غيرها ، ولذا أكثر
دورانها على ألسنتهم ، فابن ميادة يشبه لونها بلون الدم
تلفظه أوداج الذبيح :
ومعتق حرم الوقود كرامسة كسدم الذبيح تمجه أوداجسته
ضمن الكروم له أوائل حملته وعلى الدنان تمامه ونتاجسته
وهذا شبيهه بقول أبي ذؤيب الهذلي^٢ :
إذا فضت خواتمها وفكت يقال لها دم الودج الذبيح
وتلطف عمرو بن أحمز الباهلي^٣ فشبّه لونها بدم الفزال
لها حبيب يرى الراوق منها كما أدبعت في القرو الفزال لا^٤
ويرى ابن مقبل أثر لونها على شفاء الناطل ، الذي يصب الخمر ، فيشبهه
بدم الفزال :
مما تمتق في الدنان كأنها بشفاء ناطلها ذبيح غزال^٥
وتشبه لون الخمرة بلون دم الفزال معنى مطروق ، يقول امرؤ القيس :
أنف كلون دم الفزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام^٦
ويختلف ابن أرمطة^٧ وهو عبد الرحمن بن سيحان عن أولئك الشعراء
الذين استشهدت ببعض شعرهم لا في بعض معانيه فحسب بل انه اشتهر
بالخمرة بينما شهر غيره بالقول في موضوعات أخرى ، وهو أحد المعاقرين
للشراب والمحدودين فيه^٨ . وقد عاش في المدينة حيث التثرف واللهو
والفناء . وكان آل سيحان - في الجاهلية - حلفاء حرب بن أمية^٩
جد معاوية ، فبقي ابن أرمطة وفيه للحلف القديم ، فكان مع بني أمية
كواحد منهم^{١٠} وكان وثيق الصلة بالوليد بن عثمان بن عفان

-
- ١ . شمرة / ٢٨ . ٢ . ديوان الهذليين ٦٩/١ ، الودج : عرق
في العنق ، وهما ودجان . ٣ . شمرة / ١٢٧ .
٤ . القرو : سليل المعصرة .
٥ . ديوان ابن مقبل / ٢٥٨ . ٦ . ديوانه / ١١٥
٧ . قوله أنف : أي مستأنفة أول ما فتقت وأخرجت من الدن ، وشبهها
بدم الفزال في شدة حمرة ، وخص الفزال لأن دمه فيما يذكر اشد
حمرة من غيره . وعانة : قرية : بالجزيرة . وشبام : اسم قرية .
٨ . الأغاني ٢ / ٢٤٣ .
٩ . أنساب الأشراف ١١٥/٥ . الأغاني ٢ / ٢٤٢ .
١٠ . الأغاني ٢ / ٢٤٣ .

لائسه كان يتألمه على الشراب^١ . وقد رعى معاوية وفاءه للحلف
 القديم ، واختصاصه بآل أبي سفيان ، ومدحه أياهم ، فحين حده
 مروان بن الحكم وعلم معاوية بذلك قال : * والله لو كان حليف أبي العاص
 لما ضربه ولكنه ضربه لأنه حليف حرب ، أليس هو الذي يقول :^٢
 واني امرؤ حلف لذي القنصل الوري عديدا اذا ارفضت عصا التحلف^٣
 وكتب الى مروان ان يطل الحد علانية عن ابن أرملة وأن يعطيه ألف
 درهم ، ففعل مروان .
 وابن أرملة شاعر مقل كان يقول في الشراب والفزل والفخر ، ومدح أحلافه
 من بني أمية ، وخص سعيد بن عثمان منبه الذي قتله عثمان من
 الصنفد . ثم أظهر فيها تفجعه وحزنه ، كقوله :
 ان كنت باكية فثـمـي فابكي هبلت على سميد :
 فارت أهلك بفتة وجلبت حتفاك من سميد
 أذرى دموعك والدمـي * على الشهيد ابن الشهيد
 ويبدو ان ابن أرملة أخلص للشعر الخمرى أكثر من سواه ، وقد عرفه
 عن بعض خواطره التي يتلامح لنا فيها بعض التهتك ، حينئذ ، والنجوى
 والغناء حينئذ آخره . يقول اذ اكرأ شربه مع الوليد بن عثمان خيرة
 أرق مزجها ، واصفا الاثر الذي أحدثته فيه ، فقد تركته صريحا لا يستطيع
 النهوض حتى اذا دنا الصباح خرج كأنه جمل صحت قوائمه بعد مرض :
 بات الوليد يعاطيني مشعشة حتى هويت صريحا بين أصحابي
 لا أستطيع نهوضا ان همت به وما أنهنه لا من حسو وتشرب
 حتى اذا الصبح لاحت لي جوانبه وليت اسحب نحو القوم أثوابي
 كأنني من حميا كأسه جمـل صحت قوائمه من سميد أوصاب .

- ١ . الأغاني ٢ / ٢٤٤ .
- ٢ . الأغاني ٢ / ٢٤٧ .
- ٣ . الأغاني ٢ / ٢٤٣ .
- ٤ . الأغاني ٢ / ٢٥٣ .
- ٥ . فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب ج ١٥٣ .
- ٦ . الأغاني ٢ / ٢٥٨ .
- ٧ . نهنيه عن العتي : زجره ، والمعروف ان نهنيه يعتمدى بمن .

- ١٦٨ -

وكان ابن أرمطة يبيت عند الوليد بن عثمان خوفاً من أن يظهر وهو
سكران فيحد ، فلامته امرأته على مبيتته عن أجله ، فقال راداً عليها
واصفاً خمرة الوليد بالصفا وطيب الرائحة ، مشبها إياها بالمذراء ،
فصحاحاً عن أثرها في شاربها ، حيث تتركهم يتمايلون تمايل الوسنان :
لا تعدميني نديما ما جدا أنفا لا قاتلا قاذفا خلقا بهيتان
أغر راووقه ملان صافية تنفي القذى عن جبين غير خزيان
أسي أعاطيه كأسا لذ مشربها كالمسك حفت بنسرين وريحان
سبيقة من قري بيروت صافية عذراء أو سبعت من أرض بيسان
انا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنان بوسنان^١
ولكف ابن أرمطة بالخمرة جاحرا بالدعوة الى شربها :
أصبح نديمك من صهبا صافية حتى يروح كريما ناعم البال
واشرب هديت أبا وهب مجاهرة واختل فانك من قوم أولي خال^٢
وفي الأغاني^٣ أن ابن أرمطة دخل على ابن عسيم له اسمه الحارث
ابن سريع ، فوجده يشرب نبيذ زبيب ، فجعل ابن أرمطة يعظه ويحجب
الهمشرب الخمر ، وقال له : " يا ابن سريع : ان كنت تشربه على أن
نبيذ الزبيب حلال فأنت أحق ، وان كنت تشربه على أنه حرام
تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فان البوزر واحد ،
ثم قال :
دع ابن سريع شرب ما مات مرة وعذها سلافا حية مزة الطعم
تدعك على ملك ابن ساسان قادرا اذا جرمت قراونا حلب الكرم
فستان بين الحي والصيت فاعتزم على مزة صفراء راووقها يهني
فان سريما كان أوصى بحبيبها بنيه وعني جاوز الله عن عسي
ويا رب يوم قد شهدت بني أبي عليها الى أن غاب تالية النجم^٥
حسوها صلاة العصر والشمس حية تدار عليهم بالمصير والضخم
فماتوا وعاشوا والمدامة بينهم شمشعة كالنجم توصف بالوهم

١- الأغاني ٢ / ٢٥٦ ، ٢٦٠

٢- الأغاني ٢ / ٢٥٧ ، أصبح : أي اسقه صبوحا

٣- ٢٥٦ / ٢

٤- الأغاني ٢ / ٢٥٦

٥- تالية النجم : توالي كل شيء آخره ، وتاليات النجوم آخرها .

٦- شمشعة : ممزوجة ، يقال : شمشع الشراب : مزجه .

- ١٦٩ -

والمألوف في شعر من سبق ابن أرمطة ومن لحقه أن الخمرة تفرج بالما ،
يقول أمروء القيس :

فلما استطابوا صب في الصحن نصفه وشجت بما غير طروق ولا كدر
ويقول عدي بن زيد :

مزة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من ذوق
ويقول أبو نواس :

كأنها بزلال المزن إذ مزجت شباك در على ديباج ياقوت

أما ابن أرمطة فيريد ما حمية مئة الطعم لمتحج بشي ، وكأنه يفصح
عن كونه شريب خمر لا تدب في أوصاله إلا الخمرة الخالصة التي سماها
" حلب الكرم " . وهو يسوق لابن عمه طائفة من الاغراءات حتى يعكف
على شربها ، فيذكره بالنشوة التي تحدثها ، وبالخيال الذي تطلعه
إذ يحس شاربها أنه رب فارس ، وهذا المعنى مستفاد من قول غيره
يقول المنخل الشكري :

فإذا شربت فأنتي رب الخورثق والسدير

ويدي ابن أرمطة أن عمه سريع - والد الحارث - قد أوصى بحبها ،
ويوهم الحارث أن معاقبتها عادة مورثة فقد شهد قومه يحسسونها
طوال الليل ، كما حافظوا عليها طوال حياتهم . وإذا كان ابن
أرمطة لا يعبأ بتحريم القراء لها فانه يذكر للحارث أن بني أبيه
كانوا كذلك ، فقد انتقض واقع الحياة بالنسبة لهم ، فبدلاً من
صلاة العصر أقبلوا على معاقرة الخمر . وواضح ما في هذه القطعة من
تهتك واستخفاف بالدين . كما أن هذه الدعوة للصريحة إلى شرب
الخمر ، وهذا الإلحاح المؤيد بالأدلة لم يمهدا في شعر من
سبقه ، فيما أعلم ، فهما من جديد ابن أرمطة . أما من لحقه
فقد ذكر لابي الهندي الرياحي اليربوعي ، وهو من مخضرمي
الدولتين ، قوله :

١- ديوانه / ١١١ ، شجت بما ، أي عوليت به ومزجت .

٢- ديوانه / ٧٨ ، :

٣- ديوانه / ٣٩ ، المزن : السحاب الأبيض المثلج بالما .
الديباج : الحرير المنقوش (مغرب) . ووجه الشبه لا يخفى في
شباك الدروديباج الياقوت .

٤- الأغاني ٧ / ٢١

إذا ما ألح البراءة لا فاجعل دثاره إذا التحف الأقوام ركن المطارف
ثلاثة أرطال نبهًا موسلا تكن لنا منه له لا غير خائفا
ولوليد بن يزيد ٢ :
اصدع نجى الهموم بالطرب وانعم على الذمير بآبنة العتب
واستقبل الميشف في غزارته لا تقف منه آثار معتق سب
وقد اتسمت الذعفة الى شرب الخمرة عند أبي نواس في العصر العباسي .
وابن أرطاة أول شاعر - فيما نأعلم - رثي أداة الخمر ، وكان الوليد
ابن عثمان سقاه منها ، ولما مات الوليد ورأى ابن أرطاة الأماوة وقد
يسست وتقبضت قال ٣ :
لا تبعدن أداة مطروحة كانت قديما للشراب الماشفق
ارتصحي لا شيء فيها ، فربما أترعت من كأس تلذ لذائسك

١- أنظر فن الشعر الخمرى / ١٥٢

٢- الأغاني ١٦ / ٧

٣- أنساب الأشراف ١٥٥ / ٥ الأغاني ٢ / ٢٤٤ ، ٢٤٦ .

في موضوعات أخرى :

الشباب والشباب

الحكم

المساب والاعتذار

في الشباب والشيب :

بكى كثير من الشعراء شبابهم ، ورثوا لحالهم في شيبهم الذي
أفتقد هم الحتمة والحيوية . وهم في ذلك ، يوازنون بين حالهم في صباهم
وبين ما آل اليه أمرهم في شيوختهم ، يقول تميم بن أبي بن مقبل ممبراً
من فزعه من ذهاب الصبا ، راثياً حاله حين ذهب الشيخوخة بحيوته
فكدرت صفوه ، حيث أصبح بصره واحميا ، وحيث التاث جسمه قبل أن يحين
حينئذ :

كان الشباب لحاجات وكن لـهـ
يا حر أمست بليات الصبا ذهبت
يا حر أمسى سواد الرأس خالطه
يا حر أمست شيخاً قد وهى بصرى
وكان يزيد يتي الطثرية تبع نساء
الشباب محمود ، واستقبل العشب :

أمسى الشباب مودعاً محموداً
وتغير البيض الكواكب بعد ما
وأغم الساور بن كند العيسى لذهاب
أما وقد أصبح شيخاً ، انحسر الشعر عن رأسه ، وتحنى ظهره وضعفت قواه ،
فهن يمرض عنه ، يقول ٣ :

أودى الشباب فما له متقرر
وأرى الفواني بعدما أوجهنني
ورأيت رأسى صار وجهاً كله
ورأيت شيخاً قد تحنى ظهره
وفقدت أثرابي فأين المفسر
أعرضت قلبي شيخاً أعور
الأقاي ولحية ما تضيف
يعشي فيقفلس أو يكب فيعشر

وتحسر يزيد بن الحكم الثقفي على شبابه الذي طرده الشيب فطرد الجيبة ،
ولذا فالشباب محمود والشيب مذموم ، ولكن لا سبيل الى رد الشباب ما دامت
لحيته تطلب الخضاب بعد أن ابيضت :

١ . الشعر والشعراء / ٣٦٧ ، والابيات في ديوان تميم / ٣٦٧ .

٢ . الحماسة الشجرية ١ / ٥٤٥ .

٣ . شرح حماسة أبي تمام ٢ / ٣٠ .

٤ . متقرر : متبع . المغير هاهنا بمعنى اليقظة .

٥ . أوجهنني : أى كنت ذا جاه عندهن .

٦ . يقعس : أى يرفع رأسه الى السماء من يمس عنقه ، وتشنج أخادع .

ألا لا مرحبا بفراق ليلسى ولا بالشيب إذ طرد الشباب
 شباب بان محمودا وشيب ذميم لم تجد لهما اصطحابا ١
 فما منك الشباب ولست منه إذا سألتك لحديثك الخضابا
 ولا بئ حية النعمرى مقلوما ت كثيرة تفجع فيها على شبابه ، وهو يكثر من الالاحاح
 على معنى واحد ، وهو الحرمان من المرأة ، وفقد اللذة الجسدية . وأبو ٢
 حية شاعر غزل ، وقد يكون لفقده زوجته التي احبها واستنفذت جل شعره
 أثر في كثرة توقيعه على المعنى المذكور ، يقول ذاكرة ان سبب صد الفانيات عنه
 شيبه الذي افسد جماله :

وصد الفانيات البيض عيسى وما ان كان ذلك عن تقالسي
 رأين الشيب بانر علي لداتسي وأفسد ما علي من الجمال ٣
 ويتمنى أن تعكس الآية ، غير تحل الشيب الذي رحل الشباب الذي لا يستبدل
 شيئا به ، فقد كانت الدنيا مقبلة عليه في شبابه ؟

ترحل بالشباب الشيب عينا فليت الشيب كان به الرحيل
 وقد كان الشباب لنا خليلا فقد قضى ما به الخليلا
 لحر أبي الشباب لقد تولسى حميدا ما يراد به بديلا

اذ الأيام مقبلة علينا وظل أراكة الدنيا ظليلا ٤
 وهو يتمنى في قصيدة أخرى أن تعود أيام الصبا القصار التي مرت خلصة ،
 وكأنه أميرها من دهره كما يعار الثوب :

زمان الصبا ليت ايامنا رجمن لنا الصالحات القصارا
 زمان علي غراب غدا فطيره الدهر عني فطارا
 فلا يبعد الله ذاك الغراب وان هولم يبق إلا ادكرا
 كان الشباب ولذاتنا وريق الصبا كان ثوبا معبرا ٥
 ويكي طريق بن اسماعيل الثقفي شبابه في غير مقطوعة ، ومن ذلك قوله ٨ :

ذهب الشباب وصرت كالخلق الذي الا تعاجله المنية يهيدا
 حين التحفت من المشيب ملاة عقباك من شعر الشباب الأسود

١ . الأغاني ٢ / ٢٩٢ .

٢ . انظر : طبقات الشعراء ١٤٦

٣ . الحيوان ٤ / ٣٣٧ .

٤ . أمالي المرتضى ٣ / ٦١ .

٥ . طبقات الشعراء ١٤٥ ، أمالي المرتضى ٢ / ١٠٠ .

٦ . غراب غدا : شعره أسود .

٧ . ريق الصبا : أوله .

٨ . حسانة البحتری ٢٩٩ .

وله يصور نفور النساء من يشيب ، ويستسلم لقضاء الله :
فكأنما أبصرن خين رأينه بالشيب حية غيضة تتلذذ
فجبن منه وأنقبضن تحيرا مكر المخادع يبتغي من يخدع
لا يبعد الله الشباب ومرحبا بالشيب حين أوى إليه المومنين
فدع البكاء على الشباب وقل له ما قاله عند مصيبة مسترجع
ويحبر عن استسلامه للمشيب في قطعة أخرى تيد وفيها رائعة الاسلام
واضحة قوية ، فالشيب يخلص صاحبه من سفه الصبا ، ويقربه من الفضيلة
والتقى والورع ، وينزعه عن النقص ، ولذا فهو يفضل على الشباب الاثمين :
والشيب للحكماء من سفه الصبا بدل تكون له الفضيلة مقبلا
والشيب زين ذوى المروءة والحجى فيه لهم شرف وحق يبيد
وتنزه عن كل ما نقص الفتى وتأمل وتحفظ وتورع
والبر تخلطه المروءة والتقوى في حال أشيب جسمه متضعض
أهوى الي من الشباب مع المعى والذي يتبعه الفؤى المهرع
الحكم :

تتردد الحكم والمعاني التمهيدية في ثنايا بعض القصائد ، وأحيانا
يغرد لها مقطوعات ، ومعروف أن الحكمة وليدة تجارب ترتبد بأحداث الحياة ،
وصروف الزمان وعلاقات الناس . وما يلاحظ أن موضوع الموت هو الغالب على
المعاني الحكمية ، كما يلاحظ تأثرهم في ذلك بروح الاسلام ، ومن سيقه
من تتناثر الحكم في شعرهم ، أف أنهم لم يأتوا بجديد في هذا الميدان ، يقول
يزيد بن الحكم :

ترى المرء يخشى بعض ما لا يضره ويأمل شيئا دونه الموت واقب
وما المال والأهلون الا وديعة ولا بد يوما أن ترد الودائع
وكل أمالي امرئ لا ينالها كأضفاد أحلام يراهن حاجج

- ١ . حماسة البحتري ٢٩٩ .
- ٢ . المسترجع : القائل انا لله وأنا اليه راجعون .
- ٣ . حماسة البحتري ٣١١ ، مجموعة المعاني ١٣٤ ، معجم الأدباء ٢٤ / ١٢ .
- ٤ . المهرع : خفيف العقول .
- ٥ . الحماسة البصرية ١٧ / ٢ ، الحماسة الشجرية ٤٨٠ / ١ .

وفي الناس من بعض المطاعم راحة ويارب خير أدركته المظالم —
أبى الشيب والاسلام أن أتبع الهوى وفي الشيب والاسلام للمرء وازع ١
ووعظ ابنه بدرا ، وأوصاه في قصيدة ضمنها خلاصة تجاربه ، ومنها قوله :
واعلم بني فأنسه بالعلم ينتفع العليم
ان الأمور دقيقتها — مما يهيج له العظيم
والمرء ييخل في الحقو ق وللكلالة ما يسيهم
ما يخل من هو للمنيو ن وربها غرض رجيم
ويرى القرون أمامه همدوا كما همد الرشيم
كل امرئ ستثيم منسه العرس أو منها يثيم
ما علم ذى ولد أثقله أم الولد اليتيم
ولطريح بن اسماعيل الثقفي ٢ :
ألم تر المرء نصبا للحوادث ما تنفك فيه سبام الدهر تنتصل
ان يجعل الموت يحمله على وضع لجب موارد مسلوكة ذلل
وان تمادت به الأيام في عمر يخلق كما رث بعد الجدة الحلل
ثم يصير الد أن يستمر — رب المنون ولو طالت به الطيل
والدهر ليس بناج من دوائره حي جبان ولا مستأسد بدلسل
ولا دفين غيايات له نفق تحت التراب ولا حوت ولا عسل
بل كل شيء سبيلي الدهر جدته حتى يبيد ويبقى الله والعامل
ولأوطاة بن سمية :
رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبخي المنية حين تأتسي على نفس ابن آدم من جد يد
ولمحمد ابن بشير الخارجي ٤ :
وكل امرئ يوما سيركب كارها على النفس أعناق العدا والأقارب
وله قطعة حكيمية ألح فيها على الصبر ، والحذر والتفكير قبل الاقدام ، ومنها قوله :

١ . شرح حماسة أبي تمام ١٧٩ / ٣ .

٢ . حماسة البحتري ١٣٠ .

٣ . الصناعتين ١٤٧ ، تاريخ ابن عساكر ٣٦٦ / ٢ .

٤ . شرح حماسة أبي تمام ٣٠٤ / ٢ .

٥ . التذكرة السعدية ٢٨٥ .

ان الأمور اذا انسدت مسالكها
لا تياسن وان طالت المطالبة
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
قدر لرجلك قبل الخذلان موضعها
ولا يفترنك صفوانت هاربه
ولعبد الله بن دهمام السلولي ^{رحمه الله} أبيات في الحذر من تحسن الظن به ، فقد ينقلب عليك ويخشك ، وهذه الابيات تذكر بالمثل المشهور " من أمانه يؤتى الحذر " ، ومنها :

ألا رب من تفتشه لك ناصح
فلا يجتلبك القول لا فعل تحته

وقوله :

ألا رب يمدني نصيح وقد تستغسه

وقوله :

رب من أغتثه ينصحنى

وموئمتن بالخبير غير أميــــــــــــــن
فكم من نصيح باللسان خـــــــــــــون

ومن جاهد في الخشيع حسب نائمـــــــــا

وأخي نصيح بغييب قد يخـــــــــــــون

العتسباب والاعتذار

وفيهما يحاول الشاعر أن يتصل مما اتهم به ، ومن ذلك قول أردانة بن
سبية الذي اتهم بأنه جبن ، فلم يدافع عن صديقه ونديمه سعيد بن عثمان
الذي قتله السفد الذين قدم بهم الى المدينة :
يقول خليل قد دعاك فلم تجيب وذلك من تلقاء مثلك رائــــــــــــــــع
فان كان نادى دعوة فسمعتها فشلت يدى واستك منى المسامح
ولما لأصرف الحجاج في القتل وفي انفاق الاموال على أصحابه غب مقتل ابن الأشعث
كتب اليه عبد الملك بن مروان كتابا يحنفه فيه ، وذيل كتابه بشعر منه قوله :
اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها وتطلب رضاى في الذي أنا دالــــــــــــــــبه
فان ترمي غفلة قرشيــــــــــــــــة فيا ربما قد غص بالماء شاربــــــــــــــــه
فرد عليه الحجاج ، وكتب في أسفل الكتاب شعرا يحذر فيه ويحاتب ، ويحاول
أن يدفع التهمة ، ويؤكد ولاءه :
اذا أنا لم أدلب رضاك وأتقى أذاك فيومي لا توارت كواكبــــــــــــــــه

- ٠١ حماسة البختري ٢٧٨
٠٢ حماسة البختري ٢٧٩
٠٣ حماسة البختري ٢٧٩
٠٤ أنساب الأشراف ١١٨/٥
٠٥ تاريخ ابن عساكر ٦٧/٤

- ١٧٦ -

إذا قارف الحجاج فيك خطيئة
أسالم من سالمته من ذي هوادة
إذا أنا لم أدن الشقيق لنصحه
فمن ذا الذي يرجو نوالي ويتقي
فقف بي على حد الرضا لا أجوزه
والا فدعني والأمر فأنسي
وليزيد بن الحكم الثقفي^١ يما تب أخاه الذي يسر له الشحنا^٢ ، ويكفر سعيه
رغم تفضله عليه ::
أخي يسر لي الشحنا^٣ يضرها
حران ذو غصة جرمت غصته
حتى إذا ما أساغ الريق أنزلني
أسسى فيكفر سعي ما سعيت له
وكم يد ويد لي عنده ويد
وله في عتاب ابن عمه ::
ومولى كذئب السوء لو يستطيعني
وأعرض عما ساءه وكأنما
مجاملة مني وأكرام غيره
ولمحمد بن بشير الخارجي في عتاب أخيه يشار الذي كان يجالسه أعداءه:
واني قد نصحت فلم تصدق
واني قد يد لي أن نصحي
فكم هذا أذودك عن قطاعي
فلا تبذ الذنوب علي واقصد
فسوف أرى خلا لك من تصاني
وان جزاء عهدك ان تولي
فقامت عليه في الصباح نواديسه
ومن لم تسالمه فاني محاربهم
وأقضي الذي تسرى الي عقاربهم
مضاولتي والد هرجم نوابهم
مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
شقيق رفيق أحكمتني تجاربهم^٤
حتى وري جوفه من غمره الداء^٥
وقد تعرض دون النصة الماء
منه كما ينزل الأمداء أعداء
انتهى كذاك من الإخوان لقاء
يعد هن ترات وهي آلاء
أصاب دمي يوما بخير قتيل
يقاد الد ما ساءني بدليل
بلا حسن منه ولا بجميل
لنصحي واعتددت فما تبالي
لنخيل واعتداد في ضلال
كتب ويد المحلاة النبال
لا مرك من قطاع أو وصال^٦
إذا فارقتني وترى خلا لسي
بأن أغضي وأسكت لا أبالي^٧

١. مرقى الذهب ٣/ ١٣٣ ، تاريخ ابن مسافر ٤/ ٦٨ .
٢. الأغاني ٢/ ٢٩٥ . ٣. يقال وري القبيح جوفه : أغصده
٤. الزمر : المحقد والفل ٥. الأغاني ١٢/ ٣٢٩٤ .
٦. الخلا ل : المخالة والمصادقة . يريد سأرت اصدقاءك الذين ستصافينهم
حين نقترب ، وسترى اصدقاءني .
٧. يريد أني أكانك على قطعك عهد الأخوة ، بنسيانني أياك وعدم مبالاتي بك

ولما غضب الوليد بن يزيد على طريح بن اسماعيل الثقفي لأنه تحدث عن الشراب
أمام الأمويين ، في مجلس الوليد^١ ، أولائه اضيف اليه بيتان في تفضيل هشام بن
عبد الملك ، قال طريح يعاتب الوليد ، ويستعطفه ويتضرع اليه ، ويصور أسى
نفسه بشكل يذكر بصنيع النابضة الذبياني ، يقول طريح :

نام الخلي من الهموم ومات لي ليل أكابده وهم مظلوم
وسهرت لا أسرى ولا في لذة أرقى وأثقل ما لقيت المهجوم
أبقي وجوه مخارجي من تهمة أزمت علي وسد منها المظلوم
جزعا لمعتبة الوليد ولم أكن من قبل ذاك من الحوادث أجزع
ومنها قوله يتضرع الى الوليد :

فاعذلف فذاك أبي علي توسعا وفضيلة فعل الفضيلة تتببع
ان كنت في ذنب عتبت فاننسي عما كرهت لنارح متضجع
ومنها يعاتبه لأنه جفاه ، وأشمت به الأعداء بعد أن كان قريبه :

أدعمتني حتى انقطعت وسددت عني الوجوه ولم يكن لي مدفع
ورجيت واتقيت يداي وقيل قد أمسى يضر اذا أحب وينفجع
ودخلت في هم الذمام وحاطني خفر أخذت به وعهد مولع
أفهام ما قد بنيت وخافض شرقي وأنت لخير ذلك أوسع
أفلا خشيت شمت قم فتمم سبقا وأنفسهم عليك تقدا
وله قصيدة أخرى يعاتب فيها الوليد ويذكره وشيجة النسب التي تربطاهما

فقد كانت أم الوليد ثقفية ، كما يذكره مدائحه فيه ويتصل مما اتهم به :

مالي أذاد وأقصى حين أقصدكم كما توقى من ذي السرة الجرب

كأنني لم يكن بيني وبينكم ال ولا خلة ترعى ولا نسب
أين الذمامة والحق الذي نزلت بحفظه ويتعظيم له الكتب

وحوكي الشعر أصفيه وأنظمه نظم القلائد فيها الدر والذهب
وان سخطك شيء لم أتاخ به نفسي ولم يك مما كنت أكتسب
لكن أتاك بقول كاذب أتم قم بخوني فنالوا في ما دللوا
وما عهدتك فيما زل تقطع ذا قري ولا تدفع الحق الذي يجب
فخيرد فعك حقي وارثا ضك لي ودليك الكشح عني كنت أحتسب
أقشمت بي أقواما صد ورهم علي فيك الى الأدقان تلتهب
قد كنت أحسب أنني قد لجأت الى حرد وألا يسروني وان ألبوا

١. الأغاني ٣١٠/٤ ٢. الأغاني ٣١٢/٤

٣. الأغاني ٣١٤/٤ ٤. الأغاني ٣١٠/٤

الفصل الثالث

وقفه عند خمسة من شعراء قيس

الراعي النميري

ليلي الأخيلية

ابن ميادة

القائل الكلابي

القحيف العقيلي

الراعي النميمي السري

أبو جندل ، عبيد بن حصين بن معاوية ينتهي نسبه
الى نعيم بن عامر بن صعصعة . والراعي لقب غلب عليه . والقداماء يختلفون
في سبب هذا اللقب خلافا لا يخلو من سذاجة وتسرع الى الأحكام
دونما تعليل أو علة ، فالأصمعي يقول : " وأنتع الناس لمحبوب
في القصيد الراعي " . وقريب منه قول ابن رشيق " وكان عبيد بن حصين
أوصف الناس للأبل ولذلك سمي راعياً " وابن سلام أكثر تحريزا وموضوعية
ان يقول : " سمي راعي الأبل ، لكثرة صفته للأبل وحسن نعمته
أيامها " . ويرجح ابن قتيبة السبب في أنه " كان يصف راعي الأبل في
شعره " . أما البغدادي فيرد ما قاله ابن سلام ، ولكنه يذكر تفسيراً
آخر سبق اليه ، وهو أنه لقباً لبيت قاله ، وهذا البيت مختلف فيه ،
فالسكري يرى أنه :
حدثان أخو وطب وساحب عليه
ويعني النميميين يرى أنه :
بنيت مراقبين فوق مزلة
ويرى البكري أنه سمي بذلك لآيات قالها في وصف الراعي وهي :
نصف الفم يادى المروق تخاله
عليها اذا أمحل الناس اصبعها
هذا ابل ان تتبع الريح مسرة
يدعها ويخف الصوت حتى ترميها
لها أمرها حتى اذا ما تبوأ
لا خفافها مرغى تبوأ مجمعا
فقبل " رعى الرجل " .
وقد يكون السبب في ذلك ، أن الشاعر كان أول أمره صاحب ابل يرعاها
ويتعهد لها ، آية ذلك قوله ابن الرقاع بهجوه :
حدثت أن رويحي الأبل يشتمني
والله يصرف أقواما عن الرشد
وأن الحلال النميمي غيره ابله ، فقال الراعي :
وعيرني الأبل الحلال ولم يكن
ليجعلها لابن النميمية خالقه

١- الأغانى ٢٣ / ٣٤٨

٢- طبقات فحول الشعراء / ٢٥٠ الشعر والشعراء / ٣٢٧ الأغانى

٣- بحوثة الشعراء / ٣٦ ٤- المصداق ٢ / ٢٩٦

٥- طبقات فحول الشعراء / ٢٥٠ الأغانى ٢٣ / ٣٤٨

٦- الشعر والشعراء / ٣٢٧ ٧- خزنة الأدب ١ / ٥٠٤

٨- سبط اللاكس / ٢٦٤٩ ٩- سبط اللاكس / ٤٩

١٠- شعره / ١٨٧

ويشيد القدماء بأسرته في "نمير" إذ كان يقال لآبيه في الجاهلية
الرئيس، وكان سيدها... وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشرف له
والراعي يستشعر هذه المنزلة يزوم ذلك قوله :
وان وزن الحمى فوزنت قومي
وجدت حمى ضربيتهم رزينا^٢
وقوله :

فمن يفخر بمكرمة فانا سنناها لا حدى القاعليها^٣
ويذكر أن الراعي "من رجال العرب ووجهه قومه" . ويروى أنه كان
بذيلاً لهجاء لعشيرته ، ويستدلون على ذلك، يقول جرير فيه :
وقرضك في هوازن شر قرض تهجنهم رقة متدح الوطابا
وهو قول يتهاقت دليله بالنظر الى ما وصل من شعره ، وإذا كان خنزير
ابن أرقم النميري قد هاجى الراعي فان شعر الراعي فيه محض سباب
شخصي رغم تعرض ابن أرقم لبني قطن رهط الراعي الأدنى . وفي
شعر الراعي ما يؤكد أنه حمل هموم قبيلته ودافع عنها ، آية ذلك قوله
بعد "مرج راخط" معلننا سخطه على الإمويين :
بني أمية ان الله ملحقكم عما قليل بمشمان بن عفان^٧
والراعي ينطق في "ملحمته" المشهورة التي فُكَا فيها ظلم السعاة ،

باسم عشيرته :
أخليفة الرحمان ان عشيرتي أسى سوامهم عزيز فلولاً^٨
قوم على الاسلام لما يتركوا ما عنهم وينعيموا التهليلة
كما وقف الى جانب قبيلته في صراعها مع الكلبيين ، حيث كان النميريون
بتدمر عرضة لغارات الكلبيين وعلى رأسهم حميد بن حريث وقد
أشار الراعي ببطلانة قومه وانتصاراتهم في غير قصيدة . ومن ذلك قوله :
متى تفتش يوماً عليماً بغارة يكونوا كموم أو أذل وأنزعوا
ونحن جدعنا أنف كلب ولم ندع سواعد ملقاة وهما ما مبرعوا
قتلنا لو ان القتل يشفي عدونا بتدمر ألفاً من قضاة أقرعنا

- ١- الشعر والشعراء / ٣٢٧ ٢- نقد الشعر / ١٩١ المصناعتين / ٣٨٣
- ٣- محاضرات الأدباء / ٢٩٦
- ٤- أبيات فحول الشعراء / ٤٣٧ الأغاني ٢٣ / ٣٥٨
- ٥- الأغاني ٢٣ / ٣٥٨ ٦- شرح حماسة أبي تمام ٤ / ٧٧
- ٧- التبيان والتبيين ٣ / ٢٥٨ وانظر الراعي النميري / ١٢١
- ٨- شعره / ١٤٠
- ٩- أنظار الأغاني ١٦ / ١٤٢-١٤٣
- ١٠- الأغاني ٢٣ / ١٦٨

وفي الحرب بينهم وبين تغلب في الجزيرة قال :
 المترك نساء بني زهير
 على الآسي يحلقن القوونا
 هم تركوا على أكناف لبسى
 نساء هم لنا لما لقوننا

ولا نأفر عند أحد من القدماء بترجمة وافية لحياة النعمري ،
 ويبدو أنه كان يعيش مع قومه بالشريف ، وهو أمر نجد مؤيداً على حد
 تعبير ياقوت^٣ ولكنه كان عرضة للهدب أحياناً ، وفي شعر الراعي قطعة
 تنطق بمأساتهم في السنة المجدية ومنها :
 عجبت من السارين والريح قرة
 الى غزو نار بين فسيحة فالرحى
 يشب لركب منهم من ورائهم
 الى غزو نار يشتوى القد أهلها
 فكلهم أمسى الى غوئها سرى
 وقد يكرم الانبياء والقد يشتوى
 بكوا وكلا الحيين مما به بكسى
 يشد من الجوع الا زار على الحشى^٤
 وكان عالم الشعراء وجورهم يزيد الأمر سوءاً ، وقد شكى الراعي الى عبد الملك
 ما يلاقه قومه منهم في قسديتين كان يفترخ بهما ، ويحفظهما أولاده ،
 وهما : ملحمة المشهورة ، والدالية التي منها قوله :
 أزرى بأموالنا قوم أمرتهم
 بالحق فينا فما أبقوا وما قعدوا
 نعلني الزكاة فما يرغى خطيبهم
 حتى تضاعف أضعافاً لها عدد
 أما الفقير الذي كانت حلوته
 وفق الحيال فلم يترك له سبب
 واختل ذو الوفر والمثرون قد بقيت
 على التلاتل من أموالهم عقيد^٥
 أمام هذا الواقع المرير ، ترك بعض النعمريين منازلهم بنجد واليامة ،
 وساروا الى العراق والجزيرة الفراتية بالشام فبكى الراعي ديارهم الخالية
 التي عمرتها الطباء بعد رحيلهم :
 تذكرت قاستبك كرسم المنازل
 بقارة أهوى أو بسوقة حائل
 خلعت من جميع ساكن وتبدلت
 طباء السليل بعد خال وجامل
 ذكرت بها من لن أبالي بعمده
 تفرق حي في النوى متزايل
 وان امراً بالشام أكبر أهله
 ويلانان ليس الشوق عنه بفافل

- ١- معجم ما استعجم ١/ ٢٤٢ / ٥٦٥
- ٢- الأغاني ٢٣ / ٣٥٣ ٣- معجم البلدان مادة " الشريف "
- ٤- شرح حماسة أبي تمام ٧٣ / ٤ شمره / ١٧٤
- ٥- خزائن بغداد ١ / ٥٠٣ ٦- شعره / ٥٤
- ٧- المنازل والديار / ١٥ صبح الأعشى ١ / ٣٤١
- ٨- يريد القليل من الابل ، والحي العشيم ٩- هذا البيت بهذه الرواية
 في معجم البكري ١ / ٢٥٩ والابيات في المنازل والديار / ١٥ .

- ١٨٢ -

وديت ابن راغلا بل ان حان يومه وشق له قبر بأرضك لا حسد
وقد كان مات الجود حتى نعشته وذكيت نار الجود والجود خامد
فلا حملت أنثى ولا آب غائب ولا ولدت أنثى اذا مات خالد
ويذكر المؤرخون أن القسري ولي العراق لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ
وأنة عزل سنة ١٢٠ هـ .

وأورد ابن سلام في طبقاته خبرا يستفاد منه أن الراعي توفي بعد سنة ١٠٥ هـ
ان ذكر أن الفرزدق قال حين توفي مالك بن المنذر بن الجارود في سجن
هشام :

ستعلم عبد القيس أن زال ملكها على أي حال يستمر مريضها
فأجابه التصري :

وكان كهنز حين قامت لحقتها الى مديّة مدفونة يستشيرها
وكان يجير الناس من سيف مالك فأصبح يبغي نفسه من يجيرها
ويذكر أن مالك بن المنذر حكم وهو بأخر رمق في سجن هشام ، كما
ذكر أن ابن المنذر - وكان عامل خالد بن عبد الله على شرطة البصرة -
قتل عمر بن يزيد الأسدي سنة ١٠٦ هـ وأنة سجن بعد ذلك .^٧

١- تاريخ الطبري ٢٦ / ٧ تاريخ ابن الأثير ٥ / ١٢٤ . وكان القسري ولي
مكة للوليد بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ أو سنة ٩١ هـ وظل عليها طوال
حياة الوليد فلما استخلف سليمان سنة ٩٦ هـ صرف خالد عن منصبه
فاعتزل الناس حتى شوال سنة ١٠٥ هـ حين جعله هشام خلفا لمصرين
هيرة على العراق (دائرة المعارف ٨ / ٢٠٠) ولا يعقل أن يكون الراعي
قال هذا الشعر في إمارة خالد على مكة لأن جندلا كان حيا بعد سنة
٩٦ هـ (نقائش جرير والفرزدق / ٩ : ٩)

٢- الطبري ٧ / ١٤٢ تاريخ ابن الأثير ٥ / ٢١٩

٣- طبقات فحول الشعراء / ٣٠١ - ٣٠٢ - رغبة الآمل ٥ / ١٦٩

٥- تاريخ الطبري ٧ / ٣٩

٦- تاريخ الطبري ٧ / ٤٦

٧- طبقات فحول الشعراء / ٣٠١ .

فان نسبتا البيت للراعي ~~في~~ بين سنة ١٠٩ هـ
وسنة ١٢٥ هـ وهي السنة التي توفي فيها هشام ، وحيث لا نجد
للراعي شعرا في الفتنة التي أودت بحياة الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ ،
وكان تعصب لقيس قبيلة الشاعر ، كما لا نجد له شعرا في الفتنة التي
حدثت باليمامة عقب مقتل الوليد بين القبائل القيسية من جهة ، وقبيلة
حنيفة من جهة أخرى ، وقد اشتركت قبيلة الراعي (نمر) فيها .

راجع محمود محمد شاكر في ٥٠٢ من كتاب " طبقات فحول
الشعراء " نسبة البيت للراعي النمرى بعد أن ذكر نسبتهما للأفرزق ، حيث
ذكر له في " الحيوان " و " البيان والتبيين " . وفي الطبعة الأخيرة
من كتاب طبقات فحول الشعراء ، ٣٥٢ خشي محمود محمد شاكر
أن تكون الأبيات لطبعة بن قرظ الهجري ، من عبد القيس ، الذي
قال قصيدة رد فيها على الفرزدق ، ومنها :
على خير حال تستمر بوقد شفت غباريف عبد القيس منك ، صدورما

شعر الراعي :

=====

تمددت أراء القدماء في شعر الراعي وتباينت ، فقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : " أبو حية النميري أشعر في عظم الشعر من الراعي " وأنكر الأصمعي أن يكون الراعي فحلاً ، وأخذ عليه قوله : " فلما أتاها حبتري بسلاحه مضى غير مبهور ومنحله انتفضي " أراد انتفضي منحلته فقدم وأخر^٢ . وقارن الأصمعي بين الراعي وابن مقبل فقال : " الراعي أشبه شعراً بالقديم وبالأول^٣ : أما ابن سلام فقد عدّه من الطبقة الأولى في الاسلام ، وقرنه بجريز والأخطيل والفرزدق ، ولكنه تحفظ قليلاً في قوله : " وعامة الاختلاف في الثلاثة ، ومن خالف في الراعي قليل كأنه آخرهم عند العامة " كما أشاد ابن سلام بأصالة الراعي فقال : " وكان يقال له في شعره : كأنه يمتسف الفلاة بغير دليل ، أي أنه لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه " .

وقد أثار موقف ابن سلام من شعر الراعي خلافاً في الرأي عند بعض الباحثين المحدثين ، إذ رأى طه ابراهيم أن " مما يؤخذ على ابن سلام انفراده من بين العلماء بإضافة الراعي الى الثلاثة الاسلاميين ، وعده في طبقتهم . وهو في ذلك لم يستند الى حجة ولم يقدم دليلاً ، ولم يذكر في كلامه عن الراعي شيئاً يبرر هذا التقدير " ، ويقول في موضع آخر : " ان ابن سلام جعل الراعي من رجال الطبقة الأولى في الاسلاميين ، ولكن رأيه هذا لم ينتشر ولم يقبله أحد^٤ " وبين أن طه ابراهيم وقع فيما أخذه على ابن سلام ، إذ لم يذكر طه أحداً عارض ابن سلام بولم يقبل رأيه في هذه المسألة . والصحيح أن رأى ابن سلام كان له صدى عند من تبعه ، فالأصفهاني يذكره في كتاب " الأغاني^٥ " ويصف الراعي بأنه " فحل من شعراء الاسلام " ببسلس انه يذهب الى أبعد مما ذهب اليه ابن سلام فيقول : " كان الراعي من أشعر الناس^٦ " ويذكر البغدادي في الخزائن^٧ أنه شاعر فحل

- ١- الموشح / ١٥٧ ٢- الموشح / ١٥٨
- ٣- فحول الشعراء / ٢٣ ٤- طبقات فحول الشعراء / ٢٥٠
- ٥- طبقات فحول الشعراء / ٤٣٤ ٦- تاريخ النقد العربي عند العرب / ٨٨
- ٧- تاريخ النقد العربي عند العرب / ٦٦ ٨- ٢٣ / ٣٥٨
- ٩- الأغاني / ٢٣ / ٣٤٨
- ١٠- الأغاني / ٢٣ / ٣٥٠ .

مشهور من شعراء الاسلام ، مقدم ، ذكره الجمحي في الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين " هذا الى أن كتاب ابن سلام يفتقد كثيرا من التعميمات للأحكام المطلقة ، وليس حكمه " فلي الراعي بدعا في ذلك ، أما السباعي بيومي فقد تابع طبع ابراهيم حيث يعتبر أن من هبات ابن سلام " جعله الراعي رابع الطبقة الاولى وهو دون ذلك بكثير " .

ورفض محمد نبيه حجاب رأى الباحثين السابقين ، وجارى ابن سلام فانتهى الى القول : " والواقع أن النقاد والمؤرخين يجب أن يفتوا عند هذه الكلمة " يمتسف الفلاة بغير دليل " ومعناها أنه لم يسلك مسلك زملائه ولم يلتزم التقليد ، وانما كانت له خصائصه التي تميز بها من بين الفحول الاسلاميين " .

وحين عرّض حجاب لما يميز شعر الراعي فشل في اقامة الدليل على ما ذهب اليه ، فالقول بأن الراعي " قوى المعارضة " قول غامض ، ولا ادعاء بأن الراعي " لم يتقيد بالانتماء " .

بالقدايم في الديباجة " تنفيه دراسة شعر الراعي كما سيأتي .

أما " أنه صاحب نزعة اسلامية قوية في معانيه واساليبه " فرائ يصوره الدليل ، واذا كنا نجد مدى الاسلام في قليل من قصائده ومنها " الملحمة " فان دراسة ما قيل في صدر الاسلام والعصر الاموي من شعر تنبيه بأن الراعي لم يتفرد بهذه الميزة ، ويصدق هذا الرد على الادعاء بأن " صورة شخصية الراعي واضحة قوية في شعره " ،

ولست أدعي أن ابن سلام كان دقيقا في تقسيمه الشعراء الى طبقات في كل طبقة أربعة ، كما لا أستطيع الادعاء أن الراعي يجاري أحدا من الفحول الثلاثة في شعره ، فهو قد اصطدم بجزير ، وقصر عن مجاغة كما هو معروف كما أن قصيدته التي عارض بها الأخطل حين حجا

١- خزنة الادب ١٥١/٣

٢- تاريخ القيمة والنقد في الأدب العربي / ١٦٠

٣- أنظر الراعي النميري / ٢٠٥ وما بعدها .

٤- الراعي النميري / ٢٠٧

٥- أنظر: المجلد الثامن / ٢٠٧

شعره / ١٦٥ .

قبائل قيس لا تتمد للمقارنة مع قصيدة خصمه ، ويبدو أن الراعي نفسه كان يستشعر قيمة شعره إذا ما قيس بالأخطال ، فقد روى أن بشر بن مروان سأله : أيهما أشعر : حوام الأخطال ؟ وكان الثاني موجودا فقال الراعي : " أما الشعر فالأشعر أعلم ، ولكن والله ما تمخضت تغلبية عن مثلها " .

وأنا أميل الى أخذ القول : " يعتسف الفلاة يغير دليل " على حقيقته فقد كثرت أسفار الراعي عبر الصحراء الى الحواضر المختلفة ، فكثرت أسماء الأماكن في شعره كثرة قلما نجد لها في شعر غيره ممن سبقه أو عاصره من الشعراء ، وكان له أن يفتخر لمعرفته بمجاهل الصحراء التي لا يسمع بها الا صوت الرمال التي تسفيها الرياح ، والا صباح اليوم في النزع الاخير من الليل :

وداوية غرباء أكثر أهلها عزف ويوم آخر الليل صائح
أقربها جأشي تأولية وماضي الحسام غمده متصائح^٢
وشعره ناطق بأنه أشبه بالقديم والأول على حد تعبير الأسمعي ،
ولا يعدم الباحث وقوعه على معاني غيره في بعض الأبيات كقوله :
وأعلم أن الموت يا أم عامر قرين محيط حبله من وراءها
الذي أخذه من قول طرفة :
لصراء ان الموت ما أخطأ الفتى لكا لياول المرخي وثنيه باليد^٣
أو سطوة على شعر غيره ، كقوله :
وغملني نصي بالمتان كأنهما ثعالب موتى جلدما قد تزلعا
الذي اقتدمه من قول طافيل الغنوي :
وغملني نصي بالمتان كأنهما ثعالب موتى جلدما لم ينزع
وما أشبه قوله في الملحمة :
اني حلفت على يمين بسرة لا أكذب اليوم الخليفة قيسلا^٤
بقول النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ربيعة وليس وراء الله للمرء مذنب^٥
ورغم أن أكثر ما وصلنا من شعره أبيات مقتطعة من قصائده فإنها توحى بأن الشاعر التزم نهج القصيدة التقليدية ، ومن حيث تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة فكثيرا ما يقع الباحث على أبيات توحى بالمقدمة الطللية أو الفزلية ، وأخرى توحى بوصف رحلة صاحبه التي كثير

١- أنساب الأشراف ١٧٨/٥ وأبيات فحول الشعراء ٤٤٣/

٢- شعره ٣٨/ ٣- الرسالة الموضحة ١٥٤/

٤- شعر الراعي ٩٧/ وانظر الحيوان ٣٠٦/٦ - ٣٠٧ صط. التلاوي ٣٤٥/١

٥- شعره ١٣٥/ ٦- ديوانه ٤٥٠/

ما يبدأها بالقول التقليدي : " تبصر خليلي هل ترى من طعائن " وقد يستبدل كلمة " تبين " بكلمة " تبصر " ثم يأخذ في تتبع الأماكن التي مرت بها تتبعا يذكر بصنيع زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة . وفي مقام المدح لا يغفل الراعي وصف ركوبته على طريقة القدماء ، كأن يصفها بحيوان صحراوي ثم يأخذ في استقصاء صفاته ، بل يبدو أن المقارنة قوية بين قصيدته " الدالية " التي مدح بها عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان وسين " دالية " النابغة الذبياني وهي المعلقة التي مطلعها :

يا دار مية بالعليا فإلسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

من حيث النهج . ولا يعني ذلك أن الراعي كان نسخة عن سابقيه ، وإنما أردت القول : أن شعر الراعي - في مجمله - لم يخرج عن الأطار التقليدي للقصيدة العربية القديمة ، لكن هذا الأطار متعدد الأصباغ والألوان ، ولكل شاعر نصيبه الخاص الذي تشكله ظروفه الخاصة والعامة ، ولذا يبدو التمايز والافتراق حتى ضمن الأطار العام الواحد .

ولعل أظهر ما يميز شعر الراعي النيمري تلك الخاصية التي تشبه اليها الجاحظ حين قال : " والراعي كثير الديدع في شعره " ٣

والحق أن شعر الراعي مشرع بالصور والأخيلة التي يستمد عناصرها من الواقع المرئي فيعيد تشكيله وقد غير في نسب عناصر الصورة التي اختلطت بالنفس وتفاعلت معها ، ونحن قد نستطيع وصف قوله :

كأن العيون المرسلات عشية شأبيب دمع لم تجد مترددا
مزايد خرقة الديدن مسيفة اخب بهن المخلفان وأهقدا

بالمبالغة وتجاوز الحد ، وهذا صحيح أن نحن قسنا الشعر أو الفن بالواقع ، ولكن الأصح أن الواقع الحسي وسيلة من وسائل الفنان يعتمد إليه لنقل حركة نفسه وعاطفته ، ولتمثيل تصويره الذهني الذي يطفح بالدلالات الشمورية التي ينبغي أن يحسب حسابها في الحكم ، أي أننا قد نجد صورة أو كلمة ترمز للواقع الحقيقي لها ، وتطمح في الوقت نفسه إلى إيصال دلالة شمورية ، وقد يكون الرمز أسلوبا من أساليب التعبير لا يقابل المعنى ولا الحقيقة وجها لوجه ، ولذا قد يساء فهمه فيعتبر عيبا ، وهذا ما وقع فيه صاحب كتاب " الزهرة " حين علق على قول الراعي :

لولا المخاوف والأوصاب قد قطعت عرش الفلاة بنا المهرية الأجد
فتساءل منكرا " وما المخاوف والأوصاب حتى يمتدربها في التخلف

١ . شعره / ٤٤ ٢ . ديوانه / ١٦ .

٣ . البيان والتبيين / ٥٦ / ٤ :

- ١٨٤ -

عن الأعياب . . . " وهذا القول يهمل الحالة الشعرية وما تحمله من رمز وإيحاء ، فالبيت من قصيدة شكها فيها الراعي السعفة إلى عبد الملك ، ومصروفان قبيلة " نمير " القيسية وقتت إلى جانب عبد الله بن الزبير حين قاتلت مع الضحانك في مرج راهط . ولا يبعد أن يكون الراعي رمز لعبد الملك ، بالحبشية ، فهو متحفز للزيارة ، لكن ما خفي قبيلته يخفيه ويحذره ، كما أنه كان قد وفد قبل عام إلى عبد الملك ، فردّه ولم يلب له طالبا ، وهكذا يرتبط الشاعر الغزل وذكر الحبشية بموقف نفسي وشعوري يشغل بال الشاعر .

ولتقي الراعي مع القدماء في كيفية تشكيل كثير من صوره ، أو نقل معانيه بصور مادية يجرى فيها على الانضباط ، وكأنه يجرى على الصورة لذاتها ، فيحمل فيها ذهنية الوعي ، وتفقد عاطفته بعض زخمها ، وكأن المسألة ضرب من العبث الذهني يتلهم به الشاعر فيخلد ، جهنى مستحيلا ، يقول الراعي ٢ :

وما بيضة بات الظليم يحفها	بوعساء أعلى تربها قد تليدا
فلما علت الشمس في يوم طلقة	وأشرق مكاء الضحى متفركا
أراد قياما فازبأر عفاؤه	وحرك أعلى جيده فتأودا
وهز جناحيه فساقل نفسه	فراش الندى من مثنه فتبددا
فغادر في الأدحي صفراء تركة	هجانا اذا ما الشرق فيها توقدا

١- الزهرة / ٢٠٧

٢- شعره / ٦٠

٣- الوعساء : اللين من الرمل .

٤- يوم طلقة : يريد يوم ليلة طلقة ليس فيها قر ولا ريج . المكاء : جأثر في ضرب القميرة إلا أن في جناحيه بلقا ، سمي بذلك لأنه يصفر تصفيرا حسنا .

٥- ازبأر : انتعش . والعفاؤه : ما كثر من الدير والريش .
تأود : تثنى .

٦- فراش الندى : حبيب الصفار

٧- التركة : بيضة النعام تترك في القلاة .

بألين منا من سعاد الملامس وأحسن منها ، حين تبدو مجردا
ولعل هذه الاستدارة التشبيهية تذكر بمنيع النابغة الذبياني ، فقد
شغل الراعي ببيضة النعام كما شغل النابغة بالفرات على اختلاف
الفرضين بين الغزل والمدح . والتقليد في الأسلوب واضح ، فقد
استغل الراعي أبياته بـ " ما " وهي من اخوات ليس ، وقد تبناها
اسمها مباشرة ، أما خبرها الذي لا يتم المعنى إلا به ، فقد اعترض
بينه وبين اسمها أربعة أبيات ، بحيث لا نصله إلا بعد أن شغلنا
طويلا عنه ، هذا ان لم تكن افتقدنا المعنى الأصلي الذي رعى اليه
الشاعر ، وهذا تفقد الصورة غرضها الأصلي وهو " التأثير " . وقد نعجب
بها ، لكن الاعجاب يكون منصبا على ما فيها من " تجسيم " والإفضل أن
يأتي التجسيم أداة أو وسيلة للتأثير لا أن يكون هو الغاية . ومهما
يكن ، فهذا الضرب من التعبير تقليدي نرى له مثيلا عند زهير ،
والنابغة والأعشى وغيرهم من الجاهليين وشعراء الاسلام . وقد نستدل
به على أن الراعي لم يكن يمدح عن نفسه في بعض صورته ، ولكنه اعتد
بالشوط الذي بدأه غيره ، فكان مقلدا من هذه الناحية ، أعني " الكيف "
لا " الكم " . ولعل في كل ما ذكرت ما يثبت أن الراعي لم يخرج في نهج
القعيدة ، وفي أسلوبها عما نألفه في القعيدة التقليدية . أما معانيه
فيحسن أن تتناول ضمن الحديث عن موضوعات شعره وقد آن لها ذلك .

أغراضه :

طرق الراعي فنون الشعر التقليدية المعروفة ، وما وصل من
شعره ينبي أنه أكثر من الوصف والهجاء والمدح وله في الغزل وكلا أن
له قصيدتين في الشكوى من العمال ، أما بقية الموضوعات كالخمر ،
والرثاء والفخر فقليلة في شعره .

مباحث عامة :

=====

لعمل شعر المدح من أكثر فنون الشعر التقليدية لصوقاً بمحاكاة
 الاعجاب ، فهو متميز عنها في الإيجال ، وليس استدراراً لإحسان أو
 مجلبة لمنفعة يردد الشاعر من أحليها معاني عفت أو كادت تكون رؤوسهم ،
 فينقلب شعره عليه يفتخر نفاقة وذلة نفسه من أجل مطامع مادي رخيص .
 ولا شك أن الشاعر المتكسب يستشعر المال أكثر مما يستشعر المدح
 الذي يتكلف من أجله العاطفة والانفعال . فمن أي كان الراعي في مدائحه ؟
 أكان متكسباً أم كان يصد في مدحه عن نفس علق بالمدح وتمثلت فضائله
 ففاضت بها شعراً ؟ أم كان يراوغ وينافق لمصلحة قبيلته التي سافر عنها
 لدى الأمويين غير مرة ؟
 ينمى ما وصل من مدح الراعي أنه لم يمدح سوى الأمويين من خلفاء
 وأمرأه إلا بني عدي بن جندب الذين جاؤهم فأحمدهم ، وقال فيهم :
 إذا كنت مجتازاً تمها لذة فمناك بحبل من عدي بن جندب
 هم كامل الدهر الذي يتقى به وإن ركب حرب بهم كل مركب
 وقال فيهم :
 إذا انسلخ الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري أرض غامر
 وأثني على الحيين عمرو والنسك ثناء يوافيهم بنجد وغلة ثمر
 كرام إذا تلقاهم عن منابضة أعفاه عن بيت القريب المجاور
 وألا خالد بن عبد الله القسري الذي أعطاه دية ابنه وصداقه حين علم
 بموته ، فقال فيه الراعي :
 فلا حطت أنثى ولا آب غائب ولا ولدت أنثى إذا مات خالد^٣
 وممروف أن الأمويين كانوا يصطنعون بعض الشعراء للتفني
 بفضائلهم ، وارضاء كبريائهم ، ولكسب المؤيدين لهم في معتزلة السياسة .
 وهي سنة سننها معاوية أول خلفائهم ، ويبدو أنهم نجحوا في اجتلاب
 الراعي النصري ، فقال فيهم :
 أمت أمة للإسلام مائة وللقهول للقميص رعاة أمرها الرشداً^٤

١- شعره / ٢٢ ٢- شعره / ٨٨ ٣- شعره / ٥٣
 وفي شعره ص ١٤٧ بيتان مدح بهما ابن ليلي ولم أعرفه ، وينسب البيت
 الأول في اللسان لجريز وليس في شعره ، أما البيت الثاني فلا يذكر فيه
 ابن ليلي . وفي كتاب الزمعة / ١٣٥ ثلاثة أبيات في المدح ولا أدري
 فيمن قيلت . ٤- شعره / ١٨٣ .

أو أنه زحل اليهم يستبدل أموالهم بشعره . وليس بين أيدينا ما يدل
على اتساله بمعاوية ، ولكنه وقد على ابنه عبد الله ويزيد فمد مهما ،
ويد والتكسب واضحا في قوله في يزيد :
راحت كما راح أو تغدوا كغدوته عنس وخود عليها راكب يفيد
تنتاب آل أبي سفيان واثقصة بسبب أبلج منجاز لما يفسد
حتى أنيخت لدى خير الأنعام معا من آل حرب ناه منسب حشد
ثم كانت معركة مرج راهط ، وكان بنو نمير مع الضحاح ، الذي دعا لابن
الزبير ، فانتصر الراعي لقبيلته ، وتعنى زوال ملك الأمويين ، وذلك قوله :
بني أمية ان الله ملحقكم عما قليل بعثمان بن عفان
ولكن الأمويين خرجوا من " مرج راهط " منتهرين ، ويد وأن الراعي شعر
أن بابا المعالي أوصد دونه ، فحرب من جديد وعرفنا أين يتجه ،
فقصده بشر بن مروان لخفولته في قيس ، واعتذر الراعي عما كان من قومه ،
وسلخ نفسه من تبعه ما فعلوا بحجة أنه كان غائبا :
فلو كنت من أصحاب مروان إذ دعا بعذراء يمت الهدى إذ بدا ليا
على بردى إذ قال : ان كان عهدهم أشيع فكونوا لا علي ولا ليا
ولكنني غيت عنهم فلم يطع رشيد ولم تمنى المشيرة غاويلا
ومدح بشرا بهذا القول الفضفاض :
نزلت من البطحاء في آل جعفر ومن عبد شمس منزلا متعاليها
ولا يبعد أن يكون بشر بن مروان وساطة إلى عبد الملك الذي " كان
لا يسمع لشعراء مضر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زبيرية " والذي كان

- ١- شعره / ٥١
- ٢- هذا البيت من فرائد الشواهد في شعر الراعي / ١٨٣ ويد وأنه
والبيتين السابقين من قصيدة واحدة .
- ٣- البيان والتبيين ٢ / ٢٥٨ وانظر الراعي النميري / ١٢١ .
- ٤- شعره / ١٧٠ ٥- طبقات فحول الشعراء / ٤٤٣
وذكر البغدادي في خزنة الادب ٢ / ١٦٠ هذا البيت :
أفي أثر الألمان عينك تلمح نعم لات هنا أن قلبك متيح
مطلع قصيدة للراعي عدتها (٥٧) بيتا مدح بها بشر بن مروان المرواني
ثم ذكر منها بيتين في الطعائن . وفي موشح المرزباني / ٣١١ - ٣١٢
أربعة أبيات أولها :
الى الفتى بشر بن مروان سارت بنا الليل حول كالدجاج ولقح
ثم يصف النوق وسيرها عبر الصحراء . ويد وأن هذه الأبيات جزء من القصيدة
السابقة . ٦- طبقات فحول الشعراء / ٣٥٧ .

- ١٩٢ -

ثقل النفس على الراعي " ورغم ذلك قصده حاملاً حموم قبيلته التي أثقل
 كاهلها السقاة ، فقال بمدحه :
 أنت خليفة عدله ونواله
 وإذا أردت لظالم تنكيساً^٢
 ومنها :
 وإذا قرّش أودت نيرانها
 فأبوك سيدنا وأنت أعزها
 أما مدحه لسعيد بن عبد الرحمن الأموي ، فقد ركز فيه على معنيين مستهلكين
 لم يتمدحهما : الكرم ، ونيل الأصل . وجاء تعبيره تقليدياً متكلفاً لا فن فيه
 ولا ابداع ، كقوله :
 متى ما تأت فيهم جسد
 هو الرجل الذي نسبت قرّش
 وقوله من قسيمة أخرى :
 أسعيد انك من قرّش كلها
 متحلب الكهين غير عصبه
 أو قوله :
 أنت ابن فرعي قرّش لو تقايسهم
 وهو يسف ويتذل حين يريهم
 أني جعلت يميناً غير كاذبة
 لولا سعيد أرجي أن ألا قبه
 الواهب البخت خضعا في أزمته
 وإذا كان سعيد بن عبد الرحمن " جواداً مدحاً " فان هشام بن عبد الملك
 الذي يقول فيه الراعي :
 وقد قادني الجيران حيناً وقدتهم
 رجاءك أنساني تذكر اخوتي
 وفارقت تحبي ما تحن جمالها
 ومالك أنساني بحرسين مالها

١- طبقات فحول الشعراء / ٤٣٧

٢- شعره / ١٤٢

٣- شعره / ١٤٣

٤- شعره / ٨١

٥- شعره / ٢٠

٦- نسب قرّش / ١٩٥

٧- تهذيب تلخيص ابن عساكر ١٥٠/٦

٨- معجم ما استمع ٤٣٢/٢ شعره / ١٠٥ .

"كان يجمع الأموال ويبيعها" . وهكذا تفيد شخصية الممدوح عند
الراعي - وراة شمس ماله ، ولو حذفنا الاسماء الواردة في شعره لصلح ما
تبقى على أي غني مصطفاً أو مبخل . ولو حاولنا استبدال أسماء جديدة
بالأسماء الواردة في مدائحه فما علينا إلا أن نبحث عما يستقيم الوزن
بذكره . وما أجمل قول أبي عبد الله الفزاري حين سمع اعتذار الراعي
ومديحه لبشر بن مروان : "هو الذي يخطب الدرام حتى أتت قومه" .

١- نسب قرشي / ١٦٤ .

٢- طبقات فحول الشعراء / ٤٣٨ .

أهـ جـ نـ هـ ونـ عـ هـ :

=====

كان طبيعياً أن يصادف الراعي بغيره من الشعراء في زمن طفت فيه القيم القبلية حتى تحكمت في نفوسهم أولي الأمر ، فازدادت ولأنتها ، وتحزب الشاعر لقبيلته ينافح عنها . ولعل تسمية الراعي " بفحل مضراً " قد خضعت لاعتبارات قبلية لا غنية . ويبدو أن تحزبه القبل كان الدافع لدخوله في نقاء مع غيره من الشعراء ، فهو قد دار على أوس بن مفرأ السعدي ، ويذكر ابن سلام أن أوس بن مفرأ كان يهاجي النابغة الجعدي وراعي الأبل وابن السط ، من بني عامر بن صعصعة . وقد بدأ ابن مفرأ مهاجمة النابغة الجعدي أيام معاوية ثم تحزب الأخطل لأوس ، ولم يكتف ابن مفرأ بهجاء جعدة بل امتد هجاءه ليشمل بني عامر ، ومن ذلك قوله : في هجاء الجعدي :

ولست بمأف عن شتيمة عامر
ترى اللوم ما عاشوا جديدا عليهم
لممرئ ما تبلى سراويل عامر
ومعروف أن نصيراً من عامر ، وقد يكون ذلك سبباً تهمى الراعي له ، حيث لا يسمفنا القدماء بذكر السبب . ويبدو أن الراعي عارض أبيات ابن مفرأ بقوله :

ان ابن مفرأ عبد ليس نأولنا
تبلى ثياب بني سعد اذا دفتوا
الاكلين اللوايا دون ضيفهم
كما يظن أن قول الراعي :
وأوس بن مفرأ الهجين يسبني
تمنى قريش أن تكون أخاهم
قريش الذي لا تستطيع كلامه

حتى ينال بيل فظ الشمس رافها
تحت التراب ولا تبلى مخازيها
والقدر مشبوة فيها أثافيها
وأوس بن مفرأ الهجين أعاقه
لينفعا القول الذي أنت كاذبه
ويكسر عند الباب أنفك حاجبه

- ١- طبقات فحول الشعراء / ٥٠٣
- ٢- من تميم مصط. اللالي / ٥٧٩٥ . وفي الحماسة الشجرية ، القسم الأول / ٥٥١
عن ٤٤١ أنه من عامر بن صعصعة وهذا خطأ ، والمحقق لا يذكر المصدر الذي اعتمده في نسب أوس .
- ٣- طبقات فحول الشعراء / ٥١٥ ٤- أنظر الأغاني ١٠ / ٥ ١٣
- ٥- طبقات فحول الشعراء / ١٢٦ ، الحماسة الشجرية ، القسم الأول / ٤٤١
- ٦- شعره / ١٦٣ ٧- شعره / ٢٨٠

جزءاً من مفاضة أو نقضة لجأ فيها إلى أسلوب التجميل منيع المساور
ابن هند المصبي يثني أسد حين هاجا خصمه المزارع القمسي
ولم أعر على سبب للمهاجاة بين الراعي وعدى بن الرقاع العاطي ، وقد
يكون الذي هاج الشريفيهما تصحب ابن الرقاع^٢ للأمويين خصوم الز
الزبيريين ، وقد استغل الراعي قضية الخلاف في نسب عامله ، فاستخف
بهم حيث يتردد نسبهم بين القبائل التي تأنف أن يكون بين عامله وبين
أى منها نسب أو وشيجه ، وذلك من خستهم ولؤمهم وهذا من مر الهجاء ،
يقول الراعي :

يا من توعدني جهلاً بكثرة
أنت امرؤ نال من عروني وعزته
لو كنت من أحد يهيجني هجوتكم
تأبى قضاة أن ترضى لكم نسباً
ويبدو أن المهاجرة امتدت بينهما حتى
آية ذلك، قول ابن الرقاع يجيب الراعي حين سمع أبياته السابقة :-
حدثت أن رويحي الأبل يشتمني
فأنك والشعر ذو تزجي قوافيه
واصلد م الراعي بالاخلل شاعر التغلبيين الذي أكثر من هجاء القبائل
القيسية ، فها قومه الزراعي وعارضه ، فلما قال الأخلل " رائيته " المشهورة
التي أوقع فيها بقبائل قيس ، والتي بدأها بالتشبيب بهند بنت أسماء
الغزارية :

ألا يا أسلمي يا هند هند بني بني بدر
واقعه الراعي بقصيدة يذكر فيها فرار الأخطال من القتال ويتشفى بمن
أصيب من تغلب : كل يوم وقية
ولولا الفرار يومكس وقية
أبا مالك لا تنطق الشمر بعد ما
ونحن تركنا تغلب ابنة وائل
لنا لك زرق في مطارنا الحمر
وأعطى القياد القاديين على كشر
كمكشر الأناب منقطع الظاهر

[illegible]

٦٣/٤ — أنظر شرح حماسة أبي تمام

٢- أنظار قييدة في مقتل مصعب ، طبقات فحول الشعراء / ٧٠٥ الأغاني / ٣٠٥

٣- زهر الآداب ٤٧/١ والبيتان في شعره / ٦٤

٤- لسان العرب ٨/ ١٣٣ - ٥- شعر الاخطا ١/ ١٧٩

٦- شهره / ٨٣ وانذار الراعي النمرى / ١٤٥٠.

كما غاربه بقوله :
 برهنا. ابن كلثوم بدأنا فأصبحوا
 وغارتنا أودت ببهراء أنها
 وكانت لنا ناراً نار بجائهم
 ويختلف القدماء في السبب الذي سبب جريراً ودفعه إلى هجاء الراعي
 وقصومه في قصيدته المشهورة التي سمىها العرب " الفاضحة " وسمّاها
 جرير " الدماغة " ومنها البيت المشهور :
 ففزع الطرف إنك من نمير
 فمضت من يرى أن عرادة النمرى نديم الفرزدق أسكر الراعي وطلب إليه تقديم
 الفرزدق على جرير ، فقال الراعي وهو مخمور :
 يا صاحبي دنا المسير فسيروا
 غلب الفرزدق في الهجاء جريراً^٣
 ومنهم من قال : " كان الراعي يسأل عن جرير والفرزدق فيقول :
 الفرزدق أكرمهما وأشعرهما " وهم يذكرون أن جريراً استكفه ، فاعتذر الراعي ،
 ولكن ابنه جندلا استفز جريراً فأغضبه ، فكان أن هجّاهم بالذي يبدو أن
 الراعي كان على علاقة طيبة بالفرزدق الذي يقول مفتخراً بقبائده :
 فيهن شاركني المساور بمدحهم
 وأخوه حوازن والشامي الأخطال^٤
 أما جرير فيروى على لسانه أنه " كان يحطّب في جبل قيس^٥ " وهو قول ينبغي
 أن يتناول بحذر . وإذا كان جرير قد ذنب عن قيس وهو يناقش الأخطال ،
 فالأمر مختلف في نقائضه مع الفرزدق ، وإن كثيراً ما افتخر فيها بأيام تميم
 عامة ويرى خاصة على بعض قبائل قيس^٦ . ثم كان مقتل قتيبة بن مسلم
 الباهلي على يد وكيع اليربوعي^٧ . هذا إن لم يكن الراعي قد أقحم نفسه
 طلياً للشبهة . فلما قال جرير قصيدته جاءت نقيضة الراعي - إن صحته -

-
- ١ - شمسه / ١٦٥ - ٢ - المصداة ١ / ٥١
 ٣ - أنظر نقائض جرير والفرزدق / ٤٢٧ وما بعدها طبعات فحول الشعراء / ٣٧٢
 ٤ - طبعات فحول الشعراء / ٣٧٣
 ٥ - نقائض جرير والفرزدق / ٤٢٨ طبعات فحول الشعراء / ٣٧٣ والشعر
 والشعراء ١ / ٣٢٧ - ٦ - نقائض جرير والفرزدق / ٢٠٠٠ ، وهو حوازن :
 يعني الراعي النمرى . ٧ - نقائض جرير والفرزدق / ٤٢٨
 ٨ - نقائض جرير والفرزدق / ١١٨ ، ٢٤٧ ، ٤١٠ ، ٤٨٣ ، ٧٦٠ ، ٨٩٨ ، ...
 ٩ - نقائض جرير والفرزدق / ٤٣٢ .

دالة على ترديه في هذا الفن اذا قيس بفحوله :
 أثنائي أن جحش بني كليب
 فلأولى أن يظل المبد يطفو
 أثناء البحر يضرب جانبيه
 ويذكر ابن سلام أن الحلال وخنزرا كانا يهاجيان الراعي^٢ . وفي حماسة
 أبي تمام قصيدة هجا فيها خنزير بن أرقم بني قطن رماط الراعي مستغلا
 بحر الراعي ناقة ضيفه الكلابي الذي نزل به في سنة مجدبة ومنها قوله :
 أمن ينقض الأضياف أكرم عادة
 إذا نزل الأضياف أم من يزيد لها
 كأنكم أن قمتم تنحرونهنسبا
 براذين مشدود عليها لبودها
 فما فتح الأقوام من باب سوءة
 بني قنن الا وأنتم شهودها
 فأجابه الراعي بقصيدة نقش فيها ما اتهم به بوزعم أنه أخلف الناقة للكلابي ،
 وعرض بأمر خنزير وأفحش بوزلك قوله :
 ما ذا ذكرت من قلوب نحرتها
 بسيفي وضيغان الشتاء شهودها
 فقد علموا أنني وفيت لربها
 فريت الكلابي الذي يتفني القرى
 فباتت تعد النجم في مستحيرة
 فأما سقينا المكيين تملأت
 ولما قضيت من ذي الأنا لبانة
 كما عرض بأمره . واتهمها في قصيدة أخرى منها قوله :
 تغني ليلغني خنزير
 قيا ما يوارون عوراتهم
 واتهم الحلال بالضعف ورداة الحسبه وخموله :
 واني لداعية الحلال ولواعضا
 أبى للحلال رخوة في فؤاده
 وأعراق سوء في رجميع مطلب
 وأبنا وعند الله علم المفيب
 وإذا كان الراعي قد ساهم في فن النقائض الأموية فإن دوره فيها يبقى باعنا ،
 وينبغي ما ذكر من أجابه أنه يدخل في الهجاء من أقصر الطرق ، فتأتي قصيدته
 قصيرة لا تستغل الأغراض الاخرى كما هو الشأن في قصائد الفحول الثلاثة .
 وإذا كانت الأيام والتو قطع القهلية أوسع مجال خاض فيه شعراء النقائض الأموية ،

١- نقائض جرير والفرزدق / ٤٢٩ - ٢- طبقات فحول الشعراء / ١٧٧ هـ وفي
 شأن الحلال وخنزير خلاف . وقد رجح محمود محمد شاكر أن يكونا ابني عم الراعي .
 ٣- ٧٨-٧٧ / ٤ - طبقات فحول الشعراء / ١٧٧ هـ
 ٥- شرح حماسة أبي تمام ٢٨/ ٨٢ - ٦- المكيين : لبن يصب عليه شحم .
 ٧- شعره / ٧٤ - ٨- شعره / ٢٣٠

فإن الراعي قلما اقترب من هذا المجال رغم أن تاريخ قبيلته حافل بالاحياء والرفع
القديمة والحديثة . والراعي يجرى في أكثر أحواله على أسلوب الشقير والاهبار
وقليلا ما عمد الى الصخرة الساخرة البرامزة التي تمسخ المنجو ، وتسيب مكانه ،
ومن ذلك قوله يهجو امرأة :

تببت رجلاها إوانان لاستها عماها استها حتى يكل قصودها
مخشمة المرنين مثقوبة العصا عدوس السرى باق على الخسف عودها
وقد يكون السبب أن الراعي لم يطلب الهجاء لذاته كما كان يفعل جرير والفرزدق
أحيانا ، ولذا لم يتانق مثلها ، بل اكتفى باللمحة العارضة ، والوخز المباشر
السريع دون افحاش أو اقداع الا ما ندر .

١ - شعره / ٧١ . عدوس السرى : أى قوية على السرى .

الوصف :

الوصف أكثر موضوع سخر له الراعي ارادته الفنية حتى لقد شهر به عند القدفا* فزعموا انه سمي راعيا لكثرة وصفه الابل وحسن نعتة لها كما مربنا . ومصروف ان الوصف يتغلغل في كثير من جزئيات القصيدة القديمية حتى قال ابن رشيق : " الشعر حاد الا اقله - راجع - الى باب الوصف " ١

والراعي ربيب الصحراء ، وقد اكتسب خبرة بها وشيأتها ولذا لا تعدد موضوعات وصفه ما يراه فيها من حيوان ، او نبات ، او سحب ، او معركة طرفيها كلاب صياد وحمار وحشي ، او دمنة عافية وأثافي مهجورة . . . الى غير ذلك مما تشيره الصحراء في نفس ابنها الشاعر فتتهيجها . ويرى قدامة ان احسن الوصف ما " يحكي " الموصوف ويمثله للحسن بنعته " وتابعه ابن رشيق القيرواني الذي رأى ان " احسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع " ٢

ولا يخفى ان هذا التأطير للموصوف الحسن مستقرا من اوصاف الشعراء القدامى كالنابغة ، وأوس ، وزهير وطرفة . . . ومن سار على دربهم من شعراء العصر الاموي وغيرهم . وقد اجهد اولئك انفسهم من اجل تمثيل الموصوف للميان ، فأفرطوا في الحسية ، وفي ابراز جزئيات الموصوف حتى كأنهم يمتصون تماثيل ، يقول المرتضي في أماليه : " واني لاستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد فقد طبق وصفه الفصل مع جزالة الكلام وقوته واستقراءه وطراذه :

وأورق منذ عهد ابن عفان حولسه حواشي ألاف على غير مشرب
وراد الأعالي اقبلت بنهمه على راسح ذي شامة متقوب
كأن بقايا لونه في متونها بقايا هناء في قلائس مجسرة

ففي هذه الأبيات تشخيص رائع لجزئيات الموصوف ، وفيه بعد نفسي عميق ، يجذب الحس واللفكر في آن واحد . فالرماد في احضان الاثافي كالفصيل في احضان الأتار تحنو عليه ، وهنا - عدا الحنو والحنان - نجد فكرة التصغير المحبب الى النفس في كلمة " راسح " التي تمنى الراضع ، ثم لا بد من التنويه بهذه الاثافي التي جعل لها نحورا استكمالا لتشبيهها بالحواضن . ولا يغفل الشاعر اللون واثار الزمن عليه ، فأعالي الاثافي تضرب الى الحمرة ، اما دون ذلك فكانه اثر

١ . المصدا ٢ / ٢٦٤ ، نقد الشعر / ٢٣٤ ، المصدا ٢ / ٢٦٤

٢ . المصدا ٢ / ٢٦٤ ، ٠٤

٣ . شمره / ٢٦٠ . الأورق : الرماد . وراد الأعالي : اي ان الوانها تضرب الى الحمرة ، وخبى الأعالي لانها مواضع القدر فلا تكاد تسود . والراشح : الراضع . المتقوب : الذي قد انحسر اعلاه .

- ٢٠١ -

القطران على قلائص جري ، اى ان السواد بهت لتقدم المهد . وهكذا
تطنج المماني بعضها ببعض وتلتقي الصور والهيئات والألوان في هذا
التمثيل الجميل .

ويحمد الراعي - احيانا - الى توضيح الموصوف بتقليب المعنى الواحد
في غير صورة حسية ، ومن ذلك قوله يصف سرعة الناقة :

كانها يوم خمس القوم هلبس جلب وتعن والال بالمومساة نظرد
قرم تعداه عاد عن طروقه من الهجان على خرطومه الزبد
او ناشط أسفع الخدين الجاه نفع الشمال فأسى دونه العقد ١

فلم يكتف الراعي بتشبيه ناقته في حال جهدها وشدها وهي سائرة في شدة
الهجير بهذا الفحل الذي حال دون انثاء حائل فاهشيج وظهرت الرعقة
(الزبد) على فمه ، ولكنه أضاف صورة أخرى لناقته فشبهها بثور وحشي اسود
وجهه من شدة البرد ، واضطرت تحت وطأة ريح الشمال الى الاسراع حتى يحمل
كناسه ومأواه ، وفصل الراعي بين الصورتين بحرف العطف (أو) وكأن الصورة
الاولى لم تشبع نهمه الفني في توضيح الموصوف ، فأتبعها أخرى حسية اغترفها
من الصحراء ، وأطال الوقفة عندها حين جعل الثور يقجا بصياد مشاء ذى

حاجة ، يدعو كلابا ضامرة قوية ، ويدب وامايا حرصا على انجاح القصد ، ويراع
الثور ويجول مبتعدا عنها وفي اعناقها خطوط جراح من امثاله ، والراعي يرمز
بذلك الى نجاح الثور في الافلات من الشرك لان ناقته تشبه هذا الثور : ٢
حتى اذا هبط الأعدان وانقطعت عنها سلاسل رمل بينها وسيد ٣

صادف اطلس مشاء بأكلبسه اثر الأبد ما ينمي له سيد ٤
اشلى سلوقية باتت مات بهبسا بوحش اصمت في اصلاها أود ٥

يدب مستخفيا يفسى الضراء بها حتى استقامت وأعراه لها جيد
فجال ان رعنه ينأى بجانبه وفي سواقها من مثله قد ٥

١ . شعره ٤٤ . الخمس : من اظماء الابل ان ترعى ثلاثة ايام وترد اليوم الرابع
الجلب : جمع جلبية وهي الشدة . القرم : البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل
الطروقة : انثى الفحل . الهجان : الابل البيض . الخرطوم : الأنف .
الناشط : الثور الوحشي يخرج من الأرض الى أرض . الأسفع : الاسود . العقد : ما
تمقد من الرمل أي تراكم . ٢ . الأعدان : قطع رمل متفرقة وهد : جمع وهاد وهو
جمع وهددة وهو المكان المظلم . ٣ . اطلس : يريد به الصياد .
السيد : الصوف ، كنى به عن المال والماشية . ٤ . اشلى : دعا .
سلوقية : منسوبة الى سلوق موضع تنسب اليه الكلاب السلوقية . الصلب : وسط الظهر
من المنق الى المعز وهي فقرات أى خرزات منتظمة والمتنان يكتنفان يمينا وشمالا .
الأود : الاعوجاج

٥ . شعره / ٤٥

— ٢٠٢ —

ففي هذا الاستقصاء في وصف المشبه به توضيح ضمنى للمشبه ، وجرى على طريقة العرب في المنايا بالتفاميل والجزئيات ضمن إطار قصصي زاخر بالحركة المناسبة للحدث .

وهذه صورة أخرى تشترك مع الصورة السابقة في التآني وفي شكلها القصصي ، وفي شخوصها ونهايتها مع الدقة البارعة :

يجتاب أذراها والترب يركبه
يجانف البرك عن عرق أضربه
ترسم الفارط الظمان في الأثر^٢
تجافيا كجافيا القرم ذى الصر^٣
قلب صبيحته كلاب الفوث يؤسدها^٤
مستوضحون يرون العين كالأثر^٥
فأدت الأذن رزا من سوابقها^٦
وجال ازهر مذعورا من الخمس^٧
فكر منتصرا يحمي حقيقته^٨
كما حب البز من كرمان منتصرا^٩

وخذ هذا الوصف الذي تزدحم فيه الصور ، وتستقصى الصفات ، وتتقلب المعاني ، وتشدد جل الحواس اليه مع جزالة لفظ ، وقوة تعبير ، وتدقيق بيان ، وبإلفة لونياً أصباغ نفسية صارخة تقوى صورة الواقع ، وتعمى عنه غلاف الزيف ، فتثير الشفقة وتدفع الألم من مكانه ، وقد تحيلهما إلى رغبة في الثورة أو الانتقام من أولئك السعاة الذين استغلوا سلطتهم المدعومة بسلطة الدولة ، فأكروها الناس على دفع الأموال بضروب البطش المختلفة ، وذلك قول الراعي :

أخذوا المريف فقطعوا حيزومسه^{١٠} بالأصحية قائمها مفلولا

حتى إذا لم يتركوا لمظامسه^{١١} لحما ولا لفؤاده معقولا
جاءوا بصكهم وأحذب أسأرت^{١٢} منه السياط يراعة اجفيل^{١٣}

نسي الأمانة من مخافة لقسح^{١٤} شمس تركن بضمهم مجزولا^{١٥}

١. شعره / ٨٥ . ٢. يجتاب : يحفر . اذراها : استرها ، كما يترسم الفارط

وهو الذي يتقدم الواردة ينظر إلى يحفر .

٣. يجانف : يحرف صدره عن عرق الشجرة . أضربه : دنياه منه . السرر :

فرجة تكون في الكركرة ، يقال بصير اسر .

٤. يؤسدها : يفر بها . مستوضحون : ينظرون كل يرون شيئاً .

٥. ازهر : يعني الثور . مذعورا من ناحية الخمر ، وهو : ما وارك من شيء

٦. صاحب البز : صاحب السلاح

٧. شعره / ١٣٧ .

٨. المريف : رئيس القوم ومكلمهم .

٩. البراعة : قصة شبه بها قلب المريف . الاجفيل الذي يهرب من كل شيء فرقا .

١٠. شمس : عصر . البضيع : اللحم . مجزول : مقطوع من قولهم : جزله

بالسيف : قطعته قطعتين .

- ٢٠٢ -

لا يستطيع عن الديار حويلا
خرق تجربه الرينجاس نويلا
يدعو بقارة الطريق هديلا
ورأى بمقوته أزل نسولا
نهش اليدين قخاله مشكولا

أخذوا حملته وأصبح قاعدا
يدعو أمير المؤمنين ودونه
كهذاهد كسر الرماة جناحه
وقع الربيع وقد تقارب خطوه
متوشح الأقراب فيه نهية

كدخان مرتجل بأعلى تلمسية
فأنت ، لا شك ، واجد هذا الفيض من السمر التي تنبش بالحياة ، وتفيض بالحركة
وتتعدد فيها المناظر ، وتنسجم المشاهد لتكون هذه اللوحة الحية الناطقة
التي يسرح النظر في جنباتها ، والتي شخصوها عريف لا يملك حولا ولا قوة ،
وسعاة يملكون الحول والقوة ، وخليفة بصيد تروا إليه الأعين ملتصقة
أخذ الحق للمريف الذي تعرض لكيد السعاة فأخذ شدودا مفلولا ، قائما
يضرب بالسياط حتى تمزق صدره ، وتقرص ظهره ، وطار له من فرط ما عانى
منهم ، فلم يدر ما يفعل حيث اخذه الفزع والهلع فأطاعهم خوف السياط التي
تشبه أذناب اللواقيح الآتية لا تبالي كيف تضرب ، واستحال بالقياس إليهم
كحمام كسر الرماة جناحه ، ثم فوجي * بذئاب ضامرة ، سريعة ، مفبرة ، نهية
الى ما تبقى منه .

فهل استطيع ان ازعج ، بعد كل هذا ، ان الراعي من عبيد الشمر الوصفى ،
وان ملكة الخيال كانت قوية عنده ، وانها كانت اشد بروزا في شمره الوصفى
الذى عني فيه بتجبير الصورة واستكمال دقائقها فتكنا في ذلك على التشبيه وخاصة
التمثيل منه . وقد اصاب ابن برشيق في قوله : " وهو - يعني الوصف -
مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه " كما عد قول الراعي يصف جعد الرأس :
جذلا أسك كأن فروة رأسه بذرت فأنبت جانباها فلفلا
من التشبيهات المقم التي لم يشيق أصحابها اليها ، ولا تعدى احد بعد هم عليها^٤
ويقول ابو هلال العسكري : " وقد احسن الراعي في وصف الوعل :
يرود بها ذب الرياد كأنه فتى فارسي في سراويل راصح
حيث شبه ما على قوائم من الشمر بالسراويل وشبه قرنه بالرامح^٥ "

كما عد قول الراعي :
في صهه قلقت بها هاماتها
من مصيب التشبيه^٦ .

- ١ . الأزل : قليل اللحم ، يعنى الذئب . المقوة : ساحة الدار وما حولها .
- ٢ . النهم : الحريص على الأكل . نهش : قليل اللحم
- ٣ . الممددة ٢ / ٢٩٤ . الممددة ١ / ٢٩٧
- ٤ . ديوان المعاني ٢ / ١٣٢ . ديوان المعاني ٢ / ١٢٣ .

此 江 上 四 時 之 景 也 江 上 之 樂 也 江 上 之 樂 也 江 上 之 樂 也 江 上 之 樂 也

لا تصرف من غزل الراعي الا مقطوعات قصيرة قد يكون بعضها من

مذمومات تقلید ہے کقولہ :

ومن أين ينتاب الخيال فيطارة
بحيث يلاقى الأبدات المسلوقة

سما لك من اسماء هم مؤرّة
وأرحلها بالجوع عند حوارّة

وقوله :

وقد ينسبك بعد عن الحاجة الكسل
ولا ثواب الا ريث أرتحل
واليوم قصر عن تلقائك الامل
لا ناقة لي في هذا ولا جمال

قالت سليبي أتثوي أنت أم تفلسي
فقلت ما أنا ممن لا يوافقيني
أطمت خيرا هل تأتي مواعده
وما هجرتك حتى قلت معلنة

وكثيرا ما يقف الراعي عند أثر الجمال ، ومن ذلك قوله :

بدوۃ تجر عنده وحجیج

عشية سعدی، لو تراست لراغب

على الشوق، اخوان العزاء هيو

قلل دینه واهتاج للشوق، انما

وقوله :: إذا فاعلنا في الملة يمتد إلى

إليها قلوب دونهن الجوانح

اذا فاطمتنا في الحديث تهزرت

وقوله :

خفيف الحشا مستهلك، الريح طامعاً

وقوله :
لهن حديث فاتن يترك الفتى

وَقَوْلُهُ :

راعی لمنین تتابعت جد بسـ

وحد پشہا کالقطار پسمعه

ويقول من فرح هيا ربا

فأساخ يرجو أن يكون حيا

وتتعدد أسماء النساء في غزله ، فمنهن جند ، وسعاد ، وأسماء ، وأُم بشير .

وَأَمَّ عِندَ اللَّهِ . . . وَهُوَ يَكْثُرُ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ لِلْمَرْأَةِ مِنْ أَفْحَاشِ أَوْتَهَاتِ

کہ قولہ یہ صرف ریکیہا :

بمعد الرقاد وقد مالت بها الوسد.

كأن ريقها والليل معتكِر

من خمرة عانتها يطفو فوقها الزيت

كان ريعها والنعيم مستمر
صحبها صافية أغلى التجاربها

وقوله :

١- شمره / ١٠٣ والفسلق : الذلیم ٢- شمره / ١١١

٣- شهره ٢٩ / دومه : موضع فاصل بين الشام والعراق

٤- شماره / ١٨٢ ٥- شماره / ٩٦

جاء في الأملاني ٨٣/١ ولا ينسب المؤلف على أن البيتين للراعي ولكن المحقق

يذكر أنهما له دون أن يعيلنا الى مرجعه .

٧- شعرة / ٥٠

فما مفرزل أدماء ريمتفاً قبلت
 بأحسن من هند ولا نسوء مزنة
 وفي موضع آخر يذكر أن حياءه يصدده عن فعل المنكر ؛
 نقارب أفنان الصبا ويردنا
 حرائر ما يدرين ما سوء شهمة
 ولعل في كل ما قدمنا في هذه الدراسة لشعر الراعي ما يثبت أنه أعتسف فلاة الشوك
 الشعر ، ولكن بأدلاء طالما نذرغوا الطريق .

١- شعره / ٦٣

٢- الزهره / ٦٨

د يـوان الراعي :

=====

يذكر ثعلب أن صاحب الإصمعي وأبي حميدة علي بن المفيرة الاثرم
(ت ٢٣٠ هـ) كان يملّي شعر الراعي ويشرح ويذكر ابن النديم أن الراعي
من بين الشعراء الذين عمل أبو سعيد السكري (ت ٢٧٥ هـ) أشعارهم .
كما يذكر أن ابن القاسم الأثري (ت ٣٢٨ هـ) صنع كتابا بشعر الراعي ٣ .
وجاء في "مهرسة ابن خيرة" أن أبا مرزبان بن سراج^٤ روى شعر الراعي عن أبي
سهيل الحراني .
وقد أكثر ياقوت الحموي من الاستشهاد بشعر الراعي وهو يذكر في كتابه "
معجم البلدان " أنه أفاد ما منعه أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ،
وأن ثعلبا كان يقرئ شعر الراعي . ويبدو أن ثعلبا كان يفسر ما غرض من شعر
الراعي ، يقول ياقوت : " قال ثعلب في قول الراعي :
رجاؤك أنساني تذكر اخوتي
وما لك أنساني بحرسين ماليـسا
أنا هو حرس ، ماء بين بني عامر وغلغان بين بلديهما ، وإنما قال بحرسين لأن
الذين يسمين إذا اجتمعا وكان أحدهما مشهورا غلب المشهور منهما " . وقد يكون
ثعلب روى شعر الراعي عن الأثرم ، ففي المهرست " أن ثعلبا قال : " كنت
عند الاثرم صاحب الإصمعي وهو يملّي شعر الراعي ٨ . كما يذكر ياقوت أن ثعلبا
روى عن الأثرم " ولعل ياقوتا الحموي (ت ٦٢٦ هـ) هو آخر من وصلنا عنه الاطلاع
على نسخة ثعلب . أما ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) فأشار الى أن ديوان الراعي ديوانا ،
ويبدو من قوله عن الراعي " صاحب الديوان الشعر " ١٠ أن ديوان الراعي كان
معروفا متداولاً في القرن السابع الهجري ، ولكن ابن خلكان لا يسمي صاحبه .
كما أشار حاجي خليفة (ت ١٠٦٧) الى ديوان الراعي ١ .

١- الفهرست طبعة ليبزغ ، ٥٦ / ٢ - الفهرست / ١٥٨

٢- الفهرست / ٧٥ ٤ - ٣٩٧

٥- أبو عبد الملك بن سراج (٤٠٠-٤٨٩ هـ) وزير وأديب من قرطبة ،
أدب ابن بسام في الثناء عليه وأشار الى تقدمه في علوم اللغة وأنه أحيا كتباً
كثيرة كان يفسدها جهل الرواة .

٦- أنظر - على سبيل المثال - معجم البلدان ١ / ٨٧٦ ، ٣ / ٨١٩ .

٧- معجم البلدان ٢ / ٢٤٠ وأنظر ١ / ٥٥٦ مادة " برد يا " .

٨- الفهرست / ٥٦ ٩- أنظر مصادر الشعر الجاهلي / ٥٣٢

١٠- وفيات الأعيان ٥ / ٣٨٣

١١- كشف الثانون ١ / ٧٨٦

- ٤٧ -

وحتى الآن ، لم يشر إليها أعلم - على نسخة أحد من القدماء كما أنني لم أظفر بومض لاى من هذه النسخ ،

وفي سنة ١٩٦٤ ميلادية نشر ناصر الحاني كتابا بعنوان "شعر الراعي النمرى وأخباره" ، ولا شك أن الطريقة التي جمع شعر شاعر فقد ديوانه وعمره ولا بد من التريث حتى يفي جامع الشعر عمله من النقص قدر الامكان ، والا ظلم الشاعر ، وأوهم القراء ، وفقد عمله جانباً من الفائدة المتوخاه . ويبدو أن ناصر الحاني كان عجلاً أعجل وهو يجمع شعر الراعي ويحققه . آية ذلك أنه يعتمد بعض الكتب ولكنه يثبت بعضاً من الشعر الوارد فيها ، ويغفل سواه . كما أنه أهمل بعض المراجع القديمة التي لا بد من الرجوع اليها بحثاً عن شعر شاعر عاش في العصر الأموي . وسأثبت الأبيات التي عثرت عليها في المراجع المختلفة والتي لم يثبتها الحاني .

فمن الضرب الأول - أعني المراجع التي اعتمدها الحاني دون أن يوفيها حقها - كتاب "نقائش جرير والفرزدق" وجاء فيه ص ٤٢٩ الى ص ٤٣٠ أن جريراً لما دعا الراعي بقصيدته المشهورة يقال الراعي ومعه قومه يقول ان جندلا قالها :
 أنني أتاني كلام ما غضبت له
 جنادف لا حق بالرأس منك
 وقد أراد به من قال اغصابي
 كأنه كونه يوشى بكلاب
 قول امرئ غرقوما من نفوسهم
 كخرز مكرمه في غير الطناب
 وأثبت الحاني البيت الأول مع بيت آخر واعتمد ما جاء في اللسان من أن هذا الشعر في هجاء ابن الرقاع العاملي .
 وفي النقائش ص ٥٢١ ، قال الراعي :

كان علي أعجازها كلما رأت
 سماوته فيوا من الطير وقفا
 ويبدو أن البيت من القطعة رقم "٧٠" الواردة في شعر الراعي ، حسب ترتيب الحاني .

وفي طبقات فحول الشعراء لابن سلام (ص ٣٠١) قال الفرزدق في موت مالك بن المنذر :

ستعلم عبد القيس أن زال ملكها
 على أي حال يستمر مريهـ

فأجابه النمرى :
 وكان كمنزحين قامت لحتفها
 الى مدية مدفونة يستثيرهـ

وكان يجير الناس من سيف مالك
 فأصبح يبغي نفسه من يجيرهـ
 وفيه (ص ٤٤٣) للراعي في مدح بشر بن مروان :

نزلت من البطحاء في آل جعفر
 ومن عبد شمس منزلاً متعاليهـ
 ويبدو أن البيت من القطعة رقم (١٠٨) الواردة في شعر الراعي ، حسب ترتيب الحاني .

- وفيه (٤٧٧) قول الراعي :
أناخا بأشوال طروفا بخيبة
والبيت في الأغاني ج ١٧ ص ٣٢٦ .
وجاء في كتاب " نسب قريش " (ص ١٩٥) : " وقال الراعي يمدح سعيد
ابن عبد الرحمن :
اني جعلت يمينا غير كلذبة
لولا سعيد أرجي أن ألقه
الواهب البخت خضعا في أزمتها
سجعا معجلة تدمتلى مناسمها
ما عرست ليلة - الا على وجل
حتى أنيخت لعل ما كان من وجل
الى المكارم أحسابا ومأثرة
كائن تخطت اليك من ذرى قرة
ما يدرا الله عني من عداوتهم
ان يعرفوني فمعروف بذي كرم
يا خير ما أتى أخي هم وناقته
زور مفب وسوءول أخو ثقسة
والقائمة في " تهذيب ابن عساكر " (ص ١٥٠ - ١٥١) مع شي من التعريف
والتصحيح .
وفي كتاب " المعاني الكبير " لابن عتبة كثير من الأبيات المفردة ، وفي
(ص ٢١) :
اذا كان الجراء غت عليه
وفيه (١٢-١٤) للراعي :
نوضح بالحووم الهجان ونقرى
بجرد عليهم الأجلة سويست
والبيت الثاني في " أساس البلاغة ١/٣٠٧ " .
وقوله :
بلمحة لا يستقل غرابها
ويبدو أن البيت من القطعة رقم " ٥٣ " في شعر الراعي . وثان
وقوله : يصف ابلا دبة :
رأيت ردافي فوقها من قبيلة
وقوله :
تنوش برجليها وقد بل ريشها
والبيت من القائمة رقم " ٨ " التي أثبتتها الحاني دون هذا البيت .
- وقد حبا دونها شعلان فالنير
ما نمني في سواد البصرة الدور
والبيش فوق تراقيها الدنانير
كانها خرج بالقد مأسور
حتى تلوح على الصبح التباشير
في الدار حيث تلاقي الخجد والخير
بني الأكارم يرى ظهرها الكسور
كان أبارهم نحوى مشاتير
فان سرهم في الصدر محذور
أوينسبوني فعالي الذكر مشهور
اذا التقى حقب منها وتصدير
وسائر من ثناء الصدق منشور
من التبريد
- دفيها ويمشي الذئب فيها مع النسلر
من الطائر يدعوها أحم شخوذج
رشاش كغسل الوفرة المتصيف
التي أثبتتها الحاني دون هذا البيت .

١- المعاني الكبير / ٢٦٠

٢- نفسه / ٢٦١

٣- نفسه / ٢٨٣ .

وقوله يصف القباة وفرخها :	منفلة دونها الأحشاء والكبد
تهوى له بشعيب غير معصمة	وقوله من بيت : (وقد كراأل الصحصمان وثية)
وقوله يذكر الأثافي :	
ثلاث صلين النار حولاً وأرزت	عليهن رجزاً القيام عدو
وقوله :	
إذا ما كنت في قوم شهاوى	فلا تجعل شمالك جرداً
ويبدو أنه من القطعة رقم " ١٤ " في شعر الراعي .	
وقوله :	
أني تأليت لا ينفذ ما بقيت	منها عواسر في الأقران أو عجل
وقوله :	
تأوى إلى بنيتها وهم معودة	أن لا تروح أن لم تفشها الحلال
وقوله :	
وأنا حتى تحت عين مطيرة	عظام البيوت ينزلون الروابي
وقوله :	
علا سألت جدك الله ما حسبي	إذا رعاني راحت قبل خطابي
ويبدو أنه من القطعة رقم " ١٠ " في شعر الراعي	
وقوله :	
لها بدن عاس ونار كريمة	بمكتفل الآرى بين الصرائم
وقوله يمجو رجلاً اسمه الحلال :	
خير من متى يضرب الخبيث بأرضه	فان الحلال لا محالة ذائقه
وقوله يذكر نفسه والسكران :	
إذا ما برزنا بالفضاء تقحمت	بأقدامنا منها العتان المراد
وقوله :	
وممنعة - خليد - أعنت فيها	على غلاته الثمل المنين

- ١- المعاني الكبير / ٣١٢
- ٢- نفسه / ٣٧٠
- ٣- نفسه ٣٧١ والبيت في أساس البلاغة ٣٥٢/٢
- ٤- المعاني الكبير / ٣٨٧
- ٥- نفسه ٣٩٣
- ٦- نفسه / ٤٠٧
- ٧- نفسه / ٤٠٩
- ٨- نفسه / ٤٠٩
- ٩- نفسه / ٤٣٠ والبيت منسوب لأعرابي ويذكر المحقق معتمداً على اللسان أنه للراعي ١٠- نفسه / ٤٥٦
- ١١- نفسه / ٤٥٨ ١٢- نفسه / ٤٦١

- وقوله في الرثاء :
أحار بن عبد للدروع البوادر
وللجبد أسمى عذابه في الجباثرا
- وقوله يذكر ابله :
ولكنها لاقت رجالا كأنهم
على قريتهم لا يعلمون الجوامعا
- وقوله من بيت "فوارس أبطال لطاف المازر"
وقوله يصف عين الأفعى :
ويدني ذراعيه إذا شاء سادرا
- وقوله يذكر بصيرا :
تبيت بنات الأرض تحت لبانه
بأجنف من أنقاء وهبين هائل
- فالببيت موجود في شعر الراعي برواية مختلفة .
وفي "عيار الشعر" لابن أبي طيا "وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة ولطوة وسرعة
فكقول الراعي :
- كأن يديها بعدما انضم بدنها
وموب حاد بالركاب يسوق
يدا ماتج عجلان رخو ملاطسه
له بكرة تحت الرثاء فلملوة
- "وأما تشبيه الشيء بالشيء موتا فكقول الراعي :
كأن دوى النحل تحت ثيابها
عساد السفلا لقي الرياح الزعازر هائل
- وفي "رسالة الففران" قال النميرى :
كأن بيض نعام في ملاحفها
علاه طل وقيل ليله وملا
- وفي "الأغاني" هذان البيتان للراعي :
الم تسأل بعارمة الديارا
عن الحي الفارقة أين صارا
- بلى ساءلتها فأبت جسوبا
وكيف تسائل الدمن الققنارا
- والبيت الأول موجود في شعر الراعي
وفي الأغاني أيضا : "وقال الراعي حين غزا حميد بن ثور بني نمير بتدمر وثافر
بالتسويرين، وقتل ابن بهاج الكلبي :

- ١- المماني الكبير / ٤٩٤ والبيت في أساس البلاغة ١ / ٧٠ وفيه "أجد بن حار"
- ٢- المماني الكبير / ٥٢٨ ٣- نفسه / ٥٤٥
- ٤- نفسه / ٦٧٢
- ٥- نفسه / ٦٧٩
- ٦- شعر الراعي / ١٢٠
- ٧- عيار الشعر / ٢٥
- ٨- نفسه / ٢٨
- ٩- رسالة الففران / ١٠٥ ويرى المحقق أنه للراعي
- ١٠- الأغاني ٥ / ٣١٧ ٢٣٠ / ٣٤٧
- ١١- هامش ص ٧٩ .

- يحيي * ابن بجاج نسور كأنها
تطيف بكلي عليه جدية
يقول له من كان يعلم علمه
وفيه : وقال الراعي في القتال بين قبيلته وقبيلة كلب في الجزيرة الفراتية :
متى تفتش يوما عليا بفارة
وحي الجلاح قد تركنا بدارهم
ونحن جددنا أنف كلب ولم ندع
قتلنا لو ان القتل يشفي مدونا
وجاء في كتاب " الأمالي " : " وقرأت في نوادر ابن الأعرابي عن أبي عمر المنارز
قال : أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي لأعرابي :
وحد يثها كالقمار يسمعه
فأماخ يرجو أن يكون حيا
ويذكر المحقق أن البيتين للراعي النميري ولكنه لا يحيل الى مرجع .
وفي كتاب " الصناعتين " للمسكوي قول الراعي :
وان وزن الحمى فوزنت قومي
وقوله :
لا خير في أول الاقامة لا مرء
وفي " ديوان المصانيف لأبي هلال العسكري قول الراعي في وصف الوعل :
يروى بها ذب الرياد كأنه
وفي " أساس البلاغة " للزمخشري أبيات مفردة كثيرة لم يثبتها الحارثي ففي الجزء
الأول قول الراعي :
غدت برعال من قفا في حلقه
وقوله :
فبرد متينها وغمر ساعة
وقوله :
فان يوءد ريمي الشباب فقد أرى
أياهم لطاف الطي موثقة العقاد
وطافت قليلا حوله وهو ما ^٨ شرق
ببطانة قدام سرب أو انق ^٩ه

١- الأغاني ١ / ١٤٣

٢- الأغاني ٢٣ / ١٢٨

٣- الأمالي ١ / ٨٣

٤- الصناعتين / ٣٨٣ والبيت في لقيس الشعر / ١٩١

٥- الصناعتين / ٣٨٣ والبيت في نقد الشعر / ١٥٦

٦- ديوان المصانيف ٢ / ١٣٢ ٧- أساس البلاغة ١ / ٨

٨- أساس البلاغة ١ / ٢٨

٩- أساس البلاغة ١ / ٣٦ .

وقوله :	أبان لراكبها المخضلس
إذا الرهمل قدم أثابه	
وقوله :	خصيف تبرمين له جفالا ^٢
سيكفيا، الرجل ذو شان	
وقوله :	إذا رمحه في الدار عيسن تجزعا ^٣
ومن فارس لم يهرم السيف حنائه	
وقوله :	أخوسلوة مسي به الليل أطلح ^٤
أقامت به حد الربيع وجارها	
ويبدو أنه من القاعة رقم (٢٠) في مدح بشر بن مروان	
وقوله :	وسامي به عنق مسمر ^٥
وجارب مرفقها دقها	
وقوله :	تري قطع السمام بها عزينسا ^٦
وعارية المحاسر أم وحش	
وقوله :	خدود جيا د أشرقت فوق مريد ^٧
له ذئب جوف كأن خدودها	
وقوله :	تمسفن منه كل كبدا عاقس ^٨
إذا الرهمل لم يمر غرله بخموره	
وقوله :	وراج وخطار من المسك ينفج ^٩
أنتنا خزامي ذات نشر وحنوة	
وقوله :	سقية غيل في الحجال د موج ^{١٠}
غداة تراءت لابن ستين حجة	
وقوله :	بادي الأداة على مركوة الطاهلس ^{١١}
من كل أشمط مذبح بلحيته	
وقوله :	تملا مذاخره للرى والدمس ^{١٢}
حتى إذا قتلت أدنى الفليل ولم	

- ١- أساس البلاغة / ١ / ٥٩
 ٢- نفسه / ٦٧
 ٣- نفسه / ٨١
 ٤- نفسه / ١٠٤
 ٥- نفسه / ١٠٧
 ٦- نفسه / ١١٤
 ٧- نفسه / ١٤٣
 ٨- نفسه / ١٥٣
 ٩- نفسه / ١٥٧
 ١٠- نفسه / ١٦١
 ١١- نفسه / ١٦٢
 ١٢- نفسه / ١٨٤

- وقوله :
وترعى القرار الحو حيث تجاوت مذالك وأبكار من اللذين دلشـج
- وقوله :
مريع أعلى حاجب العين أمه شقيته عبد من قباين مولد^٢
- وقوله :
كأنها ناشط لاج البروق له من نحو أرض تربته وأوطـسان^٣
- وقوله :
كأرما غضا الشراسيف غالها من الوحش رخود العظام نتيـج^٤
- وقوله :
دعاهن داع للخريف ولم تكن لهن بلاد فانتجمن روافـس^٥
- وقوله :
وبعد وأن البيت من القسيمة رقم " ٦٥ " في شعر الراعي .
- وقوله :
بسم اذا هزت الى الطعن أرقلت أنابيهها بين الكموب الحوادر^٦
- وقوله :
وبعد وأن البيت من القسيمة رقم " ٥٧ " في شعر الراعي
- وقوله :
في نال مرتجز تجلو بواره للناظرين رواقا تحته نضـ^٧
- وقوله :
وبعد وأن البيت من القسيمة رقم " ٣٠ " في شعر الراعي .
- وقوله :
فقلت ما أنا من لا يوا عيني وقا ثواني الا رحا ارتـ^٨
- وقوله :
تفسير قومي ولا أسخر وما حم من قدر يقدر^٩
- وقوله :
بكث عين من أبكى دموعك انما ورشى بك واش من بني أم سرور^{١٠}
- وقوله :
وأزهر سخي نفسه عن تلاله حنايا جديد مقفل سو سواره^{١١}
- وقوله :
أعبد الله للبرق اليماني يضيء حيي ذي سقاين دانـ^{١٢}

- ١- أساس البلاغة ١ / ١٩٦
٢- نفسه / ٢٠٧ ٣- نفسه / ٢٠٨
٤- نفسه / ٢١٥ ٥- نفسه ٢٣٢ ٦- نفسه / ٢٣٧
٧- نفسه / ٢٥٠ ٨- نفسه / ٢٥٤ والبيت في شعر الراعي وفيه "
من لا يوافقني " وبعد وأن ما ذكره الأساس هو الاصح .
٩- نفسه / ٢٨٠ ١٠- نفسه / ٢٨٤
١١- نفسه / ٢٨٥ ١٢- نفسه / ٢٩٣

- وقوله :
قليلاً ثم قام الى المطايا
سادة يجرون الشايلاً
- وقوله :
يثني مساوفا غرضوف أرنبة
شما من رخصة في ~~جيد صاغيد~~ ^{جيد صاغيد} ~~جيد صاغيد~~ ^{جيد صاغيد}
ويهدو أن البيت من القاعة رقم " ٢٧ " في شعر الراعي .
- وقوله :
إذا شرب النظم الأداوى ونصبت
شاعلها حتى بلغن العزاليل
- وقوله :
لم يبق نبي من عريكتها
شرفا يجن سنان الصليب
- وقوله :
أغن غصين الطرف باتت تعله
مري نيرة شكرى فأصبح ~~الاول~~ ^{الاول}
- وقوله :
ضوارب بالأذقان من ذى شكمة
إذا ما هوى كالنيزك المتوقد
- وقوله :
وكانت جذراً أن يقسم لحمها
إذا جهل بين الطحين شكمها
- وقوله :
البيت من القاعة رقم " ٢٣ " في شعر الراعي .
ويهدو أن البيت من القاعة رقم " ٨١ " في شعره
- وقوله :
تقلب خدين كالصحفين
خطبهما واضح أزمير
- وقوله :
ويهدو أن البيت من القاعة رقم " ٤٤ " في شعره .
- وقوله :
وصد ذوات النمنمن عني وقد أرى
كلامي تيهواه النساء الطوام

-
- ١- أساس البلاغة / ١ / ٢٩٦ - ٢ - نفسه / ٣٠٦
٣- نفسه / ٣١٢ - ٤ - نفسه / ٣١٦
٥- نفسه / ٣٢٧ والبيت في الجزء الثاني من أساس البلاغة / ٥٨
٦- نفسه / ٣٢٨ - ٧ - نفسه / ٣٢٦
٨- نفسه / ٣٣٦
٩- أساس البلاغة / ٢ / ٦
١٠- نفسه / ٣٤

- وقوله :
تضم علي مضمونة فارسية ضفائر لاضاحي القرون ولا جملة
ويبدو أنه من القطعة رقم " ٣٧ " في شعره .
- وقوله :
إذا أمست تكالاء راعياها مخافة حجارها طيق النجوم
- وقوله :
كل يوم فقيحة ولولا الفرار ~~يوكل كويحة~~ لنالتك زرقه في ما ارد نسسا الحمر
ويبدو أن البيت من القطعة رقم " ٥٣ " .
- وقوله :
باتت ترامي عثانين القفاف بها كما ترامى بدلو الماتج الجول
- وقوله :
ثم انصرفت وثال الحلم يعذلني قد طال ما قادي جهلي وعنفني
- وقوله :
وعارية المحاسر أم وحش ترى قطع السمام بها عزيزها
ويبدو أنه من القطعة رقم " ٩٥ " في شعره .
- وقوله :
باتت بشرقي يموءود مباشرة دعما أرض عليه فرق عنده
- وقوله :
كأن بقايا الجيش جيس ابن باعج أطاف بركن من عماية فاخر
- وقوله :
تغتال كل تنوفة عرضت لها يتقاذف يدع الجد يل موصلا
- وقوله :
ويغير رقا قد علتهم كبرة يداوي بها الصاد الذي في التوا ظر
- وقوله :
إذا اكملت بعد اللقاح نحرهما بنسء حمت أغيارها وازمها
- وقوله :
فترى أوابيها بكل قرارة يكرفن شقشقة ونابا أعصلا

- ١- أساس البلاغة ٢ / ٣٧ - نفسه / ٤١
٣- نفسه ٤٤ - نفسه / ٦٧
٥- نفسه ٧١ - نفسه / ٧٦
٧- نفسه ٩٦ ~~والثاني~~ .
٨- نفسه ١٢٥ - نفسه / ١٥٧
١٠- نفسه ١٩٣ - نفسه / ١٦٧
١٢- نفسه ٢٠١ .

- ٢١٦ -

وقوله :	وقيم أمد در الجنبين منخرق	عنه العبائة قوام على الهمـالـل
وقوله :	بكل ميثاء مزاج يبيتها	من الذراعين رجاف له نــالـد
وقوله :	ويدو أن البيت من القباية رقم	" ٢٣ " في شعره
وقوله :	وطاخيا من ليل التمام مريضة	أجن الغمام نجمها فهو ماصـح
وقوله :	وجاوزت عشميات بضمحية	تنأى بهن أخود وية مــرـع
وقوله :	بويزل عام لا قلوب ملة	ولا عوزم في السن فان شـيـمـنا
وقوله :	وقد مال النهار ومن فيه	يخدرن الدمقس وعيتوينـنا
وقوله :	ويدو أنه من القباية رقم ١٥ في شعره	ودافع أدنانا الموارنـيـلـد
وقوله :	فلما تداركنا نبذنا تحية	جنائب بنبحن الغمام المثاليـنا
وقوله :	أريت بها شهرى ربيع عليهم	سايله حتى بلفن المناجيـنا
وقوله :	بأسحم من نوء الذراعين أتأقت	ينازعتنا هدا ب ريط مـنـلـد
وقوله :	ينازعتنا رخص البنان كأنما	تتبعه العذائب والقارـا
وقوله :	أما نسيلا الشتوى عنه	في كوكب من نجوم البصيفـا
وقوله :	وشربة من شراب غير ذى نفس	

- | | |
|---------------------------|---------------------|
| ١- أساس البلاغة / ٢ / ٢٤٨ | ٢- نفسه / ٢٤٨ / ٢٤٧ |
| ٣- نفسه / ٢٤٩ | ٤- نفسه / ٢٤٩ |
| ٥- نفسه / ٢٦٣ | ٦- نفسه / ٢٦٩ |
| ٧- نفسه / ٢٧٢ | ٨- نفسه / ٢٧٤ |
| ٩- نفسه / ٢٧٦ | ١٠- نفسه / ٢٨٦ |
| ١١- نفسه / ٢٨٩ | |
| ١٢- نفسه / ٣٠٥ | |

وقوله :
لا أنهى^١ الأمر إلا ريث أنضجه ولا أكلف عجز الأمر أعوان^٢ لي
وقوله : "بها الساق إذا قيل ترح^٣"
وقوله :
تلقى نواحيه في كل مرقبة يرفون عن وارد الأفنان مؤهص^٤
وقوله :
فلما علا وجه النهار ورفعت بها الطير أمواتا كواعية الجن^٥
وقوله :
فلما مضت عنها السنون موت لها^٦ . مقانب حطلى^٧ هن غريم وساء^٨ كل
وفي "محاضرات^٩ الأدباء^{١٠} للراغب^{١١} الأصفهاني^{١٢} قول الراعي :
فمن يفخر بمكرمة فانا سنناها لا يدى الفاعل^{١٣}
وقوله :
فلست ان نابني حق بمنكر فيه ولا برم يمى به السب^{١٤}
وقوله :
اني أقسم قدرى وهي بارزة اذا كل قدر عروس ذات جلب^{١٥}
وقوله :
لا ينبج الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خرطوم^{١٦} الذئب^{١٧}
وقوله :
بأرض^{١٨} يبين النقع فيها قناعة كما انت^{١٩} شيخ من رفاة أجلس^{٢٠}
وقوله :
كأن^{٢١} لبر^{٢٢} يرذل القوم بسوا وما ان طيبها الا اللغوب^{٢٣}

١- أساس البلاغة ٢/ ٣١٧ ٢- نفسه / ٣٢٥

٣- نفسه / ٣٢٨ ٤- نفسه / ٣٣٦

٥- نفسه / ٣٥٨

٦- محاضرات الأدباء ١/ ٢٩٦

٧- محاضرات الأدباء ٢/ ٥٩١ ٨- نفسه / ٦٥٧

٩- محاضرات الأدباء ٤/ ٥٥٢

١٠- نفسه / ٥٩٤

١١- نفسه / ٦٥٦

وفي "معجم البلدان" لياقوت الحموي قول الراعي :	ألم يأت حياً بالهريب محلنسا
وحيا بأعلى غمرة فالأبأشـ	وقوله :
يا بني عوار وأدثلي دارها بـ	ماذا تذكر من عند اذا احتجبت
وألحقنا قلايين يمتلينا	وقوله :
وأخستهم من عالج كل أـ	دعوت قلوبنا بأشفياء
تهوى بأمارق أوساطها زور	وقوله :
الى أمل الخراف ذات السلاسل	اذا بتم بين الأديات ليلة
فراخ الكتيب الملقا وخرانقـ	وقوله :
حسبا وأقبح مجلس اخوانـ	فأصبح قد وركن أود وأعجبت
فأهوى من ديارهم والراعي هـ	وقوله :
واعتم من برد يا بين أفلاج	فان على أهوى لألاء م حاضر
سوم الربيع ببرقة الحرش	ويبدو أن البيت في هـ جاء بني حمان
به ودعا دما روضه وأبارقـ	وقوله :
وعالك يا لسماوة من مـ	وملن كالتين وارى الشبان أسوقه
	وقوله :
	اذا هبطت روعي اللكالك تجاوت
	وقوله :
	فسيرى واشربي بينات قيـ

- ١- معجم البلدان ٧١/١ ٢- نفسه / ٢٦
- ٣- نفسه / ١٢١ ٤- نفسه / ١٧٠
- ٥- نفسه / ٣٥٦ والبيت في "المرصع" ص ٦١ وفي اللسان مادة "مهر"
- ٦- معجم البلدان ٣٦٦/١ والبيت في معجم ما استعجم ٤ / ١٣٧٢
- ٧- معجم البلدان ٣٦٨/١ ٨- نفسه / ٤١٤
- ٩- أنار معجمك ما استعجم ١ / ٢٠٦
- ١٠- معجم البلدان ٥٥٦ / ١ ١١- نفسه / ٥٧٩
- ١٢- نفسه / ٥٨٦ والبيت في معجم ما استعجم ٤ / ١١٦٢
- ١٣- معجم البلدان ٧٣٩ / ١

وقوله :	عصيرة حلت برمل كهيلة
فببينونة يلقي لها الدجر مرميها ^١	وقوله :
فوادى الرده بين ملهى فطمليب	عفت بعدنا أجراء بكر فتولب
من شك واغتمست من ماءها الكادر ^٢	وقوله :
سحاب من القوا تثوب غيومها ^٣	كأنها مقل ظلت على قيم
بدا رمل جلال لها وعواتب ^٤	وقوله :
كسا البيت ما في الفيضة المتناصر ^٥	ولم يشكوهما الجر حتى أظلمها
ومحوران منه خائف متنازل ^٦	وقوله :
من وحش جيران بين النقع والظفر ^٧	يهيب بأخرها بريمة بمسد ما
لنا خيرا قيا بكن الحزين ^٨	وقوله :
وحل الروايا كل أسحم ما ^٩	فأفرعن من وادى جلاهديد بعد ما
وهزة أجمال لهن وسي ^{١٠}	وقوله :
وجوش بدت أكل أعناقها ودجوج ^{١١}	كذا حارث الجولان من فقد ربه
	وقوله :
	كأنها ناشط حم مدا ^{١٢}
	وقوله :
	أبت آيات حبي أن تبين ^{١٣}
	وقوله :
	رعت من خفاف حيث نق عابه
	وقوله :
	الى شاعن كالدوم فيها تزايل
	فلما حبا من خلفها رمل عالج

١- معجم البلدان ٨٣ / ١ ٣٣٢ / ٤٠٠ البيت في معجم ما استمعج ٢٩٦ / ١

٢- معجم البلدان ٨٦٥ / ١

٣- نفسه / ٣١ البيت في معجم ما استمعج ٣٤٢ / ١

٤- معجم البلدان ٥٧ / ٢ ٥ - نفسه / ٩٦

٦- نفسه / ٩٧ والبيت في معجم ما استمعج ٣ / ١ مع بعض الاختلاف يوفي
اللسان مادة "أمر" وفيه "فزعن" وهو تحريف .

٧- معجم البلدان ١٥٦ / ٢ ٨ - نفسه / ١٩٤

٩- نفسه / ٢٠٢ ١٠ - نفسه / ٤٥٩

١١- نفسه / ٥٥٤ ٥٥٥ - البيت الثاني موجود في ١٥٥ من الكتاب نفسه .

وقوله :	فقال يملؤنني الدخان معترضا
وقوله :	قوالى أباراف المسوح كأنها
وقوله :	فحلت ثبثا أورمادان دونها
وقوله :	فحلت ثبثا أورمادان دونها
وقوله :	تهوى بهن من الكدر ناحية
وقوله :	فلا ردها ربي الى مرج راحسط
وقوله :	ولما علت ذات السلاسل وانتحي
وقوله :	من الغيف دفواء العظام كأنها
وقوله :	وأنا الذى سمعت قبائل مأرب
وقوله :	يقلن بما سمعن وذات رمح
وقوله :	وكم من ثيل يوم عذراء لم يكن
وقوله :	تحمطن حتى قلت لسن بوارحا
في الرمل أملافة صفر من الزهر ^١	
برجلة أحجار نعام نواق ^٢	
رعان وقيمان من اليد سمل ^٣	
بها روض من روض	
بالروز روض عمايات لها وللمسد	
ولا برحت تمشي بسكاء في وحل ^٤	
لها مصغيات للهجا عواس ^٥	
عقاب بصحراء السمينة كاس ^٦	
وقرى الشمس وأملهن يد يسرى	
إذا حان المقليل ويرتمين ^٧	
لقاتله في أول الدهر قاليس ^٨	
بذات العلفدى حيث فاض الفاخر ^٩	

- ١- معجم البلدان ٢ / ٦٣٤
- ٢- نفسه / ٧٥٥ والبيت في معجم ما استعجم ٢ / ٦٤١ مع اختلاف بسيط .
- ٣- معجم البلدان ٢ / ٨١٣ والبيت في معجم ما استعجم ٢ / ٦٧٢
- ٤- معجم البلدان ٢ / ٨٤٧ و ٨٥٧ والبيت في معجم ما استعجم ٤ / ١١٦٢
- ٥- معجم البلدان ٢ / ٨٥٤
- ٦- معجم البلدان ٣ / ١٠٥ - نفسه / ١١١
- ٧- نفسه / ٣٢٤ ، والبيت في معجم ما استعجم
- ٨- نفسه ٣ / ٨١٢ مع اختلاف بسيط .
- ٩- معجم البلدان ٣ / ٥٨٧ والبيت في معجم ما استعجم ٢ / ٦٧٣
- ١٠- معجم البلدان ٣ / ٦٢٥ والبيت في معجم ما استعجم ٣ / ٩٢٧
- ١١- معجم البلدان ٣ / ٧١٣

وقوله :	لها خمصور وأرداف ينوء بهما	رمل الفناء وأعلى فتنها رول
وقوله :	تبصر خليلي هل ترى من فئان	تحملن من جنبي فتارق فأتلما
وقوله :	وهذه الأبيات التي يتنازعها الراعي النميري والراعي المزني الكلبي :	دوني وأفتج بابا بمد ارتساج
وقوله :	ما زال يفتح أبوابا ويغلقها	حور العيون ملاح مارقها سراج
وقوله :	حتى أخاء سراج دونه خجل	يكشف البرق عن ذي لجة داج
وقوله :	يكثرن للهو واللذات عن سرد	عين السريرة أو غزلان فترساج
وقوله :	كأنما نذرت دوني بأعينهما	من ماء يثرية الشبان والرسد
وقوله :	أو رعدة من قها فيحان حلاها	حيث التقى السهل من فيحان والجلد
وقوله :	(كذا بيان في الأصل)	
وقوله :	وما كانت الدنيا لها غير سالمة	وجو قسا جاوزن واليوم يمشي
وقوله :	فلن تشربي الا بريق ولن ترى	سواما وحسا بلال لقيقة والبش
وقوله :	وقوله من بيت "ترعى الدكاك من جنوب قاهبا"	
وقوله :	الأوب أوب نعائم قارية	والآل آل نحائس حقاب
وقوله :	عدا ومن عالج ركن يعارضه	عن اليمين وعن شرقه كب
وقوله :	قليلًا كلا ولا بلودان	أوما حلت بالكراكر

- ١- معجم البلدان ٣ / ٨١٨ ، والبيت في المعجم ما استعجم ٣ / ١٠٠٧
- ٢- معجم البلدان ٣ / ٨٥٠
- ٣- نفسه ٨٦٨ / ١٥ "أما البيتان : الثالث والرابع فقد أحاطتهما مع أنه يذكر في الهاشم أنه اعتمد "معجم البلدان" في تخريج القاطعة .
- ٤- معجم البلدان ٤ / ٩٢٦ ، والبيت الأول مثبت في شعر الراعي أما الشطرة الثانية من البيت الثاني فغير موجودة .
- ٥- معجم البلدان ٤ / ٩١
- ٦- نفسه ١٢٦ / ٧ - نفسه ١٣١
- ٨- نفسه ١٣٦ / ٩ - نفسه ٢٣٢ / ١٠ - نفسه ٣٦٦ / هكذا ورد والصحيح ما جاء في معجم ما استعجم ٤ / ١١٦٦ :
- بلودان أو حلت بالكراكر .

وقوله :
 ونكبن زورا عن محياة بعد ما
 بدا الأثل أثل العينة المتجلاور
 وقوله :
 توهم وصحراء المشافر دونها
 سنانارنا أنى يشب وقودها
 وقوله :
 فلم يبق إلا أن كل نجهية
 لها كاهل حاب وحب مكسح
 ضمارمة شدف كأن عيونها
 بقايا نطاف من هراميت نسح
 وقوله :
 وأعز رمل من يثيم ترتقي
 نماج الفلا عودا به ومتساليها

ومن الحرب الثاني - أعني مراجع لم يعتمدها الحاني - كتاب المقضب
 وفيه هذا الشطر ، كما بينت كاف تلوح وميمها "
 وفي كتاب " الزهرة " شعر للراعي ، أثبت الحاني بعضه معتمدا على مراجع أخرى ،
 وبعضه لم يثبت . وذلك قول الراعي :
 نقارب أفنان السبا ويردنا حياء إذا كدنا تلج فنجمح
 حراير ما يدرين ما سوء شيمه ويتركن ما يلحى عليه ويفنح
 ويبدو أن هذين البيتين من القامة رقم " ٢٠ " في شعر الراعي .
 وقوله :
 يناجيننا والطارف دون حد يثشا
 فلما تفرقنا شجين بصيرة وزودنا شوقا ومن فواضح
 فويل أمها من خلة لو تنكسرت لأعدائنا أو صالحت من تمالح
 وقوله :
 جرى يوم رحنا عامد يسن لأهلها عقاب فقال القوم مر سنيح
 وكر رجال منهم وتراجموا فقلت لها طير الي بريح
 عقاب بأعقاب من الدار بعد ما مضت نية تقيي المحب طروح
 وقالوا نراه بعدد فوق بانية هدى وبيان والطريق تلمح

- ١- معجم البلدان ٤ / ٤٣٣ ٢- نفسه ٥٣٦
- ٣- نفسه / ٩٥٨ ويبدو أنهما من القصيدة رقم " ٢١ " في شعر الراعي
- والبيت الثاني في معجم ما استعجم ٤ / ١٣٥٠ وفيه " جفار " بدل " نطاف " .
- ٤- معجم البلدان ٤ / ١٠٠٨ والبيت في معجم ما استعجم ٣ / ٩٢٠ مع بعض
- الاختلاف ٥- المقضب ١ / ٢٣٧ وهو الشطر الثاني والبيت في اللسان
- وشطره الأول : " أشاقتك أطلال تعفت رسومها "
 ٦- الزهرة / ٦٨ ٧- الزهرة / ٩٦ وقد أثبت الحاني البيت الأول مع بيت
- آخر في شعر الراعي / ٣٦ وهما ما يستحسن للراعي في النساء . وقد اعتمد الحاني
- كتاب " الشعر والشعراء " .

- ٢٢٧ -

وقالوا دام دامت مودة بيننا
وقوله :
بان الأجابة بالمهد الذي عهدوا
حتى اذا حالت الأرجاء دونهم
لولا المخاوف والأوصاية قد قناعت
وقوله :
وكم جشمنا اليكم سير مود يـــــــة
حماء غبراء يخشى المدلون بهما
فان تجودوا فقد حاولت جودكم
وترد القلعة رقم " ٦٧ " في شعر الراعي برواية مختلفة في كتاب الزهرة ، وهي :
بني وابشي قد سئنا جواركــــم
خليلان من شمبين شتى تجاورا
أرى آل ليلي لا يبالي اميرهم
وما جمعتنا نية قلبها مــــا
قليلاً ، وكانا بالتفرق اتمــــا
على كبد المحزون ان تتقــــا
ويبدولي ان هذه الرواية اصح من رواية الأغاني التي اعتمدها الحاني .
كما يرد البيتان التاليان في كتاب الزهرة برواية مختلفة :
كفاني مقاساة الكرى وكفيتــــه
فبات يريه عرسه ويناته
وفي كتاب الزهرة كذلك قول الراعي :
كان بلاد من سماء ليل
ملئت بها الثواء وأرقتــــي
أبيت بها اراعي كل نجم
وتكشف عن كواكبها الفيسوم
هموم ما تنام ولا تنيم
وشرعايتــــة الصين النجوم
وقوله :
ألا ايها الربيع خلاء مشاربــــه
فلما رأينا انما هو منــــزل
أشهر للفتى من اين صار حبايبــــه
وموقد نار قلمــــا عباد حاطبــــه

- ١ . الزهرة / ٢٤٧ ، والأبيات تنسب في غير الزهرة لأبي حية النعمري ، انظر
الأمالي / ٦٦ ، صحت للأبي اللاتي ١ / ٢٤٣ ، الحماسة البصرية ٢ / ١٨٨
- ٢ . الزهرة / ٢٠٧ ، والبيت الأول والثاني موجودان في شعر الراعي ص ٤٤ مع
بعض الاختلاف ٣ . الزهرة / ١٣٥ ، والبيت الأول في شعر الراعي ص ٩٤ ،
١٨٦ مع اختلاف في الرواية حيث اعتمد الحاني " اللسان " ر
- ٤ . الزهرة / ٢٥ ٥ . الزهرة / ٢٦١ ، والبيتان في شعر الراعي / ١٠٩
ويبدوانهما - كما في الزهرة - اصح .
- ٦ . الزهرة / ٢٨٥ .

مضيت على شأني بكرة مخرج
عن الشأو ذى شغيب على من يحاربه^١

وقوله :

دعاني الهوى من أم وبرودنها
فمجننا لذكراها وتشبيه صوتها
بغبراء محراف يبيت دليها
ثلاثة اخماس فديتك داعيها^٢
قلاصا بمجهول الفلاة صواديها^٣
مشيحا عليها للفراق راعيها^٤

وفي كتاب " نقد الشعر أربعة أبيات ذكرت منها بيتين وردا في كتاب " الصناعتين "
أما البيتان الآخران فهما قوله :

ضعاف القوى ليسوا كمن يبتني العلى
وقد يكون هذا البيت من القطعة رقم " ٨٦ " في شعر الراعي .

وقوله :

أبت آيات حبي ان تبينا
لنا خبرا فأبكتن الحزيننا^٥

وفي كتاب " الوساطة بين المتنبي وخصومه " هذا البيت للراعي :
فتى يشتري حسن الثناء بماله
إذا ما اشترى المخزاة بالمال بيهس^٦

وفي " الرسالة الموضحة " هذا البيت للراعي :

وأعلم ان الموت يا أم عامر
وفي كتاب " زهر الآداب " قال الراعي يهجو عدى بن الرقاق العاملي :
يا من توعدني جهلا بكثرتي
مقى تهددني بالعز والمسير
أنت برأمرؤ نال من عرضي وعزتي
كمزة العير يرعى تلمعة الأسير
لو كنت من أحد يهجي هجوتكم
يا ابن الرقاق ولكن لست من أحد
تأبى قضاة ان ترضى لكم نسبنا
وابنا نزار فأنتم بيضة البليد^٧

ويستشهد البكري في " معجم ما استعجم " كثيرا بشعر الراعي ، وبمغز الأبيات
الموجودة في معجمه عشر عليها الحاني في مراجع أخرى فأثبتها ، وقسم منها
استشهد به ياقوت في معجمه ، وقد اشرت الى ذلك . أما القسم الثالث الذي لم
يتكرر

١ . الزهرة / ٢١٩ . ٢ . الزهرة / ٢٠٦ ، والبيت الثاني موجود في

شعر الراعي هج بيت آخر ص ١٧١ .

٣ . نقد الشعر / ٤٥ . ٤ . نقد الشعر / ٥٨ .

٥ . الوساطة بين المتنبي وخصومه / ١٩٨ ، والبيت في زهر الآداب ٢ / ٩٢٥ .

٦ . الرسالة الموضحة / ١٥٤ . ٧ . زهر الآداب ١ / ٥٢ ، والبيتان

الأخيران موجودان في شعر الراعي ٦٤ . ولا يجوز الحصرى بأن القطعة

للالراعي بل يعقب قائلا : " ويقال أن جندل بن الراعي قالها " والأرجح انها للراعي ،

لأن صاحب اللسان يذكر بيتين لعدى بن الرقاق العاملي ردا على هذه الأبيات ،

وفي البيتين يذكر بأن الراعي هجاه ، انظر اللسان ٨ / ١٣٣

- ٢٢٥ -

- يذكر فهو قول الراعي :
ألم تتركه نساء بنى زهير
وقوله :
تركن رجال المنطويان تنوهم
وقوله :
نشرناهم أيهم اثبيبت بمد ما
وقوله :
لا نعم أعين أقوام أقول لهم
هل توءنسون بأعلى عاصم ظعننا
وقوله :
يطفن بجون ذي عثانيمن لم تدع
وقوله :
وما تمسح الفضلات منه
وقوله :
وان أمراً بالشام أكثر أهل
وقوله :
تحملن من ذات التناير بمد ما
وقوله :
تبصر خليلي هل ترى من طمائن
وقوله :
دعتنا فألوت بالنصف ودونها
وقوله :
فأست بوادي الرقتين وأصبخت
- على الآسي يحلقن القروننا^١
شباع خفاف من وراء الآبائر^٢
شفيتا غلالا بالرماح البصواتر^٣
بالأنبياء الفرد لما بدهم بصري^٤
وركن فحلين واستقبلن ذا بقر^٥
أشاقير فيه والبديان مصنما^٦
كزيت بزاق قد فرط الأجونا^٧
وطنان ليس الشوق عنه بغافل^٨
مضى بين أيديها السوام المسرح^٩
تحملن من وادي المناق فتهمد^{١٠}
جناح وركن من أهاضيهم سد^{١١}
بجورئال حيث بين فالقتنه^{١٢}

- ١ - معجم ما استمع / ٩٢ . ٢ . نفسه / ٩٤
٣ . نفسه ١٠٧ . ٤ . نفسه ١٦٨ .
٥ . نفسه ٢٣٣ . ٦ . نفسه / ٢٥٣ .
٧ . نفسه ٢٥٦ ، والبيت في " المنازل والديار / ١٦ مع بعض الاختلاف كما سيأتي .
٨ . معجم ما استمع / ٣٢٠ . ٩ . نفسه / ٣٤٨ .
١٠ . نفسه / ٣٩٦ .
١١ . نفسه ٤٠٧ .

- ٢٢٦ -

وقوله :	كأن هندا ثناياها وسهجتها
وقوله :	هم تركوا على أكناف لبي
وقوله :	لمصرى ان الماذلاتي موهنا
وقوله :	تقول ابنتي لما رأيت بعد ما عانا
وقوله :	فقلت لها : ان القوافي قناعت
وقوله :	رأيت بني حمان أسقوا بئذ تهتم
وقوله :	غدا قلنا تخلصي الجزء منسه
وقوله :	ألم تشألي بعمارة الديارا
وقوله :	بجانب رامة فوقفت فيها
وقوله :	وصبحن للمذراء والشمس حية
وقوله :	ونحن كالنجم يهوى في ما العه
وقوله :	تبين خليلي هل ترى من طلعائن
وقوله :	ظلمن وودعن الجهاد ملا لة
وقوله :	لما التقينا على أفعال دباب ^١
وقوله :	نساء هم لنا لما لقنا ^٢ سونا
وقوله :	بناعتي دمع لينهين ^٣ ماضيا
وقوله :	والله : هل بالسبيلة مشرب
وقوله :	بقية خلالات بها نتقرب
وقوله :	وما لك في حمان أم ولا أب ^٤
وقوله :	فيمصها شريعة أوشرا ^٥
وقوله :	عن الحي المفارقة أين سارا
وقوله :	أسائل ريعهن فما أمارا
وقوله :	ولى حد يثالمهد جم مرافق ^٦
وقوله :	وغوطة الشام من أعناقها صدر
وقوله :	سلكن أريكا أووعاهن فازر
وقوله :	جماد قسا لما دغاهن ساجر ^٧

~~وقوله :~~

~~وقوله :~~

- ١- معجم ما استعجم / ٥٤٠ - نفسه / ٥٩٥
- ٢- نفسه / ٥٥٦ - نفسه / ٧٢١
- ٣- نفسه / ٧٦٥
- ٤- نفسه / ٩١٢ والبيت الأول موجود في شعر الراعي / ٧٩
- ٥- معجم ما استعجم / ٩٢٦
- ٦- نفسه / ١٠٠٩
- ٧- نفسه / ١٠١٣

~~وقوله :~~

وقوله :
سيكفيك الاله ومسنمات
كجندل لبن تبارد الصللا

وقوله :
تبين خليلي هل ترى من ظمائن
بذي نبق زالت بهن الأباعير

وقوله :
لها بعقل فالنميرة منزل
ترى الوحش عوذات به ومثالي^٣

وجاء في كتاب " العصا " لأسامة بن منقذ (نوادر الخطوط) قال الراعي
يصف راعيا :
طلب العصا بضربة رماها
إذا أراد رشدا أغواها^٤

وفي كتاب " المنازل والديار " لأسامة بن منقذ قول الراعي :
تذكرت فاستبكاك بجم المنازل
بقارة أقوى أو بسوقة حائل^٥

خلت من جميع ساكن وتبدلت
ظباء السليل بمد خال وجامل^٦

ذكرت بها من لن أبالي بمده
تفرق حي في النوى مترايسل^٧

وان امرأ بالسيف أكبر همه
ويطمان ليس الشوق عنه يتأفل^٨

وفي " المرصع " بيتان ، أحدهما مر ذكره والآخر قول الراعي يصف جملا :
بميد من الحادي إذا ما ترقصت
بنات النوى في السبب المتماحل^٩

وفي " وفيات الأعيان " لابن خلكان يذكر
هذا البيت في مدح سعيد بن عبد الرحمن هكذا :
حمدن مناخه وأمين منسه
عباء لم يكن عدة ضمارا

وجاء في كتاب " حياة الحيوان " للدميري : " والذوابة تسمى قرنيا ، قال
الراعي :
فلشت فاهما آخذا بقرونهما
شرب النريف لبرد ماء الحشرج^{١٠}

ويستشهد الكتاب ببيتين آخرين أثبتتهما الدباني معتمدا مراجع أخرى .
وبعد ، فاني لا أدعي أنني استوفيت كل نقص ، ولكنني بذلت جهدا يضاف الى
جهد الدباني في جمع شعر الراعي النمرى . ولعل دراسة شعر الشاعر تبدو
- الآن - أكثر يسرا . وليس من شك في أن بيتا واحدا قد يضيف شيئا جديدا
أو قد يؤكد حقيقة أدبية . وقد يثمر أحدهم على نسخة أحد صانعي شعر الراعي
القدماء ، وقد يحتاج لأحدهم أن يجمع شعر الراعي من جديد وأن يكون أكثر
حيطة وأقدر على الصبر من الحاني ومني ، وعندئذ يزداد سبيل دراسة شعر

- ١- معجم ما استعجم / ١١٢٩ ٢- نفسه / ١٢٩٥ والبيت في شعر الراعي / ٧٨
مع بعض الاختلاف ٣- معجم ما استعجم / ١٣٣٥
- ٤- نقلا عن هامش ٧٨ من كتاب المثل السائر ، حيث ذكر الفحقيق ذلك .
- ٥- المنازل والديار / ١٥ ، والبيت الأول موجود في شعر الراعي / ١١٩ ،
وذكر البيت الأخير - مع اختلاف بسيط - في معجم البكري ٢٥٩/١ .
- ٦- المرصع / ٢٢٤ ٧- وفيات الأعيان / ٥ ٢٤٠ ٨- حياة الحيوان / ٢٢٢ .

الراعي يسرا .

وشمة مسألة أخرى تؤخذ على منيع الحاني ، إذ أنه لم يوف شرح الشرح حقه ، وهو يذكر أنه أثر اقتباس التعليقات والشروح من الكتب التي نظرفيها ، ولسب كلا لذويه اعترافا بفضلهم . وهذا المنهج يغفل الهوية بيننا وبين القدماء ، فما كان يصرفه ابن القرن الثالث الهجري أو الرابع الهجري مثلا من مفردات اللفظة وتراكيبها قد يخفى بعضه علينا الآن . ولسنا كثرت الكلمات التي كان على الحاني أن يكشف عن معانيها بالرجوع الى كتب اللفظة ومن ذلك كلمة " قرقير " و " آذى " في قول الراعي :

فظل بمجهول الفلاة كأنها قراقير آذى بدجلة تسبب

وكلمة " لهايم " و " نياط " في قوله من القصيدة نفسها :

لهايم في الخرق البعيد نياطه وراء الذي قال الأدلاء تصيح

والأمثلة على ذلك كثيرة . هذا الى أن من القدماء من لم يمن بشرح الشعر كما قوت في " معجم البلدان " والبكري في " معجم ما استمعهم " لأنهما عنيا بالأمكنة أكثر من أي شيء آخر .

وما أخذ آخر هو سهو الحاني - أحيانا - عن دمج أبيات يتوقع بقوة أنها

من قصيدة واحدة ، ومن ذلك ثلاثة أبيات ترد تحت رقم " ٢٠ " وهي جزء

من قصيدة مدح بها الراعي بشر بن مروان وعددتها " ٥٧ " بيتا كما يذكر البغدادي .

ثم يثبت الحاني تحت رقم " ٢١ " أربعة أبيات وردت في موشح المرزباني :

والأبيات من القصيدة السابقة ، فهي من البحر نفسه ، وعلى القافية نفسها ،

وفي أولها يذكر اسم بشر صراحة :

الى المصطفى بشر بن مروان ساورت بنا الليل حول كالقداح ولقنت

١- شعر الراعي النميري ، المقدمة / ١٣

٢- شعر الراعي / ٤٢ .

ليلى الأخيلية

هي ليلي بنت عبد الله مربي عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، سميت الأخيلية نسبة إلى جدّها معاوية المصروف بالأخيل^١ ، وهو فارس الهزار^٢ . ورغم أن القدماء قد عتوا بشعرها وأخبارها - لاسيما مع توبة بن الحمير - إلا أننا لا نعرف كثيرا عن نشأتها الأولى . فالأصفهاني يعدّها من النساء المتقدّمات في الشعر من شعراء الإسلام^٣ . وليس في شعرها ما يوید ذلك سوى قطعة واحدة رثت فيها عثمان بن عفان وذلك قولها :

أبعد عثمان ترجو الخير أمته	وكان آمن من يحشي على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم	ما كان من ذهب جم وأوراق
فلا تكذب بوعد الله وارثه	ولا توكل على شيء بأشفاق
ولا تقولن شيء سوف أفعله	قد قدر الله ما كل امرئ لاؤ

والقارىء لما وصل من شعرها يطمئن إلى أن جله قيل في العصر الأموي ، ولذا اعتبرها صاحب الحماسة البصرية " أموية الشعر " كما غير ابن واصل الحموي عبارة الأصفهاني السابقة الذكر بمعنى التغيير فقال : " وهي من النساء المقدّمات في الشعر من شعراء الدولة الأموية " . ويبدو أن القدماء أغروا أخبارها مع توبة بن الحمير ، فأفرد الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) مصنفًا في ذلك^٤ . والأصفهاني يترجم لها ولتوبة في باب واحد^٥ . ونحن نعتقد مصنف الزبير بن بكار ، ومن الجائز أن يكون قد كشف النقاب عن بدء علاقتها بتوبة ، وهي

١- الأغاني ٢٠٤/١١ وانظر ديوانها / ١٨ حيث يصرّح جامعا لبعض ال

الخلاص في اسمها كاملا . ٢- الأغاني ٢٠٤/١١

٣- الأغاني ٨٥/١١ والهرار حصان أعوج كان قد ركب في الجاعلية لمقاتلة زهير بن جثيمة المسي ٤- الأغاني ٢٠٤/١١ ٥- ديوانها / ٩٢

٦- الحماسة البصرية ١٢/١ ٧- مستجد الأغاني / ١٢٨٦

٨- الفهرست / ١٢٤ ٩- الأغاني ٢٠٤/١١ وطبعها .

مسألة يظلمها القدماء الذين سبقوا د الأنطاكي (ت ٨/٥١٨)
 في الترجمة لها ، ففي مصرى حديثاً عن توبة بن الحر مير يذكر الأنطاكي أن
 خفاجة كانت تنزل بـ بني الأخيل ، وأنهم كانوا يشتركون في الغزو وأن النساء
 كن يرزن للقائهم ، مما أتاح لتوبة أن يرى ليلى وأن تراه فأعجب كل بالآخر
 وأخذ توبة يعاودها فيتحدث اليها . ويذكر الأصفهاني أن توبة خطبها
 الى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في ربيعي الأذلى^٣ ، وكل ما
 تصرفه عن زوجها أنه كان غيورا يمزب بها عن الناس ، وقد عناه توبة في
 قوله :
 لملك يا تيسا نزا في مريسة معاتب ليلى أن تراني أزورها
 كما أشارت اليه ليلى في قولها تخاطب توبة :
 لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وحليلا
 ولا ندرى - عى وجه التحقيق - أزوجت ليلى من غير الأذلى أم لا ،
 فابن عساكر يذكر ما يؤيد زواجها ثانية ، ويحدده بعد وفاة توبة
 وذلك قوله : " ان ليلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت^٧ " . ويرجح
 خليل المطاطة أن يكون سوار بن أوفى القشيري زوجها الثاني كما يفهم
 من إشارة وردت في كتاب الشعر والشعراء ، ولأنها دافعت عن سوار
 بحرارة حين تهاجم مع النابغة الجعدي .

-
- ١- تزيين الأسواق ١١٥/١ - الأغاني ٢٠٤/١١
 - ٢- في الأغاني " الأذلى " بالدال والميم المصطلتين ، ~~والصحيح~~ والصحيح
 " الأذلى " وهم قوم من عبادة بن عقيل . ديوانها / ما ص ص ٢١
 - ٣- الأغاني ٢٠٦/١١ - ديوانه / ٣٧ - ديوانها / ٢٦
 - ٤- نقلا عن مقدمة ديوان ليلى / ٢٤ . ٨ - أنظر مقدمة ديوان ليلى / ٢٤ .

- ١٤ -

والباحث أميل الى أنها لم تتزوج من سوار القشيري ،
 آية ذلك أننا لا نجد في شعرها أوفي أخبارها عند القدماء
 ما يويد اشارة ابن قتيبة ، ففي ممرغ حديث الأصفهاني عن سبب
 المهاجاء بين ليلي والنايفة الجمدى يكفي بالقول ممرفا بسوار ،
 انه رجل من قشير يقال له ابن الحيا (وهي أمه) واسمه سوار بن
 أوفي القشيري . ويذكر ابن حجر اللصملا تبي ، نقلا عن المرزباني أ ،
 أن سوارا مخضرم . وبذا يكون سوار قد جاوز السبعين بعد مقتل توبة
 ، بن الحميم سنة خمس وخمسين هجرية على أقل تقدير . وليس في شعر النايفة
 الجمدى الذى هججا فيه ليلي ما يثبت أن سوارا زوجها بل ان فيه ما
 يوحي أنها لم تتزوج منه كقولها :
 دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلني على أذلني يملأ استاك فيشأ
 وقوله :
 وقد أكلت بقلًا وخيما نباته وقد نكمت شر الأحمال أخيلًا
 ولكن ، ما علاقة ليلي بكل من سوار والنايفة الجمدى ؟ ولماذا هاج الشر
 بينها وبين الجمدى ؟ يذكر الأصفهاني^٦ عن أبي عمرو الشيباني أن سوارا
 هججا النايفة ، وسب أخواله من أزد في أمر كان بين قشير وبني جمدة وهم
 بأصبهان متجاورون ، فأجابها النايفة بقصيدته التي يقال لها " الفاضحة "

١- الأغاني ١٣/٥ . ٢- الاصابة ١١٧/٢

٣- انظر مقدمة ديوان توبة / ١٥-١٧ حيث يمرغ المحقق، للروايات المختلفة
 في سنة وفاقتوبة وهي تتراوح بين سنة ٧٠ هـ و ٧٦ هـ . والمحقق يأخذ

بما ذكره الأصفهاني من أن مقتل توبة تم حين كان مروان واليا على المدينة لمعاوية
 ٤- شعر النايفة الجمدى ، ١٢٤ / ٥ - نفسه ١٢٦ / ٦ - الأغاني ١٣/٥

— ٢٢٢ —

والتي سميت بذلك، لأنه ذكر فيها مساوي^١، قشير وعقيل وكل ما كانوا
يسبون به ، وفخر بمآثر قومه وما كان لسائر بني عامر سوى هذين
الحيين من قشير وعقيل . ويبدو أن علاقة العقيليين بأبناء^٢ عمومتهم الجمديين
لم تكن صافية ، ففي الإصابة أن رئيس بني عقيل عقيل بن خويلد
— وهو شاعر مخضرم — كان يهاجي النابغة الجعدي ، وسبب ذلك أن
عقلا أجار بني وائل بن ميم من بائلة حين قتلوا رجلا من جمدة^٣ ،
وفي الأغاني^٤ : « أن لحاء وقع بين مزاحم العقيلي الشاعر وبين رجل من
بني جمدة في ماء » ، فشجه مزاحم فاستعدكا بنو جمدة على مزاحم ،
فحبس طويلا . ولعل فيما سبق ما يفتح عن سبب التهاجي بين ليلى والنابغة ،
وأن ليلى انتصرت لقومها ، ويؤيد ذلك ما ذكره البكر^٥ من أن سبب التهاجي
بينهما أن الجعدي كان يذكر يومي رحرمان وهو يهاجي سوارا ،
ومن ذلك قوله :

هلا سألت بيومي رحرمان وقد ظننت هوازن أن العز قد زالا
ويظهر أن جزءا من قصيدة الجعدي " الفاضحة " قد ضاع آية ذلك ،
ما فيها من شفرات وخلوجا من الأبيات التي استحقت معها اسم الفاضحة^٦
حيث لا نجد في ما وصل منها فحشا أو اقذاعا أو كثير فصح لقشير وعقيل .
وفي القصيدة — كما وردت في شعر الجعدي — بيت واحد يذكر فيه بني
عبادة رمت ليلى الأخيلية ، ويمررن بهم وذلك قوله في مفرغ فخره بقومه :

١- الإصابة ١٠٧/٣ وانظر الموشح / ٦٦ والأغاني ٣٢/٥ .

٢- ٣٠/١٩ . ٣- صحت الألفي / ٢٨١ . ٤- ١٠٠ .

٥- في يوم رحرمان الثاني حزم الجعفريون بني حنيفة لما أغاروا على الحريش
بن كعب وعبادة بن عقيل . ٦- القصيدة في شعر الجعدي / ١٠٠ .

- ٢٢ -

أو قل هم قاتلوا شهباء مصلحمة قد قذفت في قلوب الناس أهوالا
من بعد ما استنطقت حي الحريش وحيا من عبادة لمتنمهم بالآ
فكان أن دافعت ليلي عن قومها ، وعارضت الجعدي في قصيدة لم تصل
كاملة ومنها قولها :

وما كنت لو قاذفت جل عسيرتي لأذكر قمبي خازر قد تشملا
ولما بلغها اقذاع النابغة في قوله :
ألا حيا ليلي وقولا لها هـلا فقد ركبت أمرا أنا غر محجلا
وقد أكلت بقتلا وخيما نيا نسه وقد شربت من كآخر الصيف أيا
دعي عنك تهجاء الرجال وأقبلني على أن لغي يملأ استك فيشلا
دافعت عن نفسها بذلك ، فصغرت من شأنه ووسمته باللوءم وأفحمته وذلك ،
قولها : أنا بخ لم تنبغ ولم تنك ، أولا
أنا بخ أن تنبغ بلوءمك لا تجد للوءمك إلا وسط جمعة مجعلا
تصيرني داء بأمك مثله وأى حصان لا يقال لها هـلا
وقد تكون المهاجرة استمرت بين ليلي والنابغة واستحكم المداة آية ذلك ،

٢- شعره ١٠٥ / ٢ - الأغاني ١٦ / ٥ ديوانها / ١٠٣ .

٣- الأغاني ١٦ / ٥ ، شعره / ١٢٣ .

٤- الأغاني ١٧ / ٥ ديوانها / ١٠٢ . صني : تصفير صنو ،
والصنو : الشعب الصغير . هلا : زجر للخيل وقد يستمار للانسان .

أن الأصفياني يذكر أن بعض بني جمدة أجمعوا على استمداء صاحب
 المدينة أو أمير المؤمنين عليها وفي شعر ليل ما ينبؤ بذلك : ^١ ^٢
 أثنائي من الأنبياء أن عشيرة ^٣
 يروح ويفد ويغدهم بصحيفة
 ليستجلدوا لي ساء ذلك ممعلا
 على غير جرم غير أن قلت عنهم
 يعيش أبوه في ذراه مفغصلا
 وأعنى أناه بالمعجاز ناعهم
 وكان بأطراف الجبال فأسهلا
 فجاء به أصحابه يحملونـه
 إلى خير حي آخرين واو لا
 وفي هذه القصيدة دفاع ليلي عن سوار وتنتصر له :
 تنافر سوارا إلى المجد والملى وأقسم حقا أن فعلت ليفغلا
 بمجد إذا المرء اللئيم أراد هوى دونه في مهبل ثم مضلا
 وهل أنت أن كان الهجاء محرما وفي غيره فضل لمن كان فضلا
 ولم تنس قومها فافتخرت بهم وارتفعت بأجاد عم إلى الذرى :
 لنا تاملدون السماء وأصله مقيم لحوال الدهر لن يتحلحلا
 وما كان مجد في أناس علمته من الناس إلا مجدنا كان أولا
 ويذكر المرزباني في "أشعار النساء" أنها جلبت إلى المدينة بعد شكوى
 بني جطدة . ولا ندري هل استمر التهاجي بينهما بعد ذلك أم سكنا ؟
 فليس في شعرهما ما يوهد امتداد النقائض بينهما . ويرجح تظليل الخطبة
 أن يكونا استمرا في التهاجي ودليله : "أنها طلبت من الحجاج في
 إحدى الروايات - أن يدفع إليها النابغة في قرن ، فلما بلغه الخبر
 خرج هاربا عائدا بفيد الطك ، فأتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم

١- الأغاني ١٧/٥ . النشا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سي .

٢- ديوانها / ١٠٠ - ٣ - نقلا عن مقدمة ديوانها / ٢٨ .

- ٢٥ -

بخراسان ، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج ، فمات هناك^١ غيسر
أنني لم أجد في شعرهما ما يؤيد هذا الخبر ، وليس في سريرة الحجاج
حدث مشابه لهذا الحدث . كما أنني لم أجد أحدا من القدماء أو المعاصرين
يؤيد استمرار حياة النابغة الجعدي^٢ حتى سنة : سنتين وثمانين للهجرة
وهي السنة التي ولي فيها قتيبة بن مسلم أمر خراسان . هذا إلى أن في
شعر ليلي^٣ ما يدل على أنها انتهت علاقتها بمعد الملك (ت ٨٦ هـ) منقلبة
عليه حاجة له ، فلا يمكن أن تتبع النابغة إليه .

وإذا كنا نشك في خبر وفاتها على قتيبة للانتقام من النابغة الجعدي
بموافقة الحجاج فاننا لا نستطيع دفع وفاتها على قتيبة لا سيما أن الأصمعي
يذكر ذلك ويضيف أن قتيبة أجازها ، فأقبلت راجعة تريد البادية فلما كانت
بالري ماتت ، فقبرها هناك^٤ . فإذا أخذنا برواية الأصمعي كانت وفاتها
كانت وفاتها بمعد سنة ٨٦ هـ وقبل سنة ٩٦ هـ وهي السنة التي قتل فيها قتيبة
بن مسلم . ولكننا نضطدم بما ذكره الدكتور الكندي^٥ (ت ٦٧٤ هـ) من أنها
ماتت سنة ثمانين هجرية . وتابعه^٦ في ذلك شمس الدين الذهبي^٧ (ت ٧٤٧ هـ)
ولنا أن نرجح ما ذكره الأصمعي بدليل أن المسمودي يذكر أن ليلي وفدت على
الحجاج بمعد سنة اثنتين وثمانين للهجرة ، أي بمعد مقتل ابن القريظة ،

١ . مقدمة ديوانها / ٢٨ ، والخبر في الأمالي ٨٨ / ٢

٢ . في دائرة المعارف أنه توفي سنة ٧٠ هـ ويرى بروكلمان (تاريخ الأدب العربي

١ / ٢٣٢) أن وفاته كانت سنة ٦٥ هـ وجاراه الدكتور شوقي ضيف
(العصر الإسلامي / ١٠٣) أما سميحة المعادلي فرجحت سنة ٧٠ هـ
(النابغة الجعدي ، حياته وشعره / ٣٥) وفي النجوم الزاهرة ١ / ٩٩
أن الجعدي توفي سنة ٧٩ هـ .

٣ . ديوانها / ١١٢ ٤ / الأغاني ١١ / ٢٤٣

٤ . فوات الوفيات ٢ / ٢٨٩ ٥ . تاريخ الإسلام ٣ / ٢٠٥

٦ . مروج الذهب ٣ / ١٤٧

أحد اصحاب ابن الاشمث ، وفي ديوانها مقطوعة تخاطب فيها ابن
 الاشمث الذي حارب الحجاج . ومعرفة ان فتنة ابن الاشمث بدأت
 سنة ٨١ هـ . والمجيب ان الأصفهاني يخطي " الأصمعي فيقول ممقبا
 على روايته : " هكذا ذكر الأصمعي في وفاتها وهو غليل " ويأخذ بخرافة
 مفادها ان ليلى وزوجها مرا على قبر تهمه فسلمت عليه ، فلما لم يجيب
 قالت : ما عرفت له كذبة قط قبل هذا : اليس هو القائل :
 ولوان ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائسج
 لسلمت تسليم البشاشة أو زقا اليها صدى من جانب القبر صائح
 فطارت هومة من جانب القبر افزعها اضطراب اليهودج ، فنفر الجمل ورمى بليلى
 على رأسها ، فماتت من وقعها ، ودفنت الى جنته . ويبدوان داود الانطاكي^٣
 ينقل هذه الخرافة عن كتاب الأغاني وهو يرجحها كما رجحها الأصفهاني .

١ . ديوانها / ١١٦ .

٢ . الأغاني ١١ / ٢٤٤ .

٣ . تزئين الأسواق ١ / ١١٨ .

ديوانها :

يذكر ابن خلدون أن شعر ليلي الأخيلية من الكتب التي حملها أبو علي القالي إلى الأندلس ، كما يذكر الامام المينسي (ث ٨٥٥) أنه اعتمد ديوانها أما السيوطي (ت ٥٩١١) فقد اعتمده في كتابه " شرح شواهد المغني " . وجاء في كشف الثانون ما يلي :

" ديوان ليلي الأخيلية - الشاعرة وشرحه " ولا ندري من الشارح .

وقد اهتم المحدثون بجمع شعر ليلي من المراجع المختلفة لما لم يعثر أي منهم على نسخة من ديوانها ، ومن أولئك لويس شيخو الذي اودع ما جمعه في نهاية كتابه " انيس الجلساء في ديوان الخنساء " والمستشرق الفرنسي دي كوييه ، وزينب بنت علي بن حسين العاطية في كتابها " الدر المنثور في طبقات ربات الخدور " وبشير يموت الذي جمع طائفة من قصائدها في كتابه " شاعرات العرب والاسلام " وللاستاذ عبد الستار القرة غولي مخطوط بعنوان " ليلي الأخيلية - حياتها وديوان شعرها " وفي سنة ١٩٦٢ م اشترك خليل ابراهيم العطية وجليل العطية في جمع شعر ليلي وتحقيقه ، ونشراه بعنوان " ديوان ليلي الأخيلية " وقد اطلعا على صنيع غيرهما من المحدثين ما عدا صنيع دي كوييه حيث لم يعثرا على نسخة منه^١ . واستدركا ما فات غيرهما ، وتحملتا صابرين عناء البحث فيما امكنهما مراجعته من المصادر المخطوطة ، كما يخيل للبنا حيث انهما لم يتركا مصدرا مطبوعا الا راجعاه .

١ . فهرسة ابن خير / ٣٩٧ ٢ . المقامد النحوية ٤ / ١٧٥

٣ . ص ١١ ٤ . ١٠٨ / ٨٠

٥ . انظر مقدمة ديوانها / ٣٨ وما بعدها ٦ . مقدمة ديوانها / ٣٩ .

الاول ، في تهمة وجله مراث ، والثاني في اعلام عصرها ممن اتصلت
بهم مادحة او شاكية . أما حملتها بالشمرء فقد مر بنا انها كانت
على عداء بالنابغة الجعدي وانها ناقضته وعارضته في غير قصيدة ،
وبذلك دافعت عن سوار بن اوفى القشيري . وفي ديوانهم
بيت واحد في هجاء تميم بن ابي بن مقبل وهو :

ولسنا ندري - على وجه التحقيق - سبباً للصدامها بتميم ،
 "والظاهر ان البيت من قصيدة لليلى لم تصلنا اجابت بها ابن مقبل
 رداً على قصيدة له على الروى نفسه مطلعها :
 م

زجرنا بني كعب ، فأما خيارهم فمدوا وللمصروف في الناس اعرف

ويذكر الأصفهاني أن حميد بن ثور الهلالي ، والمجبر السلوي ، ومزاحمة
المقيلي وأوس بن غلفاء الهجيمي تحاكموا إلى ليلى لما وصفوا القنطرة
أيهم أحسن وصفا ؟ فحكمت للمجبر السلوي ومطلع قصيدته :
تجوب الدجى سكاء من دون فرخها بطلي أريك ننف وسهوب

٢٣٧/٢٠٣ ٤٠ الاغانى ٢٥٩/٨ وما بعد هذا . فى ديوانه / ١٨٦

وأنشدت :

ألا كل ما قال الرواة وأنشدوا بها غير ما قال السلولي بهرج^١

مما اغضب حميد بن ثور فهجاها بقوله :

كأنك ورعاً العنانين بفلانة^٢ رأت حصنا فعارضتهن تشجج^٣

وأورد المرزباني في " اشعار النساء " نبأ هذه المحاكمة ، وخالف مسا^٤
أورده الأصفهاني في أسماء المتحاكمين ، فهم عنده : النابغة الجعدي

وحميد بن ثور ، وتميم بن أبي بن مقل ، والمجير السلولي . وإن صحت
رواية المرزباني فقد يكون حكمها اغضب تميماً كما اغضب حميداً فهجاها

فردت .

على أن الشك يكثف هذه المحاكمة من غير جهة ، فهي مروية عن ابن الكلبي^٥

وعن رجل نكرة عن أبي عبيدة . ومن جهة ثانية ، فإن القطعة المنسوبة

لأوس بن غلفاء تنسب لمزاحم وللعباس بن يزيد الكندي وللمجير ولعمرو^٦
ابن عقيل الهجيمي وهو أصح الأقوال ، رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصفهاني^٧

والقطعة المنسوبة للعباس بن يزيد الكندي فغير ابن الكلبي يرويها^٨

بني مرة^٩ . أما القطعة المنسوبة للمجير فقد تروى لغيره عند غير ابن

الكلبي^{١٠} . ومن جهة ثالثة نجد ليلي في رواية ابن الكلبي تحكم^{١١}

لأوس بن غلفاء ، وفي رواية رجل عن أبي عبيدة أنها حكمت للمجير .

مما يجعلها نشأة في نسبة البيت الذي فضل فيه المجير ليلي ،

وإن صحت نسبته ففيه ما يوحي أنها سمعت اشعاراً من أفواه الرواة فحكمت

١ . والبيت في ديوانها / ٦٠ ٢ . والبيت في ديوانه / ٦٢

٣ . ديوانها / هاشم ع ٦٠ ٤ . الأغاني ٢٥٦ / ٨

٥ . الأغاني ٢٦٣ / ٨ ٦ . الأغاني ٢٥٨ / ٨

٧ . الأغاني ٢٦٠ / ٨ ٨ . الأغاني ٢٦٢ / ٨

٩ . الأغاني ٢٦٣ / ٨

- ٢٤ -

للسلولي . ومهما يكن فعلاقة ليلي بأبن مقل وحמיד كانت علاقة
عداء ، وقد يكون سبب ذلك التناحر على الامواه والمحال بين فروع
كعب المختلفة ، فكل يذب عن رملته كما مربنا في علاقتها بالجمدى .
مدائحها :

ينبي ديوان ليلي وأخبارها انها كانت كثيرة الوفادة الى
الخلفاء والامراء والولاة ، فيسألونها عن توبة وعن مرأيتها فيه كما يسأل
بعضهم عن حال قومها ، وهل اصابتهم سنة ام هم في حال خصب
ودعه ، ويبدوانها رزقت مقولا جيدا وديهة حاضرة . ومن استقراء
شعرها وأخبارها نعلم ان معدوية بن ابي سفيان اول من زارت .
وفي ديوانها هذه المقطوعة حيث تصف ناقها التي تجوب الارض نحوه ،
لينعشها اذا بخل السحاب :

معاوي لم اكد آتيك تهوى	برحلي رادة الاصلاب نساب
قريح الظاهر يفرح ان يراها	اذا وضعت وليتها الفسراب
تجوب الارض نحوك ما تأني	اذا ما الاغم قطعها السراب
وكنتم المرتجى وبك استفاشت	لتنعشها ، اذا بخل السحاب ^٢

وفي شعرها قصيدتان يذكر جامعا ديوانها^٣ - معتمدين على ما جاء في
منتبهيسى الطلب وأشعار النساء - انهما في مدح مروان بن الحكم .
ويبدولي انهما في مدح عبد الملك بدليل ورود كلمة " ابن مروان " في
كليهما . وهي تشيد بمدله وقوته وصواب رأيه ، وذلك قولها :

اذا ما انيخت بلبن مروان ناقتي	فليس عليها للهبانيق مركبي
ادلت بقربي عنده ، وقضي لها	قضاء فلم ينقض ولم يتمقصب
فانك بمد الله انت اميرها	وقنعانها من كل خوف ومرغب
فتقضي فلولا انه كل ربي	وكل قليل من وعيدك مرهبي

١ . انظر - على سبيل المثال - الأغاني ١١ / ٢٤٠ ، زهر الآداب / ١٣٦

٢ . ديوانها ٥١ / ٣ . انظر مقدمة ديوانها ٢٦ .

- ٤٤١ -

إذا ما ابتغى العادى الظلوم ظلامه لدي ، وما استجلبت للمتجلبب
تبادر أبناء الوشاة وشبثفسي لها طلبات الحق من كل مطلب^١
وقولها من القصيدة الثانية :
أنهت لدى باب ابن مروان ناقتي ثلاثا لها عند النجاج صريف
يطيف به فتياه كل ليلة بنيرين مثران الجبال وزيف
غلام تلقى سوء ددا وهو ناشئ^٢ فأتت به رعب الذراع اليه
بقيل كحبير اليماني ونائل إذا ظلت دون المطاء كهـ^٣
وقد كدرت عاتكة بنت يزيد بن معاوية - زوج عبد الملك - علاقة ليلي به
حين رأتها تفضل عليه توبة ، فانقلبت ليلي عليه تهجوه ، وتفخر بجدها
كعب وتمير عبد الملك بخرة :
أجعل مثل توبة في فـ^٤ أبا الذبان فوه الدهر دامي^٣
ويبدو ان صلتها بالحجاج كانت قوية ، فقد وفدت تشكو السنة (القحط)
وذهاب الاموال فاغدق لها المطاء^٥ . وزارته مرة ثانية وقومها " في حال
خصب وأمن ودعسه " ولكن الصريف اضربهم في الصدقة ، فأمر الحجاج
ان يكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل الصريف الذي استمدت عليه .
وفي مدحها للحجاج تشيد بقوته وهزمه وقدرته على الفتك بالمصاة :
إذا هبط الحجاج ارضا مريضة تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء المضال الذي بها غلام اذا هز القناة سقاها

١ . ديوانها ٥٧ /

٢ . ديوانها ٨٧ / . الصريف : الصوت . تحبر : تزين وتحسن

٣ . القصة والقصيدة في الأغاني ١١ / ٢٤٦ وانظر ديوانها ١١٢ / .

٤ . الأغاني ١١ / ٢٤١ ، أ . الأمالي ١ / ٨٥ .

٥ . الأغاني ١١ / ٢٤٧ .

— ٢٤٢ —

سقاها دماء المارقين وعظيها
 اذا سمع الحجاج رزقيــــــــــــــــة
 أعد لها من رصقولة فارسيــــــــــــــــة
 بأيدي رجال يحلبون صــــــــــــــــراها
 بنجد ولا أرغى يجف ثراهــــــــــــــــا
 ولا الله يعطي للمصاة مناهــــــــــــــــا
 ولا كل خلاف تقلد بيــــــــــــــــة
 ويبدو ان ليلي عرفت من اين تأتي الحجاج ، فأعجب بهذا الشعر الذي
 رأى فيه نفسه ، والذي يضي على فتكه شرعية حسب منطق ليلي . وفي

"الأُمالي" انه قال حين سمعه معبرا عن اعجابه ورضاه : "قاتلها الله ،
 والله ما اصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت الى عنبسة
 ابن سعيد فقال : والله اني لأعد للأمر عسى ألا يكون أبداً . ويلي تشيد

بحزم الحجاج في غير قصيدة ومن ذلك قولها :
 حجاج انت سنان الحرب ان نهجت وأنت للناس نور في الدجى يقدر^٣
 وقولها تخاطب عبد الرحمن بن الأشعث الذي حارب الحجاج ، واستقطبت
 ثورته جل اهل العراق :

حداك الحين ان غالبت ملكــــــــــــــــا
 ارييا ذا مخاتلة وغــــــــــــــــم
 ومصنوعا له فيما اتاه
 الى الأُملاك من وتر وغــــــــــــــــم
 فدوتكها فذق كأسا قــــــــــــــــولا
 على طعمين : مقبور وسم^٤

وهي تحترس سياسة ، وتتحرز دينا في قولها تمدح الحجاج :
 حجاج انت الذي ما فوقه احد
 الا الخليفة والمستغفر الصمد^٥

١ . ديوانها / ١٢١

٢ . الأُمالي / ٨٦/١

٣ . الأُمالي / ٨٦/١ ، ديوانها / ٦٣ ، ٤٠ . ديوانها / ١١٦ . المقربق المنق

٥ . ديوانها / ٦٣

- ٤٤٧ -

ورغم انها وفدت على قتيبة بن مسلم الا انه لم يعثر على شعر لها
يوئكد مدحها له . وفي شعرها قطعة تمدح فيها بني ابي بكر
ابن كلاب بن ربيعة بالكرم وحسن الرأي :

ان كنت تبغي ابا بكر فانهم بكل ساحة قوم منهم اثر
والمالون اذا ما اضرنا قهم أنى يحاول فيه الورد والمدار
واخترت آل ابي بكر لحجناجتنا وما اساءوا ، وما ضاع الذي تحظروا
وقصيدة تفرغ فيها لابن الزمير وتمدح آل مطرف العامريين
وينازعها في نسبة هذه القصيدة حميد بن ثور الهلالي .
والأرجح انها لليلسي " لأنها كانت كثيرة المدح لآل مطرف العامريين حتى
ضرب بذلك البحتري مثلاً في شعره ، فقال وذكر جيشا :
لو أن ليلي الأخيلية عاينت اطرافه لم تطر آل مطرف " ٢
كما ان في قولها من القصيدة :
أتريد عمر بن الخليع ودونه كمب ، اذا لوجدته مروءوما
ما يراجهب لليلي ، فالخليع من بني عقيل ؟ يضاف الى ذلك ان العيني
نسبها في " المقاصد النحوية " لليلي ، وقد مر بنا ان ديوانها من
مصادره .

-
- ١ . ديوانها / ٦٧ . يذكر المحقق ان بني ابي بكر : بطن من عقيل
بن كمب بن ربيعة ، وهذا غلط . والمجيب انه يحيلنا الى ابن عبد البر
في الانباه / ٨٧ وفيه ان بني ابي بكر من كلاب بن ربيعة .
 - ٢ . ديوانها / ١٠٨ .
 - ٣ . الأشباه والنظائر ١ / ٤٣ .
 - ٤ . الأغاني ٥ / ٢٣ .
 - ٥ . المقاصد النحوية ٢ / ٤٧ .

مراشیم : _____ :

يبدوان ليلي من أشهر شعراء الرثاء في العصر الأموي ،
من حيث الكم على أقل تقدير ، فقد استغرق رثاؤها لأليفها توصية
ابن الحنير أكثر شعرا حتى شهرت به ، وشهر بها وضرب برثائها
المثل فقال أبو تمام :

فكان قسا في عكا ~~في~~ طوب وكان ليلي الاخيلية تنسب

وقال المصري :

شجرتك بظاھر كقرین لیل
وہاٹنہ عویص ایی حزام

وقرنت ليلى بالخنساء فشعرهما ، ذوب الماطفة المتألّمة والوفاء الذى لم ينتقص بكر الأيام . وقد تنبه القدماء الى حقيقة اشتراكهما بالرتاء ، وشهرتهما به ففاضلوا بينهما . فلاصمعي قدمها على الخنساء . أما ابن قتيبة فعدهما " اشعر النساء " لا يقدم عليها غير خنساء " وذكر ابو زيد الانصارى

ان " ليلي اغز بحرا ، وأكثر تصرفا ، وأقوى لفظا ، والخنساء اذهب في عمود الرثاء " واذا كانت الخنساء قد لجأت كثيرا الى عينها تستمين بهما على الأسى الذي يتفجر دموعا فان ليلي كانت بكاءة :

فأليت لا انفك ابكك ما دعت على فنن ورقا ، أو طار طائر

وقولها تؤكد إصرارها على البكاء ، وفيه تكرار يذكر بمنهج المهلهل . وكأنها في حلقة نساء اذ هلن عن انفسهن فهن يلطمن الخدود بتوقيع مستقر أو كأن الحزن يلح عليها ، فتصمد الزفرات مكررة :

۱. دیوانہ ۱۳۴/۱

٢. شرح سقط الزند ٢ قسم ٤ / ١٤٢٥ . يريد ابا حزام المظلي

وكان يكثر من الغريب في شعره ٣ . فحولة الشعراء ٣٧٢

٤ . الشمر والشمر^١ ٣٥٩/١ ٥٥ . زهر الآتاب ٩٢٨/٠

• ۶ دیوانہا / ۶۶ •

- ٢٤٥ -

لمرى لانت المرء ابكي لفقده
لمرى لانت المرء ابكي لفقده
لمرى لانت المرء ابكي لفقده
لمرى لانت المرء ابكي لفقده
بجد ولو لامت عليه المـواذل
ويكثر تسهيدى له لا أوائل
ولو لام فيه ناقص الرأي جاهل
إذا كثرت بالمحمن الثلاثـل

وإذا استبكت الخفساء عينها فان ليلى تستبكي عينها وتستبكي نسوة خفاجة
قوم تومة ، وذلك تخلق جوا تحريضيا انتقاميا من خلال استجابة الرجال
للموقف الفجائعي :

أيا عين بكى تومة بن حمير
لتبك عليه من خفاجة نسوة
بسح كفيض الجدول المتفجر
بماء شوءون المبرة المتحدر^٢

وقولها :

لتبك المذارى من خفاجة كلها
على ناشي^٣ نال المكارم كلها
شتاء وصيفا دائيات ومريـما
فمنا انفك حتى احرز المجد اجمـا

وقولها تخاطب عينها :

يا عين بكى بدمع دائم السجم
وابكى لتومة عند الروع والبهـم^٤

وفي اخبار تومة انه كان قويا ، خاربا ، قطاع مغاوز ، كثير غارات .^٥

وهي صفات تشرف صاحبها في المجتمع القبلي ، فلا غضاضة عليه ما دام
يفير على اعداء قومه فيستاق ابلهم ، وقد يضطر الى القتل .
وليسى تعد هذه الصفات من مفاخره ، فأكثر من التوقيع عليها
مضيئة اليها صفة طالما ابرزها القدماء في مدائحهم ، وفي مرثيتهم ، وهي
صفة الكرم .

١ . ديوانها / ٩٣ . أوائل : اطلب الخلاص والنجاة . ٢ . ديوانها / ٧١

٣ . ديوانها / ٨٦ ٤ . ديوانها / ١١٥ . البهم : جمع البهمة وهي
الخطاة الشديدة .

٥ . الاغانى ١١ / ٢١٧ ، ٢٤٥ .

- ٤٦ -

وتغلف ليلي - كما فعلت الخنساء - صفات المرثي بثوب من
الحزن والتفجع ، تسعفها عاطفة صادقة واحساس بهول المصاب ،
فلا تكلف ولا جفاف . وفي هذه القطعة تبدو صفات توبة التي
اكثرت ليلي من الالحاح عليها :

كأن فتى الفتيان توبة لم يسر بنجد ولم يطلع مع المتفسر^٢

ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر

وصحراء مودة يحاربها القتا^٣ قطعت على هول الجنان بمنسر

يقودون قبا كالسراحين لاحها^٤ سراهم ، وسير الراكب القهجر

فلما بدت ارغر المد وسقيتها^٥ مجاج بقيات المزاد المقيسر

ولما اذابوا بالنهاب حويتها^٦ بخاطي البضيع كره غير أعسر

فيا توب للهيجا وياتوب للندي^٧ وياتوب للمستنبح المتنور

١ . ديوانها / ٧٢ ٢ . الضجاج : الشاغبة . السديف : قطع

السنام وشقيقه . النكباء : الريح المنحرفة في مهبها الآتية بين ريحين

الصرصر . الشديدة الصوت او البرد .

٣ . المنسر : كمنبر قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . ال

٤ . القب : واحد الأقب والقباء وهو الدقيق البطن . السراحين : جمع

السرحان وهو الذئب . لاهه العطش او السفر ولوحه : غيره .

السرفى : السير ليلا . القهجر : السائر في الهاجرة وهي نصف النهار

عند زوال الشمس مع الظهر ، او من زوالها الى المصير .

٥ . المجاج : ما تمجه من فيك . المزاد : واحدها العزادة ، وهي الظرف

الذى يحمل فيه الماء . المقير : المطلي بالقار وهي الزيت .

٦ . النهاب : الفنائم . الخاطي : المكتنز اللحم . البضيع : اللحم .

الاعصر : الذى يعمل بهسراه .

٧ . المتنور : الذى يلمس ما يلوح له من النار فيقصده .

وقولها من قصيدة أخرى^١ :

فتى كان للمولى سناء ورفعة
وللطارق السارى قرى غير باسر^٢
ولم يدع يوما للحفاظ وللندى
وللحرب يرمي نارها بالشرائر
وللبازل الكوماء يرغو حوارها^٣
ولللخيل تمد وبالكماة المساعر^٣
كأنك لم تقطع فلاة ولم تنسخ
قلاصا لدى فأو من الأرض غائر^٤
وتصبح بمومة كأن صريفها^٥
صريف خطاطيف الصرل في المحاور
ودوية قرح يحاربها القطا
تخطيئتها بالناعجات الضواير
وأحيانا يرتفع الفكر بليلى في مراتبها الى المعاني الحكمة السامية ، وهي
بذلك تبتمد عن الخنساء وتقترب من لبى في رثاء أخيه ، أو من أبى
نواب في عينيه المشهورة من حيث الموقف الذى تطله مقابلة أحسن
حالات الوجود ، اعني الموت . فليلى حزينة لكنها تتمزى وتمنظ نفسها ،
تقول في احدى مراتبها :

-
- ١ . ديوانها / ١١
٢ . الباسر : الماييس .
٣ . جمل بازل وزول : اذا بهزل نابه اى انشق . وذلك في السنة التاسعة او
الثامنة ، يقال : جمل بازل وناقة بازل . الحوار : ولد الناقة ساعة
تضعه ، او الى ان يفصل عنها . المساعر : جمع الصعر ، وهو الموقد
لنار الحرب .
٤ . الفأو : الشق والصدع .
٥ . الصريف : الصوت . الخطاطيف : جمع الخطاف ، وهو حديدية
البكرة وفيها المحور . الصرل : الماء المتفير لطول مكته .
المحاور : جمع المحور وهو الحديدية التي تجمع بين الخطاف
والبكرة .

- ٢٤٨ -

لمصرك ما بالموت عار على الفتى
وضا احدا حي وان عاش سالما
ومن كان لما يحدث الدهر جازعا
وليس لذى عيش عن الدهر مقصرا
ولا الحي ما يحدث الدهر محتبا
وكل شباب او جدي الى بلسى
وكل قريبي الفة للفرق

وليلي ضميعة ، لكنها تستحث قوصها على ادراك الثأر ، وتغير نخوتهم

تارة بذكر مناقب توبة - كما مر - وطورا بالتهديد المباشر لبني عوف :

مراقت بنو عوف دما غير واحد
تداعت له افناء عوف ولم يكن
فقل لبني عوف : ستلقون غارة
له نهك نجديه سفور
له يوم غضب الرده تيين نصير
اذا ما خبت قمنا لها فتشور

وهي غائبة على قابض بن ابي عقيل ، ابن عم توبة ، لانه هرب عنه في الوقعة ،
ولذا تلوه وتمنفه :

دعا قابضا ، والموت يخفق ظله
وقولها تخاطبه :

ألم تعلم جزاك الله شرا
فتضرب ضربة يسمو اليها
فلا وأبيك يا ابن ابي عقيل
وقولها :

جزى الله شرا قابضا بصنيعه
دعا قابضا ، والمرهفات يردنه
وكل امرىء يجزى بما كان ساعيا
فقيحت مدعوا ، ولبيك داعيا^٥

- ١ . ديوانها / ٦٥ ٠ ٢ . ديوانها / ٦٨ . الردهتان : موضع في ديار المامريين
- ٣ . ديوانها / ٥٦ ٠ ٤ . ديوانها / ١٠٦ . أرادت انه لا يصيبك مني ندى ولا خير
- ٥ . ديوانها / ١٢٣ . المرهفات : السيوف الحداد .

في خصائص شعرها :

في ديوان ليلي أبيات مفردة يبدو أنها ظلال لقصائد لم يحشر عليها ، وظلت هي دليلا على وجودها ، أما بقية الديوان فيبدو ربما جاء فيه أن شعر ليلي يخلو من القصائد الطوال التي تعرف في شعر الجاهليين وفي شعر من عاصرها من المشهورين ، كالراعي النعير ، والنايفة الجعدي ، وفحول النقاش . فلا يوجد في ديوانها قصائد جاوزت الأربعين بيتا ، إلا قصيدة واحدة في ثمانية وأربعين بيتا ، وهي الرائية ومطلعها :

نظرت وركن من زقنين دولسة مفاوز حوضي أي لثابة ناظلس
وأغلب شعرها أبيات ، ومقطعات ، وقصائد قصيرة ، وطبيعي أن تخلو القصائد من القدمات البعيدة الغزلية ، أما المقدمة الطللية فلم تحفل بها .
وغالبا ما تكون إحدى المقدمتين ، غائفتان للآخرى عند الشعراء القدامى .
والشاعر في المراثي لا يهتم تجشم التقليد بمقدار ما يحرص على إبراز أس نفسه ، والتوقيع على آلامها بالتوقيع على صفاء الميت التي فقدت بفقدانه .
وليلي تدخل إلى غرضها مباشرة ، ما عدا قصيدتها التي مدحت بها عبد الملك بن مروان حيث بدأتها بالتغني بكرم قومها وقوتهم :

طربت وما هذا بساعة مطرب إلى الحي حلوا بين عاز فجبج^٢
قدما فأست دارهم قد تلعبت بها خرقات الريح من كل طمب
وكم قد رأى رأيهم ورأيت بها لي من عم كريم ومن أب
فوارس من آل النفاضة سادة ومن آل كعب سوء د غير معقب^٣

وتنتقل إلى المدح نقلة تقليدية :

فذر ذا ، ولكني تمنيت راكبا إذا قال قولا صادقا لم يكذب^٤

- ١ . ديوانها / ٧٧ ٢ . عاز : واد في ديار هوازن . جبج : ماء
بنواحي اليمامة . خرقات الريح : هبوبها .
٣ . ديوانها / ٥٣ ٤ .
٤ . ديوانها / ٥٥

- ٢٥٠ -

ولعل أهم معنى ركزت عليه ليلى في سائر شعرها هو الاعلاء من شأن القوة . وهذا يدفع إلى استكشاف الصلة بين شعرها الممثل لقيمها وبين الحياة القبلية التي بقيت - رغم مرور فترة ليست قصيرة على الاسلام - تعد الفوز من مأثرها ، فتحتكم لديه للتخلص من الضائقة الاقتصادية . وقد كان توبة ابن الحمير مثلاً للغازي القاتل ولو لمطمع مادي ضئيل . ولذا اكثر ليلى من الالحاح على فروسيته ، وبطولته ، وما يلحق بهما من قطع للصحرى ، او من ذكر لغزوة دون ان تعتمد الى وصف الحرب وتصويرها ، بل تكفي باعطاء النتيجة ، واضفاء صفة الانتصار التي بقيت ملازمة لتوبة حتى قتل . وعندئذ دهشت لان بني عوف - في رأيها - من الضعف بحيث لا يستطيعون قتل توبة الذي اضافت اليه كل عناصر البطولة القبلية .

واذا كان توبة مثلاً للبطولة القبلية ، فان الحجاج مثال البطولة السياسية في رأيها . واذا كانت قد لونت بعض مدائحها باصباح من المماليك الاسلامية ، فقلما نجد ذلك في بقية شعرها ، ويبدو ان الموقف الرسمي لخلفاء الدولة وأمراءها هو الذي دعاها الى التلون الاسلامي ، وكذلك حين رثت عثمان بن عفان رضي الله عنه . ويظهر ان الفلواتبرز خاصة في مراثي ليلى ، فهي مفالية في حزنها ولوعتها ، وهي مفالية في ما تسقط على توبة من الصفاة . ولكنه غلو صادق من حيث التفجع ، وغير برى من حيث علاقتها المريبة بتوبة الذي قالت فيه في حياته :
وندى حاجة قلنا له لا تبج بها فليس اليها ما هييت سبيسل
لنا صاحب لا ينهفي ان نخونه وانت لا أخرى فارغ وحليسل^١
ثم وصفته بعد مقتله فقالت :
وتوبة احيا من فتاة حييسة واجراً من ليث بخفان خسار^٢

١ . ديوانها / ٢٥ .

٢ . ديوانها / ٨٠ . خفان : مأسدة قرب الكوفة . الخادر : المقيم

ومن المبالغة في وصف توبة قولها :

پنهان علیات الاثر بہونہ
اذا ہی ایت کل خسرق مشرف

وقولها : بعيد الثرى لا يبلغ القوم قممه الد مله يغلب الحق باطله

ولا يهف غلوها عند الممانى التي تبرزها الصور المادية ، بل يتعدى ذلك

الى الفاظها كأن محمد الى صفيح المبالغة ، ومن ذلك قولها : و...

وقد كان ملاع الشجاد وبين اللسان ، ومدلاج السرى غير فاتسر

وقولها " ضروب على اقترانه بالصفائح " { كما تصف سيفه بأنه " قطاع " °

وليس لا تأني في تشكيل صورها ، وإنما تكفي بالصورة البيانية

الحسية القصيرة التي تقع - غالبا - في بيت واحد - نزلها :

وڪا لسيف ان لا پنهتہ لان متنہ وھداه ۛ ان خاشنتہ - خشنان

٧ وقولها : يشبهون ملوكا في تجلتهم وطول أفضية الأعناق واللمم

كما ان الفاضلها - في مجملها - سهلة فهي لا تتوعد ولا تكثر من الفرييب

وقد يكون لغلبة الرثاء على شعرها سبب في ترك نفسها على سجيتها .

ومما يلاحظ ان كثيرا من المحسنات ترد في شعرها ، ولكن يبدوا انها تجي ،

دون قصد اليها أى انها ليست مطالبا . ومن ذلك " الطباق " في قولها :

وتوبه للخصم ان جاروا وان عدلوا ويدلوا الامر نقضا بعد امرار

ان يصدروا الامر بتعلمه موارد
أو يوردوا الامر تحليله باصدار^٨

١٠ ديوانها - ٩٠ . بهونة : برفق ويسر : الخرق : السخي .

مشرف : جعل له شرف . ٠٢ ديوانها ٩٧ / اللدر : شدة الخصومة .

۸۳ / ۰۳ دیوانہا ۶۲ / ۰۴ دیوانہا

۰۵ دیوانها / ۹۱ ۰۶ دیوانها / ۱۱۲

• ۷۵۶ • ج۵۸ / ۱۱۸

وقد مرينا انها عمدت الى تكرار الشطر ، وهي تكرري
الكلمات كذلك :

اذا هبط الحجاج ارضا مريضة تتبع اقصى داءها فشاها
شفاها من الداء العضال الذي بها

غلام اذا هز القناة سقاها

سقاها دماء المارقين وعلها اذا جمحت يوما وخيف أذاها^١

وقد يدل هذا الضرب من التكرار على انها تريد ابراز المعنى الذي يسيطر
على كيانها ، وهو - فوق ذلك - يكسب بعض اشعارها غنائية محببة .

ابن ميادة

=====

هو الرماح بن أبرد المرزلي . كان والده غيلة من الفضل ورثة من الرث^٢ ،
وأمه ميادة ، التي نسب اليها ، أمة صدقلية أوبركية . وكانت زوجة لعبد
اسمه " نهيل " ثم اشتراها بنو ثوبان ، فأخذت ترعى الابل مع أبرد الذي
واقفها ثم تزوج منها بعد أن سملت بالرماح . أما عمه فكان شاعرين أمهما
سلي بنيت كعب بن زهير ، ولذا قيل : أثناء الشعر من أعمامه من قبل جد^٣ م
زهير . ويمتدح ابن ميادة أنه لم يدرك موته الشمرية متى واطأ الحطيئة^٤
ولذا ، قوله :

فدو العش والمدور أصبح قاريسا تمشى به ظلمانه وجآذره
ولاحظيئة :

عفا مسحلان من سليبي فحامره تمشى به ظلمانه وجآذره^٥
ويمكن النظر الى القضية من طرف آخر يكسبها بعدا فنيا ونفسيا ،
فعلاقة التشابه بين الشاعرين كبيرة ، ان شمة أنساغ فنية تربط بينهما ،
فصلة الحطيئة بال زهير معروفة . بل انهما يتشابهان في بيئتهما الخاصة
التيقة ، أعني موقف كل منهما من والديه ، فقد نشأ في وسط مشبه ،
واذا كان الحطيئة قد جهر بذلك ، غير مرة فان ابن ميادة قد لجأ الى وسائل
كثيرة لدفع التهمة ، فهو يأبى الا أن تكون أمه فارسية ، وكأنه يوم نفسه
بذلك ، ويظن أنه قادر على اتهام الآخرين ، وهذا يتخلل من هذه السبة
بلجوه الى أمجاد الفرس :

أنا ابن أبي سلي وجدي ظالم وأمي حرمان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيض عليه التمام

-
- ١- أنظر شعرا بن ميادة ، المقدمة / ٧ حيث ذكر الدليبي اسمه كاملا
 - وعزى للخلاف فيه . ٢- الأغاني ٢ / ٢٦٥ ٣- الأغاني ٢ / ٢٦١
 - ٤- الأغاني ٢ / ٢٦٨ ٥- الأغاني ٤ / ٢٦٩
 - ٦- الأغاني ٢ / ٢٦١ ، شعره / ٩٨ .

- ٢٥٤ -

ولعل ما يؤكده هذا الرأي قول ابن ميادة لمن نبهته الى أمل أمه الحقيقي :
 " انه من جاع انتجع ، فدعها تسرف في الناس فانه من يسمع يخل^١ ولكن أنى
 له ذلك ، والأمر معروف في أوساط الشعراء والعمامة مما أفسد عليه حبه ،
 وجعله يجهر بمأساته :

لقد حرمت أمي علي عذمتها كرائم قومي ثم قلة مالها^٢

ولما تخلت من عقدة الفقر بتكسبه ، وطالبه النوال من مدد وحبه بقيت عقدة
 النسب التي لم يستطيع لها دفعا ، ولكنه ظن أن المال سيحقق طلبته :
 ألم تر قوما ينكحون بمالههم ولو شطبت أنسابهم لم تزوج^٣
 ويبدو أن المال لم يغير من نظرة الناس اليه ، رغم تبجحه بامتلاكه . فحين
 خطب امرأة من بني البهثة أبوا أن يزوجه ، بعدة أنه هجين وهم أشرف
 منه^٤ ، فقال :

فلوطا وعنتي آل سلمي بن مالك لأعطيت مهرا من مسرة غلة ليسا
 وقبل ذلك، فشل في حبه أم جحدر المرية .

والقدماء يكونون ويوردون حكاية ينازعها اياها عقيل بن علفة وهي بالثاني
 أمه ، ومنها ندرکه أن ابن ميادة تزوج وأنجب ، ولكن القدماء يرضنون
 بأخبار زوجته وأولاده الذين لم يذكرهم في شعره الا في قوله :
 اذا مت يا قومي فلا تدفنني فأبغض جيران الي قبور

١- الأغاني ٢/ ٢٦٢ ٢- شعره / ١٠٤

٣- شعره / ٣١ ٤- الأغاني ٢/ ٢٤٠

٥- الأغاني ٢/ ٣٢١ . قيل ان الوليد بن يزيد سأل ابن ميادة :

من تركت عند نساءك ؟ قال : رقيمين لا يخالفان طرفه عين :

الجوع والمروء . وهذا القول والجواب يروى أن عمر بن عبد العزيز وعقيل
 ابن علفة تراجما هما .

— ٢٥٥ —

وان تدعوني يا بني تغشني
 ثعالب في أوطانها ونسور^١
 ولم يذكر الشعراء الذين ناقضوه ونافقوه زوجته في شيء . والمهم أن
 ابن ميادة نشأ وعاش تحت وطأة واقع نفسي مريب ، وفي بيئة تعد خائفة
 الأهل ذنبا لا تغتفره . ولكن شاعرنا لم يستسلم ، فأخذ يبحث عن الشهرة
 على يد الثلثة .، ويبدو أنه كان ممقرا بفنه :

قسني الى شعراء الناس كلهم وادع الرواة اذا ما غلب ما اجتلبوا
 اني وان قال أقوام مدحهمهم فأحسنوه وما يهابوا وما كذبوا
 أجرى أما هم جرى امرئ فلج عنانه حين يجرى ليس يشارب^٢
 كما أنه كان معجبا بأولئك الذين شغلوا الناس بالسنتنتهم ، أعني شعراء النقائش
 فأراد أن يحذو حذوهم في فن القول ، وما يؤيد ذلك ما روى من أنه لقي ابن
 حرمة ، فقال له : " والله لقد كنت أحب أن ألك ، لا بد من أن نتهاجى ،
 وقد فعل الناس ذلك ، قبلنا " ويذكر أن ابن ميادة " كان طالبا لمهاجاة الناس
 ومساباة الشعراء " وقد ناقض الحكم الخيمري في كثير من القصائد ، ولو
 بحث عن السبب لكان التنافس في فن القول بين الشعراء كما سيأتي ، ولعل
 الأصح قد أماب حين ذكر أن ابن ميادة حسد الحكم الخيمري شعره .
 واصحاب ابن ميادة بكثير من الشعراء الذين وجدوا في عقدته منفذا يسمون
 منه سهامهم ، ولكن ابن ميادة استمد وأظهر لا مجالاته ، فكان يقول :
 لأنه حين يسمع شعرا فيهما :

١- شعر / ٥٤

٢- شعره / ١٨

٣- الأغاني / ٤ / ٣٦٦

٤- الأغاني / ٢ / ٢٦٣

٥- الموشح / ٢٢٦

- ٢٥٦ -

اعرنزني عياد للقوافي واستسمعيهن ولا تخافني
ستجدين ابنك ذا قذا ف

ديوانه :
=====

ذكر العيني في "المقاميد النونية" أن لابن ميادة ديوان شعر .
ويذكر محمد نايف الدليمي ، جامع شعره ، أنه لم يوفق في الحصول على نسخة
من هذا الديوان^٣ ، ولذا اضطر الى جمع أشعاره من المئتان المختلفة .
ويبدو أن كتاب الأغاني^٤ أهم مرجع لشعر الشاعر وسيرة حياته . بل إن المراجع
الأخرى - كتاريخ ابن عساكر ، وخزانة الأدب - تعتمد الأغاني مع خلاف
بسيط .

ورغم الجهد الذي بذله الدليمي في جمع شعر ابن ميادة وتحقيقه ،
فقد عثرت على أبيات لم يشتمها في شعر الشاعر ، لأنه لم يستوف المراجع المطلوبة ،
كما يظهر بعض التسرع في عمله . فهو يثبت "تاريخ ابن عساكر" ضمن المراجع
للمراجع التي اعتمدها ، ولكنه - فيما يبدو - اعتمد ترجمة ابن ميادة في
الكتاب المذكور ، ووقف عند هذا الحد ، ولو قلب صفحات الكتاب لوجد
قطعة للشاعر لم يذكرها الأصفهاني . ففي المجلد الثالث في ترجمة
" ثابت بن نعيم الجذامي " الذي خرج على مروان محمد بفلسطين ،
ثم حرب الى مصر فأفسره الحوثة الباطلي وأرسله الى مروان فقتله -
قصيدة من تسعة أبيات يشيد الشاعر فيها بأبطال قيس الذين قتلوا على
الفتنة ويفتخر بأيام قيس ومعاركهم . وابن عساكر لا يقطع في نسبة القصيدة
الى ابن ميادة بل يقول : " وقال فيه " أي ثابت بن نعيم الجذامي -
بعض شعراء قيس وقيل انه ابن ميادة^٥ " وهذا القول يوجب وضع القصيدة

١ . شعره / ٧٣ . اعرنزني : اشتدى ٥٩٧/٤٠٢

٢ . شعر ابن ميادة ، المقدمة / ١٣ . الأغاني ٢٦١/٢ وما بعدها

٣ . ص ٣٢٨ - ٣٣١ . ٤ . ٣٧٢ ٥ . ٣٧٢ / ٣٠٧

ضمن باب المنسوب الى ابن ميادة - حسب ترتيب المحقق - لولا
ان الج' مذكور في كتاب " الحيوان " ^١ بيتا منها ونص على انه لابن
ميادة ، وهو

وعند الفزاري المراقي عارض كأن عيون القوم في نبضه جمر
وهو البيت الثامن في الترتيب عند ابن عساكر مع اختلاف بسيط . كما
ذكر " الكندي " (ت ٣٥٠ هـ) في كتابه " الولاة والقضاة " بيتين
من القصيدة ، وذكر انهما لابن ميادة ، وهما :

لقد سرتني ان كان شيء يسرتني مفار ابن هبار على بلخ والسفر
وحوثة المهدي بمصر جياده وأسيفه حتى استقامت له مصر
والبيت الاول لا تتضمنه الابيات الموجودة في تاريخ ابن عساكر ، اما
البيت الثاني فهو الخامس عند ابن عساكر مع اختلاف في بعض الكلمات
وبذا نكون قد عرفنا من القصيدة عشرة ابيات ، اثبت منها جامع شعره
بيتا واحداً ذكر في كتاب الحيوان . والابيات - كما يبدو - تسير على
هذا النحو :

(١) مالت جذامي الذي آجتز رأسه	ولحيته ثم ابتفى ملكنا غنسر
حذار كأن يلقاه يوما بمواطن	فوارس يرويه ابو الورد والصقير
فوارس صدق لا يبالون من شوى	فما الشام (لحمار) منازلهم ^{بحرون أزعاجاً عولها أسر}
لهم تركوا ما بين نمر والقفا	قفا الشام (هوار منازلها) صفر
لقد سرتني ان كان شيء يسرتني	مفار ابن هبار على بلخ والسفر
وحوثة المهدي بمصر جياده	وأسيفه حتى استقامت له مصر
فما لك بالشام المقدس من منزل	ولا لك في نجد ذراع ولا شبر
وهالك بين الاخشبين معرس	بمكة الا حيث يرتقب الوتر

٣٠١ ص ٣٢٢ والبيت في شعر ابن ميادة / ٥٥ ص ٩١ .

٣٠٣ ص ٥٥ / شعره .

وعند الفزاري المراقبي عارض كأن عيون القوم في نبضه الجمر
وان لقيس كل يوم كريهة وقائع سرور بها الذئلب والنسر
وهذه القصيدة مهمة لانها من القصائد القليلة التي تفصح عن موقف بعض
شعراء مضر من الفتن الداخلية ايام مروان بن محمد .
وتروى قصيدة ابن ميادة " الرائية " التي مطلعها :
ألم تر ان الصاردية جاوزت ليالي بالمدور غير كثير
في " الأغاني " روايتين مختلفتين بالنظر الى عدد الابيات والى بعض
الألفاظ ، وقد اعتمد الدليمي ١ رواية واحدة ٢ وأهمل الاخرى ، فلم
يشير اليها وذلك سقط بيت من القصيدة ، وهو :
وقالت وما زادت على ان تبست عذيرك من ذى شية وعذيري ٣
ويبدو ان ترتيبه العاشر في القصيدة .
وفي كتاب " المقضب " للمبرد هذا البيت :
بكيت وما بكأ رجل حزين على ريمين : مسلوب والي
وقد نسب البيت عند سيويه الى رجل من باهلة ، ونسبه السيوطي الى
ابن ميادة ٤ . ولم يثبت الدليمي .
وفي كتاب " المولدة تبيين ابي تمام والبحري " بيتان لابن ميادة لم
يثبتهم الدليمي لانه لم يعتمد الموازنة مرجعا من مراجعه ، والبيتان
كما :
يذكرنيها ان تغنت حمائم لهن على خضر المضاه عويل
تجاوبن في حد النهار بمولة وأخرى توافي الشمس كل اصيل

١ . شعر ابن ميادة / ٥٩ ٢ . وهي الواردة في الأغاني ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٠
٣ . الأغاني ٢ / ٢٧٧ ٤ . ص ٢٩١ .
٥ . انظر هامش ص ٢٩١ من المقضب ٦ . ص ٥٢ .

- ٢٥٩ -

ويبدو لي أنهما من القصيدة رقم (١١٧) حسب ترتيب الدليبي ،
فهما يشتركان معها في البحر والقافية ، كما ينسجمان معها في المعنى
وفي كتاب " المصنع " لمجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن

الأثير بيت لم يثبت الدليبي وهو :

اني وعدت بلي نوم يلفهم ——— شمر بثياب الحرب مجتلب
ولم يعتمد الدليبي كتاب " الميرون والحدائق " وفيه القصيدة التي رثى
فيها ابن ميادة الوليد بن يزيد . والدليبي يذكر القصيدة ولكن رواية
" الميرون والحدائق " تختلف قليلا ، فهذا البيت يرد في الشعر المجموع
هكذا :

لقد فعلت بنو مروان فعلا ——— وأمنسها ما يسوغ به القراح^٢

ويرد في " الميرون والحدائق " هكذا^٣ :

لقد فعلتم بنو مروان فعلا ——— ذمها ما يسوغ به القراح

وقد يكون الصحيح هكذا :

لقد فعلت بنو مروان فعلا ——— ذمها ما يسوغ به القراح

شمسه :

قال ابن ميادة في اغراض الشعر التقليدية المعروفة ^١ الا ان اشهر موضوعين في شعره هما الهجاء ، والغزل . وسأحاول - الآن - درسهما ثم امر سريعا على بعض موضوعاته الأخرى .

ابن ميادة هجاء :

استفرك الهجاء كثيرا مما وصل من شعر ابن ميادة ، وما وصل منه قليل اذا ما قيس به كله . يقول الأصمعي : " ولحكم الخضرى وابن ميادة مناقشات كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وألغيت ، وذكرت منها لهما من جيد ما قاله لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائر فبطول ^٢ ويقول في موضع آخر : " ولهما أراجيز كثيرة طويلة جدا اسقطتها لكثرتها وقلة فائدتها " . ويهون الأمر لو ان الأصمعي روى قصائد ^٣ الهجائية كاملة ، ان كثيرا ما يصطدم الباحث بكلمة " ومنها قوله " في ثلث أبيات القصائد ، مما يوكد ان المؤلف حذف منها ولم يروها كاملة ، هذا الى ان كتاب الأغاني هو المرجع الرئيس لشعر الشاعر ، وان غيره اما ناقل عنه او ذاكر نتفا لا تشفي غلة .

ولابن ميادة فضل كبير في إعادة النقائض جذعة بعد موت اقطابها الثلاثة . ذلك انه اصطدم بكثير من الشعراء حتى قيل انه كان " عريضا للشر طالبا مهاجاة الشعراء " ومضابة الناس " ٣ ولذا كان سببا في بعض الممارك الكلامية بينه وبين غيره من الشعراء . ويرى الدكتور حسين عطاوان :

" انه كان يبغى هو وخصومه جميعا قطع اوقات فراغهم والترفيه عن انفسهم ، والترويح عن المشاعدين الذين كانوا يخرجون لسماعهم ومضاهاة شعراء النقائض في المراق ^٤ ومحاكاتهم " ويستدل على ذلك بما جاء في الأغاني ^٥

١ . الأغاني ٢ / ٢٩٨ ٢ . الأغاني ٢ / ٢٩٢

٣ . الأغاني ٢ / ٢٦٣ ٤ . الشعراء من مخاضرم بني الدولتين / ٣٢٩

٥ . ٢٩٥ / ٢٠٥

- ٢٦٨ -

من انه كان يمين مكان المناقضة وزمانها ، وان الناس من عشيرته وعشيرة
خصمه كانوا يحضرون المهاجاة ، ويذهب الدكتور عطوان بعيدا حين
يقول : "ومما يرجح ان الفاية من مبارزته لا ولئك الشعراء لم تكن تخرج
عن التسلية وقتل الوقت ، انه كان يضطر الى مهاجاة خاله عقبة بن كعب
ابن زهير ، اذا لم يجد احدا مهاجيه " ولا يستطيع الباحث ان يطعن
الى هذه الأقوال ، وان كانت تصدق في تفسير بعض نقائضه . . . واذا كان
القدماء ذكروا رغبته في هجاء غيره فان هذه الظاهرة لا تنسحب على كل
شعره الهجائي . فقد كانت بعض اهاجيه ردا على هجاء غيره له او لعشيرته
اي انه لم يكن البادى دائما . ويبدو ان ميادة كان يستشعر منزلة قبيلته
الصغرى " مرة " التي تنتهي الى ذبيان :
اذا حل بيتي بين بدر ومازن ومرة نلت الشمس واشتد كاهلي^٢

كما كان يستشعر عظمة قبيلته الكبرى " قيس عيلان " وفي شعره ما يؤكده
ذلك . ولذا فهو يحمل عموم قبيلته ويتخصب لها ، والعصبية درجات .
وقد انبرى ابن ميادة رادا على من هجاء قومه واشتبك معهم ، ومن هنا
نفسر هجاءه بلاني مازن وفزارة من ذبيان : لانهم ظلموا بني الصارد
- والصاردين مرة - وأخذوا اموالهم ، فقل فيهم^٣ :
فلاؤردن على جماعة مازن خيلا مقلصة الخطى ورجالا
ظلموا بذى أراك كأن رؤوسهم شجر تخالاه الربيع فحالا
فكان ذلك سببا في رد رجل من مازن عليه بنقيضة يعيره فيها امه وأباه
ويهجو قومه :

يا ابن الخبيثة يا ابن طلبة نهيل هلا جمعت كما زعت رجالا
... ميده أم ... نهيل أم ... تنازل الأبطال^٤
ولئن وردت على جماعة مازن تبغي القتال لتلقين قتالا^٤

١ . الشعراء من مخضرمي الدولتين / ٣٢٩ ٠ ٢ . شعره / ٨٨
٣ . الأغاني ٢ / ٢٦٦ ، شعره / ٧٩ وذو اراي : موضع بين الفيحاء والمدينة
٤ . الأغاني ٢ / ٢٦٦ .

وهجا خاله عقبة بن كعب بن زهير بن سلمي بن ظالم لا أنهم أكلوا
له بعيرا ، فاضطر ابن ميادة أن يدفع هجاء خاله ، ومعرّوف أن
رابطة المصومة عند العرب اقوى من رابطة الخؤولة ، فعندما هجا
عقبة رمط ابن ميادة قال ابن ميادة :

ولقد حلفت برب مكة صادقا لولا قرابة نسوة بالحاجر
لكسوت عبقة كسوة مشهورة ترد المناهل من كلام عائر^٢

ولما قال عسقية :

ألوما انني اصبحت خالا وذكر الخال ينقض أو يزيد^٣
لقد قلت من سلمي رجالا عليهم مسحة وهم المبيد

نقض ابن ميادة ذلك بقوله :

وان تك خالنا فقبحت خالا فأنت الخال تنقض لا تزيد
فيوما من مزينة انت حر ويوما أننت محبتك المبيد
أحق الناس ان يلقي هوانا ويوءكل ماله المبيد الطريد^٤

ويجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عقال
شديد الرأي في اليمن فتحرش بابن ميادة واعتلاه ، ولا يبعد ان يكون
عاب عليه امه . فاذا تذكرنا ان ابن ميادة كان شديد التعمص لقبيلته ،
وان العداء بين اليمنية والمضرية بلغ اوجه ايام الوليد بن يزيد الذي كان
ضحية تعمصه لمضرة عامة ولقيس خاصة ، ادركنا خطأ القول بأن السبب
في نقائص ابن ميادة وخصومه هو قطع الفراغ . فابن ميادة يتمثل عصبته
الكبرى ولذا فهو يفتخر على عقال بطول باع مضر في الفن الشعري ، وكأنني
به قد شمّر انه سيقهر ان اهتمر نسب عقال ، فهو لا يدانيه من جهة
الام والاب ، ولذا لجأ الى ما لجأ اليه وهو يعلم ان سيقيد عقالا في

١. الأغاني ٢/ ٢٦٨ ٢. شمرة ٦٤/ العائر : السائر .
٣. الأغاني ٢/ ٢٦٨ ٤. الأغاني ٢/ ٢٦٨ .

مضمون نقيضته ، فقال :

فجرنا ينابيع الكلام ونجبره فأصبح فيه نأو الرواية يسبح
وما الشعر إلا شعر قيس وخندف وقول سواهم كلفة وتلمسح^١
وهو بذلك يغمز عقالا ، ويفتخر ببيان قومه ويعرض بغيرهم . وقد وفق في
ذلك ، فجاءت نقيضة عقال اعترافا بما ذهب اليه ابن ميادة رغم أنه فضل اليمانية
بالسابق :

لئن كان في قيس وخندف ألسن ما وال وشمر سائر ليس يقسح
لقد خرق الحي اليمانون قبلهم بعمور الكلام تستقي وهي تنافسح
فللسابقين الفضل لا يجحدونه وليس لمخلوق عليهم تبجسح^٢
والقدما^٣ يسكون عن الحديث في السبب الذي دعا ابن ميادة الى هجاء بني
أسد وتسميم وكلاهما من خندف فرغضر الثاني . وكان هجاءه لهما سببا
في ممارسة لسماعة بن أشول الأسدي ، ونقيضة لعبد الرحمن بن جهيم الأسدي .

ويبدو أن مجال هذه النقائض الزمني كان في نهاية الدولة الأموية حيث حققت
قيس مكانة عالية في عهد الوليد ، كما كانت يد مرقان اليماني ، ويظهر أن
ابن ميادة قد أخذ بعزة قيس في هذه الفترة فخلق في فخره بعيدا ، وبالغ
ما وسعه وتناول حتى على قريش ، فأثتت قصيدته أشبه بخطبة حماسية .
ويعلق الدكتور حسين عطوان على مناقضته مع الأسدي بقوله : " ولم يتناقض
ابن ميادة وعبد الرحمن بن جهيم الأسدي طويلا ، ولكن ما بقي من نقائضهما
ينبرأ بأنهما كانا يتريثان ويدققان في تأليفها وبيانتها شديدا ،
وأنهما كانا يفيدان من الحقائق القبلية والوقائع التاريخية ويتمقان في دراستها
واستغلالها تعمقا بعيدا " .^٤ وإذا كان القول يصدق بعضه والصدق
على ما وصل من نقيضة ابن جهيم فهو لا يصدق على ما وصل من قصيدة ابن
ميادة التي يقول فيها :

بني أسد ان تغضبوا ثم تغضبوا وتغضب قريش ثم قيسا غضابها
وأحقر محقور تميم أخوكم وان غضبت يربوعها وربابها

١- الأغاني ٢/ ٣٠٩ ، شعره / ٣٢

٢- الأغاني ٢/ ٣٠٩ . تبجج : افتخار وتعتظم

٣- الشعراء من حضرمي الدولتين / ٣٣٤ .

- ٦٤ -

ألا لا أبالي أن تتخندف تخندف ولست أبالي أن يطن ذبابها
 فان لقيس من بغيس لنا صبرا اذا أسد كشت لفخر ضبابها
 ومنها قوله :

ولو أن قيسا قيس عيلان أقسمت على الشمس لم تطلع عليكم حجابها
 لنا الملاء إلا أن شيئا تعده قريش ولو شئنا لذت رقابها

وما أشبه نفس الشاعر في هذه القصيدة بنفيس عمرو بن كلثوم في معلقته ،
 وحين نقسمها ابن جهيم حمزى في نقيضته بأمر ابن ميادة ودافع عن قريش :
 ولو أغضبت قيس قريشا لجذعت سامع قيس وهي خضعة رقابها
 واستفاد من الوقائع القبلية والسياسية ، فعبرهم مقتل ابن خازم وقتية
 ابن مسلم :

وقد علم الملوخ بالشووم رأسه قتيبة أن لم تحم قيسا غزابه
 ولم تحمها أيام قتل ابن خازم وأيام قتلى كان خزيا مصابه

والدارس للقصيدتين يدرك أن الاسديّة تروى في قصيدته ، وعرف كيف ينال
 من هدفه أكثر مما فعل ابن ميادة ، رغم أنه الباديء بالهجاء ، وقد انقطع
 ابن ميادة حين عارضه سماعة بن أشول ولم يهاجه .

وإذا كانت أحاجي ابن ميادة مع غيره ممن ذكروا لخدمها وولا ، فإنه خاض
 معركة هجائية استغرقت كثيرا من شعره مع الحكم بن معمر الخنيزي المحازبي
 حين خط ابن ميادة من قيمة شعره . وكان الحكم حينما عنيدا دريبا على
 الهجاء ، وليست مقارنته أمرا مسورا . وقد قرنه الأصمعي بين ابن ميادة
 فجعلهما من ساقاة الشعراء . وحين لقي ابن ميادة مخرا الجعدى قال له
 ابن ميادة : " يا مخر أعنت علي ابن عمك الحكم بن معمر ، فقال له مخر :

١- شعره / ٢٠ ٢- الأغاني ٢ / ٣٣٤

٣- الأغاني ٢ / ٤٣٣ ٤- الأغاني ٢ / ٢٨٥

٥- فحولة الشعراء / ٥٣ .

لا والله يا أبا الشرحبيل ما أعفته عليك، ولكن خيل إليك ما كان يخيل الي ،
ولقد هاجمته فكنت أظن أن شجر الوادي يمينه علي " وكثيرا ما لجأ ابن
ميادة والحكم الى الرجز والسجع ، فألحقا بقبيليهما أنكا كثيرا حتى اضطر
بنو مرة الى استعداد والي المدينة على الحكم الذر ، فر الى الشام ومات هناك .
ويروى أنهما كانا يعميان مكان المناقضة وزعانها ، فيأتي كل منهما بمسحبة
جماعة من قومه ، وكأنهما يحاكمان شعراء النقائض في المراءاة . غير أنهما لم
يبلغا شأوا أولئذ ، إذ أن أكثر نقائضهما تدور حول الشتم وحتك الأعراش
والسخرية . . . ولم يتعمقا تعمق أولئذ ، الذين اعتمدوا أيام القبائل وتاريخها
مادة أساسية للنقضة كما استفادوا من التقلبات السياسية في العصر الأموي .
ورغم أن نقائض الحكم وابن ميادة لم تصل كاملة فإنه يبدو أن النقضة عندهما
كانت طويلة ، والقداماء ينمون على ذلك .^٢ كما كانت النقضة عندهما تبدأ
بمقدمة طليعية أو غزلية ، ثم تتخذ الفخر والهجاء مادة لمضمونها ، يقول
ابن ميادة :

ألا حيا الأبطال	بالمات سنينهما	بحيث التقت ريد النعام وعينها
ومنها قوله :		
فلما أتاني ما تقول محارب		تغنت شياطيني وجن جنونها
وحاكت لهم ما أقول قماءدا		تعالى بها صهب المهارى وجيدها
ألم تر أن الله غشى محاربا		إذا اجتمع الأ قوام لونا يشينهما
ترى بوجوه الخضر خضر محارب		يا وابع لو لم ليس ينفث طينها
لقد بناهتناكم سليم وعامر		فغمناهم انا كذا لك ندينهما
فمبارت لنا أهل الضئين محارب		ومبارت لهم جسر وذاك ثمينهما ^٣
إذا أخذت خضرية قائم الرحي		تمراك قنباها فطار طحينهما

١- الأغاني ٢/ ٣٠٢ . ساهم : قارع ، وليس في كتب اللغة أن " ساهم "

يتعدى لمفعولين .

٢- الأغاني ٢/ ٢٦٣ .

٣- الضئين : من الضئيل واحد ضائن وهو خلاف الماعز من الغنم . وجسر :

اسم لحى من أحياء العرب .

- ٦٦ -

وما حملت خضرية ذات ليلة
تحن بذى عاج شيوخ محارب
من الدهر الا ازداد لؤما جنينها
لتملب حتى قد أتاني جنينها^١
ولا يخفى أن هذه المقيدة قائمة على السباب والهجاء ، فهو يستغل سمة
لونهم في شن حملة عليهم ويصرخ بنسائهم ، ويصفهم باللؤم . . . فرد عليه
الحكم بنقيضة بدأها باللمن في أمه ، وشم بني مرة ، وردد بعض الممانى
التي ذكرها ابن ميادة مع تغيير لطيف في اللفظ كقوله :
فما حملت مرة قط ليلة
من الدهر الا ازداد لؤما جنينها^٢
وعندما قال الحكم الخضرى في ابن ميادة قصيدته " الرائية " التي بدأها
بذكر الأطلال ، ثم افتخر فخرا قبلها انتقل بعده الى الهجاء ومنه قوله :
فيل مر قد أخزاه ، في كل موطن من اللؤم خللات يزدن على العشر^٣
فمنهن أن العبد حامى ذماركم ونفس المحامي المبد عن حوزة الشر^٤
وهو فيها يقذع في هجائه ، ويسخر من هجويه ، ويعتبر عودهم بابن ميادة
للدفاع عنهم سؤلة من سواتهم :
ومنهن أن عدتم بأرقط كودن ونفس المحامي أنت يا شرطسة الجفر^٥
أجابه ابن ميادة بنقيضة سار فيها على غرار ، حيث عد لمحارب عشرا من
المخزيات ، قاتهمم بالبخل والمذلة ، وأقذع حين اتهم رجالهم
بمواطاة النأان ، والنقيضة تجرى على هذا النحو :
لقد سبقت بالمخزيات محارب وفازت بخلات على قومها عشر
فمنهن أن لم يمحروا ذات ذروة لحد إذا ما احتيج يوما الى العقر
ومنهن أن لم تمسحوا عربية من الخيل يوما تحت جل على مهر

١- الأغاني ٢ / ٣٠٠ ، شعره / ١٠١

٢- الأغاني ٢ / ٣٠١ ٣- الأغاني ٢ / ٢٦٨

٤- الأغاني ٢ / ٢٦٩ . الكودن : البرزون الهجين ، يريد انسانا

كالبرزون .

٥- الجل : ما يتخذ على ظهر الدواب من القماش وغيره لوقايته .

ومنهن^١ أن لم تضربوا بسيفكم
ومنهن أن كانت شيوخ محارب
ومنهن أخرى سوءة لو ذكرتها
ومنهن أن الضار كانت نساء كسم
ومنهن أن كانت عجوز محارب
ومنهن^٢ أن لو كان في القبر بعضكم
وتكفني بهذا القدر من نقائص ابن ميادة مع الحكم وهي كثيرة . وفيها تلح
بوضوح ، انهما حافظا على الخصائص الشكلية للنقائص من تقيد بالوزن والقافية
والروى وان اختلفت الخصائص الموضوعية ، بحيث يستطيع الباحث ان يلمش
الى ان النقائص لم تمت بموت فجولها ، بل كتبت لها الحياة لفترة زمنية ، وكان
لابن ميادة فضل في ذلك .
ويبدو لي ان ابن ميادة كان مغلبا في اهاجيه ، وقد مر بنا تفوق عبد الرحمن
ابن جهيم الاسدي عليه ، كما انه عندما سمع معارضة سماعة بن اشول لـ
قال : " من هذا ؟ لقد اغلق علي اغلق الله عليه ، وسكت عنه^٣ .
ورفع ابن ميادة ان يهاجي شقران مولى بني سملسان حين هجاء ،
بحجة انه عبد لا يدانيه في الحسب والنسب . ويبدو من ابيات شقران انه
كان هجاء سليل اللسان ، وقد شهد له الوليد بن يزيد بالغلبة على ابن
ميادة^٤ .

-
- ١ . الفيشل : طرف الذكر . القرح : جمع قرح وهو الشاذ .
 - ٢ . لا تريش ولا تبرى : أى لا تضرب ولا تنفع . ٣ . بنو وير : قبيلة باليمامة .
 - ٤ . الشام : نوع من النباتات كانوا يستعملونه لازالة البياض من العين واحدته ثلثة .
 - ٥ . تريغ : تاللب ، وعنى بها الشاعر تستر وتخفي .
 - ٦ . ضاحي الجلد : ظاهره . ٧ . الاغانى ٢ / ٢٩٩ ، شعره ٦٠ /
 - ٨ . الاغانى ٢ / ٣٣٣
 - ٩ . الاغانى ٢ / ٣٠٨ .

وقد لمح بعض القدماء الى تغلب الحكم عليه ، ومن ذلك كتابه لسخر
 ١ بن الجعد ورد سخر عليه كما ذكر . ويروى أن بهـ غـ قريش ، ممن
 خالاتهم من مرة لا عوا ابن ميادة لمهاجراته الحكم بقولهم : "أتتعرى له ولست
 بكفته فيشتتم أمهاتنا وخالاتنا وهو رجل خبيث اللسان" ويذكر أن ابن
 ميادة ٢ والذي صالح الحكم الخنزي ، وأنه فعل ذلك لبقاء مصلحة
 شخصية . ولا يبعد أن يكون ابن ميادة شعر بقهر باعه اذا ما قيس
 بالحكم الى درجة انظر من معها أن الحكم يستعين بالشعراء في مقارعة
 وقد أساب يا قوتله سموي في قوله : "كان بين الحكم والرماح بن أبود
 المعروف بابن ميادة مهاجرة ومواقف كان الغلب في أكثرها على الرماح" ٣
 ويظهر أن الحكم كان مسورا بارعا اتخذ سيرة ميادة ونهبل مادة لريشة
 كاريكاتيره :

رمى نهبل في فرج أمك رميعة
 بحوقاء تسفيها العروزة الشواجم ٤
 وقوله :

أمياد قد أفسدت سيف ابن شالم
 حتى عادية أثلم باليسا
 وقوله :

ومنهن أن الميت يدفن منكم . . . على دفانه وهو في القبر ٦
 ورغم ما في هذه السور من اقذاع وافدماش فانها تنفجأ القاري بمقارقاتها
 العجيبة ، فتكون مدعاة للضحك والتندر ، وللشيوخ في الأوساط العامة
 والخاصة . ولذا لا يتفوق الباحث مع من يرى أن "ابن ميادة كان يتفوق
 على الحكم في الفخر والهجاء ، إذ كان يستشعر منزلة المشاعر القيسية
 التي ينتسب اليها ، ويمثل ماثرها ومفاخرها ، ويعتد بها ، في حين
 كان الحكم لا يحس شيئا من ذلك ولا يمتلئ به ، فقد كان ينتمي الى
 عشيرة ضعيفة ، بل الى اذل مشاعر قيس بالبادية " فهو قول تنقذه
 قضاة الحكم الهجائية وقد مر بنا طرف منها ، كما تنقذه أبياته في الفخر
 ومن ذلك قوله :

١- الأغاني ٢/ ٢٦١

٢- الأغاني ٢/ ٢٦٧

٣- معجم الأدباء ١٠/ ٢٤٠

٤- الأغاني ٢/ ٢٦٢ . الشواجم : الدائمة السب .

٥- الأغاني ٢/ ٢٦٣

٦- الأغاني ٢/ ٢٦٨

٧- أنوار الأغاني ٢/ ٢٦٣

٨- الشعراء من مخشرمي الدولتين / ٣٣٠ .

إذا بيست عيدان قوم وجدتنا وعيداننا تغشى على البقرة الخضر
 إذا الناس جاءوا بالقروم أتيتهم بقرم يساوي رأسه غرة البسدر
 لنا الفور والأنجاد والخيل والقنا عليكم وأيام المكارم والفخر
 ولا يصح أن تتخذ صفة محارب سببا في تفوق ابن ميادة ، إذا تذكرنا براعة
 الحكم وقدرته الشاعرية . والشاعر قادر على تخطي أزمته وقد استطاع الحكم
 ذلك ، كما استطاع جرير قبله ، بينما بقي شبح ميادة ونهبيل يورث الرماح
 وقد استغل مهاجموه عقدته ، فألحوا عليها .
 ومهما يكن ، فقد تألب كثير من الشعراء على ابن ميادة ، وكان وحده في
 الميدان ، فتمد - إلى حد ما - لمقارعتهم . وكان هجاء خبيثا للسان ،
 متمكنا من فن السباب .

ابن ميادة غزلا :

=====

احتل الحديث عن المرأة الجزء الأكبر مما وصل من شعر ابن
ميادة . ويرى ابن المعتز أن ابن ميادة " جيد الغزل ، ونمطه نمط
الأعراب الفيلحاء " وتحدث مصطفى الشكعة عن غزله فوصفه بالإنارة وأنه
" رسم على منوال الماشقيين من المذريين قولاً وسلوكاً " ورأى الدكتور حسين
عياوان أن " قصة حبه لأم جحدر العرية تماثل في بدايتها وتسلسل أحداثها
وتطورها وتعقداتها ونهايتها قصص المذريين ماثلة شديدة " ويتحدث عن
شعره في غير أم جحدر فيرى " أن الصورة البدوية للغزل العفيف تتحقق
فيه بكل مقوماتها ومعانيها " فالرأى أن متقارباً . ويبدو لي أنهما لم يمدرا
فيهما عن استقراء الشعراء في المراجع المختلفة ، إذ نجد في شعر ابن
ميادة الكثير من النساء من السراة والاماء . فقد تغزل بأم جحدر ، وليلى ،
وزينب ، وحسينة ، وأم البختری ومعروف أن من وصفوا " بالمذرية " ^١
وقوا اغزالهم على امرأة واحدة ، وكانوا يمدرون في شعرهم عن عفة وشكوى
وحرمان وتعطف للقليل القليل من أحبوا ، ونادراً ما تحدثوا عن مفاتن البوي
المحبوبة حديثاً وصفاً مادياً كالذي نجده عند ابن مياده الذي أكثر من
وصف ما وقع عليه نظره من مفاتن المرأة . فوصف لونها ورائحتها وطولها
وعنقها وخصرها وردفها وهو في ذلك كأجداده من شعراء الغزل
الذين علقوا بمفاتن المرأة فوصفوها ، ومن ذلك قوله :
ان البواال سدون المشي في خطل قامت شريكه قواما غير ذي أود
تمشي ككدرية في الجوق قدارة تهدى سروب قطا يشر بن بالثمد

١- طبقات الشعراء / ١٠٨

٢- رحلة الشعراء من لاموية الى المباسية : ٢٩٣ .

٣- الشعراء مخضرمي الدولتين / ٢٦٨ .

٤- الشعراء مخضرمي الدولتين / ٢٧٠ .

٥- شعره / ٤٣ .

وقولسه :

كأنها وهي على طيبها
بيضة أوحى لها حاضن
وقولسه :

حرامه أما ملاث أزارعها
كأن القرون السود فوق مقدما
وقول من قصيدة في زنب الحميمية:

تجاور من سهم بن مرة نسوة
نواعم أبكارا كان عيونها
ومنها يصف راحتها وعنفها معتمدا الاستدانة التشبيهية :

كان على المتن منها وديسة
يخال سحيق المساء يطر حولها
وما روضة خضرها يضر بها الندى
باطمب من ريح القرنفل ساطعها
وما طيبة ساقها لها الريح نعمة
بأحسن منها يوم قامت فأتلعت
الى غير ذلك من أوصاف حسية كثيرة . ويتعدى الشاعر ذلك الى الحديث عن
مغامرته حديثا يعمده عن الطاهر والعفة والبراءة ، رغم احتفائه ذلك حين
يفسر الدين على هواه ، ومن وجهة نظره :

وما نلت منها محرما غير أنني
وألثم فاحها تارة بعد تارة
واني على سوط الهوى وتجلدي
ولا غير الا أن تببت ملهوجا
وقد ينفع ترده على النساء المعزجات ، وشعره فيهن دليلا على مواقف
اباحية ، وفي ذلك يقول :

أحب الفواني الفارقات بعولها
وماذا يريد ابن ميادة من المرأة المتزوجة التي كرمت زوجها غير اللذة الجسدية ؟
وان كن لا يضمن راحة لا ميس
وانا تدخل الزوج في الأمر ، ومنعه من الزيارة انقلب ابن ميادة عليه
فهجاه وأقذع :

١- شعره / ٥١

٢- شعره / ٧٢

٣- شعره / ٥٧

٤- شعره / ٥٨

٥- شعره / ٢٨

٦- شعره / ٦٩

لقد ظلت تماونني عليهم
وقد غادرت عيسى وهو كلب
ولا أدعي أن ابن ميادة يجزى في كل شعره في المرأة مع هذا التيار
الحسي ، أو يقف هذه المواضع الاباحية لا يتعداها . ويبدو
أنه استوعب في شعره بعض ما جاء به سابقوه ، ولا أرى في أوصافه
الدمشقية جديداً ، فهو قد أطلع على شحازب غيره من الفرزليين ، يقول
متشبهها بصروة بن خزام وجميل بن معمر :
وأني لأخشى أن الاقي من الهوى ومن زفات الحب حين تنزول
كما كان لاقي في الزمان الذي مضى عرية من شغل النوى وجميل^٢
والقدماء يتحدثون عن قصته مع أم جحدر العرية التي علق بها بعد أن علا
رأسه بعض الشيب :
لقد كان حب الداربية بعدما علا في سواد الرأس نيز قثير^٣
ولا تصرف كثيراً عن أم جحدر ، ويبدو من أخبارها أنها كانت امرأة برزة
وكانت تحدث غير ابن ميادة ، ويظهر أنها لم تكن تبادل له الود رغم اختلافه
اليها . ويعلم أبوها بذلك ، فمزوجها رجلاً من الشام ، ويرحل بها زوجها
ويستشعر ابن ميادة ألم الفراق ، ويحاول أن يروى نفسه على الصبر ،
ولكن دون جدوى :
أجارتنا ان الخطوب تنسوب علينا وبعض الإثمين تهيب
أجارتنا لست الغداة ببارج ولكن مقيم ما أقام عسيب
فان تسأليني هل صبرت فأنني صبر على ريب الزمان صليب
جري بابتئات الحبل من أم جحدر ظباء وطير بالفراق نموب
نظرت فلم أعف وعافت فبينت لها الطير قبلي واللبيب لبيب
فقلت ، إرام أن نرى بعد هذه جميعين إلا أن يلم غريمب
أجارتنا صبرا فيارب ما لك تقطع من وجد عليه قلوب
وتشتد وطأة الفراق ، ويرى ديارها مقفرة ، ويتتبع رحلتها تتبعاً نفسياً
ويتمنى اللقاء ، ويقتل صبره فيبحث عن خبر منها ، ويصمم على السفر ،
ويمنف قومه الذين باعوا مهجته :

- ١- الأغاني ٢ / ٣٢٥ ، شعره ، ٦٤
- ٢- شعره / ٨٠ ٣- الأغاني ٢ / ٢٧٢
- ٤- شعره / ٦٠ ٥- أنظر الأغاني ٢ / ٢٨٧
- ٦- أنظر الأغاني ٢ / ٢٧٣ ، ٢٧٥
- ٧- شعره / ١٩٠

ألا حبيباً رسماً بذى العشر مقفراً
فأعجب دار دارها غير أنني
عشية أثني بالرداء على الحشا
يميل بنا شحط النوى ثم نلتقي
وبالغمز قد جازت وجاز مطاياها
خليلي من غيظ بن مرة بلغا
ألمأ على تيماء نسأل يهودها
ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر
وما ليت شعري هل يحلن أهلها
واني لأستنشي الحديث من أهلها
واني لأستحي من الله أن أرى
فلا وصل إلا أن تقارب بيننا
لعمري لأن أمسيت يا أم جحدر
فبهر القوم إذ يسمعون مهجتي
ويشد الرجال إلى الشام ، ولكنها ترده ، وتحرمه وصلها ، فيرجع يائسا
من لقاءها ، وتفيض نفسه أشمارا كثيرة مادتها الذكرى ، والتحسر ،
والألم تمنني اللقاء . ثم يفجع بها قبل أن يحقق الملبته لتمتعها عليه ،
فلا يطك إلا بكاءها : خ
خلت شعب الممدور لست بواجب
تمنيت أن تلقى به أم جحدر
قللموات خير من حياة ذميمة
وقوله :
وأخر عهد العين من أم جحدر
عراس ما ينطقن إلا تبغما
واني لأن القاء يا أم جحدر
وحكذا تنطوى قصته مع أم جحدر وفي نفسه ألم وحسرة لما وجد من حرمان ،
رده إلى قومه حيناً :

به غير بال من عشاء وهرمسل
وماذا تمنى من صدى تحت جنبدل
وللبخل خير من غناء مطسول

بذى العشر إذ ردت عليها العراس
إذا القيت تحت الرمال الطنافس
ويحتل أهلانا جميعاً لأبيس
وفي نفسه ألم وحسرة لما وجد من حرمان ،

١- نيان والغمز : موضحان .

٢- شمره / ٤٧ . قوله بهرا : أي أنه يدعو الله أن ينزل فيهم من الأمور
ما يهزمهم .

٣- شمره / ٤١

٤ - شمره / ٦٧ .

فبهرنا لقومي اذ يجمعون مهجتي بفانية بهرا لهم بعد ما بهرا^١
والى والدنا حينما آخر :
وقالت وما زادت على أن تبست عذيرك من ذي شية وعذيري^٢
كما رد فشله العام في حبه الى أمه وفقره :
لقد حرمت أمي علي عذمتها كرائم قومي ثم قلة مالميل^٣
واذا كان لنا تعليق نختم به الحديث عن غزله فهو أنه لم
يوفق في علاقته بالمرأة توفيقاً يدعو الى الاستقرار بالزواج . ويدو
أنه لم يكن يرغب في ذلك شأنه شأن الدنجوان الذي يحافظ على قوة
عشقه بالتنقل من مخدوعة به الى أخرى يحاول خداعها ، فان نجح في
ذلك عبر عن تجربته الحسية ، والا انكأ على نفسه يشيد بحرقته ،
ويتلذذ بها ، فان ضيق عليه وطلب اليه الزواج تملل بأن الزواج يفسد الحب^٤
وكأنه يمشق المشقة . ويدو أن الجاحظ تنبه قبلنا الى هذه القضية
حين قال : " أن العاشق متى ظفر بالمعشوق مرة واحدة نقيس تسعة
أعشار عشقه " وابن ميادة لم يظفر بأمر جحدر ، فبقي ملقاعاً بعشقه لها ،
متصوراً قلبه أشقى القلوب :
فلم ترعيني مثل ظبي لم يبار ولا كذلول فوقه لم تكسر^٥
بعدئذ ، لا تعجب ان رأينا الشاعر يتأرجح بين الحسية والمذرية
في شعره ، بحيث لا نستطيع نعتة بواحدة منهما دون الأخرى .
واذا كنا نجد صوت جميل في بعض شعره الغزل ، فاننا
واجدون صوت عربن ابن ربيعة في مفاخرته ، وفي اباحيته
وفي حوار القاصي . ولنختتم القول في غزله بقوله مستهلاً بقيدته
في مدح المنصور ، بهذه الأبيات الغزلية التي ترسم فيها خطى ابن ربيعة :
وكواعب قد قلن يوم تواعد قول المجد ومن كالمزاج
ياليتنا في غير أمرفادح طلعت علينا الميس بالرماح
بينا كذا ، رأيتني تصعبا بالخز فوق جلاله سرداج^٦
فيهن عفرأ المعاصم طفلة بيضاء مثل غريضة التفاح^٧
فناذن من خلل الحجال بأعين مرضى مخالطها السقام برحاح
وارتشن حين اردن أن يرميني^٨ نبلا بلا ريش ولا بقداج^٩

١- شعره / ٤٩ . ٢- الأغاني ٢ / ٢٧٧ - شعره / ١٠٤

٤- الأغاني ٢ / ٣٢٤ . ٥- ثلاث رسائل للجاحظ /

٦- شعره / ٦٢ . ٧- الجلاله : الناقة العظيمة . السرداج :
الباوية الكثيرة اللحم .

٨- الطفلة : الجارية الرقيقة البشرة الناعمة . الفريضة : الطرية

٩- شعره / ٣٤ . ارتشن : أخذن ريشا للنبل . القداج : السهام
قبل أن تراش وتتمل .

مسند ائمه :

=====

يذكر أن ابن ميادة لم يمدح غير قريش وقيس^١ .

ويؤكد شعره المجموع هذا القول ، فقد مدح الوليد بن يزيد وعبد
الواحد بن سليمان من الأمويين ، والمنصور وجمفر بن سليمان من
العباسيين . ومدح بني بدر الفزاريين وأكثر من الأئمة بمفاخر
قيس . وإذا كان ابن ميادة يستشعر منزلة القبائل القيسية التي
ينتمي إليها ، فإن الوليد بن يزيد قد أشبع نهمه القبلي حين تحسب لقيس ،
كما أشبع نهمه المادي بكثرة عالياة . وقد مر بنا أن ابن ميادة كان
يستشعر فقره وقلة ذات يده . وهو يتوجه إلى الوليد بن يزيد مدفعاً
بالرغبة في المطاء ، والأعجاب بالخليفة . ونهج في مديحه أسلوب
القدماء والمحافظين في العصر الأموي ، فلهذا المديح تمتاز عنده
بالطول وتعدد الأغراض ، فهو يبدأ " بأئيته " التي مدح بها الوليد
بذكر الأطلال :

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها سافي الرياح وستن له طائب^٢
ومن الأطلال إلى ذكر المرأة التي يشبهها بالطيبة التي ترعى ،
وقد توجست خيفة على ابنها الصغير الذي تركته فظال قلبها فسي
خفوق شفا عليه ، ثم يصف ريقها وامتلاء جسمها :
دار لبيضاء صود مسائحها كأنيها طيبة ترعى وتنتصب^٣
تحنوا لأكل الفتة بمضيعة فقلبها شفا من حوله يجب^٤
يا أطيب الناس ريقاً عند جمعتها وأطوح الناس ريقاً حين تنتقب^٥
في مرفقها إذا ما عونقت جسم على الأرجيح وفي أنيابها شنب^٦
وينتقل إلى وصف رحلته الشاقة ، ~~تسمعه~~ تسمعه ناقة شديدة قوية سريعة :
وليلة ذات أهوال كواكبها مثل القناديل فيها الزيت والمصاب^٧
قد جيت بها جوبة ذي المقراض مطيرة إذا استوى مغفلات البید والحدب^٨
بمنتريس كأن الدبر يلسعها إذا ترنم حاد خلفها طرب^٩

١- الأغاني ٢٦٩/٢ ٢- أنظر القصيدة في شعره / ١٦-١٨
الطائب : حبل طويل يشد به سرادق البيت . سافي الرياح : أعاليها .
المستن : من استن المطار إذا انصب . ٣- المسائح : ما بين الإذن
إلى الحاجب من المسر .

٤- يجب : يخفف . ٥- المجمع : كثرة اللحم . الشنب : البرد وعذوبة
الأسنان . ٦- المصاب : القطن وأحدثها عصابة فتوضع في القنديل
وتحرق لتضيئه . ٧- المقراض : المقترن . المطيرة : ثوب من الصوف يلبس
للوقاية من المطر . ٨- المنتريس : الناقة الغليظة .

بهذه الناقة وصل الى الوليد المصطفى :

الى الوليد أبي العباس ما علمت
لما أتيتك من نجد وساكنه
أعدايتني مئة صفرا مدامعها
وأنت وابنك لم يوجد لكم مثل
الحيون إذا طابت نفوسهم
ثم ينتقل الى الفخر بنفسه فهو لا يلج في السؤال ، ولا يخادع ندما ،
ولا يستأوي على شعر غيره بل انه يجرى أمام الشعراء اذا قورن بهم .
وبنبر ما وصل من مدحه لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الطاء أمير
المدينة ، أن الشاعر يسير على النهج نفسه .
وانا كان التكسب والاعجاب قد دفعا ابن ميادة الى مدح الوليد ،
فان التكسب وحده - على ما يبدو - هو الذي ساقه الى مدح المنصور ،
وهو قد توقف عن مدحه حين بلغه قلة ثوابه للشعراء ، ولذا جاء قوله فيه
مقتعلا لا رواء فيه ، ومن ذلك :

ان بني العباس في مشرف
يزل عنه العقر الأحمر

له الفعال وله الوالد الأكبر فالأكبر^٣

ومن ذلك مدحه جعفر بن سليمان :

يا جعفر الشيرات يا جعفر
ليتك لا تفنى ولا تقبر

ولا تزال الدجر في نعومة
يغدو عليك المسك والعنبر

للفاعل المعروف في قومه
لا يستوى المعروف والمنكر

قوم اذا ما حاربوا صابروا
وانما يقدر من صبر

ويرى الدكتور يوسف بكار أن ابن ميادة تخفف من التقاليد القديمة في مقدمة قصيدة

المدح ، ويستدل بقصيدته " الباعية " التي مدح فيها الوليد بن يزيد .

ويرى أنه استعملها بستة أبيات غزلية وهو يعتمد " معجم البلدان " مرجعا

لتخريج القصيدة ، ويتفق " معجم البلدان " مع " الأغاني " في اثبات

الأبيات الستة ، ولكن الأصمغاني يعلق على القصيدة بقوله :

" وهي قصيدة للرماح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد ، وقد أجاد

فيها وأحسن ، وقد كرت من مختارها مهننا طارفا . وواضح أن الأصمغاني

أسقط أبياتا من القصيدة ، ويلاحظ أنه انتقى أبياتا لكل غرض من

١- أنظر شعره / ٤٠ ٢- الأغاني ٢ / ٣٤٠

٣- شعره / ٥٢ ٤- شعره / ٥٣

٥- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري / ٧٣

٦- الأغاني ٢ / ٣٠٤

أغراضها ، واستطاع الدليمي - جامع شعر ابن ميادة - أن يضيف إلى رواية الإغاني ثلاثة أبيات ، وهذا نكون قد عرفنا خمسة وعشرين بيتاً من القصيدة ، منها ثلاثة أبيات طلمية ، وستة أبيات غزلية ، وثلاثة أبيات لمرحلته وناقته ، والباقي في مدح الوليد والفخر بنفسه . وهكذا يبدو - مما وصل من القصيدة - أن ابن ميادة لم يتخفف من التقاليد القديمة في مدحه بل ترسم خطى شعراء المديح التقليديين من حيث الشكل .
ويملق الدكتور بكار على مقدمة قصيدة ابن ميادة في مدح أبي جعفر الميموني ،

فيرى أنه " خلط القديم بالحديث وتنكب بعض الشيء عن نهج عمر ابن أبي ربيعة ، فعمر السابق عليه قد ركب الحمان ، فما باله هو يركب الناقة . وهو ابن القرن الثاني الهجري ؟ ليس من شأنه في أن حبال القديم والسير على منهاجه هو الذي اضطره إلى ذلك ، غير أنه حاول أن يعوّن تلك الصورة بصورة حضارية جديدة عندما وصف فتاته بالتفاحة الطرية وهي مالم نجده عند القدماء " . ويبدو أن الكاتب نسي أن ابن ميادة قد وى عاش فقيراً في بوادي نجد ، وابن ربيعة حضري عاش غنياً في المدينة ، فلكل أداته ولكل صورة التي يفرقها من بنيتها . أما وقوع التفاحة في ومفنته فقد سبق إليه ابن ميادة ، فحسان بن ثابت يشبه طعم رغباب الحبيبة بطعم خمر قد مزجت بعسل وما ، أو بطعم تفاح غش ، وذلك قوله من قصيدته التي مدح بها الرسول (ص) :

كأن سبيته من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء
على أنيابها أو بطعم غش من التفاح حمرة الجنساء
ويرى الدكتور مصطفى الشكعة أن ابن ميادة " لم يعمد في مدائحه التي وصلت إلينا إلى انتهاج المعاني السياسية " وهو قول تنقذه مدائح ابن ميادة ، ويبدو أنه كان أموي الهوي ، فقد أخلص لهم في شعره حتى بعد أن دالت دولتهم . وهو قد ارتبط بالوليد بن يزيد بأوثق عرى فكان يطيل الإقامة عنده ، وممروف أن كثيراً من الشائعات كانت تدور حول الوليد بن يزيد ، وقد استغلها خصومه أسوأ استغلال ، فكان ابن ميادة يحطي صورة مشرقة للخليفة المضم ، كقوله :

رأيت الوليد بن يزيد مباركاً شديداً بأعياء الخلافة كاهله^٤

١- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري / ٢٦

٢- ديوان حسان بن ثابت / ٥٩

٣- رحلة لشعر من لدولة الأموية إلى الدولة المباسية / ٢٩٣

٤- شعره / ٨١ .

ويمدح الوليد وابنيه ، وما اللذان أخذ لهما الوليد البيعة قبل
مقتله ، وكان ابن ميادة يزكيهما للخلافة :
وأنت رابناك ، لم يوجد لكم مثل
البايعون إذا ما ابت نفوسهم
ويقتل الوليد فيكيه ابن ميادة بكاء وفي له ، حريص على الخلافة الأموية :
لقد فعلت بنو مروان فعلا
فهل لكم إلى أمر رشيد
وتدول دولة الأمويين ويمدح ابن ميادة العباسيين رغبة في عطايتهم
ويستغل مدح جعفر بن سليمان والي المدينة ، ليتشفع للأمويين لديهم ،
مذكرا إياهم صلة الرحم بين البيتين ، ومدحها أحقية الخلافة في العباسيين
الذين ورثوا تراش الرسول (ص) :
لعمرك ، ما سيوف بني علي
هم القوم الألى ورثوا أبائهم
وهم تركوا المقال لهم رفيقا
خذ وتم قومكم ما قد خذ وتم
فردوا في جراحكم أساكم
فالمعاني السياسية واضحة في هذه الإبيات . ولم يكن ابن ميادة صادقا
مبع نفسه في مدح العباسيين ، آية ذلك ، أن بعض مدائحه فيهم أقرب
إلى النظم ، حيث يبدو فيها اصطناع الإعجاب ، على خلاف شعره في
الأمويين .

-
- ١- شعره / ١٨ . الشوس : جمع أشوس وهو من الشوس أي النثار
بمؤخر العين تكبرا وتغيضا .
٢- شعره / ٣٣ . القراح : الماء الخالص الذي لم يخالطه شيء
يكدره
٣- شعره / ٦٠ .

فخسره:
=====

اتهم الدكتور محمد حسين ابن ميادة بالتعصب للشعوبية^١
لأنه ابن أم ولد ، واستدل بقول ابن ميادة :
أنا ابن أبي سلمى وجدى الم وأمي ممان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى وخال الم بأكرم من نيطت عليه التمائم
وقد مر بنا أن الشاعر نسب أمه إلى الفرس ليتجاوز سوءة النسب به من جهة
أمه السلطانية ، ولم يستطع ابن ميادة أن ينتحل العروبة لها نسباً ، لأنها
أمة اشتراها قومه ، فاضطر إلى إلحاقها بالفرس لما لهم من أمجاد ،
وقال شعراً في ذلك ، ظناً منه أنه سيتخطى نقيضه ، وهو لم يدر في
ذلك عن شعوبية . وابن ميادة عربي أصيل من مرة صاحبة الشرف في غطفان ،
ولا يمكن أن يستبدل الشعوبية بعروبة . ولو تنبه الدكتور محمد حسين
إلى ما جاء به البيت السابقين لوضح له أن ابن ميادة قبيد كل
البعد عن الشعوبية ، إذ يقول :
لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة له سجدوا على أقدامنا بالجحاحم
ويروى أن الفرزدق كان ممن يستمع إلى الشاعر وهو ينشد قصيدته ،
فلما ذكر ابن ميادة البيت السابقين قال له الفرزدق : " أنت يا ابن أبرد
صاحب هذه العفة ، كذبت . . . أنا والله أولى بهما منك " واستبدل
الفرزدق دارما وابن دارم " بـ " ظالم وابن ظالم وانتحلتهما ، فأطرق ابن
ميادة فما أجابه بحرف . وقد يكون سكوت ابن ميادة خوفاً من لسان الفرزدق
وشعوراً منه بعدم مجاراته في الهجاء ، وقد يكون سكوته شعوراً منه بضعفه
والديه لا سيما أن الفرزدق لمج إلى ذلك .
وابن ميادة لا يفتخر بمنزلة القبائل القيسية بين القبائل العربية
فحسب ، بل أنه يفتخر ببلاء قيس في أنلال مرزبان فارس ، مما ينفي
عنه التهمة ، ومن ذلك قوله :
وأي من قيس وقيس هم الذرى إذا ركبت فرسانها في السنور
جيوش أمير المؤمنين التي بها يقوم رأس المرزبان المسور
وابن ميادة شديد الرأي في قيس ، ممتلىء عجباً بها ، ومدحه لقريش
لم يضمنه من أن يفخر بقومه عليها ، ولكنه في فخره على قريش يتحفظ

١- الهجاء والهجاءون / ٢١٠

٢- شعره / ٦٨ ٣- الأغاني ٢ / ٢٦٧ .

٤- شعره / ٨٠ .

دينا وسياسة ، يقول مفضلاً قومه على قريش وتميم وربيعة وقضاعة :
 اذا حل بيتي بين بدر وموازن ومرة نلت الشمس واشتد كاهلي
 فذلنا قريشا غير رهط محمد وغير بني مروان أهل الفضائل
 الى كل قوم قد خطبنا بناتهم بأرعن جرار كثير السواهل
 غزونا تمينا فاستبحنا نساءها وتغلب جد عنا ويكر بن وائل
 وفي كل حي من قضاعة وقفصة لنا ضخمة تبكي عيون الأرامل
 ونحن بنو ذبيان في رأس ربوة الينا تناهى عز تلك القبائل
 هم أنف قيس من يكل مثلها لهم من الناس يخلط قول حق بباطل
 وقوله يفتخر في ممرض هجائه بني أسد وتميم :
 ولو أن قيسا قيس عيلان أقسمت على الشمس لم يطلع عليكم حجابها
 ولو حاربتنا الجمن لم نرفع القنا على الجمن حتى لا تهر كلابها
 لنا الملك الا أن شيقا تعده قريش ولو شئنا لذلت رقابها
 وان غضبت من ذا قريش فقل لها معاذ الله أن أكون أهابها
 وواضح أن ابن ميادة - رغم تحفظه - يضرب على أوتار القيم الجاهلية ،
 ذلك أنه عاش فترة احتدام العصبية القبلية ، فامتألت نفسه بها ،
 وكان شاعراً عشيرته ، ولسان حال قبيلته قيس .

٠١ شعره / ٨٨

٠٢ شعره / ٢٠

في الخمرة :

يد و معا وصل من شعر ابن ميادة انه لم يكن كلفا بالخمرة
 فشمره فيها قليل ، وهو فيه مقلد سابقه كالأعشى وابن ارضطاسة
 ان في المعنى او في المعنى . يقول :
 ومعتق حرم الوقود كرامة كدم الذبيح تمجه اوداجه
 ضمن الكروم له اوائل حملة وعلى الدنان تمامه ونتاجه
 وهذا البيتان لا يعطيان جديدا في المعاني والتجارب الخمرية ،
 فالشاعر قد وقف عند وصف لونها وذكر مصدرها ، ووفر لهما غنائية لطيفة ،
 وايقاعا جميلا ، ومن شعره في الخمرة قوله :
 ولقد غدوت على الفتى في رحلة قبل الصباح بمترع نشاج
 جاد القلال له بدر صباية حمراء مثل سفينة الاوداج
 حبست ثلاثة احرس في داره قروا بين جوازل ودججاج
 تدع الفوى كأنه في نفسه ملك يمصب رأسه بالتاج
 ويضل بحسب كل شيء هولاه نجب العراق نزلن بالاحداج
 فهو يتحدث عن منادته لرفيق من رفاقه آخر الليل ، وكأنه يدل على انه
 مد من شربها ، ثم يذكر لونها فيشبهه بلون الدم ، وهي معتقصة
 لطول مكثها ، ثم يتحدث عن الأثر الذي تحدثه في شاربها حديثا
 يذكر بقول المخل الشكري :
 فاذا سكرت فاننسي رب الخورنق والسديري
 ويقول الدكتور حسين عطوان في حديثه عن الخمرة عند ابن ميادة
 " يظهر ان ابن ميادة كان يتكى على الأعشى ويحاكيه لا في سلاسة
 الفاظه ، وبسر ، تراكيه ، وفصاعة اسلمه ، وخفة اوزانه فحسب ،
 بل ايضا في القصص الخمرى " ويستدل على ذلك ببيتين رواهما
 الجاحظ في البيان والتبين ، وهما :
 ألا رب خمار طرقت بسد فسة من الليل مرتادا لندمانى الخمر
 فأنهلته خمرأ وأحلف انها طلاء حلاه كي يحملني الوزرا
 ولكننا لا نستطيع مجازة الدكتور عطوان في هذا القول اذا علمنا اننا
 لا نستطيع التأكيد على انهما لابن ميادة ، وانما كان الجاحظ قد
 نسبهما اليه فهما في كامل المبرد لأعرابي لم يسمه ، وفي حماسة ابن
 الشجري لأقصى بن جناب .

١. شعرة / ٢٨ ٢. شعرة / ٢٩

٣. الأغاني ٧/ ٢١ ٤. الشعراء من مخضرمي الدولتين / ٢٩٧

٥. انظر شعرا ابن ميادة / هامش ص ١١١

في خصائص شعره :

ذكر الأحمدي أن ساقية الشعراء ابن ميادة ، وابن هرمة ورومية ، وحكم الخضرى ومكين المذرى . ويذكر الأصفهاني أن ابن ميادة شاعر فصيح مقدم ، جملة ابن سلام في الطبقة السابعة .^٣ وعن يحيى بن علي قال : " كان ابن ميادة فصيحا يحتاج بشعره "

ولهذه الأقوال أهمية إذ أنها صدرت عن نقاد ورواة عرفوا بذوقهم المحافظ ، وتفضيلهم القديم على المحدث . وابن ميادة عاش في البداية ولم يخرج منها إلا منتجما مسترفدا للخلفاء والأمراء ، أي أنه عاش في بيئة بدوية محافظة فنهل اللغة من منابعها الأصلية ، وهذا استقام لسانه ، فكان فصيحا يحتاج بشعره ، ودلالة ذلك ، كثرة استشهاد أصحاب المعاجم كالجمهرة والاشتقاق ، وتهذيب اللغة ، واللسان ، والتاج بشعره .

ولدى التطواف مع الشاعر في الموضوعات التي طرقها في شعره نجد أن ابن ميادة لم يخرج عن تقليد من سبقه في معانيه وفي مانيته فقصيدة المدح عنده طويلة ، متعددة الأغراض ، والمدوح كريم ، شجاع ذو حسب ونسب . . . فان كان خليفة فهو صاحب الحق في الخلافة وكذلك تتميز قصيدة الهجاء عنده بطولها ، وتعدد أغراضها ، ووقوع الشاعر على معاني الهجاء التي سبق إليها ، وأكثر صفة الصقها ابن ميادة بصحبه هي صفة " اللوم " ومن ذلك قوله :

إذا سئلت عن بيت لـوم ودقة فسل عن بيت الخضر خضر محارب
تري اللوم في الخضرى قد تستبينه بمنزلة بين اللطى والحواجب^٤

وصفة اللوم من الصفات التي أكثر شعراء النقائس من التوقيع عليها . أما قصيدة الغزل فكثيرا ما تستقل عنده بموضوعها ، وهو ما سبقه إليه شعراء المشق الاسلاميون .

أما صوره فمادية محسوسة جزئية انتزعها من بيئة الصحراوية ، فحبيبته تشبه الظبية ، ورائحتها كالمسك والمنبر ، وعينها تشبه عين البقر الوحشي . . . وهو يعمد — كمادة القدماء — إلى الاستدارة التشبيهية لكنها ليست طويلة :

١. فحولة الشعراء ٥٣ / ٢ . الأغاني ٢٦٢ / ٢ . لكنني لم أجد له ذكرا
عند ابن سلام . ٣ . الأغاني ٢٦٦ / ٢
٤ . شعره / ٢٥ .

— ٢٨٢ —

وما روضة خضراء يضربها الندى
بأطيب من ريح القرنفل ساطعا
وما ظبية ساقط لها الريح نعمة
بأحسن منها يوم قامت فأتلعت
بها قنة من حنوة وعسرار
بما التف من درع لها وخمار
على غلة فاستسمعت لخسار
على شرك من روعة ونفار^١

وإذا قارنا بين الصورتين السابقتين وبين قول الأعشى :
ما روضة من رياض الحزن معشبة
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
يوما بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل^٢
خضراء جاد عليها مسيل هطل
مؤزر بعميم النبت مكتهـل

أدركنا أن الأعشى يطيل في عرض لوحته التي تجسد رائحة الحببية ، بينما
اكفى ابن ميادة باللمحة الموحية ، والخطفة السريعة ، والاستدارة القصيرة .

وللبحر الطويل الكثرة من بين البحور التي وقع عليها ابن ميادة ، وهو
بهذا يشبه الجاهلين الذين أكثروا من التوقيع على هذا البحر ، ويأتي
الرجز في المرتبة الثانية ، وقد ذكر الأصمعي أن لابن ميادة أراجيز
كثيرة . أما البحور الخفيفة الأخرى فقليلة في شعره .

محمل القول ، أن ابن ميادة لم يستجب لملاح التطور بل اشرب حب القديم ،
ففاضت نفسه بما حوت ، وكان متبعا لا مبتدعا ولذا أعجب المحافظون .

وتبقى ظاهرة تلفت النظر في شعر ابن ميادة ، وهي سطوه
على شعر غيره ولا يخدع الشاعر بقوله :
قسني إلى شعراء الناس كلهم
ولادع الرواة إذا ما غب ما اجتلبوا^٤

فقوله :

أجارتنا أن الخطوب تنسب
أجارتنا لست الفداة ببارح
فان تسألني هل صبرت فأنني
مسروق من شعر غيره " أما البيتان الأولان فهما لا مريء القيس قاليهما لما
احتضر بأنقرة في بيت واحد وهو :

أجارتنا أن الخطوب تنسب
وإني مقيم ما أقام عسيب
والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية ، وتمثل به علي بن أبي طالب
في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب ، فنقله ابن ميادة نقلا^٥

١ . شعره / ٥٨ ٢ . ديوان الأعشى / ٦

٣ . الأغاني ٢ / ٢٩٢ ٢٩٨ ٤ . شعره / ١٨

٥ . الأغاني ٢ / ٢٧٤

ويذكر الأصفهاني أن قصيدته التي يحن فيها إلى أهله ومطلعها :
 ألا ليت شمري هل ابنتن ليلة بحرة ليلى حيث ربتنسي أهلي
 عارن فيها عبد السلام بن القتال ، ووقع على معانيه ، وسطا على قوله :
 بلاد بها نيطقت علي ثمامي وقطمن عني حين أدركني عقلي
 وفي " المصون في الأدب " أن هذا البيت مأخوذ من قول بعض الشعراء :
 بلاد بها نيطقت علي ثمامي وحلت بها عني عقود التمام
 أما قوله :
 وما نلت منها محرما غير انني أقبل بساما من الثغر أفلجا
 فمأخوذ من قول عمر بن أبي ربيعة : وما ٣
 وما نلت منها محرما غير اننا كلانا من الثوب المصرج لابس
 ومربنا أن ابن ميادة وقع في بيت له على بيت للحطيئة ، وادعى أنها
 مجرد موافقة .
 وإذا اتخذت هذه الأبيات لبيان شجرة في شمره فانه يصح أن يستنتج منها
 أن ابن ميادة كان على اطلاع على شمر من تقدمه ، وقد يكون التضمن
 قصده ، وقد يقع الحافر على الحافر .

١. الأغاني ٢ / ٣١٠-٣١١

٢. ص ٢٢ .

٣. المصون في الأدب / ٩٨ .

القتال الكلابي

القتال لقب غلب على عبيد بن مجيب بن المشرقي من بني أبي بكر بن كلاب، لتمرده وقتله^٢ ويكنى أبا المسيب^٣. واختلف القدماء في العصر الذي عاش فيه. فجامع أخباره أبو زيد عمر بن شبة يذكر أنه جاهلي وذكر أبو عبيد البكري^٤ نقلاً عن أبي عبيدة^٥ أنه من عصر معاوية. واستدل على ذلك بحد مروان بن الحكم له. وهو عند البغدادي شاعر إسلامي كان في الدولة مروانية في عصر الراعي والفرزدق وجريز. ويصمى الدكتور احسان عباس^٦ إلى الأخذ برأى البغدادي، معتمداً على ما ورد في شعره من أحداث بعد أن رجح أن يكون المعلق الكلابي، الذي أراد القتال أن يتزوج ابنته، غير المعلق المعروف الذي مدحه الأعشى. وتابعه الدكتور حسين عطوان فقال: والصحيح أنه أموي، لأن أخباره وجرائره وقعت في خلافة معاوية بن أبي سفيان^٧. ورغم أن أكثر ما نعرف من شعره ناطق بأنه قيل في العصر الأموي، إلا أنني أميل إلى اعتباره من عصر ما قبل ولد في الجاهلية، وشبه في صدر الإسلام، وتمت جرائره في خلافة معاوية، أي أنه سمي قتالا بعد أن تقدمت به السن. آية ذلك، أنه أراد أن يتزوج بنت المعلق بن حنتم الكلابي^٨ وقد بحثت ما وسعني — في المراجع القديمة فلم أجِد معلقاً بهذا الاسم غير ممدوح الأعشى، بل أن القتال يذكر شداً جَد المعلق في قصيدته التي قالها بعد ما أعلم بتزويج بنت المعلق بن عبد الرحمن بن صاغر البكائي،

- ١ — هكذا على الأرجح عند البغدادي الهندي ينقل عن السكري في أخبار اللصوص "خزانة الأدب ٣/ ٦٦٨ . ٢٠ . الأغاني ٣١٩/ ٢٣
- ٢ . الأغاني ٣١٩/ ٢٣ . ٤ . سبط اللات ١٣/ ١ . ٥ . سبط اللات ١٣/ ١
- ٦ . خزانة الأدب ٣/ ٦٦٨ . ٧ . ديوان القتال ١٤/ ١٥
- ٨ . الشعر المصاليك في العصر الأموي ١٧١/ ٩ . الأغاني ٣٤٢/ ٢٣
- ٩ . انظر اسم المعلق كاملاً في الأغاني ١١٥/ ٩ . ١١٧ .

وذلك قوله : —————

١ يا بنت جون أبانت بنت شددان^١ نعم لعمري لفوز بعبد انجاد
ويروي القدماء^٢ خبراً له قبل ان يختفي ويتأبد ، ويمكن ان يؤخذ دليلاً
على تقدمه في السن آنذاك ، فيذكرون أنه اراد الانتقام من جرير بن
الحصين الكلابي بعد ان ادرك أب القاتل المسيب وعبد السلام ،
وقال السكري : حتى احتلم ولده الأريمة وهم : حبيب وعبد الرحمن وعبد
الحي وعمير . فاذا أخذنا الوجه الأول ، فنحن نعلم انه يكنى " ابا
المسيب " مما يميز لنا الافتراض بأنه اول ابنائه ، وأن امه التي طلقها
هي اولى زوجاته ، ولكننا لا نعلم كم امتد العمر بالمسيب . أما عبد السلام
ففي الأغاني^٣ خبر صدره شددان بن عقة^٤ من أحد أحفاد القاتل — نصرف عنه
أن عبد السلام عاش حتى ادرك خلافة الوليد بن يزيد ، ولا يبعد ان يكون
من مخضرمي الدولتين الأموية والمباسية . واذا أخذنا الوجه الثاني فأما
اولاده الأريمة المذكورين هي ريا بنت نضر بن عاهر^٥ ويبدو من الروايات انها
زوجته الثالثة . وثمة خبر آخر يقوى الرأي السابق ، فقد روى ان ابنته
انجبت اولاداً ثم أغارها زوجها رداد ، فرماه القاتل بخادمتها ولما اقيم
ليجد — بعد استمداه رداد عليه — رفع قومه الانتصار له .
ولا يحدد القدماء سنة وفاة القاتل ، ولكن آخر حدث نعلمن اليه ،
سجله في شعره هو يوم بنات قين حين تأرت فزاره لنفسها من قبيلة كلب ،
في خلافة عبد الملك بن مروان .

٢ — الأغاني ٢٣ / ٣٣٨

١ . ديوانه ٤٦ /

٤ — الأغاني ٢٣ / ٣٣٨

٣ . ٢ / ٣١١

٥ . الأغاني ٢٣ / ٣٣٥

فقال القتال :

سقى الله حيا من فزارة ، دارهم بسبي كراما حيث اسوا واصبحوا
هم ادركوا في عود دماءهم غداة بنات القين والخيول جنح

وبذا يكون القتال قد عمر طويلا ، وهو يذكر كبر سنه في قوله يخاطب ابنه :
عذ السلام تأمل هل ترى ظمنا اني كبرت وانت اليوم ذو بصير

القتال وقيلته :

نستطيع ان نتبين من خلال دراستنا لخبار القتال واشعاره - طرفتي
حياته ، اعني فترة الاستقرار في القبيلة ثم فترة الضياع وما يتعلق بها من
تشرد وسجن وفتك . فلماذا فقد الرجل توافقه الاجتماعي ؟ هل كان سريعا
الى السيف كما وصفه الدكتور احسان عباس ؟ ام انه تربث حتى استدعاه
السيف احيانا وحتى كاد ان يسرع الى رقبته فدفعه الى رقبة غيره ؟ وقبل
الاجابة ينفع التنبيه الى ما يلي :

اولا : اضطراب الروايات في بعض اخباره ، واختلاف القدماء اختلافا يدعو
الى الشك ، والتحفظ بتعليق القول فيما لا نستطيع اثباته او نفيه
فان يكون القتال فتاك بسجانه ومرب امر لا نستطيع دفعه ، لان القدماء
متفقون في ذلك ، وفي شمره كما يؤكد الخبر . ولكن ، من هو السجان ؟
ففي رواية عن ابن حبيب انه اسماعيل بن هبار القرشي ، وفي رواية اخرى
عن ابن حبيب انه قتل ابن هبار حين خرج الأخير في تجارة الى الشام ،
وعندما علم امره وسجن قتل السجان . وفي رواية .

١ . ديوانه ٣١ /

٢ . ديوانه ٥٣ /

٣ . مقدمة ديوانه ١٧ /

- ٢٨٨ -

ثالثة عن ابن حبيب انه شارك في اغتيال ابن هبار بتحريره من مصعب
ابن عبد الرحمن الزهري . وفي رواية رابعة ان قرشياً ساوم القتال على
ان يساعده في الفرار من السجن مقابل الفداء بابن هبار . وفي رواية
خامسة ذكرها الزبيدي في " نسب قوسين " اختفى اسم القتال من جريمة
مقتل ابن هبار . امام هذا الاضطراب والخلط يضطر الباحث الى غض الطرف
عن ابن هبار والى تجاوز هذه الابيات التي يبدو انها وضعت اكلاماً للخبر
ترك ابن هبار لدى الباب مسنداً . وأصبح دوني شابة وأروم
بسيف امرىء لا اخبر الناس باسمه . ولو أجهشت نفسي الي هموم
ودوني من الدنيا بساط كأنه . اذا انجاب ضوء الصبح عنه اديم^٣
ثانياً : يحسن بنا ان نلاحظ ونحن ندرس القتال ، ما سبق اليه الجاحظ
حين قال : انهم رأى الرواة - كلما كان الاعرابي أكذب في شمره كان اطرف
عندهم ، ومارت روايته أغلب ومضاحيك حديثة اكثر^٤ . ولعل في سيرة القتال
وموقف قبيلته منه ما يحمل بمعنى الرواة على التزبد والكذب ، ومن ذلك ما ذكره
ابن حبيب - الذي يأخذ عن ابن الكلبي^٥ - ان القتال صاحب نمر في غار
بجبل عمالة^٦ . أو ما ذكره اعرابي اسمه ابو خالد الكلابي^٧ من ان القتال قتل
أمة عمه لانه يفض ان تلد فيهم الاماء وكان عمه عصاه فواطأها ، فلما قتلها
اتهمه بأنها حامل فأخرجها القتال ، وشق بطنها ليثبت كذب عمه ، وقال :
١١١١ : ان ابن هبار ...

١ . انظار مقدمة ديوان القتال / ٢٢-٢٣ ٢ . عن ٢١٩ - ٢٢٠

٣ . ديوانه / ٨٧ ٤ . الحيوان / ٦ / ٢٥٢

٥ . مقدمة ديوانه القتال / ١١ ٦ . الأغاني / ٣٢٢ / ٣٢٢ / الرواية

عند ابن حبيب في المحبر / ٢١٦ تحكي قصة شخص آخر اسمه قزان بن يسار
الفقمي بل اسير ان ابن يسار ينازع القتال بمعنى ابيات قصيدته التي تذكر النمر

٧ . الأغاني / ٢٢ / ٣٤١ .

أنا الذي انتشلتها انتشالاً
ثم دعوت غلظة أزوالاً^٢
فصدعوا وكذبوا ما قالوا

وكان قال حين فثلكا بها ؛
أنا الذي ضربتها بالمنصل
عند القرين السائل المفضل
ضربا بكفي بطل لم يثكل^٢

فوانح القصة اعرابي نكرة لا نعرف " الا انه " ابو خالد " ، وليس بين ايدينا
ما يدل ان الكلابيين يكرهون التسرى بالاماء ، بل ان في شعر القتال ما
يثبت اتجاهاً في قبيلته^٣ . ويبدو ان يتغنى القتال بفتكه بأمة لا نصير لها
وهو الفارس الذي سيفتخر بقتل الأبطال بحيث نجد ملامح عنبرة في بعض اشعاره :
اذا مصعب قضيت يوماً قضاه
فاني لقرم مصعب متشاوس^٤

هذا الى ان كلمة " يثكل " قلقة في موضعها . كما ان الرواية ترد عند ابن
حبيب^٥ بشكل مختلف ، والأفضل ان يقف الباحث منها ومن هاتين الا رجوزتين
موقعه من علاقة القتال بامرئ مبار .
ويلحق بهذه القضية اختلاط بعض اشعاره بأشعار غيره ، بحيث يصعب ترجيحها
له ، ويفضل الا تؤخذ الأبيات المتنازع عليها دليلاً يحتج به في دراسة الشاعر
فأبو زيد الأنصاري يذكر ان هذه الأبيات :

٠١ ديوانه / ٨٤

٠٢ ديوانه / ٨٤

٠٣ / ٥٧

٠٤ ديوانه / ٦٧

٠٥ المحبر / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

- ٩٩ -

لا أرفع الذم إلا ثدى واضحة
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها
يا ليتني والمنى ليست بنا فمسة
طوال النضية الاغناق لم يجدوا
لا يقذفون اخاهم في مضلة
لواضح الخد يحيى حوزة الجسار
تحت المجاجة ضرب غير غشوار
لمالك أو لحصن أو لسيفار
ريح الايماء اذا راحت بأثرفار
تسفي عليه دليلك الذل والمار

لرافع بن حريم . وهي عند غيره للقتال^٢ . ولو تتبعنا رواية هذه الأبيات ،
لوجدنا اقدمهم من المعروفين ابا زيد وأبا عبيدة^٣ . ومعلوم ان ابا
زيد الانصاري من اوثق أئمة اللغة والرواية في البصرة ، وقد قيل :
" الاُصمعي احفظ الناس " ، وأبو عبيدة اجمعهم ، وأبو زيد اوثقهم^٤
واياه عنى سيويه في قوله : " حدثني الثقة " .
ويبدو ان نزع هذه الأبيات الخمسة من القصيدة - كما جاءت في ديوانه^٦ -
لا يضيرها بمقدار ما يتركها اكثر استقامة وتألفا . فالشاعر يفتخر بنفسه وأعلاه
وأبيه ، فيعد ان يعود فيتصل منهم وينتسب الى فزارة .
بعد هذا التخلص مما قد يثير الشك في بعض شعور القتال وأخباره
يمكن اعطاء صورة تقريبية لحياة القتال داخل قبيلته وخارجها ، والسير
مع شعره الذي يمثل بعض جوانب هذه الحياة .
وأول ما يلقانا من ذلك انه اراد الزواج من بنت المعلق الكلابي^٧ ، ولكن
هيل بينه وبينها فزوجت من عبد الرحمن بن صاغر البكائي ، وطبيعي ان
يكون

- ١ . النوادر ٢٢ / ٢ . انظر ديوان القتال ، التخرجات / ١٠٩
- ٣ . يذكر القالي في الأمالي ٢ / ٢٢٣ رواية ابي عبيدة
- ٤ . مصادر التراث العربي / ٢٢٨ .
- ٥ . نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب / ١٢ .
- ٦ . ص ٥٤ - ٥٦
- ٧ . الأغاني / ٢٣ /

يكون لهذه الحادثة وقع في نفسه . وحين سأل مولاتها ، اجابته
برد لا يخلو من غمزاء اشارة ، وذلك قولها : " ذاك ابن فارس
عراد " فكأنها توازن بينه وبين البكائي وتفضل الأخير ، فاضطر
الى الذب عن كرم اصله الذي طالما تغنى به :

قالت فوارس عراد فقلت لها وفيهم بأمي من فرسان عراد
فرسان ذي الرحل والمرجا^١ وابنتها فدى لهم رهط رداد وشداد
ثم يتزوج القتال من بنت ورقاء^٢ بن الهيثم الهسان ، وتصادف ان خرج
يوما ، ثم رجع فوجد عندها جرير بن الحصين ، احد ابناء قر-بيلته ،
فألقها . وقد ذكر هذه الحادثة في شعره وعرض بيني الحصين الذين
اساءوا الى الجوار بهذه الكبيرة التي ادت الى تنازله عن اعز ما يستطيع :
ولما ان رأيت بني حصين بهم جنت الى الجارات باد
خلعت عذارها ولهيت عنها كما خلع العذار من الجواد
وقلت لها : عليك بني حصين فما بيني وبينك من عسواد^٣
ويبدو ان هذه الحادثة قد أرقته ، وأصابته مكامنه ، ولكنه لم يسرع الى
السيف بل اضمر الحقد ، واكتفى بأن ينفس عما في باطنه في الوقت المناسب ،
فلما صنع كلاب بن ورقاء^٤ طعاما ، وجمع القوم عليه وقال : كلي ايتهما الفتيان
فان الطعام فيك خير منه في الشيوخ ، قال القتال : " انا والله خير للفتيان
منك " ، أرى المرأة قد اعجبت احدهم فأطلقها له " ولا يخفى ما في هذا القول
من شعور بالمرارة ، وتظااهر بالاستخفاف بأعز اقربهم البدوي المحافظ ،

١- ديوانه / ٤٦

٢- ديوانه / ٤٧

٣- الأغاني ٢٣ / ٣٣٨

٤- في الأغاني " منك " ويقول المحقق : انها في النسخة الخطوطة " منه "
ويبدو أن الأصح " منه " .

أعني الشرف . ويسمع جرير الحسين مقولة القتال فيضرب آنف القتال بالسوط امانا في اذلاله وقهره . ويسمى بعضهم لرأب الصدع ولكن زمام السير قد أفلت من يد صاحب الحق ، واستحال الحق الدفين الى قوة فردية تسمى وتخطط للانتقام والثأر ، ولعل شاغرا قد عبر عن موقفه هذا في هذين البيتين :

اني لعمري أبهم لا أصل لهم حتى يمالح راعي الثلة الذهب
أو تنجلي الخيل عن قتلى مصرعه كأنها خشب بالقاع مطبوع
ويظهر أن أمدا لم يساعده فيما صمم عليه ، فانتظر حتى احتلم أولاده ،
واستبشر بهم ، وحملهم على الخيل مذكر ابني الحسين أن قد آن الأوان .
فلا يسترث أهل الفياشل غارتي أنككم عناق الطير يحملن أنسرا^٢
ولكنه لم يقتل بل ساق ابلأ ، وقد دخل قومه فأكرهوه على الصلح مقابل أربعين
بكرة فأهدر حقه وفي النفس ما فيها . ويتمرغ القتال لتجربة أخرى مع بعض
قبيلته ، فقد كان زوج ابنته قناة من رزاق بن الأخرم الكلابي الذي أغارها
بعد أن ولدت له أولادا . وبروى أن القتال رماه بخادمتها وأن رزاقا
أتى بالبينة على قذفه اياه بالأمه وأقيم القتال ليحد فلم تنتمر له عشيرته ،
وقامت عشيرة رزاق ، فاستقوه بواضعه حقه فوهبه لهم . وهذه الحادثة جعلت
القتال ينقلب على قومه فيمنفهم ويهجمهم مستثنيا بني الحارث الذين ذهبوا
عنه :

١- ديوانه / ٣٢ . القاع : أرض واسعة سهلة مطمئنة . مقاب : مطوع .

٢- ديوانه / ٥٢ الفياشل : ماء لبني حسين بن الحويرث من بني بكر بن كلاب .

٣- الأغاني / ٢٣ / ٣٣٥ .

اذا ما لقيتم راكبا متعمما فقولوا له ما الراكب المتعمم
 فان يه من كعب بن جعد فانه لئيم المحيا طالك اللون ادهنم
 دعوت فكم اسمعت من كل مؤذن قبيح المحيا شاربه الوجه والفم
 سوى أن آل الحارث الخير ذبوا بأعيط لا وغل ولا متهم
 ولكننا قومي قماشه حاطب يجمعها بالكف والليل مالم

ثم يثمرغر القتال لتجربة أخرى اكملت معها خيوط مأساته حيث أصبح طريدا
 مطلبوا للسلطان وليصير أفراد قبيلته : فقد علق رغب رغم كبر سنده —
 بابنة عمه "عالية" فكان يتحدث اليها وازور أهلها فنهوه ، ويبدو أنه لم
 ينته فرفعوا أمره الى والي المدينة الذي سجنه . ولكنهم لم يلبثوا أن توسطوا
 له بعد أن اشترطوا عليه ألا يذكرها في شعره فخرج من السجن وقد تورد
 قلبه عليه فلم يلحظه أو أتع رغب في عفاقة القوم ولذا عاد يذكرها :
 أعالي لو أن النساء ببلدة وأنت بأخرى لا تبعثك ماضيها
 أعالي لو أشكو الذي قد أصابني الى غصن رطب لأصبح باليها
 أعالي أخت المالكيين نولي بما ليس مفقودا وفيه شفا ثيها^٣

وعاد يتحدث اليها حتى رآه أخوها زياد ، ضرب فتبعه زياد مستلا سيفه ،
 فما دنا منه نالهده القتال الله والرحم ولكن دون جدوى . وتصادف أن
 وجد القتال رمما مركزا أو سيفا فأخذه وعطاف به على زياد فقتله ، وندم
 حيث لا يجدى الندم ، وفي ذلك يقول
 نشدت زيادا والمقامة بيننا وذكرته أرحام سمر ودهشم

١- ديوانه / ٨٥ المؤذن : القصير العنق الشيق المنكين مع قصر

الألواح واليدى .

قماشة : فتات الأشياء يالقه على رذالة الناس .

٢- الأغاني ٢٣ / ٢٤٠

٣- ديوانه / ٦٤ .

ولما دعاني لم أجبه لأنني
فلما أعاد الصوت لم أعجز
فلما رأيت أنه غير منتسبه
ولما رأيت أنني قد قتلت
وعندئذ حرب وتخفي عند
ألا هل أتى فتان قومي أنني
وأد نيت جلبي على نيت لحيتي
بعد ذلك تغلف أخبار القتال بنباب التناقض والاضطراب في روايات
القدماء بسبب ما قيل في مقتل ابن هبار كما ذكر . والراجح عندي أنه زج في
السجن بعد أن تشدد مروان في طلبه^٣ فأصبحت حياته رهنا بشيئة رهط
زيد الثقيل ، والسلطان الغاضب ، فأرهبه شبح الموت ، وأثاره تجبر السجان
فقتله : ولما رأيت الباب قد جعل دونه وخفت لحافاً من كتاب مؤجل
رددت على المكروه نفساً شريسة إذا وطئت لم تستقد للتذلل
وكاليء باب السجن ليس بمنتهه وكان فراري منه ليس بمؤتلي
إذا قلت : رفهني من السجن ساعة تدارك بهانقصي علي وأفضل
يشد وثاق عابسا ويتلنسي إلى حلقات في عمود مرمسل
أقول له : والسيف يصب رأسه أنا ابن أبي أساء غير التلنسل
عرفت نداء من نداه وجراً أنني وريحا تنفثاني إذا اشتد مسحلي
تركت عتاق الطير تحجل حوله على عدواء كالحوار المجدل^٤

١- ديوانه / ٨٦

٢- ديوانه / ٣٥

٣- الأغاني / ٢٣ ، المصبر / ٢٢٨

٤- ديوانه / ٧٥ . المسجل : العزم المارم .

والريح التي تنفثاه هي ريح الينفة .

العدواء : الأرغى المصعبة .

- ٢٩٥ -

وكان لا بد له بعد هذه الحادثة من اختيار سجن يرتضيه ، ويصونه من بطش السلطان ، ومن فتائله ، فلجأ الى شعاب عماية أم كل طريد على حد تعبيره :

جزى الله عنا والجزاء بكفسه عماية خيرا أم كل طريد
فلا يزد شهما القوم ان نزلوا بها وان أرسل السلطان كل بريد
جئتني منها كل عنقاء عيطل وكل صفا جم القلات كئودا
ولا ندرى كيف قضى حياته بعد ذلك ، فأبو سعيد السكري ينظمه في اللصوي^٢ .
ولكن قد يعترض على ذلك ، بتقدمه . وفي رواية ، أن أخا له كان يأتيه بما يحتاج اليه وهو في عماية^٣ . ولا يبعد أن يكون قد سعى اليه لدى السلطان كما سعى لطهمان الكلابي^٤ فعاد القتال الى قبيلته التي لم تلمه آية ذلك ، أنه يمرض قبيلته على أخذ ثأرهم من الجعفرين الذين قتلوا أخا جهوش حيث هربا ، قاتل الى بشر بن مروان . وفي التسمية ما قد يدل أنهم بين قومه ، ومن ذلك قوله : -

يسقى ابن بشر ثم يسبح بطنه وحولي رجال ما يسوغ شرابها
وفي الأغاني^٥ " أنهم استجابوا لتحريره " ومنعوا جميعا لقتال بني جعفر " .

١- ديوانه / ٤٥ . عماية : جبل بنجد في بلاد بني كعب . يزد شهما :

يستخفون بشأنها . عنقاء : حفة للهنزية وهي الطويلة المرتفعة .

الميطل : الهنزية الطويلة . الصفا : السمخر الأطس .

القلات : جمع قلت ، وهي النقرة في الجبل .

٢- شراذمة الأدب ٦٦٨ / ٣

٣- للأغاني ٣٢٢ / ٢٣

٤- ديوان طهمان الكلابي / ١٢ ٥- ديوانه / ٣٣ .

٦- ٣٤٥ / ٢٣

شعره :

يذكر الأمدى " أن للقتال ديواناً مفرداً " . وترجم له أبو
سميد السكري واستشهد بأشعاره ، غير أننا لا نعرف شيئاً عن ديوانه ،
ولم يصل إلينا كتاب " أشعار اللصوص " . وقد جمع الدكتور احسان
عباس ما عثر عليه من شعره في المراجع المختلفة ، وحققه وكتب له مقدمة
ونشره في بيروت سنة ١٩٦١ م بعنوان " ديوان القتال الكلابي " .
ويمثل شعره ، من حيث الموضوع ، صورة حياته مستقراً وسجيناً
وطريداً كما مر بنا . وهي حياة سيطر عليها كثير من الكبت والاحباط.
الاجتماعي مما الجأ القتال الى حل قضاياها حلاً فردياً ، بمد أن استشعر
فقدان النصير ، او بمد أن اعوزه السند القليل :
لقد شرتني بنو بكر فما ربحت ولا رأيت عليها جزأة الشاري
ونضيف الى ما مضى قوله يمثل حنينه ، ونزوعه الجامح الى الاستقرار بمد ما
خرج من السجن :
ألا حبذا تلك الديار والها بها لو ان عذابي بالمدينة ينجليسي
برزت بها من سجن مروان غدوة فأنستها بالأيام لما تحمست^٤
وأنست حيا بالمطالي وجاملا أبابيل هاتكلى بين راع وصهل^٥

-
- ١ . المؤلف والمختلف / ٢٥٢ . ٢ . ديوانه / ٦٠
٣ . ديوانه / ٧٣ . ٤ . الأيم : جبل اسود بحمي
٥ . أبابيل جماعات من هاهنا وجماعات من هاهنا .
الهتلى : المهلة .

ومرد على جرد يسار لمجلس كرام بأيد يهم موارن ذبل^١
بكيت بخلصى شنة شد فوقها على عجل مستخلف لم تبل^٢
جديد كلاها منهج حجراتها قتلما^٣ سح من طباب مثلشل^٣

وقوله يفصح عن تشوقه الى موطنه ، ولوعته لفراق ابناؤه :

سقى الله ما بين الشظون وغمرة وثر دريرات وهضب دثيـن
أباكية بعدى جنوب صبابسة علي وأختاها بما عيسون^٤

١ . ذبل : رماح .

٢ . خلصى : لم يرد مقصورا فلعله خلصاء حذفته حمزته ، وهو اسم موضع

الشنه : الخلق من كل آنية منمت من جلد .

المستخلف : المستسقي ٣ . الكلى : جمع كلية وهي جليدة مستديرة مشدودة

المروءة قد خرزت مع الأثيم تحت عروءة المزادة .

منهج : بال . حجراتها : نواحيها

الطباية : الجلدة التي تجعل على طرفي الجلد في القرية .

شلشل : يقطر منه الماء متايما .

— ٢٩٩ —

ويتصل بهذا الجانب ما ذكره الدكتور احسان عباس حين تحدث عن غزله الذي تتردد فيه اسماء نساء كثيرات والذي يشبه غزل المذريين فقال : " وقد كان الحب في شعره تعبيرا عن القلمق الذي يهزه نحو الاستقرار ، ونحو المكان او الموطن الذي يحبه ، ولذلك كثرت اسماء الأماكن في شعره وهي منازل بنوي قومه العامريين * . كما يمثل شعره قيمه ومبادئه التي آمن بها وهي لا تخرج في مجملها — عن قيم قبيلته . ومن الباحثين من يرى ان قبيلة القتال " الفت الحياة الهادئة المسالمة ، وآثرت المصالحة والمصافاة . . . وقطعت الصلة بينها وبين عاداتها الجاهلية " وهو رأي يموزه الدليل بل ان في سيرة الكلابيين ما ينقضه ، والا فكيف نفسراخذ الرجل بجريرة أخيه ، والنسب القرآني واضح وصريح : " ولا تزدوا زرا أخرى " . اليس في تصرف جحوش وقبيلته بني ابي بكر بن كلاب حين ارتضوا بقتل جباة أخي قراز الجعفري الذي قتل اخا جحوش^٤ ما يثبت بقاء القيم الجاهلية مكيئة في النفوس ؟ ولو قرأنا ما ذكره البكري في معجمه عن " حى ضريبة " لوجدنا فيه تماسا بين سبعة ابطال من كلاب ، وطبيعي أن تتنافس هذه البطون — وأشهرها جعفر والضباب وبكر^٥ — على المحال . ومن ايامهم المشهورة يوم هراميت بين الضباب وجعفر ، وكذلك يوم الخيال^٦ . ويبدو ان النزاع بين بطون كلاب كان متجددا . وفي كتاب الأغاني^٧ صورة من صور النزاع المتجدد بين بني ابي بكر وجعفر ، وقد استفله الفرزدق حين هجا ذا الأعداء الجعفري ، فقال :

-
- ١ . مقدمة ديوان القتال ٢٦ . ٢ . انظر — على سبيل المثال — ديوانه / ٣٠ .
 ٣ . الشعراء الصعاليق في العصر الأموي / ١٢٢ .
 ٤ . الأغاني ٢٣ / ٣٤٣ وما بعدها . ٥ . معجم ما استعجم ٣ / ٨٦٦ .
 ٦ . نقائير جرير والفرزدق / ٩٢٦ وما بعدها .
 ٧ . ٢٣ / ٣٤٣ وما بعدها .

- ٢٩٩ -

وقد علمت ميسون ان رماحكم تهاب ابا بكر جهارا صدورهما^١
 وكان هذا النزاع القبلي سببا في اعادة قانون الناصر حتى ان الجعفريين
 رفضوا اخذ حقهم من الضابطين الا عنوة^٢ . كما اوصى دراج الضابطين
 قومه وهو في سجن عبد الملك ، بعدم الصلح مع بني جعفر وان يستمروا
 في قتالهم :

فلا تخشعوا للقوم من خشية الردى لكل امرئ يوما حمام ومصرع
 واني لا أخشى من رجال تركتهم وراي ان يملطوا الذي كنت امنع^٣
 والقتال يصف، تمتت الجعفريين ، وحرصهم على قتال قومه ، وذلك قوله :
 حلفت بحج من عمان تحللسوا بيثرين بالبطحاء ملقى رحالهما
 يسوقون انضاء بهن عشيقة وصهباء مشقوقا عليها جلالهما
 بها طعنة من ناسك، متعبد يمر على متن الحنيف بلالهما
 لئن جعفر فاءت علينا صدورهما بخير ولم يرد علينا خيالهما
 فشئمت وشاء الله ذاك، لا عني الى الله مآدى خلفه ومصالهما^٤

فهو يقسم ان سيتصدق على المحتاجين بلبن خلفه (ناقة) بعد ان
 تضع ان سألتمهم جعفر ، وكأنه يائس من ذلك .

في هذا الجو المشحون بالمنازعات القبلية عاش القتال ، فطبيعي
 ان يتمصب لبعض قبيلته على بعضها الآخر ، وان يتميز لبطن على بطن ،
 وان يحتكم لمنطق القوة ويلج على الثأر ، فحين قتل الجعفريون احد بني
 ابي بكر بسبب التنافس على المرعى ، قال يحرض قومه على الأخذ بالثأر :

١ . نقاش جرير والفرزدق ، / ٥٣٢ . ٢ . نقاش جرير والفرزدق ، ١٢٧

٣ . نقاش جرير والفرزدق / ١٣١

٤ . ديوانه / ٧٩ . المأدى : مصدر اداء اللبن حين يكون بين اللبنيين

ليس بالحامض ولا بالحلو . الخلفة : الناقة اذا حملت .

المصال : اللبن اذا صفى منه الماء .

— ٢٠٠ —

فما الشر كل الشر لا خير بمده
نساء ابن بشمردن وشاؤنا
تنام فتقني نومة الليل غرسه
فان نحن لم نغضب لهم فنشيمهم
فنحن بنو اللائي زعمتم وأنتم
ومر بنا انه اشاد بالفرازين لانهم ثأروا لقتلهم . والقتال يرفع مبدأ
الدية ، فلما قبل اخواله المجلانيون اخذ الدية من الجعفريين الذين
قتلوا رجلا منهم غنهم وهبهم ، وانتفى منهم ؛
اذا ما لقيتم عصبة جعفرية
فلمستم باخوالي فلا تهللنني
قتلتهم فلما ان طلبهم عقلتهم
كركستم بني اللكماء ، وقع السنايك
ولكنما امي لاحدى المواتيسك
كذلك ، يوءتى بالذليل كذلك^٢
ومما يتصل بقيمه القبلية الموروثة ايمانه بنمرة : النسب ووضوحه ، وخلوه من
الدم الدخيل ، فهو يفخر بنقائه من الائمة ، وانه من نسل الحرائر ،
ومن ذلك ، قوله :
لقد ولدتني حرة ربيعة
من الالة لم يحضرن في القيظ ذبذبا^٣
وقوله :
انا ابن اسماء اعماي لها وأبي
اما الائمة فما يدعوني ولدا ان
وفتخر بأنه لم يذق لبأ الائمة :
تعلو النجاد بمضرحي لم يذق
لبأ الائمة غداة غب المولد^٥
اذا ترامى بنو الاموان بالعار
اذا تحدث عن نقضي وامراري

٠١ ديوانه / ٣٣ ، ١٥٤ ٠٢ ديوانه / ٧١

٠٣ ديوانه / ٩٣ . ذبذب : ركية في ديار ابي بكر بن كلاب

٠٤ ديوانه / ٥٤ . البيت الاول من شواهد سيبويه على ان الاموان جمع أمة

كما تقول : اخ اخوان .

٠٥ ديوانه / ٤٢ .

- ٢٠١ -

ولا يمجبه الشبه بين الأسماء من الماء وأولادهن ، يقول :
يا قبح الله صبيانا قبحي ^١همسم أم الهنيير من زند لها واري ^٢
من كل أعلم ملشق مشافره وموذن ما وفقى شبرا بمشبار ^٣
أن العزوق اذا استنزلتها غرقت والعروق يسرى اذا ما عرس السارى
أما الصفات التي تمجبه في الرجل فيمثلها قوله ^٤ :
جليد كريم خيمه وطباعه على خير ما تمنى عليه الضرائب ^٥
اذا جاع لم يفرح بأكلة ساعسة ولم يفتنس من فقد ها وهو ساغب
يرى ان بعد المسر يسرا ولا يرى اذا كان يسر انه الدهر لا زب
ويرى الدكتور احسان عباس ان هذه الصفات تمثل ما يتحلى به الصعلوك ^٥
ولو صح ذلك ، لاعتبرنا كل فقير تحلى بالصبر والكرم والقناعة صعلوكا .
ويرد القتال بمعنى هذه المعاني في قصيدته التي مدح بها عبد الله
ابن حنظلة الكلابي ، ومنها قوله ^٧ :

-
- ١ . ديوانه / ٥٧ .
٢ . أم الهنيير : الضبع في لغة بني فزارة وهو هنا يعني امرأة بهذا الاسم .
الواري : السمين ، والزند كنى به عن رحمها .
٣ . الاعلم : المشقوق الشقة العليا .
الموذن : القصور المنق الضيق المنكبين مع قصر الألواح واليدين ،
وقيل هو الذي يولد ضاوية .
٤ . ديوانه / ٢٩ .
٥ . الخيم : الطيحه .
الضرائب : جمع ضريبة ، وهي الجبله والطبيعة .
٦ . مقدمة ديوان القتال / ٢٦ .
٧ . ديوانه / ٦٩ .

- ٢٠٢ -

ويستحي الأمور وطيبته طيبان ، طيب البرد ، يحسب جائعا^٥
 من غير لا عدم ولكن شيمة ان الكرام هم الكرام طيبائنا
 وحين هذا بعض بني جعفر سلب عنه صفة الكرم ، ورماه بالشره والطمع :
 وذلك قوله :
 يا أيها المفج السمين وقومه هزلي تجررهم ضباع جمار^٣
 أطعم - ولست بفاعل - ولتعلمن ان الطعام يحور شر محار^٤

١ . يستحي الأمور : ينمشها بالحيا وهو كناية عن سخائه .

الطيبان : الجائع

٢ . ديوانه / ٦١ .

٣ . المفج : الذي سمت اعفاجه وهي الامعاء .

٤ . يحور : يرجع .

كلمة في خصائص شعره :

أكثر ما وصل من شعر القتال نثف ومقطوعات ، أما القصائد فقليلة ولكنها ليست طويلة ، إذ أن أطول قصيدة في شعره المجموع تقع في تسعة وعشرين بيتاً . ويبدو أن قصائده قبلت في فترة استقراره في قبيلته آية ذلك ، أننا لا نجد فيها ذكراً مباشراً لما ينشئ بتشرده . ويستثنى من ذلك ثلاث قصائد : الأولى في ثمانية وعشرين بيتاً ، والثانية في أحد عشر بيتاً ، والثالثة في تسعة أبيات^١ . وقد يكون السبب في غلبة المقطوعات أن القتال شغل بنفسه عن فنه ، فاعتمد عن الموضوعات التي تقتضيها المواضع التقليدية ، فليس في شعره إلا مدحاً واحدة . أما حاجه القليلة المرتبطة بقضايا نفسه ، وبمهمومه الفردية التي ولم يجد له رثاءً . ومن الطبيعي أن تنصب المقموعة على غرض واحد أو أن تمثل حركة نفسية سريعة ، وعندئذ تستغني عن المقدمات التقليدية كالحديث عن الإطلال أو ذكر المرأة ، وتحقق فيها الوحدة العضوية ولو بشكسل بسيط ، فأبياتها متألقة متماسكة يشد بعضها بعضاً .

ويلاحظ على مقدمته الطلمية والغزلية أنها ليست طويلة ، وأنه يهمل الأجزاء التقليدية التي تليها ، كالحديث عن الرحلة ووصف الناقة وتشبيهها بحيوان صحراوي ، وما يتبع ذلك من ذكر الصيد وكلايه . كما أن المقدمة الطلمية تكاد تسير على نمط واحد لا سيما البيت الأول منها الذي يبدأ بكلمة " عفا " أو " عفت " ثم يذكر المكافئة متبوعاً بأمكنة أخرى ، ومن ذلك قوله : عفت أجلى من أهلها فقليها^٢ إلى الدوم فالرنقاء^٣ قفرا كشيها^٤ وقوله :

عفت فردة من أهلها فجنايها فحرة ليلي سهلها وهضابها^٥

وقوله :

١ . أخذت بالرأى القتال : القصيدة سبعة أبيات فأكثر .

٢ . انظر ديوانه ، القصائد رقم : ٩ ، ١١ ، ٢٨ .

٣ . ديوانه / ٣٠ ٤ . ديوانه / ٣٣ .

عفا لفلح من أحله فالضريح فليست به ألا الشمالب توضيح^١

وقوله : عفا

عفا النجب بعدى فالعويشان فالبترا فبرو، فمماج في أسيمة فالجهر^٢

والقال يتأنى في بعدى مقدماته الفزلية ، ان يعنى بالصورة الشجرية التي
تتشكل من كثير من الصور الحسية التي غرفها من بيئته . ويدو أن الطبيعة
أكثر حيوان راقه لعقد المشابهة مع المرأة . وهو يعمد في ذلك الى ما هو
مألوف من استدارة تشبيهية أو من الالتفات الى المقيمه به لتوضيح الشبه على
عادة القداماء . فمن الاستدارة قوله^٣ :

وما مغزل ترعى بأرض تباله أراكا وسدرا ناعما ما ينالها^٤

وترعى بها البردين ثم مقلها غياطل ملتج عليها ظلالها^٥

كأن سحيرة الاثمد الجون أقلت مدامع عنجوج مدرن ، نوالها^٦

تتبع أفنان الأراك مقلها بذى العشر ، يعمرى جانبها احتمالها

ميممة روع الرباب على موى فمنا مغان : غمرة فسيالها^٨

بأحسن من ليلى وليلى بشبهها اذا كنت في يوم عيد حجا لها

فأنت ترى أن كل بيت مستقل بصيرة ، وأنت ترى أنه هيا للثانية ما يناسبها

من خفة مركة ممثلة بهذا التندل السريع من مكان الى آخر ، وبهذه الخفة

في الظهور من خلل الخصرة التي تكنفها لأنها ترعاها فتتهتكها . وأنت

ترى أنه يعمرى على الرعاء وكأنه يدل على تنعم ليلى وراحتها . فاذا كانت

الطبيعة جميلة في مقلها فليلى أجمل ، واذا كانت الطبيعة تبدو من خلل الخصرة

بهذا المنظار الرائع الذى يعمرى البصر ويشير التتبع ، فكذلك تبدو ليلى حين يهتك

١- ديوانه / ٣٦ ٢- ديوانه / ٤٩ ٣- ديوانه / ٧٩

٤- تباله : موضع في ببلاد اليمن ٥- البردين : غديران بنجد

الغيطيلة : الشجر الكثيف الملتف . ملتج ظلالها : أى أن غمرتها

اشتدت وتكاثفت . ٦- الاثمد : الكحل . العنجوج : الرائع

من الخيل أو الجواد ٧- ذو العشر : من أودية العقبة . احتمالها : رعيها

الخمائل وهي أطراف القضاان الرابة اللينة . ٨- الرباب : موضع في ديار بني

عامر . غمرة : منهل بين تهامة ونجد . السيال : نوع من الشجر .

- ٢٠٥ -

حجابها . وواضح ما في هذه السورة من تكامل ومن أعمال العقل وتفرغ الجهد
ومن أمثلة التفاته الى المشبه به لتوضيح المشبه قوله من قصيدته التي مدح
بها عبد الله بن حنظلة الكلابي :

وكانت قامة فما تقولك صامسا	وقعدت تشكو في الفؤاد صوابا
وكانها ان قريت أجمالها	أدماء لم ترشح غزالا خاضعا ^٢
بغمت فلم يصحب لها فاستقبلت	من عاقل شعبا يسلمن دوافعا ^٣
ثابت تمجيب من سواف عومج	أدماء تلتقل البرير اليا نمعا ^٤

فهو قد شبه " قامة " بالطيبة ثم أخذ يتحدث عن الطيبة فذكر ابنها وموتها
وتبع نقلتها . . . ولم يطل الوقفة عند ما فهو مشغول بالمدح الذي انتقل
اليه نقلة تقليدية :

دع ذا ولكن حاجتي من جعفر رجل تطلع للأمر ما الما^٥
ولا نعرف عن القال أنه زار الحاضرة الاسجينا . والقدماء لا ينصون على
اتماله بأحد من الأمراء أو الخلفاء ، أي أنه قضى جل حياته - فقيما -
يبدو - في البادية - ومنها ومن شياتها شكل صوره ، كما أن كثيرا من الفاظه
صمراوى المذاق ، بحيث تستغلق بمعنى معاني الفاظه على القارئ فيضطر
الى المعجم اللغوية ، ومن ذلك هذا البيت الذي يجرى غير لفظة صمية :
ثم التفتت بمدر عوجاء السرى في لاحب ، أقسى النعاف عصبيا^٦
وقوله :
جد يد كلاشا منهج حجراتها فللما سح من طباب مشلشيل^٧

١- ديوانه / ٦٨ ٢- ترشح اليه : تدفعه برأسها وتقدمه . الخاضع :
الطبي يميل رأسه الى الأرنج ٣- بغمت : أصدرت بغاما وهو صوت
الطيبة . لم يصحب لها : لم ينقر لدعائها . عاقل : واد بنجد

الشعب : جمع شعبه وهو الصليل الصغير

٤- عومج : طويلة . البرير : ثمر الأراك .

٥- ديوانه / ٦٨ . من جعفر : من بني جعفر . مطالع الأمور : أوجهها

٦- ديوانه / ٤٢ ٧- ديوانه / ٧٤ .

٢٠٦

ولهم من الفاظه منزلة الشاهد ، ومن ذلك جمع " أمه " على " أموان " في قوله :
 أنا ابن أسماء أعاصي لها وأبي إذا ترامى بنو الأموان بالملار
 واستعماله " حوث " بدلا من " حيث " في قوله : ومن
 ومن دون حوث استوقدت مضب شابة ومضب تعار كل عنقاء عياحل^٢
 واستعماله " أرغح " بفتح الراء بدلا من الكسر في قوله :
 لا أرضع الدجرا لثدي وأغججة لوضح الخند يحمي حوزة الجبار^٣
 ويطلق المبرد على هذا الاستعمال بقوله : " هذا على لفته ، لأن قيسا
 تقول : رضع يرضع ، وأهل الحجاز يقولون : رضع يرضع^٤ .
 وتجري بعض أشعار القتال مجرى الحكمة والمثل ومن ذلك : " وما يعرف الأداة
 إلا طيبها " و (حتى يمالح راعي الثلة الذبيبة) و " هل يخفى على الناس
 النهار " و " ان البحر ترى لمن شرائعا " و " ان الكرام هم الكرام طباثعا " وقوله :
 ان المروق اذا استنزعتها نزعت والعروق يسرى اذا ما عرس السارى^٥

١- ديوانه / ٥٤ وانظر تطبيق المبرد ، الكامل / ١ / ٥٤

٢- ديوانه / ٧٥

٣- ديوانه / ٥٥ ومربنا أن هذا البيت ينسب لرافع بن زعيم

٤- أخيراً محقق الكامل للمبرد / ٥٥ في تشكيل الكلمة ، فقلبت الآية ونسب
 ما يقوله أهل الحجاز للقيسيين ، وما يقوله القيسيون لأهل الحجاز .

وجاء في مختار الصحاح / ٣٣٨ " رضع المبي أمه بالكسر رضاعاً بالفتح -
 ولغة أهل نجد من باب " ضرب " .

٥- ديوانه / ٣٠ ٦- ديوانه / ٣٢

٧- ديوانه / ٥١ ٨- ديوانه / ٦٦

٩- ديوانه / ٦٦ ١٠- ديوانه / ٥٨ .

القحيف المقلبي

اختلف القدماء في اسمه ونسبه . ولعل ^{الصحيح} ما ذكره ابن الكلبي في الجهمرة والصانسي في (الباب) وعنه نقل البغدادي فقال : القحيف بن خمير بن سليم الندي بن عبدالله بن عوف بن حمز بن معاوية بن خفاجة بن عمر بن عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهذا يكون الأصفهاني^٣ قد أخطأ حيث اعتبره أحد بني مالك بن قشير بن خفاجة ، إذ أن قشيراً أخو عقيل وكلاهما ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكانت منازل كعب بالفلج ، وما أحاط به من البادية ، أي أنهم جاوروا حنيفة ونميرا وثمينا .

والقدماء لا يسمعوننا في شيء عن نشأة القحيف ، ويبدو أنه عاش طفولته وشبابه بين ظهرا بني قومه بالهامة ، وهي فترة تمتد حتى نهاية الدولة الأموية . ثم انتقل إلى الكوفة ، حيث يذكر المرزباني^٤ أنه شاعر كوفي ، لحق الدولة العباسية . ولكن جل ما وصلنا من شعره ينشأ^٥ أنه قاله في الفترة الأخيرة من الدولة الأموية وخاصة في الأحداث التي أعقبت مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ حيث كانت الهامة مسرحاً لقتال دام بين القبائل القيسية فيها من جهة وبين قبيلة حنيفة من جهة أخرى . ولم يتوقف القتال إلا بقدوم السري بن عبدالله أول والي الهامة من قبل الدولة العباسية .

ومعروف أن الوليد بن يزيد تمصب للقيسين ، ويبدو أن حنيفة لم تكن راضية عن علي بن المهاجر الكلابي ، والي الهامة^٦ الذي عينه الوليد^٧ . ويظهر أن ثارات قديمة كانت بين القبيلتين ، إذ لم تكونا على وفاق في العصر الجاهلي . وقد أنجبت حنيفة نجدة بن عامر اللخاري الذي فارق نافع بن الأزرق ، وذهب إلى الهامة وسامعه بنو حنيفة . وفي شعر بعض القيسيين^٨ ما ينشأ أنهم كانوا على خلاف معه ، آية ذلك قول الراعي النميري في ملحمة

خزانة الأدب ٤/ ٢٥٠ - ٢٠ - حمير (بالهاء) في معجم الشعراء ٢١١/ ووفيات الأعيان ٦/ ٣٧٣ والأغاني ٢٣/ ٢٤٣ وفي الجزء الثامن - ١٨١ يذكر أنه (خمير)
٣- الأغاني ٢٣/ ٢٤٣ - ٤ - معجم الشعراء ٢١١/ ٥
٥- الأغاني ٢٣/ ٦ - الأغاني ٢١/ ٥ .

المشهورة :

ولما أتيت نجدة بن عويضة أبني الهدى فيزيدي تضيلاً
ويذكر القدماء أن نجدة قاع يد طهمان بن عمرو الكلابي حين أخذه
دليلاً فهرب ، وقد عرض طهمان بالحرورية في قسيدة توجه بها إلى
عبد الملك بن مروان ومنها :
وان بحجر والخضار عصبة حرورية «بينا علينا» بناونها
إذا شب منهم ناشي^١ شب لأعنا^٢ لمروان والطمعون منهم لمينها^٣
وفي شرح حماسة أبي تمام أن يد يزيد بن الطثيرة قامت وهو يقاتل
الحرورية من حنيفة ، ووضح أن ذلك تم بعد سنة ١٢٦ هـ لأن
يزيد بن الطثيرة سجل هذه المسألة في شعره ، وذكر فيها أنها لطيفة
المقبلي الذوق كان سيد بني عقيل آنذاك .

وقد كان مقتل الوليد بن يزيد فتية أعاد الحرب جذعة بين
القبيلتين ، إذ ما كادت أخبار مقتله تصل اليمامة حتى توجه المهير
ابن سلمى الحنفي إلى علي بن المهاجر الكلابي والي اليمامة ، وخبره
بين ثلاث : إما أن يلحق قومه ، وإما أن يقيم فيهم كأعدائهم ، وإما
أن يتحول إلى دارهم ، فلما رفض ابن المهاجر استطاع المهير أخذ
ما في القصر ، ثم جمع جيشاً لفزوني عقيل وبني كلاب وسائر بطون
عامر . وقد سجل القسيف ذلك في قسيدة منها قوله :
لقد جمع المهير لنا فكلنا أتحنسنا تروغنا الجموع ؟

- ١- شعر الراعي النميري / ١٣٦
- ٢- ديوان طهمان بن عمرو الكلابي / ٤١ . حجر : قسبت اليمامة .
الخضارم : واد بأرض اليمامة حمينا : أي فاسدة .
- ٣- ٢٩١/٣ . أنظر ابن الأثير / ٢٩٨ وما بعدها والأغاني
٢٤٦/٢٣ . ٥- الأغاني ٢٤٦/٢٣

سترهبنا حنيفة ان رأينا وفي أيما لنا البهش اللامع
عقل تغتري وينو قشيسر توارى عن سواعدها الذروع
وجعدة والجرش ليوث غاب لهم في كل معركة صريع
فمهلا يا مهير فأنت عسند لكعب سامع لهم مطمئع

واستطاع المهير يوم القاع أن يهزم ابن المهاجر ويثأر على اليمامة
ولما توفي استخلف عليها عبد الله بن النعمان ، أحد بني قيس بن
ثعلبة بن الدؤل ، الذي استعمل المندل بن ادريس الحنفي على
الفلج ، وهي من قرى بني عامر بن صعصعة ، وأمره أن يأخذ صدقات
بني كعب جميعا ، لكنهم استصرخوا عليه رجال قبائلهم ، واستطاعوا ،
بقيادة أبي لاطيفة العقيلي بقتل المندل ووليه . كما استطاع بنو عقيل
وقشير وجعدة ونمير بزعامة أبي سهلة النميري أن يقتلوا حنيفة بمعدن
الصحراء . وهزم بنو عامر حنيفة بالنشاش ، وقد ذكر القحيف هذين
اليومين في غير قصيدته ومقطوعة ، ومن ذلك قوله :

فداء خالتي ببني غميل وكعب حين تزدد حم الجدود
هم تركوا على النشاش صرعى بضرب ثم أهونه شد يأسد

وقوله :

تركنا على النشاش بكر بن وائل وقد نهلت منها السيوف وعلت
وبالفلج العادي قلى اذا التقت عليها ضباع الفيل باتت وثلت
اذا ما الضباع الجليلة انتجمتهم نما التي في أعلائها فاتهمت^٤
وقوله من قصيدة طويلة يتشفي فيها بقتلى حنيفة ويشيد بقومه الذين
سيطروا على اليمامة ، ومنها قوله :

وبالنشاش يوم طار فيه لنا ذكر وعد لنا فمسال

١- ديوان القحيف / ٣٥٦ ٢- الاغاني ٢٣ / ٢٤٩

٣- ابن الأثير ٥ / ٣٠٠ ، ديوان القحيف / ٣٥٥

٤- ديوان القحيف / ٣٥٢ .

- ٢١٠ -

وبالنشأش مقيلة ستبقى على النشأش ما بقي الليالي
تكنهم حنيفة بمد حول وكيف يكفون وقد أحالوا
فأذلنا اليمامة بمد عز كما ذلت لواطئها النمل
ولما قتل يزيد بن الطثيرة في إحدى الوقائع رثاه القحيف وبكى فروسيته :
ألا شبكي سراة بني قشير على منديها وعلى فتاحها
فان يقتل يزيد فقد قلنسها سراتهم الكهول على لحاحها
أبا المكشوح بمدك من حامي ومن يزجي المطي على وجاحها
وهكذا كان القحيف لسان حال قبيلته ، إذ حمل همومها وشاركها
أفراحها وأتراحها ، وجل شعره القلي ناطق بذلك .
ولا يسف ما وصل من شعر القحيف في تكوين فكرة متكاملة عن
علاقته برجالات عصره . وفي شعره مقابلة مدح بها حكيم بن المنيب
القشيري وقومه ، ويذكر فيها رحلته اليه ويشيد بكرمه :
إذا رضيت علي بنو قشير لصر الله أعجب رماها
ولا تنبو سيف بني قشير ولا تنفي الأسنة في صفاها
تنضيت القلاع إلى حكيم خوارج من تباله أو مناها
فما رجعت بخائبة ركساب حكيم بن أمه المنيب منتهاها
ويذكر ابن سلام أن القحيف خرج زائرا لبراهيم بن عاصم العقيلي ،
أحد قواد أسد بن عبد الله القسري ، لكن أحد أقربائه أغوى إبراهيم
عليه والمتهم القحيف بهجاءه ، فقال القحيف مفتخرا :
متى ما تحب خبرا بنا يا ابن عاصم تجد لي رجالا من بني المدح حسدا
وما كان لي ذنب اليه جنيته سوى أن لي ذكرا أغار وأنجسدا (٤)
ومن المحتمل أن يكون للقحيف شعر في مدح الوليد بن يزيد . ويذكر
المرزبان^{٥٥} أن للقحيف قصيدة قالها في الفتنة التي أودت بالوليد بن يزيد ،

١- طبقات فضول الشعراء / ٥٩٤ ، ديوان القحيف / ٣٦٢

٢- الأغاني ١٨١/٨ شرح حماسة أبي تمام ٣/ ٢٩١ ، ديوان القحيف / ٣٥٠

٣- ديوان القحيف / ٣٤٩ . ٤- طبقات فضول الشعراء / ٥٩٣ .

٥- معجم الشعراء / ٢١١ .

أولها :

أمن أهل الحجاز هوى نزع ألا سقيا له لمونستطيع
 كأن البين يوم حسرت مشه دم الحيات أو صير فظيع (١)
 ويذكر ابن خلكان أن القحيف (٢) الوليد بن يزيد ، ولكنه لا يؤيد
 هذا الخبر بشيء من شعره . وللقحيف مقموعة يفتخر فيها بمضر عا مستنة
 وقيس خاصة ، وفيها بيت يندو منه أن القصيدة قيلت بعد أن استطاع مروان بن
 محمد دخول دمشق وأخذ البيعة سنة مئة وسبع وعشرين للهجرة ، وهو
 قوله : لعمرى لقد ضاقت دمشق بأهلها غداة رأوا قيسا ترف عقابهنسا

=====

وللمرأة نصيب مما وصلنا من شعر القحيف . ويذكر أبو حاتم (٥) أن
 القحيف كان يقول شعرا في النساء .
 وفي الاغانى (٦) انه هوى امرأة من عس حين جاورها ، وأوحىها انه غنى فملقت
 به ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه اياها ارتحل عنهم وقال :
 تقول لي اخت عس ما ارى ابلا وأنت تزعم من ولاك صند يسدي
 فقلت يكفى مكان اللوم مطرد فيه القير بسم القين مشدود
 وشكة صاغها وفراء كاملة وصارم من سيوف الهند مقتدود
 اني ليرعى رجال لي سوامهم لي المعائل منها والمقاصيد
 ويبعدون من شعره في النساء انه كان حسيا لكنه لا يفحش ، ان يكفى بوصف
 الجمال الظاهر وما يحدث في نفسه من اثر ، يقول ردا على فقيه رآه يجد النذير
 الى امرأة قنهاء :

١ . القحيف : انظر في ديوانه / ٣٠٩ . ٢ . في ديوانه / ٣٠٩ . ٣ . في ديوانه / ٣٠٩ .

١٣ . البيتان في ديوانه / ٣٥٩ مع بعض الاختلاف . ٢ . وفيات الاعيان / ٦ / ٣٢٣ .
 ٣ . ابن الاثير / ٥ / ٣٢٢ . ٤ . الحطاسة البصرية / ١ / ٣٠٩ ديوانه /
 ٥ . فحولة الشعر / ٣١ . ٦ . الاغانى / ٢٣ / ٢٤٥ .

أقسمت لا أنسى وأن شطت النوى عرائنهن الشم والأعين النجلى
ولا الصناك من أعطافهن ولا البرى ضمن وقد لوينها قنبا خذلا
يقول لي المفتي ومن عشية بمكة يلصحن المهدبة السحلا
تق الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خلتي في الحج ملتصا وصلا
وان صبا ابن الأرمحين لسهبة فكيف من اللاقي مثلن بنا مثلا
عواكف بالبيت الحرام ورسمنا رأيت عيون القوم من نحوها نجلا (١)
ومن ذلك قوله يصف نساء ، ويذكر انه ضعيف لا يطيق الصبر :
سقى وزعى الله الأوانس كالد مى اذا قمن جنح الليل مبتهسرات
اذا مسن قدام البيوت عشية قصار الخطى يرفلن في الحبرات
دعون بحبات القلوب فأقبلت اليهن بالاهواء مبتدزات
خليلي ما صبرى على الزفـرات وما طاقني بالهم والعيسرات
تساقط نفسي كل يوم وليلىة على اثر ما قد فاتني حسرات (٢)
ويروى ان القحيف كان يشيب بخرقاء التي كان ذو الرمة يشيب بها ، ولم اجد
ما يؤيد هذا النبأ سوى هذين البيتين :
لقد ارسلت خرقاء تحوى جريها لتجملني خرقاء من أضللت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحه ولو عمرت تمير نوح وجلست
ويذكر الاصفهاني ان القحيف قال هذين البيتين في خرقاء بعد ان جاوزت
التسمين ، وأحبت ان تنفق ابنتها وتخطب ، فأرسلت الى القحيف وسألته
ان يشيب بها . ولا يخلو هذا القول من مبالغة في تقدير سن الخرقاء ،

١. الاغاني ٢٣/ ٢٥٠ ، ديوانه / ٣٦٣ ٢. الحماسة الشجرية ١/ ٥٤٢ ،

ديوانه / ٣٥٢

٣. الاغاني ٢٣/ ٢٤٣

٤. الاغاني ٢٣/ ٢٤٥ .

ويهدوان مضمون البيتين اوحى للأصفهاني بذلك . (١)
كلمة في شمس القحيف :

سئل الأصفهاني عن القحيف فقال : ليس بفصيح ولا حجة . (٢) وذكرنا
 الأصفهاني انه شاعر مقل . (٣) . والحديث عن شعره يفتقر ناقصا اذا تذكرنا
 اننا نعرف بعضا من شعره القليل . وملاحظة الأصفهاني تدفع الباحث الى
 البحث عن خطأ ليفوى او عن خروج علي المؤلف في الاستعمال الشائع ، ومن
 ذلك قول القحيف :

اذا رضيته علي بنو قشير
 لمر الله اعجبني رضاها^٤

فالشاعر استعمل حرف الجر (على) بدل (عن) مع الفعل (رضي) .

وحروف الجر يبدل بعضها من بعض ، اذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع^٥
 ونو كعب بن ربيعة بن عامر / - والقحيف منهم / - يقولون : (رضي الله عليك)^٦
 وقوله :

اتصرف ام لا رسم دار مطسلا
 من العام يحاه ومن عام اولاً^٧

فهو قد جاء بضارع (محا) على (يحاه) والشائع المؤلف حسب التقياس
 (يمحو) ويقول ابو زيد^٨ معلقا على ذلك : قال ابو الحسن : أما قوله

١ . يذكر الأصفهاني ان القحيف بن شعراء الاسلام ، ويذكر المرزباني انه لحق

الدولة المباسية ، وقد رأينا ان اكثر ما وصلنا من شعره قاله في الفترة الاخيرة

من الدولة الاموية ، ويذكر القحيف في مقطوعة له ان عمره اربعون سنة ،

فاذا عرفنا ان ذاك الرمة مات سنة ١٢٧ هـ وعمره اربعون سنة ، فلنا ان نفترض ان

الخرقاء كانت في مثل سنه ولذا فمن الممقول ان تكون كبيرة ان صح انها طلبت من

القحيف ان يشبب بها ، ولكن لا يوجد نص يثبت ان القحيف امتد به العمر حتى رأى

الخرقاء تجاوز التسعين من عمرها . ٢ . فحولة الشعراء / ٧٦٣ ، الموشح / ٢٢٠

٣ . الاغانى ٢٣ / ٢٤٣ ، خزانة الأدب ٤ / ٢٥٠ . ٤ . ديوانه / ٣٤٩ .

٥ . الكامل للمبرد ٣ / ٩٧ . ٦ . الكامل للمبرد ٢ / ١٦٠

٧ . ديوانه / ٣٤٦ . ٨ . النوادر / ٢٠٨ .

- ٢١٤ -

(يمحاء) فان العرب تقول : محاً يمحو ويمحاء ، ومن قال يمحي فانما يفتح
لان الحاء من حروف الحلق ، اما قوله (ومن عام اولاً) فيخرجه ابو زيد بقوله :
يزيد : ومن عام زمان اول او ديز اول ، فأقام الصفة مقام الموصوف . ويبدو للباحث
ان القافية اضطرت الشاعر الى ذلك .

والقحيف يجمع كلمة (ثيب) على (أثائب) في قوله :

ظراي متفة لـحـاها تسافد في أثائب ذي صوير^١

وهو جمع شاذ للكلمة المذكورة ، ويبدو ان هذه الالوان من الاستعمال لم تعجب
الاصمعي الزميت في اللغة ، ^٢

والقدماء يعتبرون التضمن عيباً من عيوب الشعر وهو على درجات ،

فكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان اسهل عيباً .

وهم في ذلك يؤكدون ~~في~~ وحدة البيت ، وقد وقع القحيف في خطأ التضمن -
على رأى القدماء - غير مرة ، ومن ذلك قوله :

أمن اهل الأراك غت ريسوع نعم سقيا لهم لو نستطيع^٣
زيارتهم ولكن احضرتنا هموم ما يزال لها مشيع^٤

وقوله :

أتمرف ام لا رسم دار مطلا من النام يمحاء ومن عام اولاً
قبار وتارات خريق كأنها مضلة بوفي رعيل تمجلا^٥

وأخف مما سبق قوله :

نظرت خلال الشمس من مشرق الضحى وأوفيت من كتمان ركننا عطودا
بمينين لم تستكرها يوم عبيرة ولم تهبطا جوف المراق فترمدا
الى ظمن للمالكيات بالضمى فيا لك مرأيتها اشاق وأبمسدا^٥

١ . ديوانه / ٣٥٨ ٢ . المدة ١ / ١٧١

٣ . ديوانه / ٣٥٩ ٤ . ديوانه ٣٤٦

٥ . ديوانه / ٣٥٥

- ٢١٥ -

ويذكر المرزباني^١ ان القحيف شعاع مطلق . ويبدو ان اكثر شمر القحيف يضاف بالمعقوبة البعيدة عن اسرار العناية والصنعة ، فهو لا يحفل كثيرا بالصورة البيانية اى انه ، مشغول بالمعنى غير خافل بالأداء^٢ ، ولذا فشمره - في اقله - وصف للواقع كما هو ، اى انه بعيد عن الخلق والابداع كما أنه نفسه الشمرى فقير ، فجل ما وصل من شمره مقطوعات تستقل بغرض واحد وذلك بين في غزله ، وفي شمره القبلي الذي تبدو مقطوعاته وكأنها اهازيج حرب تفتنى فيها ببطولة قومه . فاذا تذكرنا ان الشاعر نفسه اشترك في القتال^٣ ، امكن توقع سبب القصر الذي يمتاز به شمره الحربى ، وكان الميدان أنطقه به .

وقد وصلت اجزاء من قصيدتين طويلتين له ، قالهما في الاحداث بين قومه وحنيفة وهما : اللامية والمينية . ويبدو منهما ان الشاعر خلا الى نفسه والى فنه ، آية ذلك ان القصيدة الاولى قالها مشيدا بانتشار قومه في يومين بينهما فارق زماني ، وان الثانية استجابة لتهديد المهير ووعده . ويظهر من القصيدتين ان الشاعر ملتزم بالسمة التقليدية ، من حيث المقدمة الطللية ، وتعدن الفرغ في القصيدة الواحدة ، وسلامة الانتقال والاحتفال بالمعاني التقليدية والاوصاف المادية . وفي لاميته بيت اغار فيه على بيت المهلهل :
ولولا الريح اسمع من حجر صليل البيش تفرع بالذكور^٥
وهو قوله :

ولولا الريح اسمع اهل حجر صياح البيش تفرعها النصال^٦

وتبقى بعض الاحكام على شمر القحيف تقريبية ، قد يهدمها او يوسعها المشور على ديوانه .

١ . معجم الشعراء / ٢١١ . ٢ . الاغانى ١٨ / ١٨١ .

٣ . طبقات فحول الشعراء / ٥٦٤ ، ديوانه / ٣٦٢ .

٤ . ديوانه / ٣٥٦ . ٥ . معجم الشعراء / ٢١١ ، المدة ٢ / ٨٦ .

٦ - معجم الشعراء / ٢١١ ، طبقات فحول الشعراء / ٥٦٨ .

يذكر الصاغاني في (المصاب) انه رأى ديوان القحيف وقرأ اسمه
فمنه ~~الديوان~~ اول الديوان بخط محمد بن حبيب ، ولا نعرف شيئاً
عن الديوان غير هذا الخبر الذي يؤيد وجوده في القرن السابع الهجري ،
ويبدو ان مخطوطة الديوان فقدت ، وانها موجودة في احدى المكتبات ، ولم
تتج لها حتى الآن - فيما اعلم - يد تنفخ عنها غبارها بالتحقيق والنشر .
وفي سنة ١٩١٣ م نشر المستشرق كرنكو - معتمداً على بعض المراجع -
ما استطاع جمعه من شعر القحيف ، واضطر الى اجمال بعض المراجع رغم
اهميتها ، لانها لم تكن محققة انذاك ومنها - على سبيل المثال - طبقات
ابن سلام ومعجم المرزباني ، ولذا فمن الطبيعي ان يأتي عمل كرنكو ناقصاً
ينتظر من يثمه . وسأذكر - هنا ما عثرت عليه من شعر لم يثبته كرنكو -
او اختلفت روايته عما جاء عند من اعتمد عليهم .

ففي الحماسة الشجرية اربعة ابيات من قصيدة للقحيف ، وقد ذكر الاصفهاني
بيتين منها اثبتهما كرنكو^١ ، وأحد البيتين ذكره ابن الشجري برواية مختلفة
فنكون قد عرفنا خمسة ابيات من القصيدة ، ويبدو انها تبسّر على هذا النحو:
سقى رعى الله الأوانس كالدمنى اذا قمن جنح الليل مبتهبرات
اذا مسن قدام البيوت عشيقة قصار الخطى يرفلن في الحبرات
دعون بحبات القلوب فأقبلت اليهن بالاهواء مبتهبرات
خليلي ما صبرى على الزفرات وما طاقتي بالهم والمعبرات
تساقط نفسي كل يوم وليلى على اثر ما قد فاتني حسرات^٢

- ١ . توفي الصاغاني حوالي سنة ٦٥٠ هـ . ٢ . ديوان القحيف ٣٥٢/ .
- ٣ - الحماسة الشجرية ٥٤٢/١ عدا البيت الثالث ، وفيها تقاطع بدل تساقط .
والابيات عدا الثاني موجودة في كتاب الزهرة ١١/ . مع بعض الاختلاف
وهي منسوبة للقحيف المعقلي ، ولم اجد هذه النسبة عند غيره .

- ٢١٧ -

ونقل عن ابن ميمون البغدادي في مشهري الطلب ١/١٦٦ أن هذه الابيات
للحقيف العقيلسي اولحكم الخصري^١ :

سقى لزورك من زور أتسأك به حديث نفسك عنه ، وهو مشغول
يختصني دون اصحابي وقد حسموا والليل مجملة اعجازه ميسر
بالنفس من يتناسانا ونذكركه فلا هواه ولا ذو الذكر مطلوب
يجري السواك على عذب مقله كأنه منهل بالراح مملول
وجاء في الموشح للمرياني ما يلي : اخبرنا ابن دريد قال : اخبرنا ابو
حاتم قال : سألت الاصمعي عن الحقيف العاصري الذي يقول في النشاش ،
قال : ليس بفصيح ولا حجة . وعلق الشنقيطي - رحمه الله - على ذلك
بقوله : . . . ومن قول الحقيف في ذلك - اي في النشاش - وكان حقا على
المؤلف ذكره :

تركنا على النشاش بكرين وائل وقد نهلت منها الرماح وعلست
قتلنا على النشاش منا عصابة كراما وسماها الهوان فذلت^٢

وقد اثبت كرنكو البيت الاول ضمن ثلاثة ابيات^٣ من قصيدة قالها الحقيف ،
واعتمد كرنكو مجمع البلدان ، اما البيت الثاني فلم يذكره .
كما ذكر الشنقيطي بيتا آخر من قصيدة اخرى لم يرد فيها شيء في صنيع
كرنكو وهو :

هم تركوا على النشاش صرعى اباحوها القشاعم والذئابا
ولكن الشنقيطي لم يذكر مرجعه

١ . الحماسة الشجرية ٢ / هاش ص ٦٠٩ . وهي منسوبة في الحماسة

لجران المود النميري .

٢ . هكذا في الموشح هاش ص : ٢٢١ ويبدوان الصحيح :

قتلنا على النشاش منها عصابة كراما وسماها الهوان فذلت

٣ . ديوان الحقيف / ٣٥٢ .

وفي كتاب "حلية الفرسان وشعار الشجعان" لعملي بن المهدي بيتان
للقهيف : وهما من قصيدة طويلة ذكر بعضها ابن سلام^٢ والأصفهاني^٣
وعرف كرتكو واحد عشر بيتا منها ، ولم يثبت البيت الثاني وهو في ذكر الخيل
بينما ذكره ابن سلام برواية مختلفة وهو :

شمير زادها وقيل قــــت ومن ماء الحديد لها نصيب
وهذه القصيدة قالها القحيف في يوم " الفلج " ، حين جاء صريح بني كعب
على بني حنيفة وهي عند ابن سلام في ثلاثة وعشرين بيتا . ومقارنة الابيات
" كما وردت في منع كركو وكما جاءت عند ابن سلام - نعرف من القصيدة
سنة وعشرين بيتا ، ويبدو انها تسير على هذا النحو ؛

د يار الحي تضربها الطلال
 وأجزم ذبها عــــود اهدأ
 بها الفوز الرئال وكحل هـقل
 اما ومعلم التواراة موســــى
 لقد كانت تدورث أم عمــــرو
 اتانا بالمقيق صريح كمــــب
 ثلاثا ، ثم وجهنا اليهــــــــم
 وحالفنا السيوف وصافنا^٤
 بنات بنات اعوج طامحات^٥
 شعير زادها وقليل قــــست
 من الخافي بها اهل ومــــال
 بدفيه تمبترت السحال
 كبت الرفقة احترقوا فقلوا
 ومن صلى وصام له بــــلال
 بنات الصدر ان انسي حــــلال
 فحن النبع والاسل النهــــال
 رحن للموت ليس لها ثــــيال
 سواء هن فينا والعيــــــــال
 مدى الابصار ، عليتها الفحال
 ومن ماء الحديد لها نــــسال^٦

١٨١ ص ٥١ . طبقات فحول الشعراء / ٥٦٤ وما يليها

۳. الاغانى ۲۳ / ۲۵۰

٤. في ديوان القحيف "ومصرات" ٥. في ديوان القحيف "ملجمات"

٥٦ . في ديوان القميف جاء البيت هكذا :

نمادى فى الوغى مثل السعال
ومن زهر الحديد لها نعال

- ٢١٨ -

وكرد سفل الحريش ، فمارضوئنا
وسالت من اباطحها قشيره ،
نقود الخيل كل اشق نهـند
تلكاد الجن بالفدوات منسنا ،
فهبن على المسيلة مسكات
فلما شق ايمن ذو جـسـسـواش
صبحناهم نواصيهم شمشسنا
فلما جحدلت مئتان منهسسـم
فصاروا بين معتن عليـه
وللنشاش يوم طار فيسسـه
وبالنشاش مقللة ستبقسـى
تكفنهم حنيفة بعد حول
فأذلنا اليمامة بعد عـسـز
أمنكم يا حنيف نعم لعمري ،
ولولا الريح ، اسمع اهل حجر
كان الخيل ، طالمة عليهمـم
كما ذكر ابن سلام بيتين خاطب بهما الشاعر ابراهيم بن عاصم العقيلي ،
احد قواد اسد بن عبدالله القسري ، وهما :
متى ما تحط خيرا بنا يا ابن عاصم تجد لي رجالا من بني المم حسدا
وما كان لي ذنب اليه جنيةـه سوى أن لي ذكرا أغار وأنجـدا

١- في ديوان القحيف " صفت " ٢- في ديوان القحيف " بهن حرارة وبها
اعتدال " وهذا الشطر هو الثاني في البيت رقم " ١٢ " مع اختلاف بسيط في
الرواية والأصح كما ذكر ابن سلام^٣ " طيقات فحول المشرا " ٥٩٣ / ٥

وأورد ابن سلام خمسة أبيات " من المينية " التي تخدك فيها بني حنيفة ،
وهي عند كرنكو اثنا عشر بيتاً ومن الأبيات الخمسة البيت لم يذكره كرنكو وهو ؛
ركبناها سماتها ، فلما بدت منها الشناسين والخلوع
ولسقوط هذا البيت عند كرنكو نجده يخطئ في ترتيب بيت آخر في القصيدة
ورد صحيحاً عند ابن سلام ، بينما جاء خطأ عند كرنكو وهو :
صبحناها السياط معدر جمات فمرت بها الضليعة والضلع
والكلمة الأولى عند كرنكو هي " صبحناهم " كما أنه يأتي بهذا البيت
بعد أن ينتهي من كتابة القصيدة ، ويقدم له بقوله : " ومنها " ، ويبدو
أن هذا البيت هو العاشر ، والبيت غير المذكور هو التاسع .
ولم يعتمد كرنكو " معجم الشعراء " فقد ذكر البرزاني القحيف وأورد له
بعض شعره ومن ذلك هذان البيتان اللذان يردان برواية مختلفة عند
كرنكو ؛
أمن أهل الحجاز حموى نزيح ألا سقيا له لو نستطيع
كان البين يوم حسرت منه دم الحيات أو صبر فطيمع
ومهما يكن ، فقد يكون في هذه الإضافات إلى عمل كرنكو بعض الفائدة
لمن يريد قراءة شعر القحيف . وقد يكون للتنبيه إليها بعض الحفز
لإعادة جمع شعر الشاعر .

١- طبقات فحول الشعراء / ٥٩٣

٢- ديوان القحيف / ٣٥٩

٣- ديوان القحيف ٣٦٠

٤- معجم الشعراء / ٢١١

٥- ديوان القحيف / ٣٥٩ .

جاء هذا البحث في ثلاثة فصول كبيرة ، بدأ الفصل الأول بكلمة في الأنساب العربية عامة ، عرضت فيها لآراء بعض القدماء في قضية الأنساب ، كما تحدثت عن مواقف بعض الباحثين المحدثين من هذه القضية وانتهيت الى القول : ان العرب في مصر الأموي آمنوا بصحة جداول الأنساب التي أخذت عن أفواه الرواة ، وهذا الايمان كان وليد تركيبتهم الاجتماعية وهي التركيب التي حددت فعاليتهم القبلية والسياسية بطوال مصر الأموي . وانتقلت من هذه الكلمة الى الحديث عن نسب قيس فتتبعت فروعهما الكثيرة وأشرت الى أشهر الأحداث والأسماء التي قد تنفع في اعطاء فكرة عن الفروع . وكان الالتفات الى أحداث مصر الجاهلي أكثر من غيره ، ثم تتبعت نقلة المشاعر القيسية من مواطنها الأولى في الجزيرة العربية الى الأمصار الجديدة عبر حركة الفتح الاسلامي ، وبذا مهدت الطريق لأتحدث عن دور قبيلة قيس السياسي والقبلي في مصر الأموي . وهو دور تبرزه كتب التاريخ المختلفة ، إذ أن توزيع السكان في الأمصار الجديدة استند على أسس قبلية ، كما أن السياسة الأموية كثيراً ما أرادت للقبلية أن تقوى بمد أن حاربها الاسلام .

أما الفصل الثاني فاستغرق أهم القضايا التي صورها شعرهم ، وكان أهمه الشعر القبلي الذي قيل أكثره في الجزيرة الفراتية ، وكانت أشهر مواطن الاصطدام القبلي بين قيس وكنب ، وبين قيس وتغلب . ويلاحظ أن انشغال القيسيين بالفتن القبلية جعلهم ينظرون الى السياسة من منظور قبلي ، ولذا قل شعرهم السياسي بالمعنى المعروف لهذه الكلمة ، كما لم ينتظم في خط واضح المعالم شأن الشعر القبلي .

وطبيعي أن يؤدى الصراع السياسي والقبلي الى احتلاء السجون وقد أنطق السجن بعض أهله شعراً صوروا فيه مأسيتهم ، وعذاب نفوسهم . أما ما قيل في الهجرة والحنين فكان نتيجة طبيعية لنقلة الشعراء من مراتبهم الأصلية الى بلاد جديدة جذبتهم خيراتها . والانسان بطبعه - نزوع الى موطنه ، نساء لسيئاته ان استبد به الشوق اليه .

ومما يلاحظ أن البوادي كانت موطن شعراء الغزل ، وهؤلاء شغلوا بأنفسهم التي فاضت بأشجى الألحان ، لأنهم وقصوا على أوتار الحب الجريح بالحرمان .

أما الشعر الذي قيل في قضايا اقتصادية ، فكان نتيجة للخلل الذي نخر في جسم التنظيم الاقتصادي في مصر الأموي ، مما جعل

الشعراء يضجون لما يعاني قومهم من عسف بعض السعاة الذين لم يكونوا يراعون الجذب الذي قد يذهب بسائمة أهل البوادي . أما في المدن فيبدو من سيرة الولاة أنهم أثروا كثيرا لأنهم استغلوا نفوذهم في جمع الأموال ، وقد فاضحهم غير شاعر .

وإذا استثنينا عبد الرحمن بن سيحان المحاربي فإن ما وصلنا من شعر الخمره كلبمض شعراء قيس لم يضاف جديدا إلى المعاني الخمرية السابقة ، أما ابن سيحان فقد أخلص لها ، ودافع عنها ، وجد في الدعوة إليها ، ورثى ادائها .

أما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة خمسة من شعراء قيس . وقد كان اختيظاري لهم لأن جل شعرهم قيل في العصر الأموي ، ولأنهم من مشاهير الشعراء القيسيين . فالراعي النميري جملته ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الاسلام . ولبلى الأخيلية اقترن اسمها بشوينة ابن الحمير ، وهي من أشهر شعراء الرثاء في العصر الأموي ، وقد قرنهما القدماء بالخنساء . وابن ميادة من ساقه الشعراء الذين يستشهد بشعرهم ، وقد كان له دور فعال في بك الحماية في فن الثقات الذي كان يذوى بموت فحول . وبعد القتال الكلابي من أشهر الشعراء الفتاك الذين فقدوا توافقهم الاجتماعي تحت وطأة الظلم القبلي . أما القحيف العقيلي فقد استفرغ الصراع القبلي الذي وقع في اليمامة أواخر الدولة الأموية بين المشائر القيسية وقبيلة حنيفة جل ما وصلنا من شعره .

وهؤلاء الشعراء الخمسة جمع شعرهم ، وقد وجدت نقضا في شعر ثلاثة منهم هم : الراعي النميري ، وابن ميادة ، والقحيف العقيلي ، وقد سددت بعض الثلمة بأن ذكرت بعض ما أغفله الجامعون .

ولست مدعيا أن هذا البحث صرا من الميوب ، ولكنني حاولت ، فان أصبت في بعضه فيه ونعمت ، والمصمة والكمال لله وحده .

مصادر البحث ومراجعته
=====

- ١- الابدال ، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي (- ٣٥١ هـ)
تحقيق عز الدين التنوخي
طبع دمشق ١٩٦٠
- ٢- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، للدكتور يوسف بكار
طبع دار المعارف بمصر ١٩٧١
- ٣- الأخبار الطوال ، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (- ٢٨٢ هـ)
تحقيق عبد المنعم عامر ، ومراجعة جمال الدين الشيال
طبع دار احياء الكتب العربية ١٩٦٠
- ٤- الأخطل شاعر بني أمية ، للدكتور السيد مصطفى غازي
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية
- ٥- أدباء السجون ، لعبد العزيز الحلقي
طبع دار الكاتب العربي
- ٦- أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
طبع المطبعة الوهنية ١٨٨٢
- ٧- الأشباه والنظائر ، للخالد بن أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم
تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف
طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨
- ٨- الاصابة في تمييز الصحابة ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني (- ٨٥٢ هـ)
طبع مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ
- ٩- اصلاح المنطق ، لابن السكيت أبي يوسف يعقوب بن اسحاق (- ٢٤٤ هـ)
شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون
طبع دار المعارف بمصر ١٩٤٩
- ١٠- الأصمعيات ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب (- ٢١٦ هـ)
تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧
- ١١- الأصنام ، عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى
تحقيق أحمد زكي
طبع دار الكتب ١٩٢٤
- ١٢- الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين
(١٦ - ١٧) طبع دار الكتب المصرية ، (٢٣ - ١٧) تحقيق
عبد الستار أحمد فراج . نشر دار الثقافة ببيروت ١٩٥٦
- ١٣- الأمالي ، لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي (- ٣٥٦ هـ)
نشر دار الحكمة

- ١٤ — آمالي السيد المرتضي ، للشريف المرتضي علي بن الحسين (- ٤٣٦ هـ)
تحقيق السيد محمد بدر الدين النمساني الحلبي
طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ .
- ١٥ — الامامة والسياسة ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري (- ٢٧٦ هـ)
تحقيق محمد محمود الرافعي
طبع القاهرة ١٩٠٤ .
- ١٦ — الامبراطورية البيزنطية ، لأومان
ترجمة طه بدر ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٧ — الامومة عند العرب ، لولكن
ترجمة بندلي صليبا الجوزي
كازان ، ١٩٠٢ .
- ١٨ — الانبياء علي قائل الرواة ، لأبي عمر بن عبد البر (- ٤٦٣ هـ)
نشر مكتبة القدسي . طبع مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٠ هـ
- ١٩ — الانتصار لواسطة عقد الأماص ، لابراهيم بن محمد بن ايدير
الملائي الشهير بابن دقاق
طبع بولاق ١٨٩٣ .
- ٢٠ — الانساب ، لأبي سعيد عبد الكريم بن منصور السمعاني (- ٥٦٢ هـ)
تصحیح وتمليق عبد الرحمن بن محمد بن المعالي اليمني
طبع مطبعة دائرة المعارف العثمانية - بحيدرآباد الدكن -
الهند ١٩٦٢ - ١٩٦٦ .
- ٢١ — أنساب الأشراف ، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (- ٢٧٩ هـ)
الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد حيد الله
طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .
القسم الأول من الجزء الرابع ، طبع القدس ١٩٣٨
القسم الثاني من الجزء الرابع ، طبع القدس ١٩٧١ .
الجزء الخامس ، تحقيق س . غويتين ، طبع القدس ١٩٣٦ .
- ٢٢ — أيام العرب في الجاهلية ، لمحمد احمد جاد المولى ، وعلي
محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل ابراهيم
طبع دار احياء الكتب العربية ١٩٤٢ .
- ٢٣ — بلاغات النساء ، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر (- ٢٨٠ هـ)
تصحیح أحمد الألفي
طبع مطبعة مدرسة والده عباس الأول ١٩٠٨ .
- ٢٤ — البلدان ، للياقوتي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (- ٢٨٤ هـ)
طبع المطبعة الحيدرية بالنجف ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ .

- ٢٥- البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المعروف بالمقريزي (١٤٤٢ م)
تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين
طبع مطبعة أحمد مخيمر ، القاهرة ١٩٦١ .
- ٢٦- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ)
تحقيق عبد السلام محمد هارون
طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٦٠
وطبع مطبعة دار التأليف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ .
- ٢٧- التاج في أخلاق الملوك ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ)
تحقيق أحمد زكي
طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤ .
- ٢٨- تاج العروس ، للسيد محمد مرتضى الزبيدي
طبع المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ
- ٢٩- تاريخ آداب اللغة العربية ، لجرجي زيدان
مراجعة الدكتور شوقي ضيف
طبع دار الهلال
- ٣٠- تاريخ الأدب العربي ، لريجيس بلاشير
الجزء الأول ، تصريب إبراهيم الكيلاني
طبع دار الفكر ١٩٥٦ .
- ٣١- تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان
ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار
طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .
- ٣٢- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٧ هـ)
طبع مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٦ هـ .
- ٣٣- تاريخ ابن خلدون
طبع دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ .
- ٣٤- تاريخ خليفة بن خياط (٢٤٠ هـ)
تحقيق أكرم ضياء الدين المصري
طبع مطبعة الآداب بالنجف ١٩٦٧ .
- ٣٥- تاريخ الدولة العربية ، ليوليوس فلهاوزن
ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده ، والدكتور حسين مؤنس
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٣٦- تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)
تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦١ .

- ٣٧— التاريخ السياسي للدولة العربية ، للدكتور عبد المنعم ماجد
طبع مطبعة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ .
- ٣٨— تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي ، للسباعي بيومي
طبع مطبعة العلوم ١٩٥٦ .
- ٣٩— تاريخ اللغات السامية ، للدكتور اسرائيل ولفنسون
طبع مطبعة الاختصاص بمصر ١٩٢٩ .
- ٤٠— تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري
تحقيق أنطون صالحان اليسوعي
طبع بيروت ١٨٩٠ .
- ٤١— تاريخ صلي اسبانيا ، لدوزي
ترجمة حسني حبشي
طبع دار المعارف
- ٤٢— تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، لظه أحمد ابراهيم
طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .
- ٤٣— تاريخ اليهقيي لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (— ٢٨٤ هـ)
طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٠ .
- ٤٤— تجريد الأغاني ، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن سالم بن
نصر بن واصل الحموي (— ٦٩٧ هـ)
تحقيق طه حسين ، و ابراهيم الأبياري
طبع مطبعة مصر ١٩٢٥ .
- ٤٥— التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، لمحمد بن عبد الرحمن
ابن عبد المجيد البعيدى (من رجال القرن الثامن الهجرى)
تحقيق عبد الله الجبورى
طبع مطابع النعمان بالنجف ، ١٩٧٢ .
- ٤٦— تزيين الأسواق بتفضيل أسواق العشاق ، لداود الأنطاكي
طبع مصر ١٢٩١ هـ .
- ٤٧— تطور الخمریات في الشعر العربي من الجاهلية الى أبي نواس ،
للدكتور جميل سميد
طبع مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٤٥ .
- ٤٨— التنبيه والأشراف ، لأبي الحسن علي بن الحسين السعوى (— ٢٤٥)
تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى
طبع دار الصاوى بالقاهرة ١٩٤٥ .
- ٤٩— تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت
تحقيق لويس شيخو
طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٥ .

- ٥٠- تهذيب تاريخ ابن عساكر ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن
عبد الله (- ٥٧١ هـ)
تصحیح عبد القادر بدران
طبع مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ .
- ٥١- ثقیف من ظہور الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، لحسين
محمد سليمان
(رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٧٢)
- ٥٢- ثلاث رسائل للجاحظ
تحقیق فينكل ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .
- ٥٣- جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي
تحقیق علي محمد البجاوی
طبع دار نهضة مصر ١٩٦٧ .
- ٥٤- جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سميد بن
هزم الاندلسي (- ٤٥٦ هـ) .
تحقیق عبد السلام محمد هارون
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .
- ٥٥- جمهرة اللغة ، لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي
البصري (٣٢١ هـ)
نشر مكتبة المثنى - بغداد .
- ٥٦- الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مدينة دمشق من الفتح
العربي الى نهاية العصر الأموي ، لمصام الدين عبد الرؤوف
(رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٦٧)
- ٥٧- الحب المثالي عند العرب ، للدكتور يوسف خليف
طبع دار المعارف بمصر (سلسلة اقرأ) ١٩٦١ .
- ٥٨- حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ، للدكتور شكرى فيصل
طبع مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ١٩٥٢ .
- ٥٩- حلية الفرسان وشعار الشجعان ، لعلي بن هذيل الأندلسي
تحقیق محمد عبد الفتي حسن
طبع دار المعارف ١٩٤٩ .
- ٦٠- حماسة البهتري ، لأبي عبادة الوليد بن عبيد الطائي (- ٢٨٤ هـ)
تحقیق كمال مصطفى
طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٢٩ .
- ٦١- الحماسة البصرية ، لصدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين
البصري (- ٦٥٩ هـ)
تحقیق مختار الدين أحمد
طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدرآباد الدكن -
الهند ، ١٩٦٤ .

- ٧٥— دولة الاسلام في الأندلس من الفتح الى نهاية مملكة غرناطة ،
لمحمد عبدالله عنان
طبع القاهرة ١٩٤٣ .
- ٧٦— الدولة الأموية ، للدكتور يوسف العش
طبع مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ .
- ٧٧— ديوان الأعشى الكبير
شرح الدكتور محمد محمد حسين
طبع المطبعة النموذجية ١٩٥٠ .
- ٧٨— ديوان امرئ القيس
تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم
طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٨ .
- ٧٩— ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي
تحقيق الدكتور محمد عده عزام
طبع دار المعارف ١٩٦٤
- ٨٠— ديوان توبة بن الحمير الخفاجي
تحقيق وتعليق خليل ابراهيم المطية
طبع مطبعة الارشاد — بغداد ١٩٦٨ .
- ٨١— ديوان جرير
طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٠ .
- ٨٢— ديوان حسان بن ثابت الأنصاري
شرح عبد الرحمن البرقوقي
طبع دار الأندلس ببيروت ١٩٦٦ .
- ٨٣— ديوان حميد بن ثور الهلالي
صنعة الاستاذ عهد العزيز الميمني الراجكوتي
طبع دار الكتب ١٩٥١ .
- ٨٤— ديوان طهمان بن عمرو الكلابي ، بشرح أبي سعيد السكري
تحقيق محمد جبار المعيد
طبع مطبعة الارشاد — بغداد ١٩٦٨ .
- ٨٥— ديوان المباس بن مرداس السلمي
جمع يحيى الجبوري
طبع دار الجمهورية — بغداد ١٩٦٨ .
- ٨٦— ديوان عنتره
تحقيق محمد سعيد مولى
طبع المكتب الاسلامي ١٩٧٠ .
- ٨٧— ديوان القتال الكلابي
جمع الدكتور احسان عباس
طبع دار الثقافة — بيروت ١٩٦١ .

- ٨٨- ديوان القحيف العقيلي
جمع كرنكو ،
- ٨٩- ديوان ليلى الأخيلية ،
جمع خليل إبراهيم العطية ، وجيل العطية
طبع دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٧ .
- ٩٠- ديوان مجنون ليلى ،
جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج
طبع دار مصر
- ٩١- ديوان أبي محجن الثقفي
طبع مصر
- ٩٢- ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري الحسن بن عبيد الله
ابن سهل (- ٣٩٥ هـ)
نشر مكتبة القدسي ١٣٥٢ هـ .
- ٩٣- ديوان ابن مقبل
تحقيق عزة حسن
طبع مديرية أحياء التراث القديم - دمشق ١٩٦٢ .
- ٩٤- ديوان النابغة الذبياني
تحقيق فوزي عطوى
طبع الشريعة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩
- ٩٥- ديوان نصر بن سيار الكثاني
جمع وتحقيق عبد اللطيف الخطيب
طبع مطبعة شفيق - بغداد ١٩٧٢ .
- ٩٦- ديوان أبي نواس
تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي
طبع مطبعة مصر ١٩٥٣ .
- ٩٧- ديوان الهذليين
طبع دار الكتب المصرية ١٩٤٥ .
- ٩٨- ذيل الأمالي والنوادر ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي (- ٣٥٦ هـ)
- ٩٩- الراعي النميري ، للدكتور محمد نبيه حجاب -
طبع مطبعة الرسالة ١٩٦٣ .
- ١٠٠- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ، للدكتور مصطفى الشكعة
طبع دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧١ .
- ١٠١- رسالة الغفران ، لأبي العلاء المصمري (- ٤٤٦ هـ)
طبع دار صادر بيروت ١٩٦٤ .
- ١٠٢- الرسالة الموضحة ، لأبي علي محمد بن الحسن الحاتمي (- ٣٨٨ هـ)
تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم
طبع دار صادر بيروت ١٩٦٥ .

- ١٠٠٣- رغبة الأمل من كتاب الكامل ، للسيد علي المرصفي
طبع سنة ١٩٧٤ .
- ١٠٠٤- رياض النفوس ، لأبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي
تحقيق الدكتور حسين مؤنس
نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥١ .
- ١٠٥- زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي اسحاق ابراهيم بن علي
الحصري القيرواني (- ٤٥٣ هـ)
ضبط وشرح الدكتور زكي مبارك ، وحققه وزاد ضبطه وشرحه
محمد محيي الدين عبد الحميد
طبع مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٥٣ .
- ١٠٦- الزهرة (النصف الأول) ، لأبي بكر محمد بن أبي سليمان
الأصفهاني (- ٢٩٧ هـ)
تحقيق لويس نيكول البوعيمي ، بمساعدة ابراهيم عبد الفتاح طوقان
طبع مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩٣٢ .
- ١٠٧- سبط اللائي ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (- ٤٨٧ هـ)
تحقيق عبد العزيز الصمغني
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ .
- ١٠٨- السيادة العربية والشيمة والاسرائيليات في عهد بني أمية ،
لفان فلوتن
ترجمة الدكتور حسن ابراهيم ، ومحمد زكي ابراهيم
طبع مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣٤ .
- ١٠٩- السيرة النبوية ، لابن هشام
تحقيق مصطفى السقا ، و ابراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي
طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ .
- ١١٠- شرح اختيارات الفضل الضبي ، لأبي زكريا يحيى بن علي
الخطيب التبريزي (- ٥٠٢ هـ)
تحقيق فخر الدين قباوة
طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ .
- ١١١- شرح ديوان حماسة أبي تمام ، لأبي زكريا يحيى بن علي
الخطيب التبريزي (- ٥٠٢ هـ)
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
طبع مطبعة حجازي بالقاهرة .
- ١١٢- شرح شواهد المفني ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي
بكر السيوطي (- ٩١١ هـ)
تحقيق أحمد زافر كوجان
طبع لجنة التراث العربي ١٩٦٦ .

- ١١٣- شرح الفضليات ، لأبي محمد القاسم بن محمد الأنباري
تحقيق كارلوس يمقوب لايل
طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ١٩٢٠ .
- ١١٤- شروح سقط الزند ، للتبريزي ، والبهليوسي ، والخوارزمي
عمل لجنة احياء آثار أبي الملا ، الممرى
طبع دار الكتب المصرية ١٩٤٥ .
- ١١٥- الشعراء الصفاة في العصر الأموي ، للدكتور حسين عطوان
طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .
- ١١٦- الشعراء من مخزومي الدولتين : الأموية والعباسية ،
للدكتور حسين عطوان
طبع بيروت ١٩٧٤ .
- ١١٧- شعر الأخطل ، صنعة السكرى
تحقيق فخر الدين قباوة
طبع دار الأصمعي بحلب ١٩٧٠ .
- ١١٨- شعر البصرة في العصر الأموي ، للدكتور عون الشريف قاسم
طبع دار الثقافة - بيروت ١٩٧٢ .
- ١١٩- شعر الراعي النعمري
جمع ناصر الحاني ، ومراجعة عز الدين التلويحي
طبع دمشق ١٩٦٤ .
- ١٢٠- الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، للدكتور
حسين عطوان
طبع بيروت ١٩٧٤ .
- ١٢١- شعر عمرو بن أحمر الباهلي
جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان
طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ١٢٢- الشعر في حرب داحس والغبراء ، لعادل جاسم البياشي
طبع مطبعة الآداب في النجف ١٩٦٩ .
- ١٢٣- شعر ابن ميادة
جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي
طبع مطبعة الجمهورية - الموصل ١٩٧٠ .
- ١٢٤- شعر النابغة الجعدي
جمع عبد العزيز رباح
نشر المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٦٤ .
- ١٢٥- الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري (- ٢٧٦ هـ)
نشر دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤ .
- ١٢٦- الشعر والفناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، للدكتور
شوقي ضيف
طبع دار الثقافة ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ .

- ١٢٧- الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، لعفيف محمد عبد القادر
عبد الرحمن
- (رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير ، جامعة القاهرة (١٩٧١)
- ١٢٨- الشماخ بن ضرار الذبياني : حياته وشعره ، لصالح الدين الهادي
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
- ١٢٩- صبح الأعشى ، لأبي العباس أحمد الطقشندى
طبع القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ .
- ١٣٠- صفة جزيرة العرب ، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب
ابن داود الهمداني
تحقيق داود هنريك مولير
طبع مطبعة بريل بمدينة ليون ١٩٦٨ .
- ١٣١- الصداعتين ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
المسكري (- ٣٩٥ هـ)
تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبي الفضل ابراهيم
طبع دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢ .
- ١٣٢- طبقات الشعراء ، لعبد الله بن الممتر (- ٢٩٦ هـ)
تحقيق عبد الستار أحمد فراج
طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٦ .
- ١٣٣- طبقات فحول الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن سلام
الجمعي (- ٣٣١ هـ)
تحقيق محمد محمود شاكر
طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٢ ، وطبع مطبعة المدني ١٩٧٤ .
- ١٣٤- الطبقات الكبير ، لمحمد بن سعد
تحقيق أوجين منوخ ، وادوارد سخو
طبع ليدن ١٩٠٥ - ١٩٢٨ .
- ١٣٥- العصبية القلبية وأثرها في الشعر الأموي ، للدكتور احسان النضر
نشر دار اليقظة العربية ، طبع المطبعة التعاونية اللبنانية ١٩٦٣ .
- ١٣٦- العصر الاسلامي ، للدكتور شوقي ضيف
طبع دار المعارف ١٩٦٣ .
- ١٣٧- العصر الجاهلي ، للدكتور شوقي ضيف
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .
- ١٣٨- العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (- ٣٢٧ هـ)
تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الأبياري
- ١٣٩- الممددة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن
رشيق القيرواني (- ٤٥٦ هـ) ت
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
طبع مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٣ .

- ١٤٠- عيار الشعر ، لمحمد بن أحمد بن طبا طبا (- ٣٢٢ هـ)
تحقيق الدكتور طه الحاجري ، والدكتور محمد زغلول سلام .
طبع شركة فن الطباعة بمصر ١٩٥٦ .
- ١٤١- عيون الأخبار ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن عتيبة
الدينوري (- ٢٧٦ هـ)
طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٥ .
- ١٤٢- الميرون والحدائق ، لمؤلف مجهول
(الجزء الثالث) تحقيق جويه ١٨٢٩ ، نشر مكتبة المثنى .
- ١٤٣- الفاضل ، لأبي المباس محمد بن يزيد المبرد (- ٢٨٥ هـ)
تحقيق عبد المنز الميوني الراجكوتي
طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٦ .
- ١٤٤- فتوح البلدان ، لأحمد بن يحيى البلاذري (- ٢٧٩ هـ)
تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع
دار النشر للجامعيين ١٩٥٧ .
- ١٤٥- فتوح الشام ، للواقدي
تحقيق ليس
طبع كلكتة ١٨٥٤ .
- ١٤٦- فتوح مصر والمغرب وأخبارها ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن
عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري (- ٢٥٧ هـ)
نشر شارل توري
طبع ليدن - بريل ١٩٢٠ .
- ١٤٧- فحولة الشعراء ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (- ٥٢١ هـ)
تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، وظه محمد الزيني
طبع المطبعة المنيرية بالأزهر ١٩٥٣ .
- ١٤٨- فن الشعر الخمرى ، لايلى حاوى
نهر دار الثقافة مبيروت ، طبع مؤسسة خليفة .
- ١٤٩- فهرسة ابن خير ، لأبي بكر محمد بن خير (- ٥٧٥ هـ)
تحقيق فرنسيسكه قداره زيدى ، وخليان ربارة طرغوه
طبع عن الأصل المطبوع في مطبعة قوش بسر قسطه ١٨٩٣ .
- ١٥٠- الفهرست ، لابن النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق
تحقيق رضا تجدد
طبع مطبعة دانكشاه ، طهران ١٩٧١ .
- ١٥١- فوات الوفيات ، لمحمد بن شاعر الكتيبي (- ٧٦٤ هـ)
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
طبع مطبعة السعادة بمصر .

- ١٥٢- في مقتل الحسين عليه السلام ، رسالة أخذ الثار وانتصار المختار على الطغاة الفجار ، لأبي مخنف تحقيق محمد الشيرازي طبعة بمباي ١٣٦١ هـ ،
- ١٥٣- القبائل العربية بمصر وأثرها في الأدب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، لعبد الله خورشيد البري (رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٥٦)
- ١٥٤- قراءة جديدة لشعرنا القديم ، لصالح عبد الصبور طبع دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٨
- ١٥٥- قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، لأبي النصر محمد خالدي (رسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراه ، جامعة القاهرة)
- ١٥٦- قصيدتان لمزاحم بن الحارث العقيلي مع أبيات منسوبة إليه في كتب أخرى ، تحقيق وجمع كركو ليدن ١٩٢٠
- ١٥٧- القول في البغال ، لأبي عثمان الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) تحقيق شارل بلا طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٦ .
- ١٥٨- الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (- ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، والسيد شحاته طبع دار نهضة مصر بالقاهرة .
- ١٥٩- الكامل في التاريخ ، لعز الدين علي بن محمد بن الأثير (- ٦٣٠ هـ) طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٥ .
- ١٦٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله الشهير بمحاجي خليفه تحقيق محمد شرف الدين يالتقيا ، ورفعت بيلكه اللكيسي طبع طهران ، الطبعة الثالثة ١٩٤٧ .
- ١٦١- لباب الآداب ، لأسامة بن منقذ (- ٥٨٤ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥ .
- ١٦٢- لبيد بن ربيعة المامري ، ليحيى الجبوري طبع مطابع التعاونية اللبنانية ١٩٧٠ .
- ١٦٣- لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٨ .
- ١٦٤- الموءتلف والمختلف ، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (- ٣٧٠ هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦١ .

- ١٦٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضيأ الدين بن
الأثير (- ٦٢٢ هـ)
- تحقيق الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور بدوى طيانه
طبع مطبعة نهضة مصر ١٩٥٩ هـ .
- ١٦٦- التبحر في الآداب الإسلامية في القرن الأول ، للدكتور شكرى فيصل
نشر مكتبة المثنى ببغداد ، طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٢ هـ .
- ١٦٧- مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابورى
المعروف بالميداني (- ٥١٨ هـ)
طبع المطبعة البهية .
- ١٦٨- مجموعة الممانى ، لمؤلف مجهول
طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠١ هـ .
- ١٦٩- محاضرات الأدباء ، لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب
الأصفهاني (- ٥٠٢ هـ)
- دار مكتبة الحياة ببيروت ، ودار مكتبة الارشاد ببغداد ١٩٧١ هـ .
- ١٧٠- المحبر ، لأبي جعفر محمد بن حبيب (- ٢٤٥ هـ)
تحقيق الدكتور هيلمه ليوختن شتير
طبع مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٩٤٢ هـ .
- ١٧١- مختار الصحاح ، للرازي
طبع مطبعة الحاج عبد السلام شفرون بمصر .
- ١٧٢- المرصع في الآباء والأهات والبنين والبنات والآباء والذوات ،
لمجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (- ٦٠٦ هـ)
تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي .
- ١٧٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن علي بن الحسين
ابن علي المسمودي (- ٣٤٦ هـ) .
تحقيق يوسف أسعد داغر
طبع دار الألسن ببيروت ١٩٦٥ هـ .
- ١٧٤- المسالك والممالك ، لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد
الفارسي الاصفهاني
تحقيق الدكتور محمد جابر عبد المال الحيني ، ومراجعة
محمد شفيق غريال
طبع مطابع دار القلم بالقاهرة ١٩٦١ هـ .
- ١٧٥- مصادر التراث العربي ، للدكتور عمر الدقاق
نشر المكتبة العربية بحلب ١٩٦٨ هـ .

- ١٧٦- مصادر الشعر الجاهلي ، للدكتور ناصر الدين الأسد
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ ،
- ١٧٧- المصون في الأدب ، لأبي أحمد الحسن بن عبدالله
المسكوي (٣٨٢ هـ)
تحقيق عبد السلام محمد هارون
طبع الكويت ١٩٦٠ .
- ١٧٨- المعارف ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري (٢٧٦ هـ)
تحقيق الدكتور ثروت عكاشة
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ .
- ١٧٩- المعاني الكبير ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري (٢٧٦ هـ)
طبع مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٩٤٩ .
- ١٨٠- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم بن
أحمد العباسي (٩٦٣ هـ)
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٧ - ١٩٤٨ .
- ١٨١- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ)
طبع مطبعة دار المأمون .
- ١٨٢- معجم البلدان ، لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ)
طبع دار صادر ببيروت ١٩٥٥
وطبع طهران ١٩٦٥ .
- ١٨٣- معجم الشعراء ، للمرزباني محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤ هـ)
تحقيق عبد الستار احمد فراج
طبع دار احياء الكتب العربية ١٩٦٠ .
- ١٨٤- معجم قبائل العرب ، لعمرضا كحاله
طبع المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ .
- ١٨٥- معجم ما استمع ، لأبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز
البكري (٤٨٧ هـ)
تحقيق مصطفى السقا
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥ .
- ١٨٦- المصمرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني (٢٥٠ هـ)
تحقيق عبد المنعم عامر
طبع دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ .

- ١٨٧- الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي
طبع دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٠ .
- ١٨٨- الفضليات ، للمفضل بن محمد الضبي (١٧٨ هـ)
تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة .
- ١٨٩- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية (الشواهد الكبرى)
لمحمود بن أحمد العيني (٨٥٥ هـ)
بها مش خزانة الأدب للبغدادى ،
طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٩ هـ .
- ١٩٠- المقنضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ)
تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه
طبع القاهرة ١٣٨٨ هـ .
- ١٩١- مقدمة في التاريخ الاقتصادى العربى ، للدكتور عبد العزيز
الدورى ،
طبع دار المطبعة ببيروت ١٩٦٩ .
- ١٩٢- المنازل والديار ، لأسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ)
تحقيق مصطفى حجازى
طبع القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٩٣- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، لأبي القاسم
الحسن بن بشر الأمدى (٣٧٠ هـ)
تحقيق السيد أحمد صقر
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦١ .
- ١٩٤- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، للمرزباني
محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤ هـ)
طبع المطبعة السلطانية ١٣٤٣ هـ .
- ١٩٥- النابغة الجعدي : حياته وشعره ، لسميحه المادلي
(رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٦٨) .
- ١٩٦- النابغة الذبياني ، للدكتور محمد زكي العشماوى
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .
- ١٩٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين أبي
الحساسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (٨٧٤ هـ)
طبع دار الكتب المصرية ١٩٦١ .
- ١٩٨- نسب عدنان وقحطان ، لأبي العباس محمد بن يزيد
المبرد (٢٨٥ هـ)
تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى
طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ .

- ١٩٩- نسب قريش ، لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (٢٣٦ هـ)
نشر ليفي بروفنسال
طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٣ .
- ٢٠٠- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب ، للدكتور أمجد الطرابلسي
طبع دار المعارف بدمشق ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ .
- ٢٠١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني
تحقيق الدكتور احسان عباس
طبع دار صادر بيروت ١٩٦٨ .
- ٢٠٢- نقائص جرير والأخطال ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١ هـ)
تحقيق أنطون صالحاني اليسليموي
طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٢٢ .
- ٢٠٣- نقائص جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى
تحقيق بيفان
طبع ليدن ١٩٠٥ .
- ٢٠٤- نقائص جرير والفرزدق ، للدكتور محمود غناوى الزهيرى
طبع مطبعة دار المعرفة - بغداد ١٩٥٤ .
- ٢٠٥- نقضي الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (٣٢٧ هـ)
تحقيق كمال مصطفى
نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣ .
- ٢٠٦- نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٧٣٣ هـ)
طبع دار الكتب المصرية .
- ٢٠٧- النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري
تصحیح سميد الشرتوني
طبع المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٨٩٤ .
- ٢٠٨- الهجاء والهجاء ون في صدر الاسلام ، للدكتور محمد محمد حسين
طبع المطبعة النموذجية ١٩٤٨ .
- ٢٠٩- الوافي بالوفيات ، لصالح الدين خليل بن اييك الصفدى
تحقيق س . ديدريخ
طبع المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٥٣ .

- ٢١٠- الوحشيات ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (- ٢٣١ هـ)
تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .
- ٢١١- الوزراء والكتاب ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله
الجهشيارى (- ٣٣١ هـ)
تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي
طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨ .
- ٢١٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز
المرجاني (- ٣٦٦ هـ)
تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي
طبع دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الثالثة .
- ٢١٣- وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم المنقري (- ٢١٢ هـ)
تحقيق عبد السلام محمد هارون
طبع مطبعة المدني بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ .
- ٢١٤- وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن محمد بن
أبي بكر بن خلكان (- ٦٨١ هـ)
تحقيق الدكتور احسان عباس
طبع دار صادر ببيروت .
- ٢١٥- الولاة والقضاة ، لأبي عمر محمد بن يوسف
الكندى المصرى (توفي حوالي سنة ٣٥٠ هـ)
تحقيق رفن كست
طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ١٩٠٨ .

دوريات :

- مجلة كلية الآداب ، العدد ١:٤ سنة ١٩٥٢ .
- مجلة الهلال ، الأعداد : ٧ ، ٨ ، ٩ من السنة
الرابعة عشرة ١٩٠٦ .

المحتوى

=====

الصفحة =====	الموضوع =====
٢-١	مقدمة
١٥-٤	الفصل الاول : قبيلة قيس
٣٧-١٦	أ . كلمة في الأنساب عامة
٥١-٣٨	ب . نسب قيس
٨٤-٥٣	ج . تمركز قيس الى مواطن جديدة
	د . دور قيس السياسي والقبلي
	في العصر الأموي
٨٨-٨٦	الفصل الثاني : شعر قيس
١١٢-٨٩	كلمة في شعر القيسيين
١٢٠-١١٣	أ . الشعر القبلي
١٢٦-١٢١	ب . الشعر السياسي
١٤١-١٢٧	ج . في الهجرة والحنين
١٥١-١٤٢	د . شعر الفزل
١٥٨-١٥٢	هـ . في قضايا اقتصادية
١٧٠-١٥٩	و . في السجن
	ز . في الخمرة
١٧٧-١٧١	ح . في موضوعات أخرى (الشباب والشيب ، الحكم ، العتاب والاعتذار)
	الفصل الثالث : وقفة
	عند خمسة من شعراء قيس
٢٢٨-١٧٩	أ . الراعي النميري
٢٥٢-٢٢٩	ب . ليلى الأخيلية
٢٨٤-٢٥٣	ج . ابن ميادة
٣٠٦-٢٨٥	د . القتال الكلابي
٣٢٠-٣٠٧	هـ . القحيف العقيلي
٣٢٢-٣٢١	خاتمة
٣٤٠-٣٢٣	المصادر والمراجع

4. Al - Kuhaif Al - Aukaily , is noted for stressing the struggle between tribes especially the tribes of Kais and Hanifah .
5. Laila Al - Akhyalieh whose name was connected with Tawbah Ibn Al - Humayer , and she was one of the famous elegy poets .

The poetry of those five poets was collected discussed and commented on .

I hope I have filled some of gaps that other researchers have over - passed .

Finally , I would like to extend my gratitude and thanks to my advisers Dr. Hashem Yaghi and Dr. Abdul Rahman Yaghi for their fore - bearance of the efforts and advice they gave on this research .

Student

Khalil Saleh Abu Rahmeh

Summer of 1976

lived the tribal struggle between the tribes of Kalb and Kais, and Kais and Taghleb . It is worth noting that because Kais tribe has indulged it self in tribal conflicts ; they have ignored political poetry, and what had reached us from their political poetry seemed rather unbalanced compared to their tribal poetry .

It is natural to note that tribal and political conflicts lead to the filling of prisons, the imprisonment period extracted poetry of prisons. There was also a pause on the poetry of immigration and Yearning to native land , the poetry of desert life, poetry of economical problems and unrighteous wealth, and finally there was a pause on the poetry of wine especially the poems of Ibn Seehan.

Part three of the research was specialized to the study of five poets from Kais. The reasons for my selection of those five poets was due to the following:

- a) The majority of their poetry did not surpass the Ommayyad period.
- b) Because they are very well noted amongst the Kaisy poets .

Those Five Poets are:
=====

1. Al-Rai' Al-Numairy; who is classified as one of the top of Islam poets .
2. Ibn Mayyadah, who is noted in the art of the Nakkaed.
3. Al-Kattal Al-Kilabi, is noted for his revolution against wrong tribal ruling .

Summary

=====

This research is composed of Three chapters :-

Chapter one starts with a general description regarding Arabic Ancestry , and the opinion of certain researchers regarding the issue of ancestry thus mentioning the fact that the Arabs actually believed in the Validity of ancestral history which passed them from narrators .

This belief gave the political and tribal ** effect a new Push through the Ommayyad period .

The second stage was talking about Kais ancestry ; I followed up all the branches of the tribe, I hinted to the most important events which could give a clear concept about these tribal branches, and I put the most stress on the events of the Jahilite period. Then I followed up the immigration of the Kaisy tribes from its first origin the Arab peninsula, to all the Islamic countries that were conquered during the Islamic conquest movement. In this manner I paved the way for talking about the role of Kais , Politically in the Ommayyad period . It was noted that the Ommayyads encouraged the tribal spirit to spread in spite of the Islamic role in fighting it. This tribal encouragement was an asset to the Ommayyads at the beginning , then it turned to be a role of destruction to the Ommayyad period .

In part two of the research, I discovered the problems and aspects that poetry conveyed; for the tribal poetry was classified on the top of this ladder of problems .

Mesopotamia was the native land of the tribal poetry because it

E. Al- Quhaif Al Okaily .

Conclusion

Sources & Bibliography

Student :

Khalil Saleh Salim Abu Rahmeh .